مجموعة أعمال
العلامة الأديب محمد المختار السوسي
المتوفى سنة 1383 هـ - 1963 م

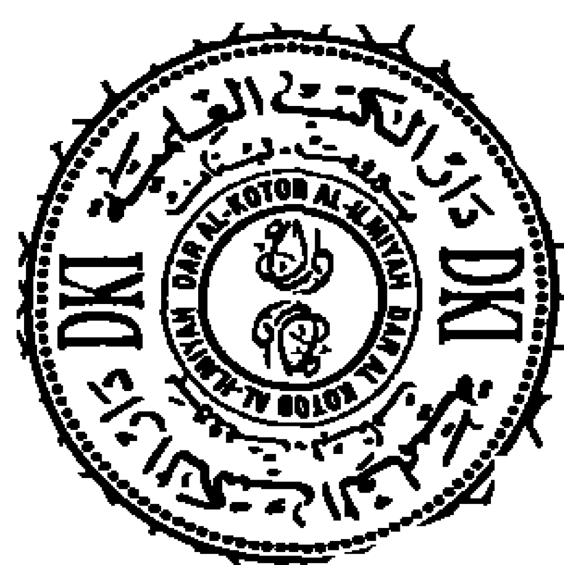
خلال جزولة

للفقير إلى الله تعالى
العلامة الشيخ محمد المختار السوسي
المتوفى سنة 1383 هـ - 1963 م

المجلد الثاني
4-3

دار الكتب العلمية
DKi
بيروت - لبنان


دار الكتب العلمية
DKI
DAR AL KOTOB AL ILMIYAH
DKI


DKI
DAR AL-KOTOB AL-ILMIYAH
DKI

مجموعة أعمال العلامة الأديب محمد المختار السوسي

خلال جزولة

للفقير إلى الله تعالى

العلامة الشيخ محمد المختار السوسي

الجزء الثالث



دار الكتب العلمية

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

DKi

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان

Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon

Etablie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales@al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

الكتاب : خلال جزولة

Title : HILĀL JUZŪLA

التصنيف : رحلات

Classification: Journeys

المؤلف : العلامة محمد المختار السوسي

Author : Al-Sheikh Muhammed Al-Mukhtar As-Sousi

الناشر : دار الكتـــب العلميـــة - بيـــروت

Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut

Pages (4 Parts in 2 Volumes)	1056 (4أجزاء بمجلدين)	عدد الصفحات
Size	17x24 cm	قياس الصفحات
Year	2015 A.D - 1436 H.	سنة الطباعة
Printed in : Lebanon		بلد الطباعة : لبنـــان
Edition : 1st		الطبعة : الأولى

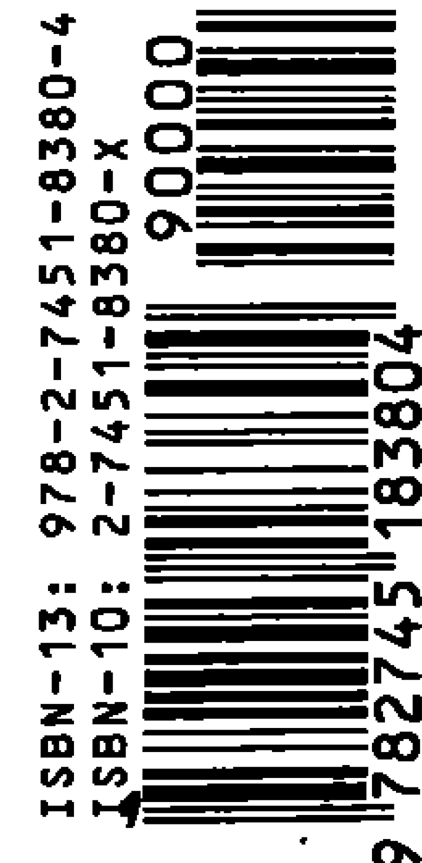
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Est. by Mohamad Ali Baydoun

1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢ ٥ ٩٦١+
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+
ص.ب: ٩٤٢٤-١١ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الرحلة الثالثة من كتاب «خلال جزولة»

الذي أودعه مشاهداتي من الآثار ونوادر الكتب، ومؤلفات السوسيين مطلقًا وأسماء الرجال، في جولاتي التي أخوض فيها قبائل سوس كلما وجدت لذلك فسحة، ولقد حرصت على أن أودعها كل ما يلفت نظر مثلي من المولعين بمعرفة الكتب، وبتراجم الرجال النابهين علماء كانوا أو رؤساء، مما أجد اسمه حديثًا، ومما أقع عليه من الآثار الأدبية من نثر ونظم، ما دام ذلك مقبولًا ، وإن لم يدرك الشأو العالي من البلاغة، وبوصف المجالس الأدبية التي أراها، فأسوق ما يروق لي من الفوائد والإنشاءات والإنشادات ولا قصد عندي إلا أن أنشر حسب ما في طاقتي من تاريخ هذه الجهة التي اصطلحت بأن أطلق عليها «جزولة» ما أؤدي به لعشاق التاريخ المغربي العام والخاص ما يقر به الطرف، ويبتهج معرفته الفؤاد.

وكل من لم يكن له هذا الولوع المؤسس على كل ما اعتنى بذكره فالأولى له أن لا يشغل نفسه بمراجعة هذا الكتاب، لأنه يراه تافهًا ساذجًا من فضول الأعمال، لأنه لا يكتب كتابة عصرية، ولا يذكر هذا العصر الحديث الذي يرفل في الحضارة الحديثة، ويرفع هامته بالفكر الجديد الشامخ بأنفه إلى السماء.

محمد المختار

السوسي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

الحمد لله الذي خطا بنا هذه (الخطوة الثالثة) الميمونة إلى جهة (تامانارت) قاعدة (جزولة) أمس وبركتها اليوم، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتمة النبيئين، ورجل العالم الذي قام بالإنسانية، وزحزح عنها الاضطهاد، ومهد السبل إلى المدنية الحق[1]، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الغر الأماجد،وعلى تابعيهم في الإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فقد افتتحت تحرير هذه الرحلة الجزولية (الثالثة) في أصيل السبت في منتزه القائد الأجلّ الشاب الألمعي الشريف مولاي محمد بن البشير يعسوب (تامانارت)[2] اليوم والقائم بإيالتها إرثًا عن أجداده الكرام ونطلب الله أن يعيننا حتى نجمع عن أخبار ما يمتد إليه سفرنا هذا بحول الله، ما يقر الأعين ويطلق بالإشادة بعلمه الألسن حتى تكون حتى هذه الرحلة كأختيها السابقتين جامعة لكل ما يشفي الغليل فيما يسنح لنا على عادتنا في مقيداتنا ولعلنا حين نبدأ بهذه الدار التي هي مثابة الشرفاء ومنبع الرؤساء ممن لهم ولأسلافنا من قديم أواصر ودادية لا تزال ممتدة إلى الأخلاف ننال كل الأماني كما نحب، فعلى الله اعتمد في إتمام المطلوب، وفي إنجاز المرغوب بمنه وكرمه، في شوال 1362هـ.

---

(1) يألف الكتاب أن يقولوا الكلمة الحقة، وذلك غير سديد، لأن الحق مصدر، وهو يلزم الأفراد والتذكير دائمًا.

(2) انتحر هذا القائد يوم حاصرته جنود الاحتلال في داره اتهامًا له بالوطنية سنة 1375هـ. وقد بينا ما وقع له بين تاريخ أفراد أسرته المجيدة في (الجزء العشرين) (من المعسول).

تامانارت:

خرجنا من دارنا بإلغ ليلًا على رأس الحادية عشرة، عشية العيد مفتتح شوال على البغال، وقد بادرت لأجد في (تانامارت) فراغًا من أهلها في هذين اليومين، قبل أن يشتغلوا بأضيافهم الكثيرين، الذين سيؤَمونهم يوم الثلاثاء يوم موسم سيدي محمد بن إبراهيم الشيخ التامانارتي رضي الله عنه[1].

سرينا ليلًا، ولم تغتمض لنا عين، إلى أن وصلنا محل (نطفيات[2] إيزين) فعرسنا قليلًا، ثم تابعنا سيرنا حتى صلينا الصبح قرب حوانيت العبيد (إيحونا إيسوقين) ـ حوانيت العبيد ـ وشرقت علينا الشمس على رأس (تارت) وقد رأيت ما حولي الطريق أراضي حزنة كلها أمت وعوج، وأرض هذه الجهات التي رأيناها جرداء، لا ترى فيها العين إلا بعض نباتات قليلة متناثرة متباعدة. ثم انحدرنا في وادي (تارت) الضيق الطويل، الشديد المسلك، وقد كانت منذ أيام نزلت مياه غزيرة من المطر، فافعوعمت بها الأودية وجرفت بها الطرق، ولذلك وجدنا الطريق في هذا الوادي لا يكاد يبين، وقد أكرمنا الله بإسرائنا حتى حصلت لنا برودة الصباح، ولولا ذلك للاقينا فيه وقت الهجير تحت حمارة القيظ عنتًا شديدًا، يلحفنا حرًّا شديدًا، ويصلينا بالغليل، وقد زاد الله في إفضاله فاكتسى المشرق بغيم رقيق يحجب الشمس أنى واجهتنا ويأذن للنسيم[3] وقد كنت أتأمل جانبي هذا الوادي من أعاليه الضيقة، فأحسب أنه لو حاول محاول سقفه بين الجانبين بسقف يضم جانبًا إلى جانب لأمكن لضيقه، ولما وصلنا بئرًا

---

(1) ذكر هو وأهله في (الجزء السابع) من (المعسول).

(2) النطفة بضم النون، الماء الصافي، والنطفية نسبة إليها، والكلمة عربية كما ترى.

(3) من قول حمدونة الأندلوسية:

وقانا لفحة الرمضاء واد	سقاه مضاعف الغيث العميم
قصدنا نحوه فحنا علينا	حنو المرضعات على الفطيم
وارشفنا على ظمإ زلالا	ألذ من المدامة للنديم
يصد الشمس أنى واجهتنا	فيحجبها ويأذن للنسيم
تروع حصاه حالية العذارى	فتلمس جانب العقد النظيم

معطلة في أسافل الوادي، نزلنا للإفطار فاستندت إلى صخرة، والأصحاب مشتغلون بإغلاء الماء، وتهيئة طعمة المسافر التي هيأت من قبل، من شواء لذيذ، وخبز من سميد ونقل فاخر، عن شراب لا تعرف من جاماته المترعة الأول من الآخر، فصرت أعمل أنا الفكرة في هذا الوادي، فقلت هذه الأبيات المهلهلة.

وضيق وادٍ بترت طويل كما امتد للماء خرطوم فيل
قطعنا صباحًا ولولا الصباح أحرقنا فيه حر الغليل
نسير وئيدًا كما تزحف السلاحف بين صخور المسيل
كأن رؤوس شماريخه رؤوس أسود ربضن بغيل
ندير به الطرف كي نستشف بالطرف نهجًا لطمس السيول
وقد جرفت أرضه بعد ما تجرر فيه السيول الذيول
فلو أن أحجاره شرع فهذا لهذا وذاك مثيل[1]
فمن لم يزر ترت ليس يرى كسم الخياط ممر السبيل
تكاد حصاه تصد طريق سالكه فيود القفول
ولكن إذا ذمه من يسير والقيظ في جانبيه يسيل
فإني لحامده والصبا ح يتحفني بالنسيم العليل
فجبت من أعلاه حتى وصلت أسفله تحت ظل ظليل
فمن يك ينسى فلست أنا بناس لترت المكان الجليل
فإن لم يكن ذا جمال فما رأيت لديه جميعًا جميل
فعهدي لترت نضير وهل يصيب عهودي لديها الذبول

وقد استنهضت هذه القصيدة على هلهلتها همة ابن العم الذي لاقيته في اليوم الثاني بعدما مر أيضًا بـ(ترت) هذه، الأديب الكبير سيدي الطاهر بن علي فماشاها بما نصه:

لك الفضل (ترت) على ما به يخاطبك اللوذعي الجليل

(1) شرع بفتحتين؛ سواء.

إمـام الـعـلـوم بـزأبـرهـا ومـختـارنـا الألـمـعي النـبيـل[1]
مـعيـد الـبـلاد لأعـصـرهـا مـذهـبـة مـنـذ آن قـلـيـل
لـقـد نـال فـي الـعـلـم مـرتـبـة فـليـس إليـهـا لـشخـص سـبيـل
ونـحـن بـذكـري إخـوتـه نـتيـه فـنـحـن نـجـر الـذيـول
تـنـوسـي ذكـرك قـدمًـا وقـد أزال بـشـعـره عـنـك الـخـمـول
فـكـم مـن أديـب يـمـر ومـا تـعـرض مـنـك لـوجـه جـمـيـل
فـفـض الـخـتـام وحـلـلـه فـكـل أديـب إلـيـك يـمـيـل
لـذا قـد قـصـدتـك تـوًّا فـقـد صـفا الـليـل مـنـك وراق الـمقـيـل
وزهـر ربـاك بـديـع الـزهـو ر وأن نـسـمـيـك (تـرت) عـلـيـل
وشـيـحـك أزرى بـزهـر الـربـا ومـاؤك أحـلـى مـن الـسـلـسـبـيـل
وطـيـرك أشـهـى طـيـور الـورى وظـلـك والله ظـل ظـلـيـل
وواديـك أزرى بـوادي الـفـرا ت لـولا الـفـرات مـيـاهًـا يـنـيـل
هـواؤك مـعـتـدل فـي الـضـحـى وعـنـد الـزوال وعـنـد الأصـيـل
فـمـن لا يـرى (تـرت) لـيـس لـه إلـى نـقـض مـبـرمـنـا مـن دلـيـل
فـكـل أديـب أتـاك ولـم يـضـع فـيـك قـافـيـة فـبـخـيـل[2]

ثم لما وصلنا أسفل الوادي، وقد انفتح وزايله ذلك الضيق العجيب استحال ذلك المأزق إلى منفسح يسايره في جانبيه جبلان عظيمان مطلان على الوادي من أعاليه، وتتراءى منهما فينة بعد فينة قمم جاثية ناتئة تلفت الأنظار، كما تلفتها نواح كثيرة من جوانب هذين الجبلين القائمين اللذين يعودان أحيانًا كأنهما حائطان قائمان حقيقة لا مجازًا، فقد رفعت عيني مع الجانب الشرقي حيث التقيا بوادي (نينت) حيث يقال إن فيه مكتوبًا في حجر (لا إله إلا الله) فرأيته كالجدار القائم، وكذلك ما فوق العين التي تسقي أرض قرية (تيسلگت)

(1) بزابرها؛ بأجمعها وهو على وزن جعفر.

(2) ويوجد في مقدمة (المعسول) قافيتان أخريان كذيل لهاتين جرت بين الأديب سيدي الحسن ابن علي، وبين جامع هذه الرحلة، قيلتا حول بسيط (الغ).

وأمثال ذلك كثير في جوانب أودية هذه الجهة، وقد سألت عما يقال من كتابة (لا إلٰه إلا الله) بقلم القدرة هنا وصحح لي بعض من رآه أنه إنما نقشه ناقش في الحجر، ويوجد هناك في مكانين والمكان الموجودة فيه هذه الكتابة حقيقة هو المحل المجاور (ايمور) وتلك كرامة محققة للشيخ سيدي خالد بن يحيى الكْرسيفي من أهل القرن التاسع وقد ذكر ذلك المؤرخون كابن عسكر والزياني[1]، وأول قرية وصلناها أسفل الوادي بعدما التقينا بوادي (نينت) قرية (ايميوزلاكْ) وهي قرية صغيرة يقطنها ما بين 25 وبين 30 كانونا غالبهم رحالون ينتجعون بمواشيهم وجمالهم جوانب الصحراء التي تليهم كما يطلعون أيضًا إلى الجبال (كتازروالت) ونحوها، يتتبعون مواقع القطر، وعين أهل هذه القرية أفسدتها السيول وطمتها، فترى نخيلها كأيتام دفعوا عن مأدبة اللئام فقد تخللتها مسالك الوادي الطاغي الجارف، فلم يدع إزاءها ولو قبضة من تراب فتخر بالتتابع وما بقي منها هامة اليوم أو غد[2] ولا تزال تتراءى آثار الحقول التي استحالت بعد أن غاض ماء العين إلى قفر لا يجدي شيئًا، ولم يبق بعض الصبابة للقرية إلا في بضعة آبار يستقون منها بدلاء بأيديهم، وأرى أنه لو أمكن للحكومة أن تعير لهذه الناحية بعض عنايتها، فلا بد أن تلتئم الحالة بما في الإمكان إما بتعهد العيون بإصلاح متين حتى لا تتأثر بالسيول، وإما بسدود يعتاض بمياهها عن أمثال هذه العيون التي تغيض بالتتابع شيئًا فشيئًا ثم يجلو عنها السكان فهذه قرى (تيبسيست) إزاء قرية (إيميوزلاكْ) و(تيغزارين) عند مشهد سيدي محمد بن عثمان[3] و(تيملالين) قد خربت خرابًا تامًّا، وبلدة (تيسلكْيت) تتصل بهذه، فالكل الآن في طريق التدهور، إن لم تغث أهلها الحكومة بكل ما في الإمكان، ثم مررنا (بأكْادير نيت علي)، ولا يزال عامرًا عادة الحصون القديمة، وفيه حرسه وبوابه، وهو مبني على شرف منيع ليس له

---

(1) في ترجمة أحمد بن عبد الرحمٰن التيزركيني الايسي في الثالث عشر من (المعسول) ذكر هذه الناحية وما وقع فيها.

(2) مثل قديم معناه أن الإنسان مقارب للموت قال الشاعر:

وكل خليل زارني فهو قائل ... من أجلك هذا هامة اليوم أو غد

(3) من أصحاب سيدي محمد بن إبراهيم الشيخ، وقد ترجم في طبقات الحضيكي.

إلا طريق واحد، تسلكه الدواب والأترهة للراجلين، يخزن فيه أيت علي الحربيليون المرابطيون، وهم قوم ينتجعون في هذه الصحراء، ثم يؤوون ما يخزنونه إلى معقلهم هذا، وقد كان الحصن لأهل (ساموگن)، فاحتله هؤلاء غدرًا، وذلك أنهم ائتمروا مع امرأة في الحصن توقد لهم ضوءًا في سطحه إن غفل من كان فيه، ففعلت ذلك فتسلقوا إليه، فتمكنوا منه، وكان ذلك حوالي القرن العاشر أو بعده بقليل، وقد ذكر لي رئيسهم أن قصتهم هذه وكذلك نسخة قانون الحصن موجودتان هنالك.

وقد كانت المعاقل كثيرة قبل في هذه الناحية، فمنها معقل (تيبسيست) الذي قلنا أنه انهدم الآن، ويوجد في مقابلة قرية (ايميوزلاگ) ومعقل (أيت هني) فوق قرية (تيملالين) التي قلنا إنها اندرست بين القرى التي غادرها الماء، ومعقل (اموش) ـ الهر ـ ويشرف على قرية (أگرض) وهو لأهل هذه القرية ، ومعقل (أقلال أوجانا) ويشرف أيضًا على قرية اگرض ومعقل توزيگت في أسفل (اگرض) ويشرف أيضًا على (تامانارت) وكل هذه المعاقل خربت من قديم، ولم يبق الآن إلا (أكادير نيت علي) المذكور، وإلا (اكادير اوكرض) حيث يسكن إلى الآن قواد (تامانارت) وفي أسفل ذلك الحصن العلوي قرية (تانغروت) فيها نحو 20 كانونا فقط، وعينهم هي عين (ايميوزلاگ) التي قلنا إنها غائضة، وإنما لهم آبار كجيرانهم، وقد تبينت لنا قبة إزاء الحصن، ذكروا أن اسم المدفون فيها المؤذن عيسى، ويقولون إنه قديم ولا عقب له ويحكون أنه كان مؤذنًا رأى منه الناس ما يحملهم على اعتقاده، ثم مررنا بقرية (تيسلگيت) وقد وجدنا رأس عينهم إزاء رأس جبل عال، وقد انكسر الماء حتى ضاع بسيل الوادي الكثير الجارف الذي سار منذ عشرة أيام، ويقولون إن عينهم هذه تغور في الوادي كثيرًا كلما سار السيل وما في مقدرة الأهالي ضئيل في صيانة مائها ولا تبقى بعد السيول الشتوية إلا قليلًا ثم تغيض فلذلك أصبحوا أيضًا لا يعولون إلا على الآبار، وسكان القرية تناهز كوانينهم 30 وهذه القرى اليوم كلها من (ايت اومربض ـ المرابطيين) حكومة القائد الحسن بن إبراهيم بن بلعيد وفي هذه القرية كان الرجل الصالح العالم سيدي علي بن ياسين من رجال

أهل الحادي عشر، وقد قال الحضيكي في طبقاته «علي بن ياسين التامانارتي كان رضي الله عنه فقيهًا عالمًا عاملًا صالحًا ناصحًا فقيرًا متصوفًا ورعًا زاهدًا لقي المشايخ وصحبهم وأخذ عنهم ظهرت على يده كرامات ومكاشفات، وما زالت ذريته كذلك صالحة، وعمدته في الطريق رضي الله عنه الشيخ الكبير سيدي محمد بن عثمان التامانارتي، وكان رضي الله عنه من أعبد الناس وأورعهم في زمانه»، ولم يذكر وقت وفاته، وحين كانت وفاة أستاذه ابن عثمان 1016هـ، علمنا أنه من أهل مفتتح الحادي عشر ولعله توفي حوالي 1050هـ، وذريته إلى الآن لا تزال في قرية (تيسلكْيت) وقد حضر إلى عميدهم سيدي محمد، وهو شيخ وخطه الشيب، ويشار إليه بحسن المراءى، وقد رأيت منه إثارة الخير، وسمات أهل الصلاح، على بله فيه، وقد رأيت الحاضرين معي في مجلسنا يضاحكونه، وقد سألته عن أخبار جده المذكور، فوجدته خلوا لا يعرف عنه شيئًا، إلا أنه وجد بين أهاليه قمطر كتب، وفيه كتب كثيرة موضوعة في وسط القمطر من أزمان، حتى لعبت بها الارضة، قال: ثم ندبني بعض الناس على أن ألقي بقايا ذلك من فتات الأوراق في بئر ففعلت، وهكذا ذهبت آثار ذلك السيد، حين لم يترك من ورثته من يقدرها قدرها، وقد أتاني بشهادة مكتوبة من أناس ممن يعرفون الشيخ وأهله، فذكروا أن أصلهم انتقلوا من زاوية (بني أصبح) من (وادي درعة) إلى مدينة (تامدولت)، ثم من هناك انتقلوا إلى مسكنهم الحالي، وإن أصلهم الأصيل من سلالة مولانا إدريس بن عبد الله الكامل إلا أن النسب المتصل ليس في أيديهم، والذين يسكنون الآن القرية اثنا عشر كانونًا، وبعض إخوتهم تفرقوا في البلاد.

ثم إننا مشينا إزاء هذه القرية في طريق مكنوسة، فطلعنا على الثنية التي أطلت بنا على قرية (اڭرض)، وقد التاح لنا كل الوادي المنفسخ من (تامانارت) غاصًا بالنخل الباسق، فلم أملك إن قلت بعدما تذكرت ما كان لهذا المكان من قديم مما ذكره صاحب (الفوائد الجمة) من علم جم، وأدب كثير ودروس متنوعة قلما يوجد مثلها في الحواضر:

تمنرت يا أرض المياه الدافقة ... وربوع ألفاف النخيل الباسقة

أكذاك أنت فما أخالك جنة ذات الرياض المونقات الرائقة
أنى التفت رأيت نخلًا باسقا حاطت جوانبه الجبال الشاهقة
متمايلًا بيد الرياح كأنه أشتات خيل للمدى متسابقة
أو خرد خود يمسن بمرقص طافت حواليه العيون الرامقة
ما شئت بين خمائل الأغصان من أثمار لدن ميد متعانقة
ماء وأشجار وأفياء فيا لمنى النفوس الشيقات العاشقة
متناسق فيها اللذيذ فحيهل يا قوم نحو لذائذ متناسقة
هذي الجنان وهذه آثارها أين النفوس المؤمنات الصادقة
لا غرو إن كان (ابن إبراهيم) من هذي الربوع ذكاء علم شارقة[1]
فالعلم لا يزكو سوى إن كان في بلد يرى طيب الهواء سرادقه
هاتيك (أندلس) الشهيرة لم تنل ما نيل إلا بالربوع الشائفة
برياضها الفواحة الزهر الذي تغدو بها سوق المعارف نافقة
وكذلكم (تمنارت) ذات الماء والـ أشجار أهل للعلوم الدافقة
نبغت بها علماء أفذاذ لهم همم إلى كل المعارف سابقة
هذا (ابن ياسين) الذي قد أسست كفاه دولة أي ملك باسقة
نهضت به نفس طموح توجت بالملك والعرفان بعد مفارقة
لم يثنه بحر ولا صحراء أن يجتاز تلقاء العلاء طرائقه
أنى يخيب وقد حدثه عزيمة فعالة نحو العظائم سائقة
فثوى بـ (قرطبة) العلية حقبة قد أطفحت فيها الدروس مهارقه
حتى إذا استوت الخوافي والقوا دم منه جاء بمعجزات خارقة
ما كاد يسمع هيعة الصحراء حـــــتى طار توًا بالجناح الخافقة
فاستدركت عزماته في الدين ما كاد العدو يجيل فيه فيالقه

(1) ذكاء بضم الذال: الشمس.

والى عليهم جيشه في المغربيـــــن وقد تحفز للدفاع صواعقه
حقًّا فلولاه لتم الدست للـــــكفر العنيد ولا يرى من عائقة
لكنه صمد (ابن ياسين) ومن تبعوا بأسياف مواض بارقة
فتوحد الإسلام في راياتهم فيرد في نحر العدو بوائقه
قولوا بني التاريخ ما تدرونه ولتنشروا في العالمين وثائقه
يدر الأنام جميعهم (تمنرت) من بين البلاد الماجدات الفائقة
يجري بها المجد الأثيل بكل ميـــــدان لشتى المكرمات سوابقه
فيها الرئاسة والعوارف فتحت أزهارها، أين الأنوف الناشقة
فيها الكرام لهم نفوس حرة كانت للذات المعالي ذائقة
من لم يزرها لم يزر بلدًا يرى سكانها نحو العلا متسابقة
لو دام فيها العلم يدرس مثلما قد كان في تلك الدهور السابقة
لغدت بلا ريب فريدة مجدها تزهو بسابقة العلا واللاحقة
ما أنت يا (تمنرت) إلا منزه عجب المباهج للعيون العاشقة
قد كنت أسمع ما سمعت إذا بما أبصرت كان على الحقيقة فائقة
دومي لأهل المجد أهلك ما انثنت تهوى لأرضك مثل نفسي الوامقة

وحين اطلع شيخنا الأديب الشاعر المصقع سيدي الطاهر بن محمد على هذه القصيدة كتب إليّ:

أنف النهى لشذى البلاغة ناشقة والنفس للحسن البديعي عاشقة[1]
ما السحر إلا اثنان سحر فصاحة أو سحر ألحاظ الغواني الراشقة
ما إن رأيت ولا سمعت بمثل ما قد جاء من أبيات شعر شائقة
من نظم فكرة سيد لم يجر في شأو العلا إلا وبذ سوابقه
طبع أرق من النسيم وخاطر أمضى من الهندي شمت بوارقه

(1) الأنف: يذكر وربما قصد الشاعر تضمينه معنى الجارحة، فأنثه، ولكن النقاد الالغيين لا يسلمون مثل هذا التأويل.

ذلك المهذب سيدي المختار من أبدته إلغ كالذكاء[1] الشارقة
علامة أرواه ثدي العلم من صغر وحاز مجازه وحقائقه
راض البلاغة فاستذل عصيها مهما دعا انقادت له متسابقة
لما أتى (تمنرت) هزت طبعه النـــخل البواسق والمياه الدافقة
فغدا يقلد جيدها من نظمه الـــغالي الثمين جواهرًا متناسقة
ألفى مكان القول ذا سعة وأبـــهجه اهتزاز الباسقات الخافقة
وكذلك يرتاح الكريم إذا سرى نفح الصبا أو شام لمح البارقة
يا أيها المختار قد أسمعت لو ألفيت غير صدى وبوم ناعقة
ناديت أطلالًا عفت إلا رسو ما دارسات أو جبالًا شاهقة
محت الجهالة علمها وعفت معا لمها الحوادث والظروف الطارقة
ومضى (ابن إبراهيم) جادته سحا ب الروح تتلو السابقات اللاحقة
علامة العلما وصالحهم وشيـ ـخهم ومن حمد الجمع طرائقه
جمع العلوم شريعة وحقيقة وتخلقًا بحلى الحلال الرائقة
أربى على من قبله ورعى واجـــهد من سعى كيما ينال خلائقه
فمضى وخلف حسن ذكر أو ثنا تشتاق رياه الأنوف الناشقة
وتلته أعلام أقاموا بعده سوق المعارف والعلوم النافقة
ثم اختفت تلك النجوم وأخفقت تلك المكارم والمساعي الصادقة
وتناثر السلك النظيم وسارعت للنهب أيدي العاديات السارقة
وذوت نضارة ذلك الروض الذي قد كان ريان الغصون الوارقة
وبدا الظلام وعم ليل الجهل واســـتولت على النور الدياجي الغاسقة
وكذا الزمان فليس يا من صرفه إلا النفوس الغاويات المارقة

(1) ذكاء؛ علم على الشمس فلا تدخل عليه أل، ويمنع من الصرف، هكذا يقول الالغيون، وعادتهم أن لا يروا في مثل ذلك سوء أدب وأن مع شيوخهم المحترمين لأنهم هم الذين ربوهم على ذلك، وقد أصلحه بعضهم بقوله «كما ذكاء الشارقة» فأتى بميم زائدة وكثيرًا ما يدخلها الالغيون في كلامهم حتى سماها مولاي عبد الرحمٰن البوزكارني الميم الالغية.

فجزيت يا بن الأكرمين جزاء ذي نفس لأشتات الفضائل واسقة
فلانت فرد العصر بل أكليله الـــــلذ زان بالدر النفيس مفارقه[1]
فلو أن هذا الدهر أنصفك اعتلى بك في المراتب والمراقي اللائقة
فاعذر فلولا العي جارينا إلى أقصى مدى أمداحك المتعانقة
فوشيت وجه الطرس من مسك المـــــداد بنفث أقلام البيان الماشقة
وعليك من ريا التحية ما ملا بالطيب آناف الزمان الناشقة

هذا وقد قيل لي أن هناك أيضًا قصيدة على هذا الروي لشيخنا سيدي محمد ابن الطاهر[2] قالها إثر هذه لم نرها وزعم بعضهم أنه امتعض لكوني وصفت (تامانارت) اليوم بأن لا علم فيها كأنه ـ رضي الله عنه ـ يرى أن ذلك ربما يمس حتى من انتقلوا منها إلى غيرها كالذين انتقلوا إلى (افران) المتسلسل فيهم العلم إلى شيخنا سيدي الطاهر وإليه هو بنفسه مع أن المقصود هو المكان الخاص فقط.

ثم إننا سبقنا إلى المقبرتين القديمة والحديثة، وهي المسورة بسور أدراه بها القائد محمد بن حمو في النصف الأخير من القرن الماضي، وهي التي يدفن فيها اليوم، ولما تمتلئ إلى الآن، وأما القديمة فقد بدت بطحاء مسواة ليس فيها ما يدل على أنها كانت مقبرة، إلا شواهد القبور التي لا تزال قائمة، وأما القبور فقد ذهب نتوءها وتسوت مع الأرض، وهي كبيرة تنسب إلى (المغافرة) ثم نزلنا عن البهائم، فصمدنا لضريح الشيخ الصالح العلامة الشهير سيدي محمد بن إبراهيم علامة القرن العاشر ومدرس (تامانارت)، ومحيي جزولة بمعارفه. فوجدناه مع أهله في مقبرة واطئة عن القديمة مستطيلة، فتبدى لنا ضريح الشيخ ضاحيًا لا بناء عليه، وعليه دربوز كبير، فسلمنا عليه سلام السنة، فجاء مؤذن مسجد إزاءه بني فيما قيل بعد الشيخ، وقيل قبله، فأعلمنا بأن قبر الشيخ هو الذي كان وسط ذلك الدربوز، وإزاءه شرقًا قبر ولده العلامة إبراهيم الذي توفي قبل أبيه، ثم قبر أخيه العلامة محمد بن محمد الشيخ، وفي جنوب

(1) اللذ بسكون الذال؛ لغة في الذي.

(2) توفي هذا السيد العظيم بعد عصر يوم الثلاثاء 21 ربيع الأول 1377هـ.

قبر الشيخ مدفن ولده الثالث عبد العزيز، ثم قرأت على شواهد القبور منقوشًا يصدق لنا ما قال وقد وجدنا حصرًا إزاء هذه القبور، فاسترحنا عليها مليًّا وأنا أستعرض تاريخ هذا الشيخ الجليل الذي يرقد رقدته الأخيرة هنا مع أن ذكره قد شرق وغرب، ثم دخلنا إلى داخل المسجد، فصار المؤذن يرينا خطًّا في الحائط الشرقي من المصلّى وقد كتب بحروف ناتئة بالطين، ولم أهتبل به للإعياء الكثير الذي استولى علي فامتددت حقبة حتى تنفست واسترجعت بعض النشاط، ثم خرجنا وقد عدت مرة أخرى بعد الاستراحة لزيارة المشهد في أصيل يوم، فأعلمت أن شجرة الطرفاء العدملية الشاخصة حوالي مرمس الشيخ كانت هناك قبل دفن الشيخ في ذلك المكان ووراءها مقبرة أخرى مسورة على حدة هي مدفن رؤساء (تامانارت) قديمًا، وقد تلاشت فيها القبور بحسب ما يلوح للطرف حين أطللت عليها من فوق جدار، وفيها أيضًا أشجار قديمة محترمة لا يقربها الحاطبون على عادة الناس في احترام الأشجار التي تنبت على المقابر، ولذلك ضخمت وتفرعت، وجل بناء هذا المسجد الذي هنا ليس بقديم إلا ما كان من مصلاه، وقد هيأت هذه الأبينة لنزول الزوار للمشهد وقلما يغبون، وخصوصًا من به لمم جنة، فإنه مجرب تجريبًا عجيبًا أنه لا يكاد يبيت هنا ليلة أو ليلتين حتى يعافى، ولله في خلقه شؤون، وللأرواح عالم وكيفية وتقدير يسمو عن عقول عالمنا هذا الذي لا يعدو حواس الأشباح ومجال المادة والعقلية المادية. وبعد استراحتنا وقد كادت الساعة تبلغ العاشرة ونصفًا، توجهنا إلى دار القائد محمد الذي نقصده بالنزول على أقدامنا لقرب داره من المشهد، فماشينا حينًا عين (تيملت) المتدفقة، وقد استرجع النظر إليها ـ ونحن نمشي بين الحدائق المظللة بالأشجار المتنوعة ـ نشاطنا وقلل من اللغب الذي كان استولى علينا، ثم قطعنا الوادي فحللنا في نزلنا، وقد التقى بنا القائد الكريم بابتهاج كثير ، ورحب بنا ترحيبًا لن نزال نشكره عليه دائمًا، ودار الضيافة أحدثها هذه السنة في أسفل (أكَّادير) فلا يحتاج أضيافه أن يطلعوا في المراقي إلى الدار العليا بأكَّادير كما كانت العادة من قديم لزوال تلك العلة التي لازم فيها الأسلاف تلك العادة فقد انبسط الأمن، وذاق الناس راحة الانتشار من غير أن يتوجسوا أي خيفة، ويأثرون عن القائد محمد بن حمو المتوفى

أواخر القرن الماضي أنه قيل له: لماذا لا نبني دارًا وسط البساتين تحت (أكَادير) حيث تستوي الأرض فقال: المراقي المتدرجة حتى المطبخ، ولا الخيول المسرجة حتى المطبخ، يعني أن الأمن مع المشقة أولى من التعرض لهجوم الأعداء المتربصين في كل حين.

أما هذه القرية المسماة (أكْرض) فإن فيها من السكان الآن 280 كانونًا كلهم سود إلا نحو السبع فقط، أي ما يقارب ثلاثين كانونًا، والسبب في قلة البيض جلاؤهم عن القرية بسبب حروب يلقون منها عنتًا عظيمًا، فربما يتغلب عليهم الأعداء فيرتحلون، ثم يألفون المنازل الجديد فلا يرجعون متى أديل لشيعتهم، هذا هو السبب الطبيعي، وأما السود فيتداولون بينهم أنهم ما عفوا ونموا حتى كانوا سواد السكان، إلا ببركة دعاء الشيخ محمد بن إبراهيم، فقد قالوا إنه في الوقت الذي ألم فيه بهذه القرية، لاقى من السود نصحًا واحترامًا، وتجلة لم يرها من البيض، فدعا لهم، ولا يزال بعض الذبائح على قبره يستأثر بها السود مما يدل بعض الدلالة على ذلك والحكاية المتداولة ملخصها أن الشيخ وجد أمامه بيضًا وسودًا عند مدخل القرية، فسألهم عن محل ينزل فيه، فبادر البيض فأروه مكانًا معلومًا بسكنى الجن يتضرر كل من قاربه، فقام السود فأوضحوا له الحقيقة، فقال لا بأس، فنزل في ذلك المكان فلم يصبه شيء فعرف للسود ذلك، ويقال إن أسرة كبيرة تسمى (آل الاشكْر) هي الأصلية الرسمية في أوائل القرن العاشر، وقد كانت أخوال الشرفاء الذين تولوا القرية بعد، وآل الاشكْر انقرض آخرهم اليوم من قريب، وأيًا كان فإن القرية الآن إنما تتموج بالسود، فلا تلقى في المسجد ولا في الطرقات ولا في منعطفات الدروب، ولا في كل مكان إلا الوجوه السود ولكنهم مهذبون، تلوح على المسنين منهم آثار الخير، فهم ذوو دين، وملازمة للصف، والمساجد هنا خمسة، والمسجد الكبير الذي تصلى فيه الجمعة، ومصلاه حسن معنى به من قديم، وإزاءه مدرسة غير قديمة، آخر من زاول فيها التدريس ابن عمنا الفقيه الأديب سيدي عبد الله بن مسعود التيييوتي الإلغي بعدما كانت الدروس قلما تغب فيها، ولهذا المسجد صومعة صغيرة، والمسجد الثاني مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم وهو لا يزال محافظًا فيه على هيأته إلا في المصلى فإنه

انهدم، فبناه القائد الحاج أحمد بناء جديدًا، ولم يبق فيه على ما كان إلا المحراب والجدار الشرقي وقبلته محررة إلى الغاية، وإزاء هذه المصلى متوضأ أطللت عليه، وبناؤه على الكيفية المعتادة من قديم في هذه الناحية، وقد لفتني من معي إلى مسامير كبيرة المدق في مصراع هذا المتوضأ، فرأيتها على غرار مسامير المصاريع الموجودة في المساجد القديمة في الحواضر، وهناك ساحة صغيرة فيها بئر، هي التي كان الشيخ يستقي منها، وإزاء المدخل الخارجي مراق إلى المحل الذي يدرس فيه الشيخ أحيانًا، وهو مبني غرفًا عليا واطئة السقف، لا يكاد يستقيم فيها الواقف، قالوا: إن كل من أصلح السقوف كلما خرت يحافظ على ما كانت عليه من قديم، وحوالي ذلك بيوت قليلة للطلبة المجاورين من الغرباء، وكأني بأحد هذه البيوت كان مسكنًا للعلامة الشيخ عبد الله بن يعقوب السملالي، حين كان يأخذ عن أحفاد الشيخ التامانارتي نحو سنة 997هـ لأن التدريس بعد الشيخ لازمه أولاده ثم أحفاده إلى أن انقضى القرن الحادي عشر كما أطلعنا على ما يدل عليه، فقد فكرت هناك فقلت: يا سبحان الله من ذا الذي يظن أن هذه الأمكنة الساذجة وهذه السقائف البسيطة، كانت ميادين فسيحة لأولئك الفطاحل المدرسين العظام، ثم قلت من نفسي، لو كان السلف يحافظون على (سقيفة بني ساعدة) حيث وقعت البيعة الأولى لأبي بكر بعد النبي ﷺ لما عدت أن تكون مثل هذه السقيفة الواطئة وقد كان الحربيليون كلهم أينما كانوا في هذه الجهة، يدفعون أعشارهم إلى هذه المدرسة حتى انصدعت صفاة أهل البلد بجلاء آل الشيخ عن هذه الديار وغيرها، فصار ذلك يجمع في هري في القصبة يقضي المرابطون به أغراضهم التي تنافي طبعًا تدريس العلم الذي هيئ له أولًا، وكأني بكل ذلك بعد اليوم قد انقطع، ففي هذا أمضى الشيخ رضي الله عنه أيام تدريسه فكان خير مكان يزار، وهناك في الجبل المقابل منعزل للشيخ يأوي إليه أحيانًا نهارًا من الصباح إلى العشي، فيختلف إليه الطلبة بالدروس يتلقونها عنه، وهو مستقبل للقبلة - فيما يروون - ولعله يفعل ذلك فرارًا من ضوضاء داره وجيرانه، لأن هذه المدرسة توجد وسط الديار، وهذا المنعزل يسمى بخلوة الشيخ إلى الآن.

والمسجد الثالث مسجد (أسول) ويوجد في الطرف الآخر من القرية، وقد

أطللنا عليه من (أكادير) فسمعنا منه قراءة التلاميذ للقرآن.

والمسجد الرابع مسجد (أكادير) ويقال إن القائد إبراهيم المتوفى حوالي 1172هـ هو الذي أسسه هناك حين أسس داره من جديد إثر ما هدمها الحربيليون وذلك الهدم يكون في نحو 1110هـ أيام محمد العالم بن إسماعيل.

هذه هي المساجد الأربعة إلى ذلك الذي تقدم إزاء مشهد الشيخ، فكانت خمسة وكلها قائمة بمؤذنيها وأئمتها ببركة أحباس المتقدمين، فقد حبسوا على المؤذنين وعلى الأئمة، ووظيفة المؤذن أن يؤذن ويسخن ماء الوضوء، ويكنس المسجد، ووظيفة الأئمة أن يصلوا بالناس، وأن يعلموا التلاميذ القرآن، ففي كل وقت تسمع لجميع المؤذنين أصواتًا مختلفة ترتفع بين ذلك النخيل، وكذلك عند الصلوات، لأن العادة هنا كما هي عادة أهل البوادي، أن يعلن المؤذن بالصلاة فوق سطح المسجد لتسميع النساء في الديار ومن كانوا في الحقول، ومؤذنو هذه المساجد لا يتمشون بنظام في الصلوات، ولذلك ربما يسمع اثنان أو أكثر في آن واحد، فيقع التشويش، وكثيرًا ما نهاهم القائد البشير والد القائد الحالي عن ذلك، وأمر بالترتيب ولكن سرعان ما ترجع هيف إلى أديانها، وقد اشتهر آل (أكرض) من قديم بالمبادرة بالصبح، ويؤثرون عن الشيخ الحضيكي أنه كان يقول إن آل (تامانارت) يصلون الصبح قبل وقتها، وربما آنست أنا منهم بعض الشيء في الصبح في هذه الأيام التي أقمت فيها بين ظهرانيهم.

أما سقي (تيملت) فهو متسع يتراوح عدد نخيله بين ثلاثين ألفًا وأربعين ألفًا، وكله يسمى (تيملت) باسم العين الكبيرة التي يقع بها جل السقي، وهي جعفر متوسط يتدفق، وهي عند منبعها عينان توحدتا، ويذكرون أن العين القديمة منها هي الأصلية، وتسمى عين الأحرار إلى أن نبعت عين (تيملت) في عهد الشيخ محمد بن إبراهيم، وقد اشتهر عند الناس أنها ما سميت (تيملت) إلا نسبة لقبيلة (أملن) وذلك أن الشيخ يحيى بن عبد الله الدويملالني كان أناس من قرية (تانضيلت) هناك اقترحوا عليه أن يريهم عينًا فيعطونه مقدارًا من الأرض وما يكفيه من الماء ثم خفروا العهد بعد خروج العين، فقال الشيخ للعين إنني وهبتك لسيدي محمد بن إبراهيم التامانارتي، فإذا بها نبعت في (تامانارت).

هذا ملخص الحكاية وأحد طرقها التي تختلف اختلافًا كثيرًا، وكون العين تنبع في تلك الجهة النائية ثم تنبع هنا ثانيًا غير مستبعد لكون مفترق مياه هذه الجهة التامانارتية ومياه جهة (أملن) وما إليه يوجد في الشرف العالي مما يسامت (تاسريرت) ولا يبعد أن يكون الماء تحت الأرض على هذه الوتيرة التي عليها الماء فوق الأرض وبذلك يستشهد الذين يستبطنون المياه ويعلمون متجهاتها، أفلا يمكن أن يعتري أصل العين التي نبعت في (تانضيلت) ما يتسبب عنه انبثاقها إلى الجهة الأخرى، ومثل ذلك واقع كثيرًا في عيون كثيرة نشاهدها الآن رأي العين، كما وقع قريبًا لعين (تزنيت) حين ظن الجراريون أنهم وقعوا على عين، ثم تبين أنها عين (تزنيت) وكما وقع ذلك لغيرهم، ولم يبق إلا أن يستجاب دعاء الشيخ يحيى بن عبد الله في الذين خفروا العهد بعد ما كانوا هم المقترحين أولًا، فينفذ سهم الدعاء الذي لا مرد له، على أننا نقول (الله أعلم).

وقد حاولت أن أقف على رسوم القرن التاسع قبل الشيخ محمد بن إبراهيم لأدري أتذكر العين التيملية هنا أم لا، فلم يتيسر لي ذلك، وإنما كل ما حصلت عليه أن عيونًا كثيرة كانت مرت في هذا الوادي، ثم غاضت فلم يبق فيه الآن إلا هذه المتقدمة وهي تنبع أعالي قرية أڭرض وإلا عين أمنو ومنبع هذه يسامت قرية أڭرض وقد وقفت عليها، وهي عين ثرة وإلا عين تاڭرماط، وإلا عين إمازيغن التي تنبع قرب منبع تيملت ثم اشتركت قرب منبعها، وقد تقدم ذكرها باسم عين الأحرار، وأما المندثر من العيون في العهد الأخير، فهي عين تالجمات وعين أڭاوز وجدنا أهل هذه البلدة يتأففون كثيرًا مما صنع الوادي الجارف بحقولهم ونخيلهم، فقد تعدى في هذه السنوات طوره كثيرًا، فيتحكك باليمين، وبالشمال فيأتي على البساتين فيكتسح ترابها حتى لا يبقى إلا الأحجار الصلدة المتراكمة من أحجار الوادي الملساء فلا تصلح بعد لأي شيء زيادة على النخيل الذي يسقط بالسيل فيذهب به، وقد سمعت القائد يقول: ضاع لي خاصة في السنة الماضية خمسون نخلة، وثمان وعشرون في هذه السنة، وهو أحد الناس، ولا يدري إلا الله كم ضاع لغيره، وقد اتسع المسيل كثيرًا، فازداد ضعفي ما كان عليه منذ سنوات قليلة، فيخاف الناس إن بقي

الحال هكذا أن يأتي على كل ما في الشمال الذي يكون تحت الديار وهو مكان عامر نفيس عند أصحابه لأن فيه متخيرات البساتين، ويوجد في رسوم القدماء ما يدل على أن الماء لا يكثر هذه الكثرة الجارفة كما يقع في هذه السنين الأخيرة، ويذكر أصحاب البلدان السيل وإن كان كثيرًا إنما يسيح في الحقول ثم يغادرها من غير أن يجرف ترابها ولا أن يقلع أشجارها، وهذا ما يقولون ولو اتصل بأولي السلطة علم بهذه الأمور وأرادوا نصح الإيالة حق النصح لأمكن إن شاؤوا استدراك الحالة، فهذه (هولاندة) قدرت أن تصد البحر الغطمطم، أفلا تستطيع حكومة ما أن تدرأ ضرر مثل هذا السيل الذي لا يدوم إلا يومين فما دون، ثم إنه ليس بذلك السيل العرم الذي يؤيس من مداركته، فللعزائم بركات إن كان رجال العزائم مسلحين بالعلم المطلوب في مثل هذا العمل.

كان أهل هذه الجهة منذ زهاء عشرين سنة في شظف عيش وقلة وانفاض وإعواز لا يحيون إلا بلفاظة جيرانهم الجبليين أوقات الحصاد لأن أمكنة الحرث عندهم لا يزورها المطر في هذه العقود من السنين ولا تجد فيها السائمة مرتعًا، وفي السنة الماضية حصل الري في المكان الذي يسمى عندهم بـ(معدر درعة) ـ لكون ماء وادي درعة يسقيه سيحًا ـ فحرث فيه الناس فأتى من الخصب ما انتعشت به أفئدة الناس وحييت به هذه البلاد فهم الآن في سعة توجد عندهم الحبوب والتمر بعد أن كانوا نحو عقدين لا يجدون إلا التمر في وقته، ثم سرعان ما يبيعون الموجود منه في شراء الحبوب، ولهذا نراهم الآن في بلهنية وسعة عيش لسرعة شكرهم لأنهم لا يألفون الادخار والجمع والكنز فينفقون عن سعة ويختالون في كل ما تصله أموالهم من الثياب، ثم بكرت أيضًا هذه السنة بنزول المطر الكثير فسالت الأودية فأخرجت العيون القديمة حتى عيون القرى التي كاد نخيلها ييبس وتخر جذوعه كلها، وزد على هذا كله الأمان الذي يتذوقه الناس منذ سنين بعدما كان غالب أهل البلد من أهل هذا القرن، لا تغب الحرب بينهم وبين جيرانهم، فهؤلاء أهل (أكْرض) وأهل القصبة من آل الشيخ والحربيليون لا يشمون رائحة للسلم إلا لمامًا، ثم لا يلبثون أن يثوروا لأدنى سبب، والحرس دائمًا بينهم، ولم يزل ذلك إلا يوم وصول جيوش الحكومة إلى هذه الناحية عام 1352هـ ولهذا السبب كان القائد

حمو أدار السور على كل ما تسقيه عين تيملت فبقيت كل البساتين وسط السور، فجعل له بروجًا وأبوابًا فإن كانت الحرب فإنها تكون خارج السور، فيبقى ما في البساتين في أمان، وإن لم تكن حرب فالحراسة في بروج السور تدوم آناء الليل وأطراف النهار، وفي هذه الحروب تذهب أموال الفريقين لما يستورده كل فريق من شيعته فيحتاج إلى كثرة المؤن، وقد كان رؤساء أكْرض يأخذون من كل نخلة نخلة قنوًا واحدًا، يرصدون ما تجمع من ذلك للحروب ثم لا يكفي فيضطرون أحيانًا إلى رهن بعض أملاكهم إن طالت الحرب، وأما الآن فقد انبسطوا في أحوالهم وجمعوها كلها فأثروا وأثلوا وأثثوا، فاستراح الناس مما كانوا يأخذونه منهم من أقناء نخيلهم، كما استراحوا مما كانوا يقاسون، ولله وحده المنة على هذا الأمن المستتب وإن كان يحز في القلوب انه أمن الاستعمار.

وقد اطلعت على بعض قوانين أهل أكْرض منذ قرنين فأردت أن أورد نموذجًا منها، ولنكتف بواحد نصه:

اتفقت الجماعة كلها بمحضرهم جميعًا عند الشيخ إبراهيم ابن القائد محمد التامانارتي.

أولًا من جمر النخلة يعطى مثقالًا في الأنصاف ـ الغرامة ـ ويغرمها لربها، سواء ولدت أم لا، ومن جاء بحزمة الجريد ينصف أيضًا ـ يغرم ـ بعشرة أوجه الوجه من الفلوس القديمة التي يتبايع بها الناس قديمًا، ومن قبض في البحيرة، ينصف أو سرقها أو خرجت عليه كذلك.

ومن نزع التين ناضجًا أو غير ناضج ينصف بعشرة أوجه، ومن نزع. . . . . يعطى خمسة أوجه، ومن كسر ماء الناس ينصف بمثقال إذا كسرها بغير إذن أربابها، ومن وجد امرأة في متاعه تنزع الكرموس الناضج أو غير الناضج أو سوى ذلك فليقبضها ولا يفلتها حتى تؤدي له ما أفسدت ثم تنصف بعشرة أوجه، ومن ذهب وطبع الماء من الشركاء بغير إذن رب النوبة ينصف بعشرة أوجه، وطبع الماء طرح النبات في وسط الجدول لينظر إلى أي الشقين اللذين يفرق إليهما الماء في الجدول أكثر أو هما متساويان، قد جعلوا أحمد بن حمو

ابن بلا في النفاليس عوضًا عن محمد بن محمد بن عمر، وكذلك إبراهيم بن صالح بن يحيى عوضًا عن عبل بن علي الجراري، قيد الجميع عبد ربه تعالى مبارك بن أحمد بن محمد بن أحمد التامانارتي، ومن قبض بدار أو بيت ينصف بخمسة مثاقيل وإن أنكر يحلف خمسًا وعشرين يمينًا، وذلك في جميع ما حازه سور البلد، وبه متمه وملحقه مبارك بن أحمد، ومن اتهم بسرقة دار أو قبض فيها، وأقام رب الدار شاهدًا واحدًا يحلف عليه بخمس وعشرين يمينًا مع إخوانه وبه عنهم عبد ربه مبارك بن أحمد التامانارتي.

فهذا من قوانين أواسط القرن الثاني عشر، وعليه فليقس ما بعده.

ومما يتعلق بأخبار هذه القرية أن في أكْادير ثلاثة مدافع، أحدها كبير والآخر صغير، والثالث وسط بينهما، اتصل بها القائد محمد في موضع من ساحل البحر، كان خرج فيها أجانب ثم طردوا فغادروها، فحازها القائد فتكبد المشاق حتى أوصلها، وذلك قبل 1290هـ من القرن الماضي، ولا يزال بعض قذائف باقية من بعد فتكة محمد العالم بأهل تامانارت، فكانت تستعمل في هذا المدافع حتى انقضت.

وقد أمرت الحكومة اليوم ببناء سوق أمام سوق تيملت هذه السنة الماضية فجاءت سوقًا حسنة فيها بيوت كبيرة واسعة كبيوت الديار الواسعة الفيحاء في ثلاثة صفوف من ثلاثة أرباع، شرقًا وشمالًا وغربًا، وأمام كل ربع صفوف من الأقواس الحسنة المنظر، وفي وسط الربع الشمالي غرفة رئيس المركز يجلس فيها إن حضر، ويسامت غرفته من أمامها صف مستطيل من الأقواس المتقابلة مسقوف ما بينها وهو ممتد إلى الجنوب، هذا والربع الجنوبي من هذه السوق باقٍ بلا بناء فكان ذلك له زينة لأن العيون تسرح منه في النخيل، وهذه السوق إن عمرت ستكون أحسن الأسواق المستحدثة في مراكز الحكومة في هذه النواحي كلها غير أنني أشك في عمارتها وهي الآن لما يتم فيها البناء بالكلية.

ثم إن سكان قرية أكْرض بعد السود الكثيرين الذين هم الأكثرية، من بينهم شرفاء مختلفو الأنساب كالرؤساء أسلاف القائد الأجل السيد محمد بن البشير، فإنهم من سلالة مولاي كثير الذي ينتسب إليه الكثيريون المنبثون في سوس

وفاس، وقد بينا ما في الإمكان تبيينه في كتابنا «المعسول» حين ترجمنا لهؤلاء الرؤساء الأجلة، وقد استوفينا هناك كل ما أخرجه لنا رب مثوانا في هذه الرحلة من ظهائر الملوك وغيرها والحمد لله على تيسير ذلك، إذ طالما كنت إلى ذلك مشتاقًا[1].

ومن شرفاء أكْرض أسرة إدريسية آل الشريف مولاي - موح محمد - المشهور الآن بين النابهين في القرية وهو مولاي موح بن أحمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن الحسين، وقد وقفت عندهم على مقيد كبير نسخ أصله المنقول منه أواسط القرن الماضي وفيه توصيات بهم من علماء كثيرين، وقد ذكر أن الحسن بن محمد أحد أجدادهم كان ابن بنت الشيخ سيدي محمد بن إبراهيم التامانارتي وهو أي الحسن بن محمد رجل صالح دفن في مشهد سيدي أحمد بن داوود بوادي ساموكْين وكان شريفًا محترفًا يجول في جهة (أمانوز) حين لحقه أجله فحمل على بغلة أعيت به أمام هذا المشهد فدفنوه هناك، وقد وقع المقيد هذا بأسماء كثيرين، أولهم أحمد بن محمد بن المحجوب بن الحسن أحد أفراد الأسرة 9 ذي الحجة 1242هـ ثم محمد بن عبد العزيز الايغيري ثم علي بن عبد القادر السباعي وهو عالم مطلع كما يظهر من قلمه ولا نعرفه إلا هنا، ثم أحمد بن عبد الله التازونتي وهو أحد اليزيديين، ثم إبراهيم بن سليمان الإلغي الشهير وذلك في سنة 1254هـ أواخر ربيع النبوي ثم عبد الله بن محمد اليزيدي ثم أحمد بن محمد من بني يحيى الايغري التامانارتي ثم العلامة الشهير سيدي سعيد الشريف الكثيري، وساق كلامًا حسنًا في التوصية بهؤلاء الشرفاء، ثم العلامة سيدي محمد - فتحا - بن المحفوظ السملالي، ثم إبراهيم بن مبارك الأكْماري من تشكْ وفي الأصل شف، ثم أبو بكر بن بلقاسم بن محمد من بني يوسف الحسني بفم أزل الهوناني لا أعرفه ولعله الهوتاتي أي الإيكْناني، ثم أحمد بن أبي بكر من بني يحيى ثم أحمد بن محمد بن علي الايغيري الشهير، ويذكر في القسم الخامس من المعسول وهو الذي ذكر أن الجد الأعلى لهؤلاء علي بن عبد الله بن محمد بن علي المدفون

(1) العشرون، وأهل هذا البيت آخر من ذكروا في (المعسول).

بـ(المنكبة) تيغيرت وهو المنتقل من تيغيسريت من بوجمادي، وأنه شريف سباعي إدريسي أواخر رجب الفرد، وقع ذلك سنة 1305هـ ثم محمد بن محمد من بني الطالب من أكْرض ثم أحمد بن محمد بن العربي اليزيدي، ثم عبد السلام الكْادورتي الإيسي، ثم قيل هناك أن المنكبة المذكورة توجد بين تامانارت وتاداكوست، وهناك ضريح لسيدي علي بن عبد الله المذكور كتبه أحمد بن محمد الإيغيري التامانارتي ثم محمد بن عبد الرحمٰن بن محمد أباداح الأقاوي قاضي المولى الحسن المذكور في ذلك القسم أيضًا، ثم قال ناسخها من الأصل الفقيه الحاج عبد الله بن محمد من بني سعيد التامانارتي انتهت، وفيها 16 عالمًا كتبت في أواسط المحرم 1354هـ أقول إنني كما وقفت على هذا الفرع وقفت على أصله المنسوخ منه، والحاج عبد الله هذا مترجم في المعسول في القسم الرابع[1].

وكذلك يوجد هنا فرع للسادة البكريين غير آل الشيخ ابن إبراهيم الشهير وهم آل القداح المتوفى أخيرًا، وهذا هو محمد بن إبراهيم بن علي بن إبراهيم ابن علي بن إبراهيم بن إبراهيم بن علي بن عبد الرحمٰن بن محمد بن عبد الله ابن سعيد بن إبراهيم بن ثابت بن عيسى بن محمد بن يحيى بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن عمر بن سيد الناس بن أبي القاسم بن محمد بن عبد الواحد بن العربي بن يوسف بن محمد بن عبد الله بن محرز بن مبارك بن عبد الهادي بن العربي بن مبارك بن عبد الرحمٰن بن يزار بن الحسن بن عبد الله ابن عبد الرحمٰن بن أبي بكر الصديق.

وإبراهيم بن إبراهيم الموجود أوائل هذه السلسلة قاله فيه الحضيكي إبراهيم بن إبراهيم الساموكْني الفقيه النبيه العلامة رحل إلى حاضرة (مراكش) وأخذ فيها عن الأجلة الأكابر من علمائها وغيرهم واستفاد منهم وانتفع وتوفي رحمه الله بتامانارت سنة إحدى عشرة ومائة وألف على ما كتب بعض ولده والله أعلم.

أصبحنا هنا في تامانارت صبيحة السبت فنزلنا في دار القائد السفلي التي

(1) في الجزء التاسع.

بناها القائد البشير والد القائد الحالي وقد صار إلى رحمة الله في أوائل الصيف من هذه السنة وهي على مستودع سيارته، وهي دار جميلة مهيأة للأضياف، وفيها غرف تشرف على البساتين وعلى النخيل، وفي شرقها غرفة حضرية أنيقة لها نوافذ واسعة على هيئة غرف منازه الحاضرة وفيها نزلت فأبيت على فراش وثير فأفتح عيني في كل صباح على خضرة الحقول وعلى زرقة السماء، فتبتهج النفس وينشرح الصدر، فلا أكاد أعيي في إكبابي على الكتابة وفي تراجم رجال هذه الأسرة مما أعده «للمعسول» وفي ذلك أمضيت الأحد والاثنين والثلاثاء وفيه راح إلينا الأديب العلامة قاضي إلغ ابن عمنا سيدي الطاهر بن علي، كما جاء أيضًا الرئيسان الإلغيان الشيخ بلقاسم الأمانوزي والشيخ إبراهيم الوفقاوي، فقام لهما القائد رب المثوى وقعد (وشبه الشيء منجذب إليه) وإن كان ذلك ديدنه مع كل من يقصده، كرم ورثه عن أسلافه، ومثل هذا الكرم صار يقل في الرؤساء الجدد المتحذلقين البخلاء الذين يحسبون الشح وعدم المبادرة بالقرى تمدينًا ورقيًّا واقتصادًا، وبئس ما يفعلون، وقد أعلن عنهم رب المثوى بما هو علامة الفرح عندهم، فأمر الحراطين والحرطانيات بالرقص البربري المعتاد ـ أحواش ـ وقد كنت إذ ذاك في غرفتي بعد أن تعشينا، فكتبت إلى الأديب ارتجالًا:

أتتركني واحدًا مفردًا ... أقاسي انفرادي بهم مديد
لكل جليس ولم أر لي ... جليسًا فأنت الجليس الوحيد
فدع كل عذر وطر تر من ... أخيك أي حديث جديد
فدعهم وأكبارهم[1] واملص ... إليّ تجد كل شيء تريد

وقد كان هذا الأديب من أمتع الأدباء الإلغيين مجالسة، وأحسنهم أدبًا، وأحرصهم على الاستفادة والإفادة، وقلما يخطئني في إلغ خصوصًا في رمضان الماضي.

وفي صباح الأربعاء ركبنا مع القائد سيارته إلى مركز (فم الحصن) إمي أوڭادير فصار يريني كل ما نمر به، فمررنا بقرى القصبة وإغير وإڭيواز وهذه

(1) جمع كبر وهو الدف.

إيالة على حدة يرأسها سيدي الهاشم الذي سنلم به قريبًا، وفي القصبة زهاء مائة كانون أو أزيد، وهناك مسجدان القديم وآخر أصلحه آل الشيخ محمد بن إبراهيم منذ نزلوا هناك، وقد رأيت عين القرية تزخر ماء كأنها جعفر، وهي مقسومة على ثلاثة جداول كبيرة، وإنما نبعت من جديد بعد هذا السيل الماضي قريبًا، ولكن العين سرعان ما تتراجع حتى يغيض ماؤها كله حتى لا تبض بقطرة وحتى يستقي القصبيون لضرورياتهم من إيغير، وكذلك عين إيغير تتناقص كثيرًا في الصيف حتى تقل، إلا أنها لا تجف تمامًا، وإما إيكْيواز فإن عينها وسط غير كثير، إلا أنها لا تغيض ولا تنقص، وسكان إيغير نحو مائة وعشرين كانونًا، وأما إيكْيواز ففيه نحو 40 فقط، وتقام الجمعة في القصبة وفي إيغير، وقد مررنا على مسيل الوادي أسفل القصبة، فرأينا ما يدل على عمارة كثيرة من الحقول والنخيل وقد أخنى عليها الدهر، وهناك بناء يسمى (تاكْاديرت) بين القصبة وأكْرض على شرف كان حراسه الحربيليون لا يفارقونه ليل نهار حتى دهمت جيوش الحكومة أواخر 1352هـ ونزلت في فم الحصن فانتشر الأمان وقدر الكل أن يتذوق الحياة بلا خوف وإلا فإنهم لا يصبحون قبل ولا يمسون إلا على خوف دام فيهم هذا منذ قرون، وهذه حقيقة نعرفها، وربما لا يدرك ذلك حق الإدراك من يسمع (وما رأى كمن سمع) ونحن لا نمدح الاستعمار ولا ما يفعله، وإنما نكتب الواقع للتاريخ فقط وإلا فإن موقفنا من الاستعمار معروف.

ثم سرنا حتى وصلنا أمام قرية إيكْيواز وفي أسفل منها بقليل محل القصبة المبنية أواسط القرن الحادي عشر في عهد الأمير علي بودميعة أبو حسون المتولي من 1022هـ إلى 1069هـ وقد عمرها قائده على هذه الناحية القائد محمد بن عبد الله من أكْرض ولا يزال ماثلًا للعيون مصرف لماء في قناة غير مستقيمة، مبنية بناء ساذجًا، يقولون إنها من ذلك العهد يجري فيها الماء من أسفل الوادي إلى ذلك البسيط العامر إذ ذاك ولكن يتراءى لي أن بناء القناة غير قديم، اللهم إلا إذا جدده بعض أخلافهم في أوائل القرن الماضي. والقصبات هما اثنتان: إحداهما عن يمين الطريق والأخرى عن يساره، وإطلالهما لا تزالا قائمة، وقبل أن نصل ذلك المكان أراني رفيقي القائد محمد بن البشير عن

يساري مقبرة قديمة مندثرة. وذكر أنها للمغافرة آل أبي زيد القاضي التامانارتي صاحب (الفوائد الجمة) ويذكر الناس انهم جلوا عن ذلك المكان لجدب أصاب تلك البلاد، وقد رأى بعض الناس رسومًا تتعلق بتلك القرية في يد أجنبية في تارودانت (أقول) إن أحفاد القاضي التامانارتي يقطنون في قرية إيمي أوڭادير ويسمون ايت القاضي وكنت أرى أن منشأ القاضي هو قرية إيمي أوڭادير حتى سمعت الآن ما سمعت، وهذه القرية وهذا المكان وتلك القصبات كلها متقاربة تقع في نحو خمس كيلومترات، ثم زدنا نحو قرية (إيشت) فأراني القائد عن اليسار جبلًا ذكر أن وراءه قرى (تاداكوست) و(ايت وابلي) و(تامزرار) وقد التقيت مع الشريف مولاي الحنفي بن مولاي الحسن بن مولاي محمد بن إبراهيم بن علي، وجده إبراهيم بن علي فذكر أنه شريف النسب من (زرهون) وهو القادم من هناك فنزل في (تاداكوست) فأعطوه أرضًا وماء، ورحبوا به، وبنته هي زوجة سيدي الحاج محمد بن عبد الكريم الوايبغدي المشهور، ويظهر أن إبراهيم يكون في القرن الماضي، وقد دفن في (سيدي بوهادي) مشهد شيخ مشهور هناك في قفر إزاءه نخل وفير يؤبره الحراطين، ثم يكون تمره لابن السبيل، وفي قرية تاداكوست نيف وثمانون كانونًا، كلهم سود إلا أربعة فقط، ولهم جامع تقام فيه الجمعة، وفي قرية ايت وابلي نحو تسعين كانونًا كلهم حراطين إلا خمسة عشر كانونًا، وهناك الشيخ محمد أزنكض الشهير وقد كان رئيسًا قبل أن تبسط الحكومة يدها 1352هـ. ثم لزم داره بعد رجوعه من النفي إلى تارودانت وقد كان في زمن قليل رئيسًا على أهله بعد رجوعه، ولكنه لم يبطئ في الرئاسة. وهو رجل تقي، نقي كريم عابد خير ذو ثروة لا بأس بها، يذكر بكل خير، وقد عرفته في هذا الصيف، وزارني في داري بإلغ، وتقام هناك الجمعة، ثم قرية تامزرار فيها 35 كانونًا من الحراطين، ثم قرية (ايت همان) فيها نحو عشرين كانونًا من الحراطين، ثم (تيزڭي ييريغن) فيها زهاء 100 كانون، غالبهم حراطين كانت تقام فيه الجمعة قبل، ثم إيڭضي فيها 60 ثلثاهم حراطين، وهذه القرى كلها حكومة القائد الحسن الأقاوي الذي سيأتي ذكره بعد، وإنما ذكرنا هذا هنا حين أشار إليه القائد في حديثه.

إيشت:

ثم دخلنا نخيل (إيشت) وهي من إيالة القائد الحسن وقد كان الأديب القاضي سيدي الطاهر راكبًا معنا، يقصد ضيعته هناك فمال القائد بالسيارة إلى القرية لينزله هناك عند بابها، فمررنا بمنبع عين جديدة استنبطتها الحكومة، فزادتها للعين الأصلية، ولها مجرى تحت الأرض حتى التقت بالقديمة قرب باب القرية عند مسيل وادٍ هناك، فظهر لنا إذ ذاك أن نجوس خلال القرية لنرى هذه القرية الظالم أهلها، العجيبة حالها كأنها ريشة في مهب الرياح لا تستقر من القلق، فتاريخها كله فتك وغيلة وسفك دماء، وغدر إلى غدر، لا يحترم الإنسان منهم عمه ولا ابن عمه، وهكذا كانت من قديم فبعد صدر هذا القرن تسرب إليها (آل أمريبط) - حزب تاحڭات - فاحتلوها غدرًا فجلا عنها أهلها مع رئيسهم الشيخ الحسين بن حمو، ثم كر هؤلاء كذلك في ليل مع التامانارتيين - حزب تاڭوزلت - فاسترجعوها منهم بعد قتلهم 35 رقبة ورجع الايشتيون بعد خمس سنوات، ثم كان البشير شيخًا هناك إلى أن قتله ابنا أخيه علي وأحمد ابنا الخليل فتكا به في المكان المسمى (أساكا) بين بساتين إيشت فتوليا بعده وهما اللذان قلبا ظهر المجن لمرابطينا الإلغيين في أملاكهم التي اشتروها من عند والدهما بالبيع البات، ثم فتك بهما (آل أسا) في بسيط (تيليليتين) في وقت واحد مع أصحابهما، وكانا من الظلم والغشم بمكانة قلما يصدقها السامع. وهما شابان لبقان مع أن البشير هو الذي رباهما من الصغر، وكثيرًا ما يقول لهما إن كنتما لا بد قاتلي فعلى فراشي لما يعلمه من أخلاق أسرته، ثم جاءت نوبة أبناء الشيخ البشير محمد وعبد السلام، وهما صغيران كما مرّ على بلوغهما قليل من الزمن، وفي سنة 1251هـ في أواخره، وغل (آيت خباش) على (إيشت) صبيحة يوم فزحزحوا عنها أهلها كلهم أجمعين، فلبثوا في ديارهم وفي متاعهم وفي بساتينهم، يحرثونها ما دون سنة، ثم جاءت الحكومة آخر 1352هـ فرجع الراحلون إلى بلدهم، هكذا (إيشت) التي يصدق فيها قول ابن الحسين المتنبي:

الناس كالناس والأيام واحدة ... والدهر كالدهر والدنيا لمن غلبا

وجدنا باب القرية مسدودًا ببناء، وقد هدّ من بناء السور ثلمة كبيرة يدخل منها

الناس، فتذكرت هناك ما قاله بعض الفاتحين لفاس وقد هدم سورها، والله لأتركنها مثل دار الزانية تؤتى من كل جهة، ثم ولجنا المسجد الجامع الذي تصلى فيه الجمعة، وهو واسع ككل مساجد هذه النواحي، أعني مصلاه، ففي وسطه حلقة صغيرة فيه أثر هدم، ذكروا أن ذلك من أثر (ايت خباش) وقد حرصوا على أن يكونوا بهدمهم وإفسادهم كثعلبة الذي يقول فيه المثل العربي (في كل وادي أثر من ثعلبة) ثم زرنا دار القاضي سيدي الطاهر رفيقنا وهي لوالده رحمه الله، وقد بناها أمام دار لوالدنا هناك، استولى عليها أبناء خليل ظلمًا وعدوانًا، كما استولوا على كل الأملاك التي لوالدنا، مع كونها مشتراة بيعًا بتًّا، وغرس فيها نخل كبير، ومن بينها المكان المسمى (تافزا) والوالد هو الذي اشترى مكانها الأصلي لزاويته وفقرائها، ثم استبدل ما في جوارها بساتين أخرى متفرقة، ثم وصل بين الجميع بسور واحد فاستنبت فيها الفقراء وديا[1] كثيرًا حتى كانت لا تضاهى في كل بساتين (إيشت) وحين قلبوا ظهر المجن دفعوا الزاوية وفقراءها كما دفعوا الأستاذ الفقيه سيدي علي بن عبد الله الذي اشترى أيضًا بالبت، فعرضوا ما كانوا قبضوه من الثمن، فأما أهل زاويتنا فإنهم رأوا أن لا خير في المشاجرة معهم في ذلك الوقت الذي لا يد فيه للحق وإنما الصولة للباطل، فقبضوا الثمن، ونقضوا البيع البات، وسلموا رسومهم على يد القائد البشير التامانارتي، وأما الأستاذ سيدي علي، فإنه صابر الأيام، وأطال الأناة، وأبى أن يقبض دراهمه حتى بسطت الحكومة يدها على تلك الناحية فرجع أولاده إلى أملاكهم رغم الإيشتيين، وبهذا السبب جرى الحديث بيني وبين الأديب سيدي الطاهر هناك ـ وقد قال هذه الضياع التي كانت معرضة للضياع ـ فقلت له ارتجالًا :

تلك ضياع يا لها من ضياع ... كم طاف في أكنافها من ضياع
استأسدت ضباع سكانها ... فاحتوشت ما للأسود الضباع
كم كبد معروفة بالتقى ... قد كويت عندهم بالتياع
فما لهم في العدل شنترة[2] ... لكن لهم في ظلمهم ألف باع

(1) الودى: كغنى، صغار الفسيل من النخل، الواحدة ودية.
(2) الشنترة بضم الشين والتاء: ما بين الأصابع من السبابة إلى الخنصر.

إلى آخرها، وهي موجودة في ترجمة سيدي المدني الإلغي في الجزء الثاني من «المعسول».

كنت افتتحت إذ ذاك هذه القصيدة، ثم استتممتها بعد ذلك، وقد عرفت قصيدتين للعلامة الأستاذ سيدي علي بن عبد الله الإلغي في شأن قضية إيشت حين فعلوا فعلتهم تلك، كما كانت للأستاذ شيخنا الإفراني مطلع قصيدة أتمها الأديب الأستاذ سيدي المدني بن علي الإلغي فلتربعها هذه، فإنه لا يكون في أيدي المستضعفين الأدباء إلا قرائحهم، ولكنهم كما يقول ابن الحسين:

(وعداوة الشعر بئس المقتنى)

ثم إن الشيخ عبد السلام ابن الشيخ البشير بن بلا استدعانا وما قصر جزاه الله خيرًا، وهذه الأسرة وجدت بين الشرفاء الكثيريين ذكرها ولا ريب أن هذه الشجاعة التي يقدمون بها ثم لا يبالون بالعواقب، تتحلى فيها تلك الروح، وإن كانت لا تجول فيما تجول فيه أرواح أجدادهم الفاتحين، ولله الأمر من قبل ومن بعد، وقد سمعت رب مثوانا هناك وقد سألته عن أصلهم فقال: إننا إخوان القائد محمد بن إبراهيم التيبيوتي قال: ولا يزال يراسلنا، وقد جاءت آباؤنا الأولون من (تابو عصامت) من سجلماسة، ثم بعد ذلك أنزلنا الشيخ سيدي محمد بن إبراهيم التامانارتي هنا بإيشت فذكرت له أنهم كثيريون إخوان آل أكْـرض ككثيرين في نواحي سوس على ما وجدته مقيدًا والله أعلم بالحقيقة، والرئاسة أبطأت فيهم وكانت رسومهم مما ضاع في واقعة (ايت خباش) فلا رسم عندهم الآن، والمعروف من رؤسائهم المتأخرين الشيخ بلا، ثم الشيخ الحسين بن بلا، ثم الشيخ البشير ابن بلا ثم علي ابن الخليل وأخوه أحمد ثم أولادهم، وقد تولى الآن الشيخ محمد ابن البشير بن بلا إلى أن عزلته الحكومة منذ ثلاثة أشهر، ثم الشيخ الخليل بن علي بن الخليل الموجود الآن، وقد امتحنهم الله بالخلاف بينهم، فيتنازعون دائمًا فيفشلون وتذهب ريحهم[1]. وسكان إيشت الآن يناهزون مائة كانون، ثلاثة أرباعهم حراطين، والقرية في حجر جبل يشرف عليها.

---

(1) وفي القسم الخامس ذكروا أيضًا من (المعسول) كما جرى ذكرهم أيضًا في كتاب (من أفواه الرجال) في الجزء الثاني الذي كتبته عن الزكري.

فم الحصن - إيمو وكادير:

ثم توجهنا إلى قرية إيمي أوكّـادير فوصلنا المركز الحكومي وبعدما قطعنا نحو 27 كيلو مترًا حين استدرنا من إيشت في طريق معبدة وإلا فإن المستقيم من تامانارت إليها يكون فيه ما دون ذلك بكثير.

بَنَت الحكومة هنا مركزًا كبيرًا لها على حدة متسعًا أفيح، ثم مركزًا آخر إزاءه للأشغال المدنية ولسكنى المستخدمين من الأعوان والكتاب والرؤساء الإداريين، وبينهما بسيط غير كثير، وهناك مطار حسن تحلق منه الطائرات، وتنزل في طريقها إلى الصحراء، وهذا المركز إنما هو مع هذا الكبر فرع عن المركز الأساسي في (أقا)، وإن كان ربما غطى على ذاك، والرئيس الآن إنما يكون في (أقا) ولا يخطر إلى هذا المركز إلا فينة بعد فينة، وإنما يبقى هنا ترجمانه يعتمد عليه في أموره، وقد وجدنا فيه الآن الترجمان اللبق البشوش الشاب السيد إدريس الطنجي سبط الوزير المنابهي الشهير، وقد نشأ بين (طنجة) و(مراكش) ولعلني كنت أراه بمراكش وهو ابن هذه المدنية التي دهمت علينا من كل ناحية، دخلت عليه فسرعان ما عرفني، لأنه كان يراني بـ(الحمراء) فرحب ترحيبًا يقطر منه وجهه بشاشة، فاقترح أن نبيت وألح إلحاح الكرماء، وبعدما حاول ذلك مع القائد محمد، قال له إن أردت أن أسامحك أنت فلا بأس، وأما أستاذنا فلان فلا، لأني كنت جد مشتاق إليه، فبعد أخذ ورد تركنا الأمر على أن نمكث حتى نتعشى، ثم نروح إلى (أكّـرض) ثم ذهب بنا إلى الثوى المعد للأضياف في المركز فتناولنا فيه كؤوس الشاي[1] وصلينا وحين قربت العصر خرجت من المركز قاصدًا القرية الكبرى هناك المسماة إيمو أوكّـادير، لأن هناك قرية أخرى تسمى (إميووتو) إزاء القرية الكبرى، فدخلنا بين البساتين فوجدناها قد انتعشت أشجارها، واسترجع الحياة نخيلها بعدما مضت

(1) كان المحتلون هيأوا في كل مركز دار الضيافة ينزلون فيها كل ضيف لا بد من إنزاله، والضيافة قد أرصدوا لها من صندوق كل مركز ما تقوم به، ثم انقطع ذلك في عهد الاستقلال، إلا في مراكز العمالات، فكثيرًا ما يتشكى غير العمال من قطع ذلك، لأنهم يضيفون غالبًا من تلزم ضيافته من جيوبهم الخاصة، وقد يكون للحكومة عذر في ذلك.

سنوات كثيرة، وعينهم التي تستمد منها الحكومة لمركزها الكثير من الماء لا يكاد الباقي يكفي حتى القليل من النخيل، ومثل هذا الظلم في مياه الأهالي لا يتورع عنه الاستعمار، فيحصل للناس عنت وجدب، وهذه القرية مركز قبيلة (ايت أومريبط) سواء ساكنوهم أو رحالتهم المنتجعون للغيث أينما ينزل، وقد اختلط هناك الحراطين والبيض، يكثر هؤلاء وهؤلاء في القرية التي يقطنها زهاء خمسمائة كانون، فبعضهم دائم، وبعضهم ينتجع، وعينهم الآن ثرارة متدفقة، وكذلك عين قرية إميووتو، فانبسطت الآمال، ونشطت بالخصب السكان، فزرنا جامع القرية، وصلينا فيه العصر مع رجال مسنين وجدناهم هناك وحدهم لتوجه الناس كلهم إلى (المعدر) في هذا الأسبوع للحرث فقل الناس في القرية، وقد سال الناس كلهم من الجبال إلى المعدر فضلًا عن أهل هذه الجهة، فنطلب الله أن لا يخيب الناس في هذا الحرث المبكر، فقد كانوا في السنة الماضية حصلوا ما يشجعهم أيضًا هذه السنة، وقد طال عهد الناس بخصب هذا المعدر من سنوات وهو إذا أخصب لا يضاهي، فقد ينيف الصاع في البذر على المائة في الغلة إن سلم من الآفات، وقد يدرك المائة ونصفًا أحيانًا.

وهذا الجامع واسع عريض، قد كان الشيخ الوالد وقف مرة وقد صلى هناك مع أصحابه الفقراء يوم جمعة حين رأى ضيق الجامع، فحث الناس على شراء محل إزاء المسجد عن يمين المصلى، فأنعم ببيعه صاحبه في الحال، فاكتتب الحاضرون، فأدى ثمنه في الحين، وبقيت بقية صرفت على البناء، فالحد الذي يحده المحراب، والحد الثاني من ساحة المسجد في وسطه، هما اللذان زيدا إذ ذاك، وقد كان كل أهل هذه القرية من أتباع الشيخ الوالد وصاغيته من قديم من سنة نحو 1304هـ فأكثرهم على طريقته إلى الآن ولهم زاوية يجتمعون فيها كل ليلة جمعة بأكثر من مائة، يتدارسون بعد الأذكار التوحيد والفقه، خصوصًا علم العبادات في كتاب شيخهم (مترجم الأمير) فإنهم في استحضار مسائله عجب عجاب، كما أن هناك دارًا للزاوية وأملاكًا لم يصبها ما أصاب ما في إيشت كما كان مثل ذلك في تامانارت، فالكل الآن مصون، وبه الزاوية الإلغية، وقد كان الشيخ وطائفته التي تنيف دائمًا على المائة إذا كانوا هناك يمكثون أكثر من أربعين يومًا يتسابق الناس إلى ضيافتهم

دارًا بدار، وهم إذ ذاك أملياء أغنياء بالعيون الثرارة، والتجارة الواسعة مع السودان، فآل بدار من التجار المشهورين إذ ذاك بالتجارة، ثم لما قلت المياه من العيون ونضب معين التجارة خربت ديار، وجلا كثيرون، وإن نخيلهم ليموت منه كل سنة مئات، حتى انتعشوا في السنة الماضية بـ(المعدر) وبالماء من عيونهم، فاسترجعوا عهودهم، وأهل هذه الجهة كلها لا يعرفون الإيكاء على الصرر، ولا الخزن في الأهراء، وإنما يعرفون الإنفاق عن سعة كلما وجدوا إلى ذلك سبيلًا فشتان ما بينهم وبين غيرهم من سكان الجبال الأشحاء البخلاء، الذين يتضاربون على الخردل بالجندل، ويبذلون النفوس، في لم الفلوس، لا يبضون في الإنفاق بحبة سمسم إلا تحلة القسم، وأما هؤلاء فقد رأينا كيف عركهم الجدب سنوات، حتى لا يجدون ذواقًا، ولا يلتحفون إلا بخلق، فلم تكد تبرق لهم بارقة خصب حتى رجعوا ديدنهم في السعة والإنفاق، حتى في هذا الوقت الحاضر الذي يعوز فيه كل شيء إلا بالثمن الباهظ منذ أطلت هذه الحرب الضروس.

كنت في القرية مع بعض سكانها، وقد طمعوا أن أبيت عندهم، فأطلعتهم على جلية أمري وما أنا به مرتبط مع رفقتي، فودعوني عن مضض، وإنما أتمنى لو أجد متسعًا من الوقت لأزيد عندهم نهارًا آخر لأستفيد للتاريخ الذي يهمني أكثر من غيره، وقد كانت هذه القرية مسكنًا لقبيلة (آيت سلام) إلى نحو منتهى القرن الثاني عشر ـ كما قيل لنا ـ فإذا بقبيلة (آيت امريبط) انقضوا عليهم فأجلوهم عن البلد، فاتخذوا القرية من ذلك الحين إلى الآن مسكنهم، وإيشت و(إيمي أوڭادير) من إيالة القائد الحسن الأقاوي الذي سنذكره إن شاء الله تعالى قريبًا.

وعند الأصيل رجعت إلى المركز، فأتاني الترجمان بكتاب (حديث عيسى ابن هشام) فأنست به إلى المغرب، ثم تعشينا عند الترجمان عشاء حضريًا أنيقًا معدد الألوان، ومعنا رئيس (تيندوف) فأسأله عن أخبار تلك الجهة، فذكر لي خزانة آل ابن الأعمش، وأنها متوفرة كثيرة، فتمنيت لو أجد لي وقتًا فأزورها ولعل ذلك يتيسر في فرصة أخرى إن شاء الله[1].

(1) كانت (تيندوف) إذ ذاك لا تزال مغربية يعمرها المغاربة ولما تستلحق ظلمًا وعدوانًا بغير المغرب، وأما اليوم فقد حيل بينها وبين المغاربة وإن كانت تحت أنفهم وبين أعينهم.

الرجوع إلى تامانارت:

ثم ركبنا بعد صلاة العشاء، وحين وصلنا (القصبات) تم الوقود في السيارة فأرسل القائد عبده إلى الخليفة الحسين ابن القائد المدني، وقد كان ذلك النهار بائتًا في القصبة، جاء لزيارة الشيخ محمد بن إبراهيم وليحضر في موسمه على عادة الاخصاصيين دائمًا فأتانا بسيارته فأوصلنا لدار القائد في أكْرض بعد نصف الليل، ونشكر الله على السلامة.

وفي الخميس أمضيت غالب النهار في الكتابة إلى ما بعد العصر فذهبت مع زوار الشيخ محمد بن إبراهيم إلى مشهده القريب والناس يتداولون على فرقتين بلسان واحد هذه الجملة (يا لله يا لله، يا عزيز يا ربي) يقولها فريق ويردها عليه فريق آخر. وهذه عادة كل الناس في سوس حين يسوقون ذبيحة إلى مشهد صالح من الصالحين، وقد مشيت أنا إزاء الناس في طريق خاص، ولم أصاحبهم خوف الازدحام، ثم وجدنا ما حول المشهد ممتلئًا بالطلبة وعلى رأسهم فقيه تامانارت الأستاذ سيدي عبد الله بن مسعود التيبيوتي من أبناء عمومتنا يقطن هذه القرية من زمان، فقرأ الطلبة سورة (ياسين) والذابحون يذبحون الكباش التي ساقوها، فليذهب قول مالك (لا يساق الهدي إلا إلى الكعبة) في مدارج الرياح، فأين من يصيخ إليه، ثم دعا الفقيه المذكور بدعوات طويلة حسنة بلسان طلق ثم تفرق الناس.

القصبة:

فتوجهت أنا إلى القصبة لأنني كنت على موعد في تلك الليلة مع رئيسها الهمام سيدي الهاشم بن الطاهر بن عبد السلام من ذرية سيدي محمد بن إبراهيم الشيخ، وجده عبد السلام كان من جالية المرابطين نحو سنة 1256هـ وكان هو رئيسهم، ولذلك هدم أهل أكْرض داره بل حفروا مكانها حتى صارت حفرة عميقة لأنهم كانوا يحملون من هناك تراب البناء، وهي في الجهة المقابلة لمسجد الشيخ سيدي محمد بن إبراهيم وفيه مدفن رجل صالح يسمى أحمد بن علي الذي لا نعرف عنه شيئًا.

وجدنا في القصبة الخليفة الحسين[1] ابن القائد المدني المذكور آنفًا مع إخوته وقد نزلوا عند الرئيس سيدي الهاشم، وكان أولاد القائد المدني على ما ظهر منهم مهذبي الأخلاق أصحاب تؤدة ودين ومروءة، وقد درت مع الخليفة في سقي القصبة وعلى عينها الدافقة الخرارة التي حييت من جديد، إلا أن أهلها يتوقعون منها عادتها المعهودة من التناقص حتى تغيض، ومن السنة الماضية انتعشت أشجارهم فحييت آمالهم ورجوا الحياة.

وقد رأيت هناك آثارًا قيمة تتعلق بآل الشيخ محمد بن إبراهيم وعدني من هي بيده جميعها أن يوصلها إليّ بإلغ لألحقها بتراجم تلك الأسرة الكريمة[2] كما وجدت عند الفقيه سيدي إبراهيم بن محمد بن عبد الله آثارًا تتعلق بعمه الفقيه سيدي المدني حزت منها ما أريد. وهذا الفقيه إبراهيم يحضر في المركز ويتصفح الرسوم الشرعية، مثل الفقيه عبد الله بن مسعود المتقدم الذكر، وهولاء المرابطون الذين هنا طائفتان: إحداهما كانت جلت عن أكْرض من أزمان فلم يرجعوا فيمن رجعوا ثانيًا إليها، وهم جماعة آل سيدي أحمد بن يحيى أجداد شيخنا سيدي الطاهرين محمد الشهير، والطائفة الأخرى كانت رجعت إلى أكْرض ثم لم تفارقه إلا نحو 1256هـ ولذلك كانت مساكن الطائفة الأولى وسط قرية القصبة، ومساكن الأخرى في أطرافها، وقد قلت لسيدي الهاشم لما حكى لي هذا: الأطراف، منازل الأشراف.

أكْرض أيضًا:

وفي صباح يوم الجمعة ركبنا السيارة مع الخليفة وإخوته إلى أكْرض وقد ازدحم المكان بالحاضرين لموسم الشيخ محمد بن إبراهيم، وقد حضر رئيس المركز الأجنبي إلى الموسم على عادة كل الأجانب الرؤساء في حضور كل المجامع كيفما كانت، ولذلك انتهزت الفرصة، فذهبت إلى دار الشيخ سيدي محمد بن إبراهيم لأعاين فيها أوراقًا متناثرة تذكر لي، ولم أكن رأيت الدار في

(1) توفي هذا قريبًا من هذا الوقت بانقلاب سيارته.

(2) يوجد ذلك كله في تراجم هذا البيت الكريم الذي خصص له الجزء السابع من (المعسول).

هذه الأيام لغياب من لديه مفتاحها، فانسللت الآن إليها، فوجدتها دارًا صغيرة جدًّا، واطئة السقف، ولها باحة في وسطها كوجنة الذبابة، في وسطها بئر وقد انفتح إليها محل فيه حمام صغير، وكل هذا يوجد من عهد الشيخ، ثم طلعنا إلى الدور الثالث في الدار، فوجدناه لا بأس باتساعه وفيه قمطر عدملي قد اسود بطول الزمن، وبالدخان الذي كان الزوار للدار يطلقونه عليه عن جهل منهم بقدر ذلك المكان، فصرت أتصفح الأوراق ويناولها لي إنسان بعدما ينفض عنها الغبار المتراكم، فوجدت بقايا كتب مخطوطة جميلة، فهذه أوراق قيدت وصفها إذ ذاك مما يروق لي أن أصفه وإلا فالأوراق المبعثرة كثيرة ضاعت هناك عند من لا يقدر قدرها، وفي المثل (يعطي الفول من لا سن له).

أولًا: أوراق من كتاب منثور مبسوط العبارة في الحساب.

ثانيًا: أوراق من مقدمات ابن رشد بخط رائق فائق يستوقف الأبصار.

ثالثًا: أوراق من السعد على التلخيص.

رابعًا: أوراق من تخميس قصائد على حروف شتى فيها اللام والميم والشين والضاد، وهي قصائد نبوية وشعرها متين، فما هي؟

خامسًا: أوراق من موطأ يحيى بن يحيى فيما رواه عن مالك بنسخته المشهورة.

سادسًا: طرف من شرح الباجي عليه، ولعله المنتقى الذي طبع اليوم.

سابعًا: أوراق من المدونة وربما كانت هي المدونة الأصلية.

ثامنًا: طرف من الموضح لابن هشام في النحو بخط جميل واضح جيد إلى الغاية.

تاسعًا: أوراق من كتاب في الرسم يتعلق بالحذف والإثبات في القرآن.

عاشرًا: طرف من كتاب فيه تراجم صوفية بخط مشرقي رائع.

حادي عشر: كراسة صغيرة من تفسير صغير بالمأثور.

ثاني عشر: طرف من شرح المهلب على البخاري.

ثالث عشر: ورقة من كتاب أدبي ذكر فيه ما يدل على أن مؤلفه من أهل أواخر القرن الخامس، ولم أهتد إلى معرفته.

رابع عشر: ورقات من المقامات الحريرية.

خامس عشر: أوراق من كتاب في علم الكلام يذكر فيه حجج الفرق الإسلامية كالأشعرية والكرامية وغيرهما.

سادس عشر: طرف من شرح ديوان النابغة الذبياني.

سابع عشر: ورقة من شرح ديوان زهير.

ثامن عشر: كراسة من شرح أبيات مفردة من أقوال الجاهليين.

تاسع عشر: ورقة من كتاب فيه ضبط الكلمات اللغوية.

وهذا ما كنت قيدته إذ ذاك من الكثير الذي يمر أمامي، ولو تتبعته لكان عشرات وعشرات، ففيه أوراق من كل الكتب المتداولة مما يدل على ثروة تلك الخزانة التي فرط فيها حتى تمزقت وتشتت شملها، وقد تناولت من كل ذلك الكراسة التي فيها شرح الأبيات المفردة من أقوال الجاهليين في وصف الأطلال، والورقة التي فيها ضبط تلك الكلمات اللغوية مما فيه ضبطان، وما منعني أن آخذ الكل إلا خوف أن يقال عن ذلك ما يقال، ولأسق ما عندي عما حزته عن ذلك ليدل على ما عرف في التاريخ من اعتناء الشيخ محمد بن إبراهيم وأهله باللغة حتى ليدرس المقامات الحريرية والدواوين اللغوية القديمة، وقد أناف على ثمانين سنة فمن الكتاب الذي أخذت بعضه، وقال لبيد يذكر رسمًا:

فمدافع الريان عري رسمها ... خلقًا كما ضمن الوحي سلامها

المدافع مجاري الماء، والريان: وادٍ، والوحي جمع وحي وهو الكتاب يقال وحي يحي وحيا، وقوله عرى رسمها خلقًا، أي ارتحل عنه، فعرى خلقًا كالكتاب الذي ضمنته السلام وهي الحجارة واحدها سلمة والرسم الأثر بلا شخص وقال الشماخ يذكر رسمًا:

كما خط عبرانية بيمينه ... بتيماء حبر ثم عرض أسطرا

يقول: درس حتى كأنه كتاب بالعبرانية كتبه حبر وهو رأس اليهود، وقوله عرض أسطرًا، يريد أنه خط أسطرًا مستوية، ثم عرض آخر أي حرفها ذهب بها مرة كذا ومرة كذا ولم يقومها، وهذا أشبه بالرسم، وقال ابن مقبل:

توضحن في علياء قفر كأنها ... مهاريق فلوح يعارضن تاليا

توضحن: ظهرن في الشمس يقول: هي سطور كأنها كتاب في صفحة بيضاء وفلوح موضع تكون فيه الفرس، وقال أبو عمر: فلوح رجل يفلح الأمر أي ينظر فيه ويقسمه وروى الأصمعي: تعرضن تاليا أي تعرضهن تال يقرأهن من عرضهن، ومن روى يعارضن تاليا فإنه من المعارضة، وقال لبيد:

وجلا السيول عن الطلول كأنها زبـر تـجـد مـتـونـهـا أقـلامـهـا

أراد بالطلول هنا رسوم الطلول، وهي الآثار بلا شخوص، أي كأنها كتب يعاد عليها بعد أن درست، وقال القطامي يذكر دمنا:

فـهـن كـالـخـلـل الـموشـى ظـاهـره أو كـالـكـتـاب الـذي قد مسه البلل

الخلل بطائن أجفان السيوف، واحدها خلة شبه ما بقي من الآثار بوشي ظاهر أو بكتاب قد أصابه ندى فقد درس بعضه وبقي بعضه.

هكذا الكتاب، وما عندنا منه ورقات قليلة (وهبتها للأخ التطواني) وقد وقفت أيضًا هناك على صحيفة أخرى من كتاب لغوي آخر لم أستحضر أيضًا ما هو، وهاك الصحيفة: وقوله أودية بقدرها ولو خففت لكان صوابًا وأنشد:

وما صب رجلي من حديد مجاشع مـع الـقـدر إلا حـاجـة لـي أريـدهـا

أبو محمد أراد: القدر، والبرد قرس وقرس، وهو الدرك والدرك، قرئ بهما جميعًا في الدرك الأسفل، والدرك، والطرد والطردُ والظعن والظعن، والعذل والعذل، والشلل والشلل، والدأب والدأب، ونشر من الأرض ونشز، ولغط ولغط، وشبح وشبح، وسطر وسطر، ورجل صدع وصدع (الخفيف اللحم) وليلة النفر من منى والنفر ورجل قط الشعر وقطط الشعر، والنهر والنهر، والصخر والصخر والفحم والفحم، والبعر والبعر والشمع والشمع، قال الفراء الشمع بالتحريك كلام العرب، والمولدون يقولون شمع، وروى ابن الأعرابي عن أعرابية بفيه حفر وحفر، والأجود حفر بالسكون، ومن المعتل أيد وءاد القوة وذم وذام، وعيب وعاب، وما له هيد ولا هاد، وريح ريدة ورادة، أسوت الجرح: أسوًا وأسيًا واسًا وهو اللغو واللغا قال العجاج عن اللغا ورفث التكلم.

باب فعل وفعل (بفتح الفاء وكسرها مع سكون العين)

حجر الإنسان وحجره، ورطل ورطل، والربح والربح، والبزر والبزر، والنفط والنفط، والرشف والرشف، وجص وجص، ورخو ورخو، ونهى ونهى للغدير، وسلم وسلم (المسالمة) والعرب تقول، إما سلم مجزيًا وإما حرب محليًا: قال أبو عمرو: السلم الإسلام، والسلم المسالمة، أجدك وأجدك بكسر الجيم وفتحها بمعنى، وصلاة الوتر والوتر، والجرس والجرس، الصوت وخدعته خدعًا وخدعًا، وصرعته صرعًا وصرعًا، وجمر وجمر، والحج والحج، وأثر وإثر، وصنف من الناس وصنف، وهو في ملكه وملكه، وهيد وهيد، وخرص النخلة خرصًا وخرصًا، وحيص بيص وحيص بيص، وهو البثق والبثق، وفقع وفقع (لضرب من الكمأة) وبضع سنين وبضع، وزرب البهم وزرب، والعالم حبر وحبر، وفعلت ذلك من أجلك وإجلك حذق الغلام حذقًا وحذقًا، وفي صدره ضيق وضيق.

فعل وفعل (بفتح الفاء وضمها مع سكون العين)

سم وسم، سحر وسحر، (للرئة) وعقر الدار وعقر، الرغم والرغم، والضعف والضعف، والفقر والفقر، وضرب بالسيف صلتًا وصلتًا، ونظر إليه بصفح وجهه وصفح وجهه، وهو السد والسد (للجبل) والضر والضر، وبعضهم فرق بينهما وقد بينا لك ذلك، وضوء وضوء، والرفغ والرفغ، أصول (الفخذين) وسامه الخسف والخسف وسم الخياط وسمه (ثقب الإبرة) العمر والعمر، والدف والدف (الذي يلعب به فأما الجنب فالدف بالفتح) الحش والحش (لجماعة النحل) والشهد والشهد، والينع والينع، (إدراك الثمرة)، عمق البئر وعمقها، والبوص والبوص، (عجيزة المرأة) وهو العقم والعقم، (من الرحم المعقومة) وهو لحد القبر ولحده، الزهو والزهو، (البسر الملون) وشده فلان شدها وشدها (إذا تحير) والريح هيف وهوف، لأذهبن فأما هلك وأما ملك وأما هلك وأما ملك.

فعل وفعل (كقفل وجبل)

بخل وبخل وحزن وحزن وعرب وعرب وعجم وعجم، وطعام قل وقلل، النزل والنزل، وسقم وسقم، وسخط وسخط، ورجل غمر وغمر (الذي لم يجرب الأمور) وعدم وعدم، ورشد ورشد، ورهب ورهب، ورعب ورعب، وشغل وشغل، وثكل وثكل، وصلب الظهر، وصلب وهو الخبز والخبز، يقال لأخبزن خبزك وخبزك، ورجل بين العقم والعقم، وسكر من النبيذ سكرًا وسكرًا، والجحد والجحد (من قلة الخير) يقال رجل جحد من قلة الخير ويقال (رجل جحد قليل الخير) ولامه العبر والعبر، وهو بين الضر والضرر (للعليل والسيئ الحال) ومن المعتل الكوع والكاع، وجول البئر جانبها وجالها، وورود وورود، لأصل اللحمى، وجوب وجاب (للاثم) وقوق وقاق (الطويل) وقور وقار (لجمع قارة) ولوب ولاب لجمع لابة وهي الحرة.

فعل وفعل (بفتح الفاء وكسر العين وضمها)

رحل حذر وحذر، ويقظ ويقظ وعجل وعجل، وطمع وطمع وفطن وفطن. انتهت الصحيفة التي وجدناها، وليت شعري من أي كتاب هي.

ما نسينا أننا في كتابة (رحلة) ولا جهلنا أننا لسنا في صدد تتبع أمثال هذه الفوائد وإن كانت لها مكانتها اللائقة، بل إن مقصودي كله أن آتي بما يكون شاهدًا واضحًا لاعتناء هذا البيت الكريم باللغة ونشرها في جزولة، ولا أدل على ذلك من اقتناء كتب اللغة الفريدة النادرة، فضلًا عن المألوفة العادية، ومن يثقل عليه أن يسايرنا في هذه الفكرة التي هي محور عملنا فليعذرنا، وليمر إزاء كل ذلك بسلام مر الكرام.

(رجع وانعطاف) إلى ما نحن بصدده من تتبع (الرحلة)، وفي يوم الجمعة أقام رب مثوانا القائد محمد الحفلة لرئيس مركز أقا وللحاضرين في مجلسه، فألقى عليهم هذه الخطبة، وقد حضرت بين الناس في عرضهم، ولكن القائد أبى إلا أن يذكرني وإن كنت لا أريد أن تكون لي أدنى مشاركة في أمثال هذه المواقف ولا سيما إن كانت فيها خطبة الزور والتملق للمستعمرين.

سيادة القبطان: بلسان حكومتنا (يعني الإيالة التامانارتية التي تحت يده) أعبر لكم عن الفرح والسرور اللذين غمرانا بحضوركم وحضور الأصدقاء الأجلاء واشتراككم معنا في هذه الحفلة الجليلة في هذا اليوم السعيد، دمتم مرتفعي الشأن، محفوفين وراء ما تسدونه إلى الناس بالامتنان، واعذرونا فإن الذي نملكه هو الفرح والابتهاج اللذان لا يكفيان، وقد تمنينا أن نقيم لكم حفلة أسنى وأسطع من هذه إلا أن هذا ما في مستطاعنا لأنه لا يخفى عليكم أننا في بادية يعذر أربابها إن قصروا[1] وبمثل هذه اللسان أرفع تشكراتي لسائر الحاضرين الذين شرفونا بأقدامهم من العمال والعلماء خصوصًا العلامة الشهير سيدي محمد المختار السوسي، والخليفة الحسين الاخصاصي، ويا طالما تمنينا أن نتشرف برئيس تافراوت، فإذا به أرسل يعتذر عن الحضور، وأكرر أخيرًا تشكراتي لكل الحاضرين ولكل من ضمته الحفلة السعيدة).

وفي صبيحة السبت تاسع شوال طلعت مع ابن عم للقائد ومع عبد من عبيده إلى أكَادير حيث دار القيادة من قديم نتسلق الدرجات، وأنفاسنا مكظوظة ونحن نلهث، حتى وصلنا إلى المسجد الذي جدده القائد إبراهيم ابن القائد محمد بن عبد الله بعد رجوعه إلى داره حوالي 1126هـ وهو مسجد صغير فيه ثلاثة صفوف، وإزاءه نطفية ماء يجتمع فيها ماء القطر لأن الحصن لا ماء فيه إنما يستقون أيام الحصار من مياه الأمطار التي يصنعون لها نطفيات متينة، وهناك إزاء الجبل ممر ضيق ينزلون فيه إلى الوادي ولا يراهم أحد للبناء المستدير به فيستقون من عين جارية هناك يملأون بمائها نطفية مظلمة هناك لم نرها نحن، ثم طلعنا صعدًا حتى وصلنا أعلى الديار في قنة المعقل فوجدنا هناك المدافع الثلاثة المتقدمة، وأكبرها في طوله زهاء ستة أشبار، والآخران زهاء خمسة إلا قليلًا، وقد وجدنا هناك البيدر ومخزن القائد التي يطلع إليها زرعه بمجرد ما يحصده، وهناك يدرسه، والمخازن متعددة متجاورة، وهناك

---

(1) قال ابن العربي في رحلته المراكشية:

وما على أهل البوادي من ضرر ... أن فقدوا بعض محاسن الحضر

وقد غيره العلامة الكبير عبد الله كنون لما أنشدته له بقوله بديهة:

وما على أهل الحواضر ضرر ... أن قيسوا بعض محاسن المدر

أيضًا مصلى العيد لأهل المعقل، وسكانه نحو أربعين دارًا من القائد وأبناء عمه وحاشيته، وأما أهل القرية السفلى فإنهم يصلون في مصلى آخر، وقد استدرت بأعالي الحصن فوجدته منيعًا حق المنعة ولا متسلق إليه أصلًا، حتى الأمكنة التي يمكن التسلق منها كالمحل الذي تسلق منه القائد إبراهيم وشيعته قد سد اليوم بالبناء في زمان القائد محمد بن حمو، فلا طريق الآن إلى أكادير إلا من الباب حقيقة لا مجازًا ثم درنا في محلات الأضياف بديار القائد وهي متعددة جميلة المنظر، وتعلوها أحيانًا مباهج الحضر، وقد أجرى فيها القائد البشير يد الإصلاح فتبدت كلها في حلة جديدة براقة مبهجة، ومن هناك أطللت على قرية أكرض فرأيتها كلها بين جبلين، وقد استدار بها السور من كل جوانبها، وهو بعيد بعدًا ما عن الديار، تبين للعين الأرض بينه وبين البساتين، وفي أسفل الحصن من القرية مسكن كان لليهود من قديم، ولهم هناك أكثر من بيعة، وقد انتقلوا جميعًا من هناك اليوم إلى الحواضر، وآخرهم انتقلوا سنة 1354هـ ولا يزال يهودي حبر يزور البيعة ويتعهدها، ولهم فيها نسخة من التوراة تذكر، ثم إننا زرنا منزهًا صغيرًا للقائد البشير كالبرج، كان قديمًا فأصلحه اليوم ثم رجعنا إلى محل نزولنا تعبين من المشي.

أقا:

خرجنا من أكرض بعد العصر إلى أقا وبينهما مائة كيلو متر وسبعة كيلو مترات مع القائد محمد رب مثوانا، في سيارة الخليفة الحسين وهو يسوقها بنفسه ومعنا أخوه الشيخ علي وذلك في عشية تاسع شوال فمررنا بإيشت فقبة صغيرة بإزاء الطريق ونحن نسير في بسيط أجرد لا يرى فيه إلا بضع شجيرات من الطلح على أنك قلما ترى ذلك إلا قليلًا وفي نحو نصف الطريق إلى أقا وصلنا قرية (تيزكي ييريغن) فرأيناها قرية كبيرة، إلا أن الاندثار كما يظهر للعين يغلب على ديارها وإزاءها إلى الجبل قرية أيت همان، ثم أيت وابلي، وفوقها تاداكوست وتامزرار والكل غابة مستطيلة من النخيل من القرية السفلى إلى العليا، والنخل هنا يظهر أنه أكثر من نخل تامانارت، إلا أن الناس يقولون إنه دون نخل تامانارت في الأثمار بكثير وقد وقفنا سويعة عند أيت وابلي عند مركز حكومي صغير هناك

فيه الهاتف والحرس الدائم وقد رأيت هناك آبارًا استنبطتها الحكومة حين غاضت عيون هذه الجهة في كل هذه السنوات، والماء في هذه الآبار كثير لا يغيض وقد رأيت إزاء السيارة زمرة من الصبيان السود بعضهم عريان كما ولدته أمه، وذلك عادة لهم على خلاف غيرهم ثم ذهبنا قدمًا وقد لحقنا الظلام والطريق غير مكنوسة جيدًا والطريق المرصوفة لم تكن هناك فتركنا تامدولت عن يميننا ولم نشاهدها للظلام ثم وصلنا مقصدنا قرب العشاء فتلقانا رئيس المركز لأنه كان استدعى القائد محمدًا والخليفة الحسين لضيافته ففارقتهما لأجد مكانًا أنفرد فيه وحدي، فنزلت عند حاجب الرئيس ـ الجاويش ـ بطلب منه لأنه كان يسمع بي فرحب بي ترحيبًا كثيرًا فما قصر في كل شيء شيء واسمه العياشي ابن القائد عبد السلام ابن القائد الحاج محمد بن إبراهيم بن أحمد بن علي بن محمد وهو من أسرة (آل بيروك) الاكْلميميين وأصل الجميع من قرية أيت وابلي المذكورة وهو من إخوان الشيخ محمد أزنكض الشهير اليوم في تلك القرية[1] ومسكن صاحب مثواي في قرية أشباعن من قبيلة أيت إيكّاس وكانت فيهم الرئاسة من قديم ولكنها ليست برسمية إلى أن تولى عم أبيه القائد بورحيم عام 1299هـ في العهد الحسني، وقد رأيت ظهيرين إحداهما ممزق والآخر كاد يأتي عليه الدهر كذلك ونصه بعد الطابع الحسني الكبير المعلوم.

(خديمنا الأرضى القائد بورحيم الإيكاسي، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبركاته، (وبعد) وصل كتابك بأنك أوفدت على حضرتنا العالية بالله من وجهته نائبًا عنك لشهود أيام العيد، واغتنام الحضور مع ركابنا السعيد، في حضرات عيد الفطر السبع والانخراط في سلوك جيوش المسلمين وبركة الجمع، فقد وردوا، ومن زلال فيضنا ارتشفوا ووردوا، وعمتهم دعوة المؤمنين، وشاهدوا من عجائب صنع الله ما شاهدوا من جملة المؤمنين، جاؤوا وغرة العيد الميمون على صفحات وجوههم أشعتها تسطع. وبنود السلم على مفارقهم تلمع، ومدافع السلامة على ربا الظفر والتمكين ذات بروق

---

(1) هكذا يقول العياشي وأما آل بيروك فإنهم يقولون إن أصلهم من واحة من فيكّيكْ أو من (توات) وقد ذكرناهم في الجزء التاسع عشر من (المعسول).

ورعود، تصدع الشعب والعالم من صداعها كما صدع قلب كل هارب شرود، إلى غير ذلك مما سمحت به أيادي الامتنان، وأظلت به أعلام الإحسان، وادي الوفد الموجه من وجهته معهم من الكتاب، وأحسنوا آداب التهنئة ونشروا أعلام المآب، وامتطوا متن الانقلاب بعد وطئهم بساط الشرور، فأعطوا منشور الصدور، عوضكم الله خلفًا، وبوأكم من مصون عافية الله غرفًا، وأصلحك وأصلح بك ورضي عنك وعنهم والسلام، في 6 شوال الأبرك عام 1302هـ).

كما وقفت عنده على رسالة حسنية أخرى فوقها الطابع الحسني الصغير ونصها:

(خديمنا الأرضى القائد بورحيم بن إبراهيم بن أحمد وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد وصل كتابك بإيابك من بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام وأنك ألفيت القبيلة سالمة معتذرًا من الورود للأعتاب الشريفة بما ألم بك من المرض، فقد صار ذلك بالبال والسلام في 10 ربيع النبوي عام 1306هـ).

وقد توفي القائد بورحيم نحو 1307هـ ثم تولى أخوه القائد الحاج محمد ابن إبراهيم إلى أن توفي قريبًا سنة 1310هـ ثم ولده القائد عبد السلام، فلم ينشب أن ثارت عليه القبيلة، فأجلوه عن البلد بعد ما قامت الهيعة على الرؤساء بموت السلطان المولى الحسن، فصار يتردد في أمكنة إلى أن مات مسمومًا في شهر رجب 1330هـ وبقي ولده العياشي مع آل أحمد الهيبة، ولم يفارقه في (الحمراء) ولا في سوس إلى أن قتلوا الحاج عبد السلام الجراري في اسرسيف، فانفتل من عندهم ثم اتصل هو ومن معه بالحكومة، وفي سنة 1350هـ تعين جاويشًا في مركز أقا، حيث لا يزال باقيًا إلى الآن، وقد جد حتى سلمت له أملاكهم كلها وبنى داره في بلده، وهو يطمع الآن في استرجاع مركز أهله، وقد رشحته الحكومة لذلك والقائد على القبيلة الآن القائد[1] أحمد بن منصور.

(1) القائد إبراهيم بن الحاج عمر ابن عم القائد علي بن منصور القائد سابقًا، وقد عزلت الحكومة القائد عليا المذكور حوالي 1346هـ ونفته إلى أكادير مدة ثم توفي أخيرًا بتارودانت. (هذه الحاشية كنت كتبتها هكذا إذ ذاك).

هذا ما حكاه لي عن أهله باختصار ولم يتأت لي أن أجلس معه كثيرًا لأنني أكره مثل هؤلاء الذين ينسون المصلحة العامة ولا يرون إلا ما فيه مصلحتهم الشخصية، ولكن ما كتبته عنه يكفي المؤرخ ويكفي من قلادة ما أحاط بالعنق[1].

لاقانا هناك شريف بلغيثي فصيح مقدام جسور يتحبب إلى كل الناس، اسمه مولاي الخليفة قطن في (أقا) وهو من (درعة) وهو ممن يدير دواليب الانبساط والمداعبات والنكات في المجالس والناس يحترمونه اعتقادًا منهم في الأشراف وقد أنشدني هذه الأبيات:

لا يستوي العقد من در ومن ذهب ... ولا السبيكة من صفر ومن ذهب
كذا الطبيعة من خبث ومن كرم ... والحنظل المر لا يقاس بالرطب
فقل لمن يعتني بالمال يجمعه ... العلم أفضل من مال ومن نشب
المال يفنى ويبقى العلم صاحبه ... ما دام حيًّا رفيع القدر والرتب
والعلم صاحبه في راحة أبدًا ... والمال صاحبه في الكد والتعب
لازم بني كتاب الله فهو لنا ... أجل من كل مغروس ومكتسب

أنشدنيها في دار المذكور، وقد حضر عندنا هناك القائد الحسن قائد (أقا) وجميع (وايت امريبط) وكل هذه القرى إلى (إيمي أوكّادير) و(إيشت) (وسنرجع إليه قريبًا).

ثم ركبنا سيارة الخليفة الاخصاصي إلى قرية (تاوريرت) حيث يسكن القاضي السيد الهاشم الفاسي والرؤساء الرسموكيون، وتبعد من مركز الحكومة بنحو أربع كيلومترات وأول ما صنعت زيارة مسجد القرية، فوجدته كما جدوده، ولا يزال فيه بعض عمل، وقد وسعوه وبنوه على سبعة صفوف واسعة وقد ظهر أنه أحسن من كل مساجد أقا بلا استثناء ويبقى التفاضل بينها بعده

(1) هذا العياشي هو الذي انتقل إلى تزنيت فكان أولًا شيخ المعدر، ثم خليفة على تزنيت للباشا، ثم أداه طمعه الأصلي العظيم في أن يرجع قائدًا في قبيلته الأصلية حتى انخرط في الذين قاوموا الشعب والعرش مناصرة للاستعمار، فسعى في حتفه بظلفه، فكان من الهالكين في فجر الاستقلال مع القواد كما هو معلوم.

زرته قبل رؤية القاضي فإذا به أتى مع المقدم إبراهيم بن أبي بكر الرسموكي فأدخلنا المقدم داره مرحبًا فأحضر الغداء في الحين وهو غداء منوع، وكأنه مهيأ من قبل، ثم حضر إلينا الفقيه الورع سيدي محمد سيداتي الجاكاني وهو عالم حافظ مشارك، فكان هذا الوقت الذي تيسرت لنا فيه الملاقاة مع تردد السلام بيننا كثيرًا فرأيته ساكن النامة، عليه أثر الخمول، فصرت أتذاكر معه فأنشدني مرثية له في محمد يحيى الولاتي وهي حسنة ضمنها أشطارًا لغيره ثم لما رأى مني التكلم بالعربية الفصحى قال إنني لأتعجب منك كيف استعربت وانطلق لسانك بالعربية، مع أن الشلحيين قلما يرى منهم ذلك فسبق إلى ذهني أنه يعرض بأحد العلماء الجالسين معنا ثم قال إنني أقول الشعر سجية، وهذه عادتنا في بلادنا، لا ترى من يقرأ العروض ولا من يعتني بعلمه، فأطال في الموضوع، فقلت: المطلوب أن يصح الوزن، فسواء يعرف العروض قائله أم لا يعرفه، ثم أنشدته:

قد كان شعر الورى صحيحًا   من قبل أن يخلق الخليل

فانبسط الفقيه في الموضوع فإذا بالقاضي قد اغتاظ وهو يقول له كلامًا لا ينبغي أن يكتب، فأظهر الفقيه سيداتي حلمًا كثيرًا فعلمت أن كل ما تقدم إنما هو تعريض بالقاضي، فصبر القاضي حتى انفلت زمامه من يده، وقد كان سبق إلى علمي ما كان يدور بينهما منذ سنة من انتقاد القاضي على الفقيه في أبيات قالها من أنها منخرمة الوزن، لأن القاضي له باع طويل في الفن، بل له فيه مؤلف، وبعد هذا المجلس أسر إليّ المقدم الرسموكي أن أسعى في إزالة ما بين الرجلين، فما وجدت طريقًا إلا إلى القاضي فقط، فاقترحت عليه أن يدرك حقيقة الإدراك مركزه، وأنه أصيل في البلد، وأن الآخر ضيف فقط، هاجر من مسقط رأسه إلى هذا البلد فرارًا بدينه، فينبغي أن يتحمل منه كل شيء، فأظهر القاضي الندم الكثير على ما فرط منه فشكرت منه ذلك ثم تفرقنا، فذهبت إلى دار القاضي حيث بقيت إلى العشي، ثم صرت إلى الفقيه سيداتي في منزله بالزاوية فحررت عليه ترجمة شيخه محمد يحيى الولاتي لكتاب المعسول[1]

(1) توجد في الجزء السادس.

لأنني كثيرًا ما أتمنى أن أستقي ذلك من منبعه، والحمد لله على تيسر ذلك كما حررت عليه أيضًا تراجم آل ابن الاعمش لذلك الكتاب أيضًا[1].

والفقيه هذا كان تقلب في البلاد وكانت فيه نخوة إسلامية، ولذلك بعد الاحتلال أصابه جلاء قليل إلى الحواضر، ثم وقف معه الأستاذ الجليل مولانا عبد الرحمن بن زيدان حتى عاد إلى مكانه، وهو فقيه مشارك يزاول التأليف، وقد رأيت له شرحًا على منظومة فقهية لبعض الصحراويين في مجلد كبير بخطه كما له أراجيز، وشرح لمنظومة في البيان له مجموعة من أدبياته وقد حبب إليه قرض الشعر، وإن كان لا يقول إلا النظم الفاتر الذي هو إلى نظم الفقهاء أقرب منه إلى شعر الأدباء، وكثيرًا ما يقع له فيه ما يقع وكان مع ورعه ممن يرون لأنفسهم شفوفًا، ومن لم يكرم نفسه لم يكرم[2].

وقد أخذ عنه أناس وعادته الأكباب على المطالعة، فنال بها منالًا، وله 60 من الإبل يستعين بها على مروءته وعلى نزاهته وعلى تعاليه عن قبول ما تندى به الأيدي، ولا يقبل إلا الحلال حتى إن الزكاة يردها، لأنه يرى نفسه غنيًّا بإبله.

وفي صبيحة الاثنين زرته أيضًا في الزاوية الأحمدية، وهي زاوية فسيحة حضرية المنظر لها ساحة ينبسط فيها الخاطر، ولها خزانة حبسها هناك مؤسسوها الرسموكيون، فاقترحت أن أكتب عنه ترجمته فأفادني بما يأتي:

هو سيداتي بن محمد الكنتي بن العربي بن سيدي يوسف بن الحاج أحمد ابن الحاج محمد بن أبي بكر بن علي، ويقال لهم أبناء سيدي علي من تاجاكانت وقد اختلفت الناس في تجاكانت فمن الناس من يرى أنهم من حمير ويذهب إلى هذا كثيرون حتى أهل تجكنت أنفسهم، وهناك من يقول إنهم بكريون تيميون، ويذكر بعض الناس أن جد آل (تاجاكانت) مدفون في تلمسان والله أعلم، ووالده محمد الكنتي عالم ممن أخذ عن محمد يحيى الولاتي،

(1) توجد في الجزء الثامن عشر إن شاء الله.

(2) لزهير وأوله:

ومن يغترب يحسب عدوًّا صديقه

وممن لازمه حتى نال منه ما نال، فكان يسكن في (ولاتة) وفي (تيندوف) حيث دفن جد الأسرة العربي، ويوجد في داره هناك قبره، ودارهم في (القصابي) مدشر مشهور هناك، توفي في بادية درعة، على مسافة يوم من درعة واسم المحل (عركْ السمر) عام 1342هـ هي 18 رمضان وولادته نحو 1262هـ وقد رثاه ولده الذي يحكي لنا بقوله:

يا رحمة الله ذي السلطان والشأن ... صبي شآبيب غفران ورضوان
على ضريح حوى دينًا ومعرفة ... وزهد نفس أبى عن دن فان
محمد الكنت من كانت دعائمه ... مبنية فوق عدل ثم إحسان
من عرش آل جكان اليوم منذ ثوى ... في اللحد علم وحلم هد ركنان
آه لمعهد دين كان يعمره ... قد أقفر اليوم منه أي إيوان
ما زال يعمر أوقاتًا يرصعها ... بالدين ترصيع ياقوت بمرجان
حتى قضى نحبه في الله مجتهدًا ... إما بعلم وإما خدن قرآن
بالله يا أثلات الحقف حيث ثوى ... في اللحد هل لكما حزن كأحزاني
يا رب هبه من أثواب الرضى حللا ... تقيه أفزع أهوال ونيران
واجعل قراه لديك الله منزلة الـ ... ـفردوس حفت بحور ثم ولدان

وولادة الحاكي سيداتي في (ولاتة) إما في ربيع الثاني وإما في جمادى الأولى، عام 1300هـ وقرأ القرآن على المكتب الكبير بـ(ولاتة) سيدي المختار ابن بارك ثم على ابنه محمد بعد وفاة والده، وفد ذكر أنه ما ختم قط إلا ختمة واحدة اكتفى بها ثم ذهب به والده إلى مدينة أروان بين تنبكتو وتودني، ومدينة (تودني) اشتهرت بالعلم، ومنها القاضي صنبير وهي باللغة السودانية السيد الكبير، وهو المؤلف لكتاب «فتح اللطيف» في بيان ما في المختصر من الضعيف، وهو من أوائل القرن الثالث عشر يعاصر الشيخ سيدي المختار الكنتي، وهناك أخذ الحاكي المبادئ عن الأستاذ سيدي محمد بن محمد الأمين وهو إذ ذاك قبل البلوغ بنحو ثلاث سنوات وعن سيدي أحمد بن الصيد الأرواني أيضًا وهذا تركه الحاكي في الحياة ولم تبلغه وفاته، وأما الأول فتوفي

في حدود 1326هـ. وقال الحاكي في مرثية له فيه:

الما على أهل العلا والمكارم ... ونوحًا بأبناء (الهنا) للتراحم

الما بها لا زال تسقي ربوعها ... بأنواء غيث الرحمة المتداوم

والهنا المحل الذي توفي فيه، وكان لهجًا بالتفاؤل بالأسماء الحسنة، ومتى سمع اسمًا غير حسن بدله، وهو ممن تخرج بمحمد يحيى الولاتي ثم ذهب بالشيخ سيداتي والده إلى (تنبكتو) فمكث هناك زهاء ثلاث أو أربع سنوات يأخذ عن الأستاذ الحاج امسان، يعنون باللفظة العالم بلغة التوارگ، وهو من أهل (كندر) وكان الشيخ الكنتي يثنى على أهل كندر، وكان رجلًا ورعًا جليلًا، وقد فارقه 1318هـ وهو لا يزال 1328هـ في قيد الحياة ثم إلى (ولاتة) يأخذ فيها عن محمد الأمين بن عبد الله برتيل، وسيدي المختار بن سلام الأغلاوي وأحمد بن محمد ابن سيدي المختار الأغلاوي وعن الشيخ محمد يحيى الشهير وقد أجازه هذا الشيخ بإجازة خاصة ثم من هناك صحبه والده إلى تافيلالت 1321هـ وهذا هو منتهى أخذه، ثم تقلبت به الأحوال في قرية (أولاد عبد الحليم) ويتولى الخطبة في الجمعة بقصبة بوعام في تافيلالت وقد رحب به وبوالده الشريف الرئيس المولى الرشيد أخو مولانا الحسن الملك، وله في الرشيد هذا قصيدة رثاء حين توفي 19 من المحرم 1330هـ وأخرى في مدحه، وقد بقي هناك إلى سنة 1336هـ ثم إلى أقا في البادية ثم في أقا إلى أن استقر فيها 1337هـ ولهذا الأستاذ ورع يذكر به، وأخلاق فيها حزونة، ولم أر منه أنا إلا كل خير، وهو الآن إمام الزاوية الأحمدية في قرية (تاوريرت) تحت كنف الرسموكيين كرماء (أقا) وإن وجد من يدرس معه أقبل على التدريس، وممن أخذوا عنه سيدي عبد الرحمٰن الفاسي أخو القاضي وقد ناولني مجموعة من شعره، وهذا ما اخترته منها، قال في مطلع قصيدة نبوية طويلة:

أني بحبك خير الرسل مشغول ... (بانت سعاد فما قلبي متبول)

هكذا البيت من أصله، قالها 1334هـ.

وقال في مثل ذلك أيضًا من قصيدة فيها مائة بيت:

لله درك حادي الأينق الرسم ... إلى منازل أقوام بذي سلم

يقول فيها:

وإن تعدد وصف المادحين له فقد طما بحره الطامي على الاطم
والكل قد ركبوا فيه مواخرهم والسفن تغرق في بحبوحة الخضم
لكن على جودي الجود استوت كرما من بعد ما سيم إغراق لسفنهم
لما رست غاص كل يبتغي دررا فاستخرجوا دررًا من لجة الكرم
ففاز بعض بمنثور وبعض بمنـــظوم وبعض بمنثور ومنتظم
فعلمه لا يحيط الواصفون له أنى لهم خوض بحر منه ملتطم

وقال في مثل ذلك:

يا دهر منك رعينا روضة آنفا أيام يقظان جفن من جفاك غفا
في ذمة الله عصر كنت أسحب من ذيل الصبا تحت ظل المنحنى طرفا
ولي ندامى كندماني جذيمة لا أبغي بهم بدلًا عهدًا ولا صرفًا
إن كابدوا العلم أحيوا كل دارسة أو أودعوا درس صادف الصدفا
في ظل آباء صدق كالشوامخ أحـــلاما وكالبحر علمًا سادة حنفا
يحكون في النائبات البيض مرهفة عزمًا وفي المحل سحبًا في السما وطفا

ومن لطائفه انه كان يومًا مع الأديب البونعماني في قصر ابن زيدان في وسط النهار والعبيد يخرجون موائد الغداء فإذا برسول ابن زيدان يستدعيهما للخروج، فقال البونعماني هذا هو الغداء يحضر إلينا فإلى أين نستدعى؟ فقال له سيداتي: نحن الطلبة هل ترانا نصلح إلا للمآدب؟ فلا نستدعى الآن إلا إلى مأدبة أحفل من هذه، فركبا مع ابن زيدان إلى (الحاجب) حيث تغدوا غداء حافلًا.

ومن لطائفه أيضًا أنه كان خطب عند شيخ من رؤساء القبائل فلم يجبه فكتب إليه:

منعت يا شيخ مني بنت ستين لم أبك منها على دنيا ولا دين

هذا ما اخترته من المجموعة، وقد بلغنا وفاته رحمه الله نحو أول شعبان 1374هـ.

ثم قدمت في عشي هذا اليوم إلى القاضي سيدي الهاشم هذه الأبيات:

طربت فهاتوه شرابًا مروقًا ... فقد نلت سؤلي حين أنزل في أقا
فيا طالما أرجو زيارة أرضها ... فهذا رجائي اليوم صار محققا
عرفت لها في الكتب ذكرًا معطرًا ... ووصفا بأنباء الكرام مخلقا
وآثار عمران كثير تفوقت ... حدائقه فالزهر منه تفتقا
فهاتيك (تمدلت) التي طار ذكرها ... فغرب ما بين البلاد وشرقا
لها شرف عال ومجد موثل ... ونور من آفاق التواريخ أشرقا
يؤسس عبد الله منها مدينة ... تؤسس طول الدهر أيضًا له البقا[1]
فكانت مكانًا فائقًا حقبًا وما ... يؤسس على دين يكن متفوقا
أتحسب أبناء الرسول جميعهم ... إذا أسسوا يبنون إلا على التقى
فكانت طريقًا للتجارة بين من ... أتوا من بحار أو صحار وملتقى
فقامت بها سوق تموج بكل ما ... يشا البيعان السوق أيان يصفقا
إلى أن أتاها من أتاها وزارها الـ ... ـذي زار قبل مثلها فتمزقا
فغادرها الحدثان جوفاء قفرة ... كما غادرت أيديه قبل الخورنقا
ولم يبق إلا ذكرها عطرًا كما ... تنشق فوحات الكبا من تنشقا
فتبصر من دهر بعيد جماهرا ... بأهدابها تبغى يداهم تعلقا
فكم أسرة قد أرسلت لوشيجها ... هنالك أصلًا في المجادة مغرقا[2]
فمن كاذب قد قال إفكًا مكذبا ... ومن صادق قد قال حقًّا مصدقا
فكل يرى تمدلت أصلًا مشرفا ... ومن لم يجد بابًا إليها تسلقا
فكانت من آثار الأدارسة التي ... تطير القلوب كي تراها تشوقا
وإني من العشاق أمثالها فإن ... تكن في نحى أسرع إليها لأرمقا

(1) عبد الله بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل الخ.
(2) كثير من الأسر في جبال جزولة تنسب إلى (تامدولت).

فقوموا بني هذي البلاد لترشدوا أخا سفر قد جد سيرًا وأعنقا
فذالكم ما يقتضيه فغيره لا كل حنيذ أو شراب تعتقا
فمن كان مثلي في عزوفي وهمتي وأبصر مجدًا في السماكين حلقا
أمن ذاق لذات العلوم يرده إلى لذة الشيزى بطين تمطقا
ألا أيها القاضي الأجل الذي حوى من الجود والعرفان فضلًا محققا
إليك قطعناها قفارا يضل في رباها القطا حتى يكل فيصعقا
حدانا إلى مغناك شوق هفت به الـقلوب بود كان في الله روقا
فدم للمعاني والفصاحة شاعرًا يغوص من أمواج البلاغة مفلقا
ودام عليّ نجلك البر حائزا لمجدك بالعلم الشريف مطوقا

وقد قال القاضي مرحبًا جزاه الله بكل خير بهذا العبد الذي كان واعده على الزيارة منذ سنة ثم لم تتم إلا اليوم.

يا واردًا فائقًا في العلم أقرانا وفائقًا في ذكاء القلب سحبانا
ومن متى قيس مع قس يفقه كما فاق النهار الدجا والشمس كيوانا
ومن قضايا إياس تحت رتبته ومن يزاحم في الأدب حسانا
وافيتنا لوفاء العهد من بعد من بعد طول إلى أن خلت نسيانا
وإن عرفت وفاء العهد من شيم الأ خيار مثلك لكن قلت سبحانا
أهلًا وسهلًا بمن نربو بزورته على الذي لم يزره نال خسرانا
روض الفواضل بل بحر المعارف بل ينابع العلم بل شمس إذا بانا
ذاك الذي سوس في عزوفي شرف به افتخرنا على الأقطار اتقانا
من بحر علمه إن حاذيت ساحله بدون غوص تنل درًّا ومرجانا
يا أيها السيد المختار نلت مني علمًا وحلمًا وإجلالًا وإحسانا
قد نام غيرك عن تاريخ تربتنا وأنت صرت لكسب المجد يقظانا
كم من فوائد في ذا العلم مع حكم وكم يسلي عن الأحزان إنسانا
وكم به لذوي الأبصار من عبر من صرف رب الورى خلقًا وأزمانا

وكم بساتين في العمران مقفرة وكم وكم من قفار صار بستانا
لا خير في كل من لم يعتبر دولا فاتت وإن شئت صدقي فاقرأ قرآنا

ومن الساكنين بأقا ممن لهم شأن، آل سيدي محمد بن إبراهيم من قرية (تاوريرت) أصلهم الذي انتقلوا من قرية (ايت كين) من قبيلة (إداو نظيف) والجد الذي انتقل إلى أقا هو سيدي إبراهيم بن أحمد في القرن الحادي عشر، وكان عالمًا كبيرًا في عصره، جاء للمشارطة في مسجد أݣادير أوزرو قرية بأقا ولم يزل حاله يعلو وشأنه يسمو، حتى اتفقت عليه قلوب أهل أقا فبنى له أهل قرية (إيرحالن) داره التي تسمى الزاوية إلى الآن، وهي أول دار بنيت في قرية (تاوريرت)، ويقال إن عدد الذين اجتمعوا على بنائها 1000 مما يدل على كثرة السكان إذ ذاك إن صح هذا العدد، ثم تصدقوا عليه بعبيد وأملاك، فكان له ولأولاده حرمة زائدة، وهم وحدهم المحترمون لا يتداخلون في حرب، حتى آل سيدي عبد الله بن مبارك يكونون في الحروب، وقد كان شيخًا مسنًّا حين توفي في (تامدولت) الخربة اليوم، وكان هناك منقطعًا عن الناس في خلوة يعبد الله حتى وافاه أجله بين الصبح ومطلع الشمس في يوم الاثنين من رجب 1113هـ، ولم يبين اليوم من الشهر، ثم حمل حتى دفن عند رأس الشيخ سيدي عبد الله بن مبارك، وثم خلفه ولده سيدي محمد، وهو أيضًا عالم يذكر بعد والده في نسكه، وفي شهرته العلمية وكان يراجع بلده (ايت كين) أحيانًا فأسس زاوية أخرى في (ايت كين) ولا تزال تقصد هناك إلى الآن، ويقول الناس إن شهرته أعلى من شهرة والده، وقد وصفه كاتب بأنه ناصر الشريعة، مما يدل على أنه كان بارزًا في إرشاد العباد في عمره المديد، فقد تأخرت وفاته إلى ليلة الأربعاء عاشر رمضان 1193هـ ومدفنه (بايت كين) وقد اشتهر ولده عبد الله بن محمد بن إبراهيم، وكان عالمًا حسنًا متأثرًا سنن أجداده، وقد توفي حياة والده ودفن إزاء سيدي أحمد بن يوسف، وكان أحمد هذا صالحًا، كان خلف سيدي إبراهيم المذكور على زوجه بعده، وهي أم ولده محمد بن إبراهيم، وهو من (آل اكريان) الشهيرين أحفاد سيدي محمد بن مسعود وقد توفي أحمد 15 شعبان 1146هـ ثم بعد سيدي محمد بن إبراهيم، تولى الزاوية حفيده سيدي أحمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم، وكان عالمًا يذكر كآبائه الصالحين

وشهرته لا تزال تطن في الآذان، وكانت له مكانة في (أقا) وله روح قوية فعالة لا يزال تأثيرها إلى الآن، وعليهم نزل الحاج سعيد جد الرسموكيين، وزوجه أخته زينب بنت عبد الله، ويزاول الكتابة، وقد قال القاضي سيدي هاشم، أن كتابته في العقود كثيرة، وكان يشارط ويصدر الناس عن إذنه، وقد كانت قرية (تاوريرت) زمن كل هؤلاء الصالحين زاوية، لا تشارك في أي حرب، توفي أحمد بن عبد الله مفتتح المحرم 1216هـ. وكانت له خزانة رأيت بعضها، وفيها كتب مشرقية الخط وأخرى استنسخها، ومنها جزء من القسطلاني نسخه له أحمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن سعيد الكيني، وقال كتبته للفقيه النحوي شيخي، ثم سماه، ثم يليه الفقيه سيدي إبراهيم بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم، وكان مشهورًا بالقضاء يفصل النوازل، وأحكامه كثيرة، وقد رأيت فهرسًا لسليمان الناصري مؤلفًا باسمه جمع له فيه أسانيد سيدي يوسف الناصري وهو فهرس حسن، ألقيت عليه نظرة ولم أستوعبه.

وقد ولد إبراهيم بن أحمد ليلة 24 صفر 1188هـ ثم توفي 1255هـ وأمه أمة تسمى مباركة، توفيت رمضان 1240هـ ولإبراهيم أخ يسمى محمدًا يقولون إنه أيضًا عالم حسن، وكان يشارط ويقاوم بمهام الزاوية بعد أخيه إلى أن توفي 1276هـ ومن فروع الأسرة أيضًا عبد الرحمٰن بن محمد بن إبراهيم المتقدم الذكر وقد قال أهله أنه أيضًا عالم كأهله، وتؤثر عنه كرامات رضي الله عنه، ثم ولده الجليل الفقيه سيدي محمد بن عبد الرحمٰن وكان من قضاة أقا في زمانه، وكان يتعاون هو وسيدي إبراهيم ابن سيدي أحمد المذكور قبله، وإن كانت شهرة محمد بن عبد الرحمٰن أكثر وأنشر، ثم ولده الفقيه العالم أيضًا سيدي أحمد بن محمد، وكان من السلاطين يتولى لهم، وربما تولى القضاء ويقطن مراكش، وقد عاد ضريرًا، فاكتفى بمؤونة من المولى الحسن، وقد كان في بلده أقا يحكم بين الناس ومحررات يده موجودة وقد انتقل من أقا إلى الحمراء 1295هـ، وتوفي نحو 1320هـ.

هذه أخبار الأسرة العالمة التي كنا نجهلها قبل، ولم نتصل بمن عنده جلية أخبارهم كما هي، وإنما اتصلنا بمخطوط عند بعض أحفادهم فأخذنا منه وفياتهم كما أخذنا من الأفواه ما أمكن مما ليس في ذلك المخطوط وهي

إحدى الأسر العلمية السوسية.

وفي يوم الثلاثاء ركبنا مع القاضي الأجلّ إلى زاوية الشيخ سيدي عبد الله ابن مبارك المتوفى 1015هـ فحاذينا الجبل من قرية تاوريرت قليلًا، ثم دخلنا بين نخيل الشعب في الوادي، وقد دخلنا في الحقول المضافة إلى الزاوية حتى وصلنا قرية الزاوية وهي قريبة فطلعنا إلى سفح الجبل حيث المقبرة، فنزلنا فقال القاضي إن من العادة تقديم زيارة الشيخ سيدي محمد بن مبارك ثم زيارة حفيده سيدي عبد الله فطلعنا إلى شرف فوجدنا قبر سيدي محمد وسط القبور معلومًا بجص على قبره وإزاءه في مقابلة رأسه قبر سيد يسمى صاحبه مباركًا هو والد سيدي عبد الله بن مبارك فدعونا للشيخ ثم مشينا خطوات قليلة، فإذا بقبر سيدي عبد الله بن مبارك وإزاءه قبر أحد الرؤساء من أحفاده المتأخرين، فوقفت مليًّا، وأنا أجري على بالي حياة سيدي محمد بن مبارك الذي هو أحد المؤسسين الأولين للدولة السعدية كما هو معلوم في التاريخ، وهو من أهل أوائل القرن العاشر، وقد قلت، هكذا تكون قبور السنيين فلا قبة ولا بدعة، وقد سأل القاضي عن أحد أولاد الشيخ في القرية وهو رئيسهم فلم نجده، فرجعنا أدراجنا، فمررنا بقرية القصبة لنشاهد آثار صومعة متهدمة هناك إزاء مسجد، ويقول العارفون هنا، إنه من آثار عهد المولى إسماعيل، وإن الصومعة التي بقي منها شيء، من بناء ذلك الحين، وهي صومعة حسنة متينة البناء، والمسجد غير كبير فيه مكان المنبر إزاء المحراب، وقد تهدم الكل إلا أسافله، وإزاءه آثار أطلال، وهي في مكان مركز الحكومة المسمى بالقصبة، ويسمى المكان في الأصل أݣادير أومغار، ويقول أهل البلد إنهم يجدون في رسومهم بيوعات من أجل مغارم لابن السلطان المولى إسماعيل، وقيل إنه كان عبد الملك الذي كان خليفة أبيه في سوس ما شاء الله، ثم مررنا بمحكمة القاضي الذي كان قبل القاضي الحالي، سيدي أبي بكر الإيݣيوازي، فوجدناها متشعثة يكاد الزمان يأتي عليها، وقد توفي القاضي أبو بكر 24 شوال 1355هـ وتوجد إن شاء الله ترجمته مستوفاة في «المعسول»[1] وقد ذكر لي أن تحت يديه إجازة الشيخ

(1) في (الجزء التاسع).

سيدي مسعود المعدري، فأرسلنا إلى كتبه التي تحت يدي زوجه، فلم توجد الإجازة وإنما أتى المرسلون منها برسالة كتبها إلى بعض آل تاجاكانت طويلة جدًّا ملأها بما يدل على أنه يعد نفسه دون مقام القضاء بين الناس وما إلى ذلك من التواضع المستمد من التصوف، وقد كان له ذوق في التصوف، وقد رأيت له قصيدة فائية في التصوف شرحها، رأيت من ذلك أوراقًا غير تامة، كما ذكر لي القاضي رفيقي الآن أنه يعلم من مؤلفاته رسالة كتبها يؤيد فيها ما ذهب إليه السلطان مولاي عبد الحفيظ حين ثار على أخيه المولى عبد العزيز من أنه عاجز مفرط ساق هناك أدلة في الموضوع، وخزانته التي من بينها منسوخات له بيده كثيرة هي الآن تحت يد زوجه، وهذه تقرأ وتكتب، وقد كان يعلمها، ويرقى مداكرها، وهي صالحة يؤثر أنها قضت صلاة عشرين سنة يوم تابت، وتسمى خديجة بنت محمد من آل بداح التازونتيين الأقاويين وكان نزولنا هناك عند رئيس القرية الشيخ محمد بن عمر بن علي بن بلعيد ابن عم القائد الحسن، وهو خلاسي اللون مع أن أبويه ليسا كذلك، وأبوه الشيخ عمر توفي سنة 1330هـ ومن هناك إلى دار الرئيس أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن الحاج علي ابن الحاج محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن إبراهيم بن يحيى، والرئاسة للقرية تليدة فيهم، فيحيى الجد كان يحيى في أواخر القرن الحادي عشر وقريتهم المسماة (إيرحالن) هي والزاوية المباركية، أقدم من كل قرى (أقا)، وهذه الأسرة المسلسلة بالرؤساء تتوجت بالحاج محمد بن أبي بكر، وكان تقيًّا متحريًا للحق، كان صاحب الشيخ سيدي أحمد بن محمد التيمكِّيدشتي حين كان شارط في مسجد القرية قبل أن يؤسس زاوية (تيمكِّيدشت) وقد رأيت خطه على بعض كتب المذكور، وكان الحاج محمد يصاحب الأخيار والعلماء، وكان له نصيب من العلم، وقد حج فاشترى كتبًا كثيرة من مصر في أوائل القرن الثالث عشر، لا تزال مصونة وكلها مخطوطة بخط مشرقي، وهي مقابلة مصححة، ومنها نسخة للبخاري في أجزاء صغيرة صحيحة جيدة، ونسخة من القسطلاني كذلك في أجزاء ضخمة، ونسيم الرياض للخفاجي على الشفا ضخم الأجزاء نسخت النسخة من خط المؤلف، والعلقمي على الجامع الصغير في أجزاء صغيرة، والدر المصون في علوم كتاب الله المكنون، لشهاب الدين المشهور

بالسمين، والزرقاني على المختصر في أجزاء ضخمة، والكشاف نسخة قيمة نسخت وقوبلت وعليها حواش فريدة، نسخت 972هـ، وغيرها مما أنسيت تقييده، وكلها بالخط المشرقي البين الجميل الجذاب، كما رأيت هناك كتاب (اللباب) للشطيبي الشهير بخط مغربي، وشرح على التحفة ألفه مؤلفه 1188هـ وهو مختصر لا أعرفه الآن. ومؤلفًا لعبد الرحمٰن بن سعيد الصنهاجي الزموري القاضي المعروف بأمقشاب وهذا برنامجه (مقدمات).

1) **المقدمة الأولى**: في فائدة جمع الكتب.
2) **المقدمة الثانية**: في ثمرة المطالعة.
3) **المقدمة الثالثة**: في معظم الأمهات المنقول منها، فيذكر التفاسير للرازي والمكي، وابن عطية والزمخشري، والكتب الست ومسند أبي شيبة، وشرح ابن بطال، ومعالم السنن للخطابي، وإكمال المعلم لعياض، ومطامع الأفهام في شرح الأحكام، ومقدمات ابن رشد، والجواهر الثمينة، وقواعد القرافي، والمسالك للبكري وبهجة النفوس، والجغرافية، وكتاب العلم لابن عبد البر، والإحياء، ثم كتب الأبواب الآتية:

الركن الأول في العالم العلوي.

1) **الفصل الأول**: في القلم واللوح والقضاء والقدر.
2) **الفصل الثاني**: في العرش.
3) **الفصل الثالث**: في الكرسي.
4) **الفصل الرابع**: في الصور.
5) **الفصل الخامس**: في الجنة.
6) **الفصل السادس**: في سدرة المنتهى.
7) **الفصل السابع**: في السماوات والشمس والقمر والكواكب.
8) **الفصل الثامن**: في الملائكة.
9) **الفصل التاسع**: في المطر والسحاب والرياح والرعد والبرق والصواعق وقوس قزح والبرد.

الركن الثاني في العالم السفلي.

1) **الفصل الأول**: في الأرض، وهنا ذكر ان علماء المتقدمين على فرقتين، فمنهم من ذهب إلى أن الأرض بسيطة ومنهم من قال إنها كرة، وممن ذهب إلى القول الأخير أهل التعديل والفلاسفة، وبعض أهل السنة كالفخر الرازي، ثم ساق بعض ما في تفسير الرازي المطبوع وأن ذلك ثابت بالعقل[1] ثم ذكر بعد كلام أن للمازري مع شيخه عبد الحميد مكاتبة في كون السبع الأرضين الواردة في السنة، هل المراد بها الأقاليم السبعة، ثم ذكر هناك عن الرازي أن ثلاثة أرباع الكرة الأرضية ماء وأن ما على تسعين درجة من خط الاستواء يسمى قبة الأرض، ثم ذكر هنالك جغرافية ينبغي مطالعتها ولو للاعتبار.

2) **الفصل الثاني**: في سكان الأرض من الأمم والحيوانات.

3) **الفصل الثالث**: في الليل والنهار.

4) **الفصل الرابع**: فيما بين الأرض وما تحتها.

الركن الثالث في العمر وفي الأحكام التكليفية وفي الموت والروح وما يتعلق به.

1) **الفصل الأول**: في العمر.

2) **الفصل الثاني**: في الاستعداد للموت.

3) **الفصل الثالث**: في النوم.

4) **الفصل الرابع**: في معنى الدنيا ومعنى الآخرة.

5) **الفصل الخامس**: في المحتضر وأحواله.

6) **الفصل السادس**: في حقيقة النفس والروح.

7) **الفصل السابع**: في الموت وسكراته.

8) **الفصل الثامن**: فيما عرف من أحوال الموتى بالمنامات.

---

(1) في الجزء الثالث من الالغيات مكاتبة في الموضوع بين جامع الرحلة وبين شيخه مفخرة سوس سيدي الطاهر الافراني رضي الله عنه وعنا به.

الركن الرابع في الحشر والنشر والثواب والعقاب.

1) **الفصل الأول:** في إعادة المعدوم.
2) **الفصل الثاني:** في اقتراب الساعة.
3) **الفصل الثالث:** في أخباره صلى الله عليه وسلم بما هو كائن إلى يوم القيامة.
4) **الفصل الرابع:** في أشراط الساعة.
5) **الفصل الخامس:** في أن الساعة لا تقوم إلا على شرار الخلق.
6) **الفصل السادس:** في نفخة الفزع.
7) **الفصل السابع:** في نفخة الصعق.
8) **الفصل الثامن:** في مقدار يوم القيامة.
9) **الفصل التاسع:** فيما بين النفختين.
10) **الفصل العاشر:** في قيام الناس من الأجداث.
11) **الفصل الحادي عشر:** في موضع الحشر.
12) **الفصل الثاني عشر:** في الوقوف وفيما يمتاز به السعداء.
13) **الفصل الثالث عشر:** في إتيان أمر الله تعالى إلى المحشر في ظلل من الغمام.
14) **الفصل الرابع عشر:** في أزلاف الجنة للمتقين وفي الفزع عند تبريز جهنم.
15) **الفصل الخامس عشر:** في الحوض.
16) **الفصل السادس عشر:** في الشفاعة الكبرى.
17) **الفصل السابع عشر:** في الإتيان بالصحف وبالأنبياء ليشهدوا على أممهم.
18) **الفصل الثامن عشر:** في بعث أهل النار.
19) **الفصل التاسع عاشر:** في حشر الكفار وسوقهم وورودهم إلى النار.
20) **الفصل العشرون:** في ورود النار للجميع.
21) **الفصل الحادي والعشرون:** في الانصراف عن موقف الحساب.
22) **الفصل الثاني والعشرون:** في تقسيم أهل النار إلى طبقات.
23) **الفصل الثالث والعشرون:** في صفة عذاب الموحدين.

24) **الفصل الرابع والعشرون:** في كيفية عذاب الكافرين في النار.

25) **الفصل الخامس والعشرون:** في السائرين إلى الجنة.

انتهى ما كتبته من خطبة الكتاب مما هو برنامجه، والنسخة كتبت في 28 شعبان 1014هـ، بيد عمر بن أحمد الزياني، ولم أتذكر أنني رأيت الكتاب أو عرفت مؤلفه آمقشاب، وإنما وجدت في أثناء الكتاب ما يدل على أن المؤلف من أهل القرن الثامن، وقد سمعت أن هناك نسخة أو نسخًا أخرى منه.

وهذا الشيخ الرئيس أحمد رب هذه الكتب، وغيرها من المطبوعات لقن فهم، وقد حكى لي أن جده الحاج محمدًا المذكور توفي نحو 1240هـ كما توفي ولده الحاج علي الرئيس نحو 1274هـ وأبو بكر بن علي ولده له فهم في العلم وهو من حفظة كتاب الله صاحب الشيخ سيدي الحسن التيمكّيدشتي، فأجازه في الدليل، فكان يمعن في قراءته حتى حفظه حفظًا، وكان شجاعًا لا يصطلى له بنار، توفي 1324هـ في ذي القعدة، وكثيرًا ما كان يسافر إلى زيارة (تامكّروت) بدرعة، ثم ولده محمد بن أبي بكر والد رب مثوانا الذي كان أحد رجالات أقا في العهد الأخير، وكان يخاف أن يدركه الاحتلال، فيدعو الله دائمًا أن يقبضه قبله، فتوفي بقليل في ذي القعدة سنة 1347هـ وكان الاحتلال لأقا سنة 1350هـ، وهؤلاء الرؤساء يسمون (آل هبول) وكانت قرية (إيرحالن) مثابة العلماء من قديم، وجامعهم كبير يختارون له الأكابر، وقد زرت الجامع مع القاضي فوجدت في المصلى سبعة صفوف، في اتساعها زهاء سبعة أقدام، وله ساحة وسطه على عادة مساجد الحضر، وله صومعة طويلة قديمة ليس في بوادي هذه الجهات مثلها طولًا، ولا يعرف في أي وقت بنيت بالضبط، فيها من مركز جامورها إلى أساسها 25 متر ووقفنا حتى ألقينا من فوقها حبلًا فحققنا طولها، وفيها 79 درجة من مراقيها وتصل 80 بدرجة السطح التي يمر عليه الطريق، وعرض بنائها ليس بمتسع ففيه شبران أصابع، اختبرت ذلك من الأعالي ومن الأواسط، وهي مسقفة في مستدارات مراقيها بخشب النخل، مع أنه لم يسوس قط إلى الآن، ولم يتأثر مع أن الأرضة تفعل فعلها في خشب السقوف في الدور وفي الكتب في هذه النواحي، ويعد الأهالي صون هذه

الصومعة من الأعاجيب الغرائب، وهي مبنية باللبن الحضري المعتاد، في مقياسه المعروف. وهي مبنية مستقيمة، وقد أنشدني سيدي أحمد الأغشاني ونحن ننزل من الصومعة هذا البيت للبارودي في الهرمين.

فكم أمم في الدهر بادت وأعصر   خلت وهما أعجوبة العين والفكر

ثم إن هذا الشاب اللقن بعد هذا الوقت بقليل سجن في (تافراوت) ظلما وعذب من أجل أفكاره الوطنية، فهلك رحمه الله بذلك العذاب، سعى له في ذلك من لا يتقي الله في الناس، وعند الله تجتمع الخصوم، سامح الله الجميع، وتقام الجمعة في الجامع، ولذلك يختارون العلماء للمشارطة دائمًا.

فممن مرّ في الجامع الأستاذ النوازلي سيدي إبراهيم بن علي الإيسافني صاحب (الأجوبة) المجموعة التي تروج بين أصحاب النوازل في هذه البلاد، وقد رأيت منها نسخة هنا في أقا، وفيها ثمانية أقسام في نواح متعلقة بالنوازل افتتحها جامعها بالتأليف أول ربيع الأول 1169هـ وفي هذه النسخة 92 صفحة فيها 32 سطرًا في قالب واحد عريض طويل، وقد قالوا إنه كان هنا في هذا المسجد ما شاء الله بل سكن في القرية في سنة لم تعين، وينقل المفتون عن نوازله هذه ويسمونه (الويداني)[1] وله ولد كبير الشأن، كأبيه اسمه عبد الرحمٰن، وكذلك له شهرة علمية في أقا لا تزال إلى الآن، ومحررات يده موجودة هنا، ولعله توفي أوائل القرن الثالث عشر.

وممن مرّ أيضًا في ذلك، الأستاذ أحمد بن عمر التيزكْيي وهو فقيه صالح يثنى عليه كثيرًا، أخذ من مدرسة (زاوية الهنا) (طاطا) عن العلامة سيدي أحمد ابن محمد الحسيني توفي بعد 1330هـ ودفن في بلد تيزكْي.

وكذلك كان في هذا الجامع، الفقيه سيدي علي بن الزين الجبيري، أخذ عن الأستاذ سيدي محمد بن واد الرحمٰن الطاطائي من زاوية الهناء، وكان وسطًا في معلوماته ويعتني بمعاطاة الحديث ويزاول النوازل يفصلها بين الناس، وقد أبطأ في إيرحالن وكان حينًا في قرية (تامزرار) وكان دينًا خيّرًا وهو لا يفتر عن الذكر، وتحدث له أحلام تصدق، وهو ممن أجازوا القاضي

(1) الوادي يجمع بأودية وأوداء، وقول الناس الوديان أو الويدان لم نجده بعد البحث.

سيدي الهاشم الأقاوي، ثم توفي في أوائل 1357هـ.

وكذلك كان الفقيه سيدي محمد الأقيكْرني وهو ممن أخذ عن الأستاذ سيدي محمد بن واد الرحمٰن المذكور أيضًا. كما أخذ عن سيدي محمد اليزيدي في تامازت في المنابهة، وكان يلهج بذكره كثيرًا، وكان أنجب من ابن الزين في النحو والفقه، فقد كان عالمًا نحريرًا، محصلًا يحكمه الناس في نوازلهم، وكان في الزاوية الأحمدية في تاوريرت نحو سبع سنين، ثم رجع إلى بلده، ثم إلى إيرحالن ثم رجع إلى بلدته أقا إيكْرن فصلى بالناس الجمعة في يوم من الأيام، فتوفي عند العشاء نحو سنة 1345هـ.

ومن علماء قرية إيرحالن:

عبد الله بن عبد العزيز من بني الحاج، عالم حسن محصل يعتني بالنساخة فقد رأيت هناك منسوخات كثيرة بيده، وخطه وسط، وقد رأيت أنه كان عقد على امرأة 1206هـ، ثم عاش بعد ذلك كثيرًا، وكان خلاسي اللون، وفي كلامه تصحيف.

ومن علماء القرية أيضًا، عبد الرحمٰن بن الحاج محمد ـ فتحا ـ من بني سعيد ابن همو، من أصحاب الشيخ سيدي الحسن التيمكْيدشتي، كان يحفظ ويكتب العقود، وهو جبل في التقوى، وكان يشارط في الزاوية المباركية، توفي نحو 1315هـ.

ثم إني وجدت هناك كتابًا كان في ملك الفقيه سيدي محمد بن أبي بكر ابن محمد الأقاوي فيه مقيدات كثيرة بخطه ونصها:

مات القاضي سيدي علي بن محمد بن إبراهيم المرتني يوم الأربعاء الأول من رجب 1146هـ.

وفي اصفرار الخميس 26 شعبان 1124هـ توفي المرابط عمنا الحاج محمد بن أبي بكر بن أحمد الأقاوي بمكناسة الزيتون، ودفن بروضة الشريف مولاي عبد الله بن أحمد بقرب وادي بعمرا على يمين الداخل من الباب الخارج إلى الوادي المذكور، وكتبه محمد بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر، نعم هو إزاء قبر الشيخ أحمد الهشتوكي.

وفي ليلة الخميس 15 ربيع الثاني 1125هـ توفي العالم الإمام مربي

المساكين ومخمد بدع الظالمين، العلامة الدراكة إمام عصره، ووحيد دهره، محيي الدين أبو العباس ومولاي أحمد بن سيدي ومولاي يوسف بن عبد الله بن ناصر الوولتي المنكصاتي بدرعة المحروسة بالزاوية الناصرية الأحمدية.

كتبه خويدمه محمد بن أبي بكر خار الله له.

وفي ليلة الخميس لخمس ليال بقيت من شوال عام.... (كذا) مات العلامة سيدي إبراهيم بن سعيد الزداغي من (أداوزداغ) من (أيت إيكّاس) إمام مسجد الرحالة رحمه الله وعفا عنه. وفي يوم الخميس 15 شعبان عند الظهر توفي الفقيه سيدي أحمد بن يوسف بن علي الكرباني بربوة الطير تاوريرت بـ(أقا) وذلك سنة 1146هـ انتهى، ومشهد هذا الصالح الفقيه مشهور الآن في مقبرة تاوريرت، وقد جرب عندهم أن كل من حلف فيه يؤخذ في الحين، أقول: إنه هو المتقدم بين أخبار زاوية رجالات (ايت كين) وهو المتزوج زوجة سيدي إبراهيم جدهم.

وفي عتمة ليلة الجمعة 25 ربيع الأول 1125هـ قتل أولاد بنو معرف وبنو يعلى الشريف أبا النصر بن إسماعيل غيلة، وفي يوم الأحد 3 رمضان 1125هـ توفي العالم العلامة السيد محمد بن سعيد الأسوالي المنتاكي إمام تينيزيميرت بلدة بني سعيد ابن عبد المنعم المناني الداوودي رحمه الله اهـ.

وفي المحرم 1127هـ. مات العلامة الدراكة الفهامة سيدي أحمد بن محمد بن عبد المؤمن الإيسي الكّادورتي اهـ.

مات عمنا سيدي محمد بن الشيخ 14 ذي الحجة 1126هـ.

مات القاضي سيدي محمد بن إبراهيم الإيليغي 22 المحرم 1127هـ، (وإيلغ) هذا، المقصود به الذي كان إزاء طاطا لقربه من هذه الأمكنة التي فيها المقيد، لا إيليغ في تازروالت، وسيأتي أن ذلك هو الحق عند وصولنا لإيليغ قريبًا.

ومات عمنا عمرو بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن المبارك ليلة 2 من المحرم عام 1130هـ.

وفي ضحى 18 شوال 1127هـ، ماتت زوجة الوالد رقية بنت الحاج

محمد بن أبي بكر عن والدنا وابنه منها عبد العالي بن أبي بكر وعن ابنها من غيره يحيى.

وفي 8 شوال 1127هـ، توفي المرابط سيدي محمد بن يحيى بن أحمد التمكّيدشتي الإيسي التزكّيبي الدار.

وفي يوم الجمعة 15 جمادى الثانية 1147هـ، توفي المرابط الفقيه سيدي عبد الله بن إبراهيم التامانارتي، وهي السنة التي مات فيها سيدي الصغير بوعبدلي بمراكش، وفي التي قبلها مات الفقيه سيد أحمد بن إبراهيم التملي.

وفي الجمعة 15 صفر 1147هـ، مات سيدي أحمد بن عبد الله السكتاني (بتزالاغت) انتهى وعند اصفرار الشمس في مفتتح جمادى الأولى 1132هـ سافر شيخنا العلامة سيدي العباس بن عبد الكريم الواخشاشي للحرمين الشريفين اهـ.

وفي 13 المحرم 1133هـ مات أخونا أحمد بن بلقاسم بن محمد بن عبد الله بن أبي بكر.

وفي عام 1146هـ مات القاضي سيدي علي بن عبد الله بن سعيد التزكموضيني اهـ.

وفي الخميس 29 شعبان مات عالم الإسلام، وقاضي الأنام فارس العلماء وفقيه الفقهاء سيدي عبد الكبير الدرعي المتفق على عدالته في القضاء اهـ.

وفي رابع شوال 1118هـ فتحنا قرية (القبابة) وفي 21 رجب الفرد 1127هـ خرجنا منها.

وفي ليلة الخميس من رمضان 1130هـ عزلت بدار أولاد عمي سنة كاملة.

وفي ليلة الخميس 17 شعبان 1131هـ نزلت دار الهري الكبير، وانتقل أولًا الطالب أحمد أوبلا أوبوزيد من حصننا لقصبتهم ليلة نصف شعبان 1131هـ انتهى. ثم في الليلة التاسعة لرمضان 1132هـ دخل أهل أقا (اغرور) غيلة لأهله، ثم في 11 من الشهر المذكور تقاتلنا مع أهل أقا قرب حصننا.

ثم في غدوة 23 رجب 1132هـ غدر أهل (تمسال) وأهل (تزخزت) وبنو

مسعود قرية (إكّيز) وسكنوا فيها شهرين غير سبعة أيام، ثم أخرجوا منها، ولله الحمد في سادس رمضان 1132هـ وفي ليلة الثلاثاء 23 صفر 1133هـ خرجنا من حصننا إلى قرية ذات التين (تينتازارت) قرية (بطاطا) قهرًا وغلبة وسكنا بها سبع سنين عند الفضلاء الخيرين أبناء الشيخ أحمد بن الحسن بن محمد بن الطالب الحسن[1] في هناء ورغد عيش، ثم رجعنا إلى حصننا 6 صفر 1133هـ ودخلنا ليلة الثلاثاء على يد المذكورين مع قبيلة (سكّتانة) قهرًا وغلبة[2] انتهى.

مات الفقيه سيدي العباس بن عبد الكريم بن أحمد الأمين بن داوود بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن يونس الوخشاشي التارودانتي بـ(دمنات) في صفر 1141هـ انتهى، مات الولي سيدي الحسن بن الحاج الصنهاجي الأزواطي في ربيع الأول 1141هـ ومات المرابط ببكر بن عبد الله وسيدي محمد بن محمد ضحوة الاثنين 1141هـ (هكذا بلا شهر) انتهى، وفي جمادى الثانية 1131هـ اتفق حراطين (حصن الحجر) كلهم ـ يعني قريته ـ ما عدا اليسير منهم وتشاوروا مع أكابرهم رؤساء كل باغية ـ ثم سمى الجميع بأسمائهم ـ فاجتمعوا جمًّا غفيرًا من الحراطين وتسلحوا بمكاحلهم وضربوا المرابطين بالرصاص بباب الحصن، وأكد الوصاة على الواقف عليه من مرابطي حصن الحجر متى وجدوا سبيلًا لقتل هؤلاء المذكورين فليقتلوهم شر قتلة، وصية لأولاد أولادنا بحيث لا تبقي ذرية للمذكورين لتجاسرهم وفضيحتهم لسادتهم والواقف عليه يعمل به وبما فيه ولا بد والسلام، ثم بين من يحض على قتلهم شر قتلة انتهى.

وفي بكرة 6 شوال 1132هـ تألف أهل أقا وتحزبوا من أهل (الصفصافة) وقاتلونا بكل موضع. وفي كل جهة من حصننا ونزلوا لنا فوق المنهل بعرصة إخواننا المرابطين بني سيدي عبد الله بن أحمد، ومن فوق الجرف ومات منا سبعة من الحراطين، وعدة من الكلمى فقبضوا الناس، ومن الله علينا بالمرابط سيدي عبد العزيز[3] بن محمد بن محمد مع قبيلة سكتانة فدفعوهم عنا وبقوا

---

(1) لا تنس ما هنا إن وصلنا إلى ذكر ابن الطالب الحسن. فإن اسمه محمد كما هنا ويظهر أنه يعاصر الذهبي وسترى له ذكرًا بعد خروجنا من (طاطا) إلى إيليغ.

(2) هذه الفتن كلها كانت في العهد الإسماعيلي، مما يدل على أنه لم يتمكن في هذه الجهة.

(3) من آل الشيخ سيدي محمد بن يعقوب المذكورين في الجزء السادس عشر من المعسول.

بالعرصة إلى المغرب وخرجوا منها.

وفي بكرة 16 دفعنا على أهل أقا مع أهل الانراريين ببرج عرصة سيدي محمد بن أحمد بن عبد الرحمٰن، ودفعنا عن برج (فم رياض الشمس) بالوقت المذكور، ومات واحد وجرح أناس بتاريخ 16 شوال 1132هـ.

مات سيدي حسين الشرحبيلي بعدما جال في سوس ليلة الخميس 8 جمادى الثانية 1142هـ.

ومات الفقيه سيدي عبد الكريم بن علي التدغي صهر الشيخ بن ناصر 18 جمادى. . . 1142هـ وفي 18 رجب 1130هـ حاصر الحاج سيدي أحمد بن الحسن السكْتاني التينتازارتي الطاطائي الدار مع القائد الحسن الحربيلي وقبيلة سكْتانة بلدة المطالعة (بني مرى) وفتحوها ليلة 14 ذي القعدة في عامه انتهى.

ومات أخونا سيدي محمد بن أبي بكر في 11 شعبان 1131هـ.

ومات المرابط سيدي محمد مهدي بن الحاج محمد الوخشاشي بالحجاز في ذي القعدة 1132هـ.

ومات الولي الصالح سيدي أحمد بن صالح بن إبراهيم الدرعي في الخميس 21 من المحرم 1144هـ (وهو صاحب الهدية في الطب).

أخذت عن والدي عن شيخه سيدي محمد بن محمد بن عبد الله بن يعقوب أن من خاف من ضرر استعمال الماء يقول عند استعماله ـ ثم ذكر دعاء ـ قال روى ذلك سيدي محمد عن والده عن جده ابن يعقوب انتهى.

ومات المرابط سيدي إبراهيم ابن الصالح سيدي صالح بن إبراهيم بن عبد المؤمن الدرعي الاكتاوي 3 جمادى الثانية 1128هـ. وبعد صلاة الصبح من الثلاثاء 18 رمضان 1127هـ. قتل الظالم إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن منصور التمنرتي مرابطي تمنرت قتل غيلة قتله الله شر قتلة ومن معه ببركة جدهم نفع الله به وهم سيدي أحمد بن محمد بن عبد الله بن علي وابنه عبد الله، وسيدي محمد بن إبراهيم بن محمد، وسيدي إبراهيم بن عبد الواحد، وسيدي محمد بن إبراهيم بن محمد، وإمام المسجد سيدي مسعود الشباني، انتهى.

أقول هنا يوجد أسماء هؤلاء المفتوك بهم، ولم نستحضر هذا حين نكتب

ما كتبناه في ترجمة القائد إبراهيم التامانارتي، والكلام يكمل بعضه بعضًا.

ومات الشيخ أحمد بن عبد الله بن أبي زيد بريك المزيغي غيلة بالباب الدخلاني، قتله رجل يسمى بمحمد بن داوود التملي التادارتي في الأربعاء 20 جمادى الأولى 1128هـ، بدأت بصيام يوم وإفطار يوم عام 1132هـ.

ومات عبد الكريم بن أحمد الواخشاشي بتارودانت ليلة الخميس 30 رمضان 1144هـ وعمره 104 سنة. وفي أول صفر 1135هـ توفي الأستاذ اللغوي النحرير الناسك السالك إمام القراء في عصره، أبو سالم سيدي إبراهيم ابن علي المنبوز بالسباعي نزيل (تامكًروت).

نزل المرابطان سيدي عبد الله بن أحمد بن عبد الله العثماني وولد عمه سيدي عثمان بن محمد العثماني على أن يصالحا بين أهل طاطا ومعهما ولد علي بن ببكر التلدنونتي 13 المحرم 1136هـ فناديا بالسلم في سوق طاطا، ثم في 17 من الشهر المذكور نزلا مع إخواننا ـ وسماهم ـ إلى أقا ليصالحوا أهلنا مع أهل البلد فنزلوا بالرحالين 21 من الشهر المذكور، ووقع الصلح بين أهل أقا وطاطا ليرجع كل إلى داره.

وفي 28 من الشهر نزل المرابطون مع وصفانهم للبلد، ثم إلى (حصن الحجر) وأقاموا هنالك 18 يومًا ثم غدر الأقاويون المرابطين فاغتالوا منهم أناسًا ـ سماهم ـ ثم حصروا الحصن من الضحى إلى العشاء 18 صفر فاجتمع الأقاويون من الزاوية إلى (عين أولاد عنتر) وتقاتلوا مع مرابطين 20 مع عبيدهم فمات أناس ـ سماهم ـ كتبه بيانًا 23 صفر 1136هـ.

وفي ليلة الخميس 23 ربيع الأول 1136هـ، توفي الوالد.

وفي 25 منه مات المرابط سيدي عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الويسعداني أمير سكتانة اهـ.

وفي ليلة 3 من جمادى الأولى 1134هـ، رحل عبد الله بن أحمد بن علي ابن ببكر وكافة قبيلته من (منكب مزاط) بـ(طاطا) إلى قصر (تالتاركًا).

وفي 4 من جمادى الأولى المذكور توفي المرابط سيدي محمد بن إبراهيم العثماني.

وفي الأربعاء 20 من رجب الفرد في السنة نفسها مات المرابط سيدي عبد الله بن مبارك التيسنتي انتهى.

وفي حجة 1132هـ. مات المرابط سيدي الحاج حسن بن محمد اليعقوبي ثم ابنه في ربيع الثاني 1133هـ وهو عبد الله بن الحسن.

وفي 14 رمضان 1134هـ مات المرابط الخير البركة سيدي محمد بن عبد الرحمٰن بن محمد الكُرسيفي، وفيه خسف القمر، ووقع في بلاد بني ووزكِّيت مطر بدم.

وفي ذي الحجة 1133هـ، وقع الغلاء وقل الزرع وكثر المرض إلى آخر رمضان 1134هـ، ومات في كل بلد أزيد من النصف، وكنا في (طاطا) وبلغ فيها الشعير بسوق الخميس 8 موزونات للصاع والتمر كذلك والقمح 12 موزونة والأدام عشرين موزونة لربع الصاع وصار جل قوت الناس دقيق الخشب في المدة المذكورة.

ومات أخونا عبد العلي بين العشاء بين ليلة الاثنين 14 المحرم 1135هـ، وفي ليلة الجمعة 17 رمضان 1135هـ، خربت ديار المهارة بسوس بعد المقاتلة أربعة أيام.

أقول إن صاحب هذا التقييد هو ابن أبي بكر هكذا يوقع باسمه الصريح وراء كل ما قيده في أطراف كتابه هذا في أوقات مختلفة، وبخطوط مختلفة الألوان مما يظهر أنه يقيد في كل مكان كيفما تيسر له في الوقت الذي تكون فيه واقعة فأفاد رحمه الله فائدة عظيمة، وقد انتهى ما يقيده إلى 1149هـ ولعله قريب الوفاة من ذلك الحين، وهو من أسرة لا تزال معروفة بين أبناء سيدي محمد بن مبارك الشهير، ولا يزالون يسمون بآل سيدي أبي بكر إلى الآن.

وقد وجدت مجموعًا فقهيًّا ضخمًا هناك فيه مؤلفات سوسية منها (أجوبة المتأخرين) لعبد الله بن إبراهيم بن علي التملي فيه زهاء 80 صفحة كبرى فيها 40 سطرًا وفي آخرها ما نصه: على يد كاتبه لنفسه ولمن شاء الله بعده في 10 جمادى الثانية 1258هـ، عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن الشيخ محمد بن يعزى بن علي بن إبراهيم بن موسى بن منصور بن إسماعيل

الجزولي من حصن الشمس ـ (أنامر) بالويدان إيسافن ـ كتبت هذا لابنه على أن هذا إنما نسخ لأن المؤلف قديم من أهل الحادي عشر. توفي 1067هـ.

وأما عبد الله هذا فإنه عالم في القرن الماضي، ولد أواسط رجب 1223هـ، له اعتناء كبير بالنساخة، وقد رأيت منسوخاته كثيرة في أقا وقد رفع في بعضها نسبه المذكور، فقال منصور بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن علي بن عبد العزيز بن واكوتيرين بن إبراهيم بن تومرت بن يومن بن يمزال بن يكْليد بن عبد المؤمن بن إبراهيم بن أجود بن يوسف بن عبد الملك ابن مرتيني ابن زيمة بن هلال بن العربي بن إيلال بن غفير بن الحسن بن الحسين بن عبد الله بن عباس بن جعفر بن أبي طالب قال هكذا وجدت نسبنا في أنساب (إيتوغاين) من (ايدوسكا) لأننا التقينا معهم في العربي بن إيلال، وكتب ذلك عبد الله المذكور أواخر شعبان 1269هـ.

وهناك مؤلف صغير يذكر فيه تاريخ السكك إلى 1279هـ، ولم يتم، يظهر أنه له وقد تعرض فيه للسكة الكتامية الأولى فيها سبعة وعشرون حبا من وسط الشعير، وفي الثانية المسماة العباسية اثنا عشر حبًّا أيضًا، وهذه هي سكة بودميعة وقد كان يسكن في الجبال في (إيسافن) وما أتى بكتبه إلى أقا إلا ولده الفقيه سيدي الحنفي المولود بعد عصر الجمعة 8 شعبان 1268هـ. وكان شارط أولًا في الزاوية الأحمدية في (تاوريرت) حين بناها السيد أبو بكر الرسموكي وكان إمامًا فيها ويقضي بين الناس مع تدريس للمبتدئين في العربية، وقد أخذ عن الأستاذ سيدي محمد بن واد الرحمٰن من (آل حسين) العالم بن العالم الطاطائي المتوفى يوم الخميس فاتح رمضان عام 1320هـ. وتوفي سيدي الحنفي عام 1329هـ.

وكتبه الآن في الزاوية الأحمدية المذكورة وكلها مخطوطة وقد تتبعت بعضها فوجدت فيه فتوى للفقيه داوود بن إبراهيم من زاوية (تومليلين) له كلام حسن ولا أعرفه الآن إلا هنا.

وهناك مؤلف لعمر بن عبد العزيز الكرسيفي ـ سماه عنوان الإبانة والتبيان في نقض فتوى الركْراكْي التملي ابن ساسان فيه 20 صفحة. كما أن هناك أيضًا مؤلفًا

آخر صغيرًا كتبه ولده الحسين بن عمر بن عبد العزيز، كما كان له أيضًا مؤلف صغير في مسائل جرت فيها المذاكرة بينه وبين قرينه سيدي محمد بن علي الإيبوركي فيه ـ 4 ـ صفحات فهذه ثلاثة مؤلفات لعمر الكْرسيفي ينبغي أن تعرف له، ومن المؤلفات أيضًا هناك، ولعله لعمر أيضًا، رجز فيه توسل بأسماء بعض رجال الرسالة القشيرية وهو غير طويل، وهناك شرح عليه لبعضهم فيه ـ 26 ـ صفحة من القالب الصغير، ولم يسم هناك مؤلفه الذي هو غير صاحب الرجز بلا ريب وهناك أيضًا مؤلف لعمر صغير في كيفية قسم التركة، وقد كنت عرفته له قبل اليوم.

ومما قيد في ذلك المجموع المتقدم، السيل الجارف الهائل الذي ما زال الناس يتحدثون عنه إلى الآن، وقد وقع يوم السبت 27 شوال 1261هـ على خلاف ما قيده هناك مقيد أن ذلك كان 1223هـ، فقد قلع الأشجار وخلط بين الأملاك بإعفاء حدودها وجرف بعض القرى مثل (امغ) من (أفرا) بـ(طاطا) وكْتاكْرار بتكْموت، وقد ذكر أن الشيخ سيدي الحسن التمكْيدشتي أخذ ذلك بحساب الجمل من غفار من الآية ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ﴾ [نوح: 10، 11] الآية.

وقد زرت قرية (تاكْاديرت) وصلينا هناك الجمعة 15 من الشهر الجاري وراء الأخ الفقيه سيدي عبد الرحمٰن بن البشير الفاسي أخي القاضي وهو إمام المسجد، وخطب بإحدى خطب ابن نباتة الخطيب الشهير، وقد افعوعم المسجد وفيه عشرات من القراء كانوا يقرؤون على صوت واحد إلى أن جاء الإمام، ثم بعد الصلاة دخلت مع القاضي وأخيه وأناس إلى دار الرئيس الشيخ إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن عمرو بن علي فطلعنا إلى غرفة أنيقة حضرية، تشرف على تلك الغابة من النخيل والبناء في أكمة فنشرف على ما وراء النخيل من البسيط فكان مجلسًا عاد إلينا فيه أنس النفوس، وبهجة الصدور، بعدما لاقينا من المسجد حرارة شديدة، وكان الشيخ الإلغي بات هنا عند آباء هؤلاء وقد طفقوا يحدثونني بذلك ما شاء الله، ولا يزال أثر توجيهه لهم يتحدث به بينهم.

وأول ما سألتهم عنه وثيقة كان الرئيس الأول منهم كتبها يوم أسس هذه القرية فأخرجوها لي ونصها:

(وفي يوم الأربعاء 6 من رجب 1144هـ كان الرئيس الحاج إبراهيم بن محمد بن الحسن بن عمر بن علي الشعيبي الرحالي الأقاوي، ابتدأ في أساس (تاكاديرت) التي أحدثها بأسفل أقا على الربوة فوق حصن العبيد، سمي المكان بذلك من قديم وهي تراقب بسيط (أسول) وموضعها ليس بملك لأحد إلا الله، واستعان ربها على بنيانها بماله الخالص فأدار أساسًا لسورها الذي في طوله إلى السماء ستة ألواح، وتمم السور في 13 شوال في العام نفسه وحفر بئرًا تحتها إزاء الطريق فوق بحيرته «أي بستانه» وبالبئر قامت القرية وازينت، وبنى مسجدها بداخلها عن يمين الداخل وجعلها موضع سكناه هو وذكور بنيه، وكذلك من ساعدهم من الإخوان والأحبة، وتكون السكنى بإذن الرئيس وأهله بحيث لا يسكنها إلا من يرضون حاله، واتفقوا معه في المقاصد ومن سكنها ثم ظهر لهم منه خلاف ذلك يخرج منها ويأخذ ما صرف فقط، وقد جعل المؤسس للقرية حرمًا ألف ذراع من كل الجهات الثلاث، والأجنة والبساتين من الجهة الرابعة، فالله يسعد له ولهم أعمارهم فيها وجعلها دار هناء وعافية ومؤونة سورها مع البروج الثمانية، والبئر والمسجد والمصرية التي على الباب مائة واثنان وثلاثون مثقالًا ونصف، من قيمة الطعام والأدام والحديد وأجرة الخدمة والصناع وقيمة الباب والخشب بقيمة ما يساوي كل شيء في السوق بالحساب الصحيح على يد سيدي الحاج إبراهيم المذكور وعلى يد المعلم الشاب عمر ابن علي المزواري - أشهد بذلك المذكور وصية منه لذريته، أن لا يوقعوا فيها بيعًا ولا تفويتًا بشيء من الأشياء التي تفيت الأملاك، وإنما تبقى سكناهم ومن ساعدهم إلى انقراضهم، والله يوفر أجره ويشكر سعيه بجاه النبي المصطفى، وبه كتب من أشهده المذكور في جمادى الثانية 1145هـ.

عبد الله بن محمد بن أحمد الإيكاوزي المرتيني، ومحمد بن إبراهيم بن أحمد الكيني ثم الأقاوي، كان الله له أبدًا بجاه النبي وآله، وأحمد بن يوسف ابن علي الكرباني لطف الله به آمين، فالله يجعلها دار العافية لصاحبها ولمن سكن فيها إلى آخر الزمان آمين، ثم أثر ذلك ما بأعلاه ثابت رسمه أحمد بن محمد بن إبراهيم الكيني الأقاوي.

ومحمد بن إبراهيم هو المذكور في رجال (تاوريرت) وأحمد الأخير هو

ولده، وأحمد بن يوسف هو الرجل الصالح المتقدم، تزوج أم محمد بن إبراهيم المتقدم، انتهى بنوع من الاختصار وإزالة بعض التصحيف وتقويم العبارة لتعطي المراد بها، وبهذا احتج الرئيس الحالي على يهود في القرية كانوا نحو 30 دارًا بكنيستهم ادعوا أنهم يملكون ديارهم، فحكمت له الحكومة عليهم.

أما رؤساء هذه الأسرة الشعيبية التي كان أصول أجدادها من أناس من البربر من (تازارين) إزاء (تودغة) في الأطلس يسمون أيت شعيب فهم هؤلاء بعدما كانوا في تاكًاديرت.

والحاج إبراهيم المؤسس لهذه القرية: يقول الرحاليون أن (آل هبول) رؤساء الرحاليين اليوم وأمس هم الذين أجلوهم عن الرحاليين سنة 1135هـ، ويقول آل (تاكًاديرت) لم يصح عندهم إلا أنهم كانوا يملكون مكان تاكًاديرت لهم فيه عزب لبهائمهم، ولذلك قصدوه بعد الرحيل، فيظهر أنهم مكثوا هناك من 1135هـ إلى 1144هـ، ثم بنوا لهم ما تقدم ذكره، وأموال هؤلاء في الرحاليين وديارهم لا تزال معلومة، وقد بقيت الأملاك هناك، وقد قال القاضي إن الحاج إبراهيم رجل نافذ العقل في مصالحه، لم أطلع له قط على رسم شراء إلا على البت مع إسقاط الإقالة، وقد حصن كل أملاكه برسوم لا منفذ فيها وقد كان حبس من أملاكه، ثم بعد ذلك كف يده عن التصرف احتياطًا لئلا يتأثر الحبس بذلك، وقد كانت له صحبة بينه وبين الفقيه سيدي إبراهيم بن يحيى الملقب بأوراغ، وهو فقيه يسكن في (إيرحالن) مشهور في عصره، وقد تولى القضاء في عهده، وقد قال قائل إنه أقدم من هذا العهد أو إن هناك قاضيين اثنين يسمى كل واحد منهم إبراهيم بن يحيى، أحدهما جد من أهل الحادي عشر، والثاني حفيده يحيى في الثاني عشر، وعلى كل حال إن هناك فقيهًا يسمى إبراهيم بن يحيى، كان علامة جهبذًا كبيرًا في أقا ولم أتحقق وقته إلى الآن، لاختلاف الناس في تعيين وقته.

ثم إن آل شعيب توطد لهم الأمر في قريتهم وحدهم إلى أن توفي الحاج إبراهيم 1181هـ ثم خلفه ولده عمر بن الحاج إبراهيم، كان أميًّا يذكر بالمروءة

والوفاء، وهو الذي اقتبل الحاج سعيدًا الرسموكي الغني، فقبله في محله وسكن تحت ظله، ثم كان الوصي على ولده محمد، فوفى له كل الوفاء وكان صالحًا محظوظًا، لا تعلو يده يد في أقا وقد غلبت ريحه ريح الرحاليين، فتقوت به (تاحكات) فضؤلت (تاكوزولت) وكان رئيسًا يقسم الورثة أملاكهم تحت نظره على يد أهل العلم فينفذ هو ويكون له نصيب، حتى كان يقال لأقا أقا أو عمرو، سمعت هذه النسبة هناك، وفي سكْتانة توفي 1235هـ عن بنته «مريم» زوج ابن عمها محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن عمر بن علي، فتولى الرئاسة غير نسله محمد بن إبراهيم المذكور، تولى مع قرينته مريم، وإذ ذاك دب الخلف بين الرسموكيين وآل عمرو، فتفرق شملهم، وإن كان الحرب لما تقم بينهم، توفي 1250هـ وكان كبير الأمر لمريم، حتى كانت تقول قولًا فلا يرد عليها أحد.

ثم كان حمو الذي صحفوا محمدًا إليه، وهو ابن محمد بن إبراهيم المذكور قبله وابن مريم، وفي عهده ثارت ثائرة أخرى مع الرسموكيين لم تؤد إلى حرب بعد، ولعله توفي حوالي 1259هـ كما يحرره أهله، ثم إبراهيم أخوه المسمى بوهوش (مصحف إبراهيم) وكان الحال بينه وبين الرسموكي متلائمة في الجملة إلى أن صلوا عيدًا يومًا في مصلى القريتين، فصار محمد الرسموكي يتكلم مع إبراهيم، فصار بوبكر بن حمو ينازعمها الحديث. فغضب الرسموكي وودع صاحبه في الحال قائلًا: قد كنا نتحادث حين كنا وحدنا، والآن لما جاء الصبيان فلا حديث بيننا، يقول الشعيبيون هؤلاء هذا هو أصل الخلاف، والحق أن سبب ما بينهم هو ما ذكر في ترجمة[1] الرسموكيين في «المعسول» من أن الرسموكي يتهم الشعيبيين بأنهم أضاعوا مالًا له عندهم أمانة في عهد والدهم عمرو، فلم يزل ذلك يتسع حتى اتسع الخرق على الراقع، فقامت الحرب من عهد حمو، إلى عهد إبراهيم، فتقوى حينئذٍ الرحاليون، وكل حزب (تاكْوزولت) في أقا، وذل الشعيبيون وآل أومريبط ومن إليهم الذين هم حزب (تاحكْات)، توفي بوهوش سنة 1261هـ.

---

(1) في القسم الخامس.

وأبو بكر بن حمو المتقدم هو صاحب الحروب الشديدة التي تسببت عن موت عبد الله بن محمد الرسموكي، وهو شاب نشأ عند أبيه، كما نشأ أولاد أصحاب الجدة ترفا وغرارة وخرقا، وسببها أن إنسانًا من جهة أبي بكر كان يخالط عبد الله، وكان هذا الإنسان يسرق ويذهب إلى عبد الله بما يسرق، فسرق بندقية، فأوصلها إليه فقام أبو بكر إلى السارق على نية أن يقتله، فدخل رجل عليه من كبار أقا وقد اعتقل أبو بكر صاحبه فنهاه عن قتله، وقال له إن الذي يؤذيك هو عبد الله الرسموكي، فقال أبو بكر لأسيره هل تقدر أن تقتل صاحبك عبد الله، فأطلقك، فضمن له ذلك، فوفى له في اليوم نفسه، فثارت حرب دامت سبع سنوات، وكان أبو بكر شديدًا معروفًا، ومسعر حرب، ثم إنه طال عمره حتى عمي فعجز عن الأمور فخرج أولاده إلى الميدان، فمات 5 شعبان 1327هـ.

ومحمد بن أبي بكر المسمى «حمد» هو الذي كان أتونًا من أتاتين الحرب الهائلة التي كانت 1326هـ. دامت أشهرًا قليلة من رجب إلى شوال، وكان خواضًا دائمًا مع الخائضين، ولا سيما حين كان النزاع بينهم في الدار لأنه لم يمض إلا أسبوع عن موت والده حتى هم ابن أخيه البشير بقتله فأطلق فيه رصاصة، فهرب البشير إلى (حصن الحجر) قرية من قرى أقا، فدس إليه من قتله هناك، ولم يزل رئيسًا حتى قتله أولياء دم البشير بمشاورة أهله وأهل أقا كلهم، لكونه شديدًا على الجميع، وذلك 1336هـ.

ومحمد بن عبد الله بن بهوش ابن عمه، تولى الرئاسة في القرية، وعليه وقع الاحتلال 1350هـ، وكان لينًا صالحًا للأمور، وهو الذي رجع إلى مصاحبة الرسموكي وكان الرئيس أحمد بن أبي بكر يرتضي دائمًا أجوبته في الأمور ويسعى في السلم، ويقولون لا حرب بعد توليته، توفي في 15 رجب 1357هـ.

ثم الشيخ إبراهيم الرئيس الحالي الذي نحن الآن في ضيافته، قد ظهر منه التعفف عن أموال الناس فيما يقال، وامتاز بالإكرام والضيافة، وكانت دارهم من قديم دارًا يقصدها الأخيار كالشيخ التمودزتي الذي كان من الشعيبيين بعض

أصحابه الصوفية الكبار، وهو سيدي الطاهر بن عبد الله أخو الرئيس هذا، وقد رأيت ذكره في رسائل التاموديزتي، وتوفي 1358هـ رحمه الله ورضي عنه.

وكذلك كان الشيخ الإلغي يحل عندهم أيضًا.

هذا ما تيسر من أخبار هذه القرية، ويقطنها الآن أزيد من 100 دار ومسجدهم غير كبير، ولم يقيموا فيه الجمعة إلا في نحو العقد السادس من القرن الماضي، ووراء قريتهم فوق أكمة دفن سيد صالح يسمى سيدي البيهات، وهو ركَائبي صحراوي، كان خطر في البلد في عهد الرئيس محمد بن إبراهيم المتقدم الذكر، فرأوا منه كرامات اعتقدوه بسببها وليًا، فاعتنوا به إثر وفاته، فبنوا عليه على العادة من أمثالهم لأمثاله.

وكذلك زرنا قرية (أكَادير ازرو) - حصن الحجر - وهو كبير فيه 150 كانونًا أي دارًا يكون السود فيهم نحو الثلثين كما هي العادة في غالب القرى أقا، وأصلهم عبيد تحرروا بالتتابع، وللسود مكان خاص هناك يسمى (الصفحة) أسفل القرية وفيهم صلاح وعلم وكل خير، وقد نزلنا عند الشيخ محمد الأمين، وقابلنا بكل ترحيب، وقد كان هيأ لنا الضيافة بإرسال القائد إليه، والقرية بناها الرجل الصالح سيدي عبد الله ابن الشيخ سيدي محمد بن مبارك، وذلك أنه انعزل هنا عن أبيه للاختلاء بالعبادة، ثم أدى ذلك إلى تكوين القرية وذلك في أواسط القرن العاشر، وكانت أولًا زاوية إلى أن استحالت إلى حالة القرى في جوارها فالرئيس الحالي محمد الأمين بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن عبد القادر بن أحمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن مبارك. وكانت الرئاسة قبل هذا الفرع من فرع آخر من أبناء عمومتهم، يسمون (ايت سيدي علي) أول من ظهر منهم في الرئاسة:

الرئيس أحمد بن عبد الملك بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن علي بن محمد بن مبارك، ويكون في أواخر القرن الثاني عشر، وهو الذي زاد في المسجد الكبير وجدده، توفي 1214هـ، وكانت حروب كثيرة في أوله، حتى جاء عمرو الشعيبي فجمع الكلام.

ثم عبد الرحمٰن بن أحمد خلفه في الرئاسة، وفي المعارك التي لا تنقطع،

خصوصًا حين مات عمرو 1235هـ، وقد توفي عبد الرحمٰن بعد 1240هـ.

ثم أحمد بن عبد الرحمٰن، ولم يبطئ كثيرًا، مع أنه حارب مع الناس في الحروب التي تدور بين الرسموكيين والشعيبيين، فيكونون تارة مع هؤلاء وتارة مع هؤلاء وتارة ينقسمون، ثم إن أحمد اتجر إلى السودان فمات هناك نحو 1248هـ.

عبد الله أخوه، خلفه لما ذهب إلى السودان، وقد وقعت الحرب بين أهل القرية، حتى أجلاه أهل القرية مع الشيخ محمد بن بلعيد إلى (إيرحالن) وذلك نحو 1270هـ، وقد جلا معه كثيرون ثم رجع 1273هـ، على يد سيدي محمد ابن حسين الطاطائي فقتل سنة 1274هـ. وقد تولى قتله اثنان من (تزخت) وقد كان معه الشيخ محمد بن بلعيد. وأخفره ودس إليه من قتله من أولائك، ثم انتقلت الرئاسة إلى أبي بكر بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن عبد القادر بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن مبارك، فاجتمعت الكلمة في القرية، وكانت الحروب بينهم وبين جيرانهم، ويكونون منذ ذلك الوقت مع آل بلعيد، إلا بعض فئة حاربوهم أيضًا، وقد توفي 1340هـ وولادته 1248هـ وهو والد الرئيس الحالي.

هذه هي الرئاسة في طرف من هؤلاء المرابطين الذين سكنوا في أكادير وأما الذين كانوا في الزاوية، وقد اندفعوا إلى الرئاسة، فسترى من أخبارهم بعد، فانتظر خبر اندفاعهم للرئاسة.

زرنا مسجد أكادير حين خرجنا عشية، فرأيناه كبيرًا متسع الصفوف، وفيه سبعة صفوف، وهو أفيح من مسجد إيرحالن، كما زرنا المسجد الصغير لسيدي عبد الله الأعيرج، وشاهدنا باب حصنه الأول الصغير، ولكل ذلك رونق وفيه عبرة، وإزاء المسجد نطفية ذات صفوف ثلاثة، خربت اليوم.

وأما قرية القبابين فقد جزت بها مع أناس، فدخلنا المسجد فوجدناه كاد يخرب، وهو متشعث قد فرط فيه أربابه، وفي هذه القرية نحو ستين كانونًا، وقد كانوا يصلون الجمعة ثم تركوها، وقد رأيت غالب ديار القرية خربة لجلاء السكان من جفاف العيون، وقد كان هناك عينان نضبتا معًا، وهناك نخيل قل ما

بقي منه، وكانت (أيت جلال) هم الذين يقطنون القبابين، كما كانوا أيضًا هم سكان (أيت عنتر) وهي قرية قريبة من مركز الحكومة، وهي قرية صغيرة من ثلاثين إلى أربعين كانونًا، وهم أعنى القبابين سكان قرية أيت «بنج» وقرية أيت «بلفضيل» وهما اليوم خربتان إلا دارًا أو دارين فقط، وكلتا القريتين أطلال، والذي خرب القرية هم أهل أݣادير أوزرو وفي عهد قريب جدًّا من الاحتلال.

وتقام سوق الحكومة إزاء المركز يوم الأحد وقد استدار فيها البناء بدكاكين كبيرة حسنة وكانت سوق الأحد قديمة في (أقا) إزاء قرية أيت رحال وهي قرية صغيرة إزاء إيرحالن ويقال إن الذي أقامها هو سيدي عبد الله بن مبارك ثم نقلت إلى تاوريرت. وحين قامت الحرب 1326هـ بين أهل (أقا) أقام أهل تاكاديرت سوقًا أخرى عندهم في الأحد وحين تصالحوا أقام أهل تاكاديرت سوق الثلاثاء بين ديارهم وبقيت الأولى بين ديار تاوريرت وبعد الاحتلال نقلت الحكومة سوق الأحد إلى مركزها وعوضت سوق تاوريرت بالخميس، فأسواق أقا الآن ثلاث.

كان قد تقدم بين مقيدات سيدي محمد بن أبي بكر أن هناك الفقيه العباس الوخشاشي، فاتصلت بأحد الوخشاشيين، وهم يسكنون في قرية أݣادير أوزرو وهو الحسين بن الهاشم بن عبد الله بن عباس بن عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن أحمد بن داوود بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن يونس وأصلهم من قرية تاساكات من قبيلة إيلالن والذي انتقل من هناك إلى (أقا) أحمد بن داوود وكان انقطع إلى الشيخ عبد الله بن مبارك يأخذ عنه فدرس عليه حتى تخرج، وكان يخدمه. وهو الذي حفر بيده البئر التي تحت المقبرة التي دفن فيها الشيخ عبد الله بن مبارك ولم يزل هناك إلى أن كان سيدي أبو بكر بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن مبارك وكان رجلًا صالحًا عالمًا وهو من رجال طبقات الحضيكي توفي سابع ربيع الثاني 1057هـ فاستقدمه إلى قرية أكادير فشارطه في المسجد وزوجه بنته، وتصدق عليه بالبقعة التي بنى فيها داره، ثم توفي الفقيه أحمد بن داوود قبل أبي بكر وكذلك عبد الكريم ولده وصفوه بالعلم. وذكر المذكور أنه كان يتردد إلى مال أبيه في تارودانت التي انتقل منها والده إلى أقا، ثم صار أبوه يرسله ليتعهد أملاك الأسرة هناك. ودرب الوخشاشيين لا يزال

الآن معروفًا في تارودانت[1] ولم يزل عبد الكريم هناك حتى توفي ليلة الخميس 30 رمضان 1144هـ عن 104 سنة.

ومحمد بن عبد الكريم إنما هو طالب حافظ للقرآن فقط وكذلك ولده عبد الكريم بن محمد، وأما العباس وهو ابن عبد الكريم بن أحمد فإنه كان عالمًا كبير القدر، كان حج ثم استقر في دمنات يشارط هناك إلى أن توفي في صفر 1141هـ.

ومن الأسرة عبد الله بن العباس بن عبد الكريم جد الذي يحكى لنا أنه أخذ عن الحسن ابن الطيفور صاحبه من قرية (تيتنازارت) من طاطا إلى مدرسة تاكشت بايت صواب ثم إلى تزنيت ومن هناك ودعه فصار يشارط ويسترد أملاك أبيه حتى فكها كلها وكان يقضي ويحترمه الناس كعالم وشارط حينًا في (توزونين) إزاء أقا وفي حصن الحجر حتى توفي 1292هـ ومحررات أحكامه موجودة ثم ولده الهاشم المولود 1261هـ أخذ عن سيدي الحسن التملي الإيرازاني وكان من المبكرين عند شيخه هذا قبل بناء المدرسة، ثم بقي هناك حتى عمرت مدرسة سيدي الحسن، فقامت فتنة بين آل إيرازان فضاعت كتبه هناك في صندوق بالنهب، ثم كان قاضيًا عند القائد محمد بن بلعيد وكان يصاحب الشيخ سيدي الحسن التيمكِّيدشتي وهو الكاتب له في كل ما تصدق به أهل هذه الجهة على تيمكِّيدشت وكان يشارط إلى أن مات في الجمعة 15 شعبان 1345هـ.

وهذه الأسرة من الأسر العلمية من قرون في تارودانت وقبل ذلك، إلا أن أخبارها ومقيدات تقلبات أهلها ضاعت بضياع كتبهم، ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرَّحمٰن: 27].

ومما يتعلق بقرية (أكَّادير اوزرو) أن أهله أصابهم أيضًا جلاء آخر أعظم من ذلك تقدم لهم 1132هـ وهو الذي ساق خبره محمد بن أبي بكر في تلك المقيدات المتقدمة وقد كان هذا حوالي 1150هـ وسببه أن أهل أقا كلهم اجتمعوا على محاربة أهل أكَّادير فحاصروهم شهرين، حتى أعيا الأمر من

(1) يعرف هذا الدرب في رودانة بدرب اخشاش ويقع في حارة سيد حسين المسماة على زاوية سيدي حسين الشرحبيلي، وهو مواجه لها ولمسجدها الموازي لها.

حاصروهم، وقد رأوا أن أهل أكَادير قد صابروا ورابطوا ودافعوا فقال لهم الشيخ مبارك بن عبد الله رئيس أهل الزاوية، وهو ابن عم هؤلاء المحاصرين في أكَادير وقد كان تولى كبر تلك المحاصرة، وتحته امرأة من هؤلاء كانت تأتي وتذهب أيام الحصار، من غير أن يقف أمامها واقف، لمكانها من زوجها، ولمكانها من (آل الحصن) قال الشيخ مبارك لآل أهبول رؤساء (إيرحالن) وللحاج إبراهيم الشعيبي: إننا لا نقدر على إذلال هؤلاء إلا بالحيلة، فأرسل إلى بعض رجال من أكَادير فالتقى معهم، فقال: إني ندمت غاية الندم على هذه الحرب التي صرفت فيها ما صرفت من حرّ مالي، ولم أبت ليلتي أسفًا على ما وقع، والآن لا بد أن ننظر في إيقاف الحرب في الحين، وإنما يجب أن تعرفوا أولًا أن أختكم التي تحتي صدر مني تحريمها تحريمًا باتًّا إن لم أرحلكم، والآن انظروا فإن طاب لكم أن أفارق أختكم فذاك وإلا فاجعلوا لي مسلكًا لحل العقدة، وبعد أخذ ورد، وقد حضر الحاج إبراهيم الشعيبي، اتفقوا على أن يرتحل أهل القرية كلهم عن آخرهم، إلى أن يصلوا الوادي ثم يرجعون، وقد برئت ذمة الشيخ مبارك عن يمينه، فاختلف أهل أكَادير على تنفيذ ذلك خوف المكيدة، إلى أن اتفقوا على الخروج إلى الوادي ثم يرجعون، ففعلوا ذلك ولكنهم لم يصلوا إلى الوادي مع النساء والصبيان، حتى مال عليهم أعداؤهم بالرصاص، فمن بين ساقط وهارب إلى أعلى الوادي فلا تسأل عما وقع في النساء والصبيان، فضلًا على الرجال الذين بذلوا جهدهم فينبطحون على الأرض للمدافعة حتى يبتعد العيال قليلًا ثم ينسحبون قليلًا قليلًا، هكذا حتى نجا من بقي من القتل فكانت أعظم مكيدة على أهل القرية، فقد خرجوا فقراء لا يملكون قطميرًا ولا نقيرًا فنزلوا في (طاطة) وبعد 12 سنة ذهب وفد منهم إلى (تامكَروت) عند سيدي يوسف يتطلبون منه الذهاب معهم حتى يرجعوا إلى ديارهم، فبعد حين ودعهم ودعا لهم راجيًا أن يرجعوا إلى ديارهم، فيتلقون رسالة من الشعيبيين يطلبون منهم أن يرجعوا بسرعة، لأن الخلاف وقع بينهم وبين آل أهبول كثيرًا، ثم قال لهم بعد ذلك رسول آل أهبول كذلك، فاستشاروا برسول منهم سيدي يوسف إلى أي فريق يذهبون من الفريقين، فأمرهم أن يكونوا مع المظلوم من الفريقين، فكانوا مع الشعيبيين فبذلك رجعوا فرجحت

كفة عمرو الشعيبي حتى ملك كل أقا لا تعلو فوقه يد.

ومما يتعلق أيضًا بهذه الناحية الواقعة التي كانت في 1225هـ المسماة بوقيعة (أكْمامو) وسببها أن بعض (آل أومريبط) كانوا وقعوا على حي من أحياء البربر الرحالة ممن يقطنون إن رجعوا من الانتجاع جبال (أيت عطا) ففتكوا بهم فتكًا وكان ذلك في أيام أعراسهم فأخذت النساء البربريات يدرن في قبائل تلك الجبال حتى اجتمعوا في جيش لجب كثيف، فيه آلاف مؤلفة، فقصدوا منازل آل أومريبط، فيقعون عليها، وامتدوا إلى أن قاربوا واديًا، فاجتمع لهم آل أومريبط ومن معهم في شعب أكمامو على ثلاثة مراحل من أقا تقريبًا، وقد علموا أنهم لا بد أن يمروا بتلك الناحية في وقت عرفوه، لأن البربر بعدما غنموا، قفلوا يمشون مشيًا وئيدًا، ولا يحسبون حسابًا لأحد، فأرسى آل أومريبط هناك وملأوا معقلًا صغيرًا على جانب من جوانب ذلك المخرم، فلما اندفع البربر في المخرم خالطهم آل أومريبط فكانت معركة عظيمة استأصلت غالب أيت أومريبط حتى إنه ليموت في دار كل رجالها، ولا يدرون الوارث من الموروث، وقد هلك من البربر أيضًا مثل ذلك فانهزم آل أومريبط بعدما فضت بكارتهم وغنم كل ما معهم، فكانت من الوقائع التي تؤرخ بها أهل هذه الجهة، وقد رأيت هنا الآن من كان يعقل في ذلك الوقت.

ومما يتعلق بهذه الناحية أيضًا أن القائد محمد بن يحيى اغناج أرسل قائدًا من أصحابه سنة 1226هـ إلى هذه النواحي بأقا فوطئها، ثم قدم اغناج نفسه إلى طاطة، فنزل في القصبة المخزنية القديمة هناك، والقائد الذي مر هنا بأقا من قواد اغناج يسمى عند الناس مهابر.

وفي سنة 1227هـ تبعه سيدي الهاشم بن علي الإيليغي فقد تقفى آثار اغناج وقد جاء من الجبال إلى طاطا، هذا وقد أخبرني ثقة بأن الفقيه أحمد بن عمر من تيزكي اداوبلول، رأى مقيدًا أن القائد جؤذرا قائد أحمد الذهبي السعدي حين رجع من السودان بأسارى تنبكتو الشيخ بابا وإخوانه، مرّ في هذا الطريق فنزل في بسيط تلولين وسط (أقا) بقرية امسكْدف التي خربت الآن فاجتمع صبيان القرية على الشيخ أحمد بابا، وهو مقيد، وشفتا الشيخ كبيرتان

فصاروا يخزونه بالشوك في شفتيه فأجال فيهم عينه فرآهم كالجعلان قبحًا وسوادًا فقال: والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدًا، قيل فدعا عليهم بدعاء ظهرت تأثيراته في أهل القرية بعد.

وهذه القرية خربها سيدي الهاشم في الوقائع المذكورة قريبًا، كما خرب اغناج بعض قرية اداوبلول.

ثم إن رئيس الزاوية المباركية زارني في دار القاضي وهو الهاشم بن عبد السلام بن أحمد بن عبد محمد بن أحمد بن محمد بن مبارك بن الشيخ عبد الله ابن مبارك وآباؤه هم الذين تسلسلوا في التقدم على الزاوية التي خرجت عن معناها الأصلي من أزمان فلا علم ولا تدريس ولا إرشاد.

أولهم مبارك بن عبد الله الذي كان نازع ابن عم له في الرئاسة حتى سلم له الآخر فانحاش هو إلى إخوانه في أݣادير أوزرو فبقي مبارك وحده ما شاء الله، وأخباره مع ابن عمه في «المعسول» عند ذكر أهلهم[1]، ثم ولده محمد بن مبارك ولعل هذا عند انتهاء القرن الحادي عشر أو أول ما بعده، ثم عبد الله بن محمد ولده ثم مبارك أوبلا، أي ابن عبد الله وهو الذي تولى تلك الحرب التي أجلى فيها إخوانه من أݣادير كما تقدم في ذلك المكر العظيم، وقد رأيت رسالة لفقيه يسمى العربي بن محمد بن أحمد السندالي وله خط جميل رائق وقد حافظت الأسرة على هذه الرسالة تبركًا بها ونص ما يحتاج إليه منها.

سلالة الأبرار ومعدن الأسرار محبنا الصدوق وودودنا الخلوص المرابط سيدنا مبارك بن سيدنا عبد الله الأقاوي من ذرية الشيخ المبارك الولي الصالح سيدي عبد الله بن مبارك سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فإني أحمد الله الذي لا إلٰه إلا هو وأصلي على نبيه محمد وآله، فما ذكره سيدنا من كتب سلسلة أشياخنا وسندهم في الطريقة فهو من أهم المهمات، ومن الأمور التي ينبغي للمريد الاعتناء بها، إذ أشياخ المريد آباء له فيتأكد عليه معرفتهم ليعرف بذلك رحمه فيحبهم ويتوسل بهم ويدعو لهم ويزداد بهجة وسرورًا وفرحًا وحبورًا فأعلم سيدنا نفعك الله ونفع بك أن ترتيب شيوخ طريقتنا مما أرسمه

---

(1) في (القسم الخامس).

إليك إن شاء الله تعالى، نسأله أن يجعلنا وإياكم ممن نال بركتهم دنيا وأخرى وأسكننا وإياكم معهم جميعًا وختم علينا وعليكم بالسعادة والرضوان وأدركنا وإياكم من عنايتهم خير الدارين.

أخذ شيخنا الولي الصالح القطب الناصح العارف بالله أبو علي سيدي حسين بن محمد بن علي بن شرحبيل البوسعيدي عن شيخه أبي العباس سيدي أحمد بن محمد بن ناصر (فساق السند وهو معلوم) وإنما سقت هذا ليعلم القارئ أن مباركًا وإن ارتكس في المهاوش والنهابر[1] فإنه لا يزال يتذكر طريقة أهله من الانحياش إلى الخير وأهله.

ثم محمد بن مبارك ولده، ثم أحمد بن محمد مات قبل 1214هـ بل قبل ذلك بقليل، ثم محمد بن أحمد ولده 1253هـ ثم أحمد بن محمد توفي 1301هـ ثم عبد السلام بن أحمد توفي 1326هـ.

ثم أخوه الصغير توفي 1346هـ وهو الذي يوجد قبره شرقي قبر الشيخ سيدي عبد الله بن مبارك. وهو مجصص ثم منيع بن عبد السلام توفي 12 ربيع الأول 1361هـ وهو أخو هذا الذي كان يحكي لنا الآن، وقرية الزاوية فيها نحو 45 كانونًا، وتقام فيها الجمعة على قلة أهلها والجامع الموجود الآن في القرية فيه أربعة صفوف وقد كان الجامع موجودًا في عهد الشيخ سيدي عبد الله ابن مبارك وأما المدرسة التي كان يدرس فيها سيدي محمد بن مبارك ثم حفيده سيدي عبد الله بن مبارك فقد انهدت وجرفها السيل، وهما سيلان معروفان ثانيهما في 1261هـ وأولهما أقدم من ذلك العهد ويقول أهل الزاوية أن السيول الجارفة هي التي أتت على كتب جدهم التي حافظوا عليها، ولكن الحقيقة أن جهل الأحفاد هو الذي يأتي على كتب الأجداد.

كان نزولنا على القاضي من أول يوم ثم من هناك نزور القرى على البغال فنخرج من هنا إلى هنا وهناك، وقد بتنا عند القائد ليلة باستدعائه وما قصر جزاه الله بكل خير[2] وهو يبني رياضًا جميلًا متسعًا أفيح مونقًا لكنه لما يتمه

(1) يقصد بذلك الفتن.

(2) يوجد ذكره بين أهله في (القسم الخامس).

إلى الآن، وقد رأينا الزليج مهيئًا للزليج، وهو المحل الحضري الوحيد هناك من هذا النوع ولم أر بين كل ما رأيته في هذه الجهة مثله، حتى إننا لا نجد الكنف[1] في الدور، حتى في دار القاضي الذي رأى مثل ذلك في الحواضر، وقد عزم أن يبني كل ما يحتاجه الضيف في داره بتنبيهي له.

وما يتعلق بأقا أنه كان هناك قائد يسكن في تيزكي اداوبالول يسمى أوتشمير كان على ما يقول الناس في عهد بودميعة وكان يحكم كل هذه النواحي حتى الصحراء وإلى تاغازا وكان الحرس في تاغازا ربما ذهبوا من هذه النواحي، ونحن نعرف في التاريخ أن بودميعة قد ملك إلى ازيد من تاغاز كما بيناه في كتاب[2] إيليغ قديمًا وحديثًا.

ومما يتعلق (بأقا) أيضًا أن ايت جلال الذين يسكنون الآن في اقبابن وفي ايت عنتر كانوا يسكنون قبل في قرى أسفل أقا عن قرب وكانوا يذكرون هناك من أواسط القرن العاشر، وقد كانوا يفدون على الشيخ عبد الله الأعيرج، فيؤمنونه على صوفهم وعلى أموالهم في حصنه المنيع الذي بناه في أكادير اوزرو بل يقولون إن أمانتهم هي السبب حتى اتسع هناك في الأبنية، وبعد تقلص ظل السعديين نزلوا في اغرور وقد كان مركزًا للسعديين، ومنه يمتد طريق من طرقهم الصحراوية ولا يزال أثر سور المحل مع أبراجه إلى الآن ماثلًا، نزل فيه هؤلاء إلى أن انهدمت القرية في الوقت الذي تقدم في مقيدات محمد بن أبي بكر، فانتقلوا إلى مكان (اقبابن) وقد كان حصنًا صغيرًا قبل وقد كانت قراهم أربعة، (اقبابن) و(ايت بنج) و(ايت بولفضيل) و(ايت عنتر) كما تقدم وقد كانوا أولًا يعتنون باستنباط آبار يجعلون عليها حقيلات يحرثون عليها البقول ثم استنبطوا عينين فوق اقبابن منها ما يمتد إلى أسفل القرية، ثم غاضتا معًا فنخيل أسفل أقا الذي يسكنه ايت جلال كاد ينقرض.

ومجمل تاريخ أقا أن العمران كان فيه من قبل القرن التاسع مستفيض ولا

---

(1) يجب أن يعرف هذا عن سوس حتى في (تزنيت) فلم تعرف الكنف إلا أخيرًا في الدور وأما البادية فإلى الآن قلما تجدها إلا عند من ومن. ولكن الناس يتنبهون لمزايا أمثال ذلك الآن.

(2) لا يزال في مسودته.

يبعد أن تكون عمارته أقدم من القرن السابع إلا أن العمران إذ ذاك قليل فيه جدًا، ولم يتدرج إلى الترقي والتوسع إلا بعد خراب تامدولت والقرية القديمة هناك على ما شاع ثنتان فقط قرية إيرحالن وقرية القصبة، ومن القصبة نزح آل سيدي محمد بن مبارك الذين أسسوا الزاوية مفتتح القرن التاسع أو قبله بقليل قبل عهد سيدي محمد بن مبارك والذين أسسوا أݣادير أوزرو أواسط القرن العاشر ومن إيرحالن نزح الشعبيون الذين أسسوا قرية تاكاديرت 1144هـ وقبلها بنحو نصف قرن تأسست قرية ايت جلال منذ نزحوا عن قراهم من محل بعيد قليلًا من أسفل (أقا).

وقد كانت توزونين البعيدة من أقا بنحو 18 كيلومترات أو أزيد قديمة، كان يملك فيها آل الزاوية المباركية أملاكًا حتى احتلها آل أومريبط حوالي أواخر الثاني عشر وهي الآن قرية كبيرة لها سور بني في عهد القائد إبراهيم الأخير، وتصلى فيها الجمعة ويقطنها زهاء 300 كانونًا، وفيها نزل آل القائد بلعيد، وأول من نزل فيها على ما قيل الشيخ عبد الله من أجداده الأدنين، وقد كان والد القائد بلعيد يتردد بين (توزونين) و(تيزݣي ييريغن) وهكذا صارت هذه القرية مريبطية، وتوجد في جوار (تامدولت) وهي من المحلات التي ورثت هذه المدينة وقد شاع وذاع أنها كانت مبقلة آل تامدولت كما ذاع أن أقا لم يعمر عمرانًا إلا بعد خراب تامدولت وهذا واضح لأن ماء تامدولت أتى من أقا ولا يزال أثر الساقية بينهما واضحًا، كما رأيت رسمًا كتب 1196هـ فيه إصلاح ساقية لا تزال تحمل اسم ساقية تامدولت ولعلها هذه.

وأما عيون أقا الحية فتسع عيون:

1) عين أبي ذئب.
2) عين زيري.
3) عين ترݣالݣصر.
4) عين توحفيت.
5) عين أمغار.
6) عين إيمازيغن، أي الأحرار.

7) عين أسوقين أي الحراطين.

8) عين توشوت.

9) عين تيخريت.

هذه هي العيون الموجودة الآن حية وأما القديمة المندثرة فكثيرة وآثارها واضحة منها العين القديمة التي كان الشيخ سيدي الحسن التيمكّيدشتي اتفق مع أهل أقا أن يخرجها لهم، فيعمل فيها برجال قرى أقا مناوبة، حتى جرى بعض مائها، وكان الشرط بينه وبينهم أن يكون له بعض مائها مع أرض تكفيه فإذا به يومًا أرسل بغتة إلى الناس فاجتمعوا عند قبر سيدي عبد الله بن مبارك فودعهم فذهب مريضًا، فبات في (تيزكي اداوبالول) فأدركه أجله في أيت الحاج في اليوم الثاني، وقد وقع أن مقدم الزاوية المباركية غار من فعل الشيخ سيدي الحسن الذي استمال الناس من الأقاويين إلى زاوية (تيمكّيدشت) حتى نسوا زاوية آل سيدي عبد الله بن مبارك، فذهب بمفرقات الأجزاء من المصحف فنشرها على قبر الشيخ سيدي عبد الله بن مبارك، أو على قبر جده سيدي محمد ابن مبارك (الشك مني الآن وهو يصيح على الشيخ في قبره، والله لئن لم يظهر عربونك في هذا الرجل لأرمين بعظامك في الوادي، فكان ما كان). وللأرواح أعاجيب، والقصة صحيحة متواترة والله وحده هو له التصريف في كونه.

تامدولت:

ركبنا إليها من مركز الحكومة هنا في سيارة رئيس هذه النواحي، ولا سيارة هنا نستغني بها عن سيارته وقد كان يسمع بي فتلقاني أحسن لقي وتغدى معنا عند القاضي في تاوريرت 13 شوال يوم الأربعاء، فذهبنا في بسيط كالراحة حتى سلكنا بين اكمتين، فخرجنا عن الطريق المنكوسة، فاعتسف بنا السائق بالسيارة إلى اليمين، والأرض وإن كانت فيها بعض أحجار صغار إلا أن السيارة تقطعها بلا مشقة كبيرة فتنتكب كثبانًا صغيرة من الرمل، حتى وصلنا قرب أكمة ناشزة يظهر من أعلاها بناء مشعث، وقبيبة صغيرة، فنزلنا فمشينا على أرجلنا فتسلقنا كثبانًا تدور بالأكمة من الناحية التي قدمنا منها، فوصلنا حمل البناء في نشز من الأرض فوقفت أتأمل وأنا أستدير من هنا إلى هناك،

حتى عرفت أن هذا البناء ليس ببناء تامدولت القديمة قطعًا بل هو حصن مخزني محدث لأن له بروجًا من الأرباع على قدر متسع الأكمة وقد وجدت محلًّا لا يزال فيه الحائط سليم الأساس، فبشرته فوجدت في عرضه أحد عشر شبرًا والبناء باللوح الذي لا يكون إلا من التراب وحده، إلا أن البناء الحجري يحاذيه في جانب الحائط من أسفله إلى أعلاه ليقيه من الأمطار، لأن أرض هذه الجهة غير متينة التربة، بل يغلب عليها الرمل فأيقنت صدق ما أسمعه ممن هم عارفون من أن تامدولت جدد بناؤها ثانيًا، ولا ريب أن هذه القصبة هي التي بنيت أخيرًا في عهد السعديين وقد عرفنا أن أحمد الأعرج السعدي كان نزل هنا نحو 932هـ كما في «روضة التحقيق» وكان مؤلفه سماه غلطًا أحمد الذهبي، مع أن هذا ربما لم يولد بعد وما بويع إلا في سنة 986هـ فلا شك أن هذا البناء من ذلك العهد، والبناء مخزني مما نألف مثله في القصبات المخزنية، وهذه القصبة غير ضيقة ولا متسعة جدًّا، بل هي إلى الصغر أقرب، وفي وسطها قبيبة ساذجة صغيرة على من يسمونه سيدي الشنواني، وبعضهم يقال إن اسمه محمد ابن عبد الله، وبعد ما رأينا ما هناك ونحن نمشي بين الرمال الكثيرة في هذه الجهة نزلنا شرقي القصبة فوجدنا ما يتساقط من الحديد عند صنعه وتسخينه (وهو ما يسميه العامة خبث الحديد) متراكمًا هناك مع انتشار ما تراكم هنا وهناك، وهو كثير، ومما يدل على كثرة عمارة مرت في المحل وقد تأسفنا على عدم وقوفنا على أثر من آثار المدينة القديمة وقد تحققنا أن تلك الأكمة لا تحمل موضع المدينة القديمة لأن ما فوقها غير متسع، ثم أخبرنا بعد رجوعنا عارف بالمكان فذكر أن محل المدينة وراء الأكمة، ولا تزال رسومها بادية للعين إلى الآن، ومحل الأبنية هناك متسع الساحة وهكذا فاتنا أن نقف على محل المدينة الأصلي بموقعها حين كان هناك، وحين رجعنا رأينا قرب ذلك المكان ما يدل على أنه حرف قناة للماء فوقفنا نتأمل ذلك ما شاء الله، وقد تذكرت هنا ما كان يقال من أن حوالي هذه المدينة بساتين كثيرة، فسألت عن ذلك فذكر لي بعض المسنين أنه يعرف هناك بعض نخيلات قليلة انقرضت الآن، كما ذكر أنه يعرف ساقية كبرى واسعة تمتد من أقا إلى تامدولت كما يظهر من أثرها الآن، وقد ذكر أن إزاءها مطاحين مائية وقد وجدنا ساقية لماء

السيل من وادي أقا كما تشتغل بها الحكومة الآن لجر المياه من السيول إلى بسيط قريب من تامدولت ليتمكن الناس من الحرث القريب لبعد (المعدر) عن ضعفة الناس وقد رأينا رئيس المركز مجتهدًا في التمهيد لهذا الماء من أسافل قرية تاكاديرت من أقا وكان هذا الرئيس ذا عناية بمثل هذه الفوائد العمرانية وقد رأيت ساقية أخرى عميقة حفرها فوق أكادير أومغار، إلى ما فوق القصبة تسقي بسيطًا هناك فإن تمت كل هذه الأعمال ولم يمنعها التراب الذي ينهال كالرمال في جوانب السواقي، فإن ذلك سيجدي نفعًا كثيرًا في فلاحة هذا البسيط.

وهذه المدينة من آثار الأدارسة بناها عبد الله بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط وقد كان واليًا على كل سوس لأخيه أمير المغرب محمد بن إدريس وكانت إمارته من سنة 213هـ إلى سنة 230هـ فيكون تأسيس المدينة حوالي 220هـ وقد ذكر البكري من أهل أواسط القرن الخامس الهجري أن المدينة لها أربعة أبواب وفيها حمامان، وفيها سوق حافلة نافقة البضائع وأن ماءها يأتيها من جبل بينه وبين المدينة أميال قليلة واحسب أنه ذكرها ستة أميال، وإن على ذلك الماء مطاحين، وأن هناك إزاء المدينة بساتين وعمرانًا وحقولًا وأن الأرض هناك جيدة التربة، تعطي المائة عن واحد هذا ما في بالي الآن مما ذكره البكري وأنت ترى أن كل ما ذكره من مجيء الماء من الجبل وأنه غير بعيد وأن على الماء مطاحين وإن إزاء المدينة عمرانًا وبساتين كل ذلك تصدقه الآثار اليوم، مع ما يتداوله الناس في أسمارهم مما تقدم كله، وأما الأرض التي ذكر انها جيدة فكذلك، أولا ترى المعدر الذي هو من أحوازها فإنه قد ينتج أكثر من مائة عن واحد، وعادته أنه متى فاض فيه السيلان حتى يروى ريًا تامًا فإن الحرث فيه إن سلم من الجائحة السماوية كالجراد وكالسيول الطامة مضمون بلا ريب عند كل من جربوا ولا يحتاج بعد إلى ري آخر إلا إذا حرث قبل إبان الحرث في أول الخريف حيث لا تزال الحرارة تشتد فإنه يحتاج بعد إلى مطر آخر وقد حكى لي من حسب من جذور حبة واحدة هناك 170 سنبلة هذا ما شاهده الراوي بعينه وهو ثقة ثم إن الحصاد هنا يبكر ولا يمكث أكثر من خمسة أشهر وهذه الأرض التي تسمى

بالمعدر هو مسيل واسع يسيل إليه الماء من جبال الأطلس المتوسط بعد المطر وقد تكون الأمطار في تلك الجهات الجبلية والصحو في هذه الجهات إلى وادي نول والذين ينتجعون منتشرون بخيامهم ومواشيهم في ذلك البسيط الذي تغمره السيول، فسرعان ما تفجؤهم السيول المتموجة فتجرفهم وقع مثل هذا كثيرًا في السنوات الأخيرة ومنذ بضع سنوات جرى مثل هذا في (معدر أداولگان) أمام تاغاجيجت، وكاد يقع مثله في السنة الماضية وقت الحصاد في (معدر تامانارت) والناس منتشرون ليلًا إذا بمبادئ السيل فتصايح الناس فأفلتوا إلا قليلًا من البهائم، على أن السيل لو كان كثيرًا جدًّا لطم على الناس فلا ينجو منهم ناجٍ.

طاطا:

ركبنا بعد العصر والأصيل جبل (باني) بأنواره، والنسيم العليل يلاعب رؤوس النخيل ببنانه الرخصة، ونحن خمسة السائق ورفيقي سيدي محمد التناني، وطبيب أجنبي وعون من أعوان الحكومة وأنا الكاتب، فقطعنا بسيطًا تتخلله أكمات صغيرة، ومسايل ماء غير عميقة وشجر الطلح عن يمين وشمال منتشر كما كانت البسائط من تامانارت إلى أقا وقال أهل البلد: إن هذا الشجر وهو الشجر الوحيد في هذا البسيط،كان يابسًا من سنوات، وما استرد الاخضرار إلا بعد الأمطار الغزيرة في هذا الخريف ولذلك نرى أشجاره قامئة غير عالية، وقبل غروب الشمس صرنا نمر بقرى طاطا السفلى، فلم نمر إلا بقريتين حتى وصلنا (توكْ الريح) حيث دار القائد محماد المسمى (أبا النعيلات) الدوبلالي فتعرض للسيارة الفاضل سيدي العربي ابن سيدي أحمد الفقيه الركني الذي كان ينتظرنا هناك منذ عشرة أيام لأننا كنا على اتفاق على زيارة بلادهم هذه منذ كان عندنا في رمضان فبتنا عند أصحابه من عرب (إداوبلال) في علية له وفي الليل طاف بي البرغوث فتذكرت أبياتًا كنت قلتها، وقد بت مع والدي الأستاذ[1] سيدي سالم الرحماني في دار الشيخ ابن الهرم في قرية (الركائبات) في قبيلة الرحامنة إزاء ابن گرير 9- 3- 1355هـ.

(1) هو اليوم قاض كبير وفقه الله.

يـا لـلـرجـال لـبـرغـوث ألـم بـنـا ... وخـزًا كـمـا شـك قـرن قـرنـه بـقـنـا
من مفرق الرأس للأقدام مطعنه ... لـم يـحـتـرم جفن عين لا ولا أذنًا
بـتـنـا وأظـفـارنـا أظـفـار ذي جـرب ... حـكـا نـكـاد بـه أن نـسـلـخ الـبـدنـا
جنبًا لجنب سهرنا في مضاجعنا ... كـأنـمـا نـتـقـلـى مـن تـمـلـمـلـنـا
مـا لـيـل أرمـد إلا لـيـل ذي عـرس ... في ليل من بات بالبرغوث ممتحنا

وفي الصباح أتى إلينا القائد الحسين بن القائد محماد فسار بنا إلى داره وقد كان العشية في صرم نخل بعيد فلم يرجع إلا في وقت العشاء فأرجأ اللقاء إلى هذا الصباح المبكر فدخلنا إلى قبة عالية سنية ذات رواء ومنظر حسن تشرف على نخيل كثير تحتها، والقرية مبنية فوق هضبة منيعة ولها سور وبابان، وذلك لأجل الحروب التي لم تكن تهدأ إلا بعد الاحتلال.

جاء القائد محماد فبدهني منه أنه في زي هؤلاء الأعاريب الذين يسوقون الجمال في الطرقات وهو مسود الثياب، ملتثم بلثام أسود والرجل يظهر أنه ساذج قليل الكلام، خال من التصنع من الجيل الماضي زيًّا وعقلية وكل شيء، وقد سألته عن نسبه فقال محماد بن علي بن حماد بن أبي النعيلات ولا يعرف أكثر من هؤلاء، ولم يتول الرئاسة إلا أبوه فقط، حتى رئاسة القبيلة المطلقة، لم تكتب في أجداده حتى نشأ والده، فما زال شأنه يسمو حتى نال القيادة الرسمية.

قال القائد إن قبيلتهم حين أرادوا أن ينحاشوا إلى العمران بنوا قريتين أسافل طاطا تسمى إحداهما (إزغران) وثانيهما (مكٌردان) و(إداوبلال) على قسمين (مكراز) و(حيان) فحيان في القرية الأولى، ومكراز في الثانية، إلا أن مكرازا لم يبطئوا هناك، فرجعوا إلى الخيام في الصحراء، وحيان بقوا هناك حتى اندغموا في طاطا حين طالت إيديهم على كل قراها بعد حروب كثيرة، وكانت الحروب لا تهدأ بين مكراز وحيان إلى الأيام الأخيرة، وكان (أيت باهني) فرقة من حيان كانوا أغاروا على قافلة من أولاد عبد الله بن سعيد أهلنا فتشتتوا فقال الناس أنهم مما فعلوه بأولاد ذلك الشيخ.

وقد توفي القائد علي في ربيع الأول 1314هـ في حرب بينه وبين مكراز

وهو شيخ مسن حين مات، وقيادته أخذ ظهيرها من عند مولاي الحسن في (وادي نول) 1303هـ كما توصل بالظهير أيضًا القائد أحمد من فريق مكراز والقائد محماد هذا ولد 1287هـ وولده القائد الحسين المتصرف الآن بين يدي أبيه، ولد بعد موت المولى الحسن، وهو متوفى أواخر 1311هـ، وكانت ولاية القائد علي على إخوانه حيان فقط، وأما مكراز فقائدهم أحمد بين الحبيب لكنه أبله على ما يقال فإنه بمجرد ما أخذ الظهير والفسطاط والفرس، وهي التي تعطى للقواد عادة عند توليتهم باع الفسطاط فاشترى به زريبة ولم تكن الحروب تهدأ بين الفريقين ولو يومًا، إما في المنتجعات في الصحراء وإما في قراهم، وبذلك تفانى الفريقان، ولم يزل الحال على ذلك حتى غلب القائد هذا الحي مكرازًا فشتتهم ووطأهم فجمع كلمة القبيلة (أداوبلال).

و(طاطا) لم يمهدها لحكمه إلا في عهد الاحتلال، وذلك في الوقت الذي طلعت فيه جيوش الحكومة إلى (إيغرم) فقام هو من جهته فكاد يجلي غالب قرى طاطا حتى وطأها فأسلس الجميع لقيادته إلى الآن.

واداوبلال قليلون جدًّا، ولم يبق فيهم بالخيام إلا نحو مائة كانون، وقد التحقوا بالقرى أو ببلدان أخرى كـ(رأس الوادي) والحوز والغرب.

ومن حكومة هذا القائد (تيسنيت) و(أيت جلال) الأعراب، وقد سمعت بعض الناس هناك يقول: إن القرى التي تحت يده تناهز 43 قرية فيها من طاطا زهاء 30 قرية وستة من تيسينت وما إليها، وقرية (افانيت سيدي) وقرية (تامزييت) وقرية (تغيت) و(قصبة إنگارف)، وأولاد جلال تكون خيامهم هي الباقية الآن في هذه الناحية زهاء مائة وخمسين خيمة، لأنه وقع لهم ما وقع لاداوبلال، وقد سمعت القائد يقول: إن خيام إداوبلال كانت تناهز 2000 والآن لا تبلغ أزيد من مائة، قال: وذلك من تعديهم على الناس، ووقت امتداد الحكومة إلى تلك الناحية 1347هـ وبعد ذلك بسنتين بنيت الثكنة العسكرية مركز الحكومة ومن ذلك الحين تمكن القائد محماد إلى الآن.

نزلنا في تلك القبة، فدلف إلينا القائد المسن، فظلت أسائله فأخذ يحكي ما تقدم عن أهله، وأعجب ما في القائد صراحته، فقد سألته أيوجد علماء في

طاطا من غير سيدي إبراهيم القاضي فقال بكل سذاجة، وهل سيدي إبراهيم عالم، بل هو من بابتنا ومن أماثلنا، فجعلت أرده عن ذلك صيانة لمنصب القاضي فقال: إن الفقيه هو الذي يتفنن في العلوم، ويوجد عنده كل ما يتوقف عليه من أي علم، فعجبت من مصادفته للحق، وإن كنت آسف أن يتكلم في القاضي.

ثم قال: كان عند أهلنا في عهد والدي فقيه يسمى المهدي من الأنصار وكان عالم القبيلة في الشريعة، ثم خلف أولادًا ليسوا في مسلاخ أبيهم، فيقول والدي إنما هم أولاد الفقيه لا فقهاء، فصار الوالد يراسل (تاجاكانت) في (تيندوف) في مسائل الشرع وقال وكذلك أهل (زاوية الهناء) فإن آباءهم علماء بلا شك وصلحاء وأولياء واتقياء، ونزهاء قد يحاربون في تنفيذ الشرع، وهكذا يكون العلم معرفة وتنفيذًا، وأما أولادهم فليسوا كذلك، وقد سألته عن ظهائر والده وظهائره هو، التي توصلوا بها من السلاطين، فقال إنها في دارهم بقرية (جباير) حيث مخازنهم، وكانت زاوية قبل لسيدي أحمد بن علي، وسيدي أحمد هذا دفن هناك في دائرة حائط، ووالده علي عليه قبة رأيناها من مبيتنا، وهم عمريون يتزاورون دائمًا مع الشرقيين في (أبي الجعد) بتادلا، وقد ذكر لي أن عندهم مشجر أنسابهم، ولو كان تيسر لنا أن نبقى هنا لفتشنا عنه.

ودعنا القائد بعد أكل الطعام وكان طعامًا أنيقًا حضريًا، لم أر مثله في كل ما رأيت تحت جبل (باني)، فإن هذا الطهو حضري، ولا شك أن لاتصال القائد هذا مع القائد محمد بن إبراهيم التيبيوتي تأثيرًا في ذلك، وصحبة هذين القائدين أكيدة مستمرة، تشاركا في أملاك كثيرة في (تارودانت وأݣادير ومراكش) وفي أرض أخرى برأس الوادي، وللقائد محماد ثروة هائلة متسعة إلى الغاية، فعنده من المخزون ما تنوء مفاتحه بالعصبة أولي القوة مع ملكه لغالب نخيل طاطا وتيسينت وأملاك كثيرة بوادي درعة في (المحامد) وهناك عنده دار كبيرة أرسل إليه صاحبه في هذه السنة بأن الدار قد عمرت بالتمر، وقد اشتريت دارًا أخرى وهذه الثروة كلها لا يزاحمه في مثل كثرتها أحد، تحت جبل باني، مع أنه كما تراه متواضع مسكين، رث الهيئة لم يتسع لا في البناء ولا في غيره، ولا خدم له ولا أعوان، وكان ولده الحسين هو الذي يأخذ من

الخادم الطعام فيمده لنا ولا خادم خاص لذلك، وهذا عجيب من مثله وقد حصل من خصب المعدر في السنة الفارطة أزيد من ستين ألف عبرة من الحبوب وعلى هذا فليقس، وليس له من الأولاد إلا الحسين، وهو أيضًا بزي الأعراب كأبيه، وله من أخلاقه إلى أمد بعيد ولا فخفخة فيه ولا تعجرف ويستحي كثيرًا من أبيه، ولا يتخطى أمره ولا نهيه وله آخر من سرية رأيناه كالزبيبة سوادًا وقد ألزمه حفظ القرآن الكريم فقيده بكبل في مسجد (القصبات) ولكن لم تظهر فيه فائدة لمراهقته مع أنه لا يزال في حزب (قل أوحى) زيادة على دعارة منه (ثم سمعت بعد هذا الوقت أنه حاذق في الأعمال والأشغال وأنه رجل الدار) وكان القائد محماد يحب الأخيار وله مع الشيخ سيداتي الجاكاني محاسنة كثيرة فقد أرسل إليه يومًا ألف ريال في عاشوراء فتوهمها سيداتي من الزكاة فردها فأرسل إليه من غير الزكاة، ويقول أهل طاطا أنه لا يتعدى على الناس ولا يترامى على أموالهم ولا يلزمهم غرامات كأمثاله القواد، بل ربما يفرق على الضعفة أحيانًا حبوبًا كثيرة إعانة لهم، ومجمل القول في حاله أنه أفضل من كثيرين غيره في كل أحواله، وفقه الله لكل خير، وقد وصلتنا وفاته بعد هذه الرحلة في إحدى الجماديين 1363هـ (كما استشهد ولده القائد الحسين في زلزال أݣادير بعد ما تولى في مكان أبيه، ثم عزل ثم رد بعد الاستقلال، ثم وقف إلى أن مات).

زرت مسجد القرية فوجدته ضيقًا لا يزيد على ثلاثة صفوف فقط، وهو مظلم قديم البناء مع أنه إنما أحدث بعد آخر رأيناه منهدمًا خارج السور، وهو أفيح كما يظهر من آثاره، وكان مسجد أيت الطالب موسى، أجلاهم الدوبلاليون وشيعتهم من الشلحيين فسكنوا في محلهم فبنوا هذا المسجد الحديث، وقد نزلت من عند مستودع سيارة القائد إلى مجمع ماء هنالك، فوجدته صهريجًا مملوءًا بالنبات والماء غير كثير مع أن النخيل الذي يرويه يظهر أنه كثير وهي عين دائمة لا تغيض، وهي التي تسقي هذه البساتين الكثيرة.

خرجنا من القرية بعد الضحاء العالي فمررنا بـ(قصبة أغناج) المبنية نحو 1227هـ، لأننا رأيناها كقرية عن يسارنا فوجدتها كما وصفت لي، وهي على ضفة الوادي وتنبع عين (تكْسلت) تحت (القصبة) وقد دخلت إلى أوساط القصبة

من بابها الوحيد، وأمام الباب هو الذي ليس فيه وحده الخندق، والقصبة متوسطة ويقل ما بقي من جدرانها العليا وتسامتها أطلال (تيتي) قرية خربت 1332هـ على يد القائد محماد وشيعته (تاكُوزولت) وقد تولى كبر ذلك آل قرية (تيكلست) وقد تراجع إليها سكان قليلون، وهنا سوق لشيعة تاكوزولت كانت تقام يوم الخميس ضد أسواق أخرى في قرية (أديس) تقام أيضًا يوم الخميس وهذه لشيعة (تاحكّات)، وهذه السوق الأخيرة يقال إنها قامت على يد الشيخ محمد بن يعقوب التاتلتي، فكانت سوق (تيتي) كالمسجد الضرار، فلذلك عجل آل تاحكّات بتخريبها، وليعلم القارئ أن آل (طاطا) ككل قبائل سوس منقسمون فريقين إلى شيعة (تاحكّات) وشيعته (تاكُوزولت) وكان إداوبلال من تاحكّات وأيت جلال من تاكُوزولت فلم تكن تفتأ الحرب بينهما حتى تغلب أخيرًا فريق تاحكّات فاستولى القائد محماد بانبساط يد الحكومة في الوقت المذكور على الجميع فتناسى الناس هذا الانقسام فكان ذلك من بركة الاحتلال إن كان للاحتلال بركة.

طلعنا مع الوادي نمر بالحقول فإذا بعدل من عدول طاطا يسمى محمد بن عبد القادر، فقال لي سيدي العربي أن له خبرة بهذا البلد فسلمنا عليه ورحب بنا وقادنا إلى دار له فيحاء في غرفة أنيقة، وهو من أسرة ذات ثروة في قرية القصبات فتوجهت أولًا إلى المسجد فوجدت مصلى حسنًا ذا صفوف ثلاثة، ولا يزال جديدًا فقد جدد منذ ثلاث سنوات فقط، وتقام فيه الجمعة، وإزاءه الزاوية الأحمدية وفيها كتب قليلة في خزانة بعضها مطبوع، رأيت من بينها العقد الفريد، وشرح التحفة والأنوار لابن جزي، ومصاحف وكتبًا في الطريقة الأحمدية وصاحبنا هذا هو المقدم فيها، ثم ظللت أسأله عن العلماء الذين مروا في طاطا فذكر لي من يأتون.

أبو بكر بن علي من أيت جامع من قرية تيتي، أخذ من فاس بعدما أخذ المبادئ في سوس وقد أبطأ في رحلته العلمية زهاء عشرين سنة حتى حسب الناس أنه ميت، فإذا به قد رجع، وقد شارط حينًا في تيكّيسلت وفي قرية (إميتك) في أحواز طاطا، ثم لازم داره يفتي ويقضي ويحكم، وكان لا يخاصم ولا يخالف أحدًا في النوازل، إلى أن توفي نحو 1310هـ وأبوه علي له أيضًا

نصيب في العلم كما كان أيضًا لأخيه نصيب منه، وهو محمد بن علي، إلا أنه أعلى منهما كعبًا وأفصح قلمًا ولسانًا، وهما يصحفان كثيرًا متى كتبا، وكلامه هو خال من التصحيف إلا غلطا.

محمد بن أحمد بن الحسن أزوكَّاغ من قرية أديس أخذ عن سيدي محمد ابن أحمد الايزنكاضي ولم يعده، وكان جوالًا في النوازل، له في ذلك شهرة فائقة، وكان حينًا في مسجد (أديس) وكان يعاصر المذكور قبله، ولعل وفاته في الوقت الذي توفي فيه قرينه، وهناك في تلك القرية أناس يسمون (أيت الهلائل) يقال إن أجدادهم كانوا علماء، ولكن لا يعرفهم الحاكي.

الحسن بن عبد القادر بن إبراهيم من (أيت باها) من قرية القصبات وهو جد الحاكي، أخذ عن الايزنكاضي، وهو وسط في المعارف، إلا أنه صادق اللهجة قويم السير، فبذلك فاق أقرانه، توفي نحو 1295هـ.

محمد بن أحمد الايزنكاضي الشهير الذي عرفناه من قرية (أقا إيزنكاض) التي يقول لها الموثقون (أقا الراحة) وهو من الشرفاء الخالديين وهم منتشرون في هذه الجهات وقد وجدت مكتوبًا في أصلهم من سلالة الأدارسة. وقد كان 1226هـ حيًّا حين جاء أغناج إلى طاطا وقد أمره أن يحكم بحكم ظالم جائر فأبى فأرسل إليه أعوانه عن غيظ، وهو ينوي البطش به، فحين وصله بردت ناره فلم يصنع له شيئًا، ويقول الناس إنه رأى منه كرامة انكف عنه بسببها وقد كان يشارط كثيرًا في مدرسة (تاكَّاركَّوست) فهناك درس وخرج كثيرين وكان داهية باقعة في العلوم، ويذكر عنه في ذلك العجب العجاب مع دين وورع وخشوع، والناس يأثرون عنه كرامات، ولم نجد وقت وفاته بالتدقيق، ومدفنه في حائط في قرية (أحجار) ومحرراته في النوازل يملأها بالأحاديث.

وأولاده ثلاثة، محمد الذي كان قاضيًا كبيرًا، وكان يشارط في (أماين) في مدرسة قبيلة (أيت سمك) فوق رأس الوادي، وهي زاوية لآل سيدي محمد بن يعقوب وله شهرة هناك ولكنه لا ينقطع عن بلده، فآثار قضائه بالأحكام المحررة بيده موجودة في (طاطا)، وفي (أماين) دفن، وممن أخذ عنهم أبو العباس التمكَّيدشتي، وكذلك إخوته، وقد كان في النوازل بحرًا.

والولد الثاني، عبد الرحمٰن عالم محدث نجيب أيضًا كأهله، اعتبط شابًا والناس يذكرون أنه توفي قبل والده، فبكاه والده كثيرًا حتى قيل إنه اختل عقله فحصل له ذهول زمنًا طويلًا ثم لم يتراجع عقله إليه إلا بعد حين وهو أيضًا من تلاميذ سيدي أحمد بن محمد التيمڭيدشتي.

والولد الثالث، أحمد كان عالمًا يذكر، ويلقب بـ(المصدر) وهو دون أخويه في العلم على ما يقول الناس، وهناك سبطهم عبد الحليم بن محمد بن بورحيم من (أيت موسى) من تلك القرية، وأمه عائشة بنت محمد بن أحمد، ولعله أخذ عن أخواله وكان ضريرًا تقيًّا فهمًا خاشعًا لله، توفي 1348هـ.

وكانت تلك القرية مثابة للعلم أزمانًا يدرس فيها ما شاء الله، حتى كانت هناك طوائف تفهم الفنون وإن لم تدرك الشفوف، وقد أخبرني غير المذكور أن أحمد والد سيدي محمد بن أحمد المذكور كان أيضًا عالمًا بلا ريب، وأصلهم من قرية (تيودقي) بين طاطا وإيليغ خربت اليوم والأسرة الإيزنكاضية من الأسر العلمية ولكننا لم نقف على تفصيل أخبارها إلا ما رأيته هنا.

عبد الله بن محمد بن الحسن من قرية (اغيرنزاص) من (أيت ياسين) ممن يذكرون بالعلم في عصره بالاتقان والتحصيل، وكان يشارط في مسجد قريته ولا يتعدى القرية، وكان يفض النوازل توفي 1346هـ في جمادى الثانية وقد أخذ عن الأستاذ علي الإبراهيمي السڭتاني.

الحاج أحمد بن موسى من قرية (تيڭان) من إحرضان وليسوا بأصليين في طاطا بل جاؤوا إما من إيسافن وإما من أقا. وقال ثقة أن هناك في إيسافن محلًّا ينسب لأحرضان، يقال له (تاوريرت إحرضان)، فأصلهم هناك وربما سكنوا في أقا قبل مجيئهم إلى طاطا، توفي 1336هـ.

قال الحاكي المذكور في سنة 1303هـ توجه آل طاطا إلى المولى الحسن في وادي نول، فعين لهم أربعة قواد، القائد علي حيان من إداوبلال، والقائد أحمد بن الحبيب على مكراز من إداوبلال، والقائد يوسف على تاڭوزلت من طاطا وهي قرى تلدنونت، وأيت ياسين وإنضفيان، وأڭجڭال وأڭادير الهناء وتيڭسلت، وأڭرزڭ ونيڭن، وأنغرف والقائد من أڭجڭال من أيت عبد الرزاق

وكان لينًا حسنًا في عهوده ومواثيقه، لا يغدر ولا يخيس ولا يبخل بماله على شيعته، يثني الناس عليه كثيرًا، وقد كانت ما شاء الله حروب بينه وبين جيرانه، من غير أهل شيعته، توفي نحو 1325هـ حتف أنفه.

والقائد حماد من قرية (تينتازارت) من طاطا وهو من شيعة تاحكَات المسماة في هذه الجهة بالسكَتانية، والقرى التي على هذه النحلة، القرية المذكورة و(تورسيلت) و(أديس) و(تيتي) وربما تغلب عليها النحلة الأخرى و(القصبات) و(أقا إيزنكاض) و(تيغرمت) وكان هذا القائد يحارب دائمًا، ولا بأس به، وكان أجداده أغنياء تجارًا ثم صاروا خلفاء السلاطين في هذه الجهات إلى رأس الوادي وكان منهم ابن الطالب الحسن المشهور، وهذا أقدم من القرن الثاني عشر، وربما كان في عصر بودميعة أو في عهد الذهبي، وذكره طنان في هذه الجهات وقد تقدم فيما قيده محمد بن أبي بكر الأقاوي ذكر لبعض أحفاده مما يدل على إمكان حزر عصره، ومات القائد حماد نحو 1316هـ حتف أنفه، قال الحاكي: ولم نعلم من له سلطة مخزنية هنا من وقت ابن الطالب الحسن إلى وقت أغناج، ومر ذلك الوقت إلى 1303هـ فوقع ما تقدم، وأغناج اسمه محمد بن يحيى من إغناجن الحاحيين كان خليفة القائد عبد الملك بن بيهى على سوس من نحو 1225هـ إلى ما بعد 1232هـ في عهد مولاي سليمان، ومكان طاطا بسيط في أسافله انتشرت هناك القرى، وكل قرية بعينها ونخيلها، والغالب أن يكون في أسفل طاطا بسيط أجرد يفصل ما بين القرى، ومن قصبة أغناج إلى ما فوق اتصل النخيل والقرى، والجمع في المساجد هنا 12 في مجموع ما يقارب 30 قرية كلها متقاربة وأكبر هذه القرى أكادير الهناء، ثم أكجكَال ثم أديس، ولا مدرسة قديمة في كل طاطا إلا في أكادير الهناء، حيث يدرس العلم في أواخر القرن الثاني عشر إلى ما يقرب من هذا العهد، وغالب القرى تكون لها عين واحدة والباقيات لها عينان عينان ربما يكون في الأسافل كلها عينان لجميع القرى أو ثلاث.

ولطاطا منظر بهيج فإنها فيحاء عامرة بالنخيل وبالحقول وهي مستوية حتى تدخل مخرم الوادي الذي تطل منه على مركز الحكومة.

خرجنا من القصبات وهي ثلاث متقاربة، واثنتان تعدان قرية واحدة، فمررنا عند المخرم بصهريج عين كان مغمورًا بالتراب أزمانًا، ثم استخرجتها الحكومة فيجتمع ماؤها في ذلك الصهريج فتأخذ الحكومة ما شاءت وتفرق الباقي على الناس، وقد مررنا أسفل ذلك على حقول استجدها الناس، إلا أن العين تتناقص بسرعة، وقد كانت العين قديمة، وسرعان ما ينضب ماؤها، وتحتاج دائمًا إلى من يتفقدها، وفوق الصهريج (إغيرنتلدنونت) قرية مخربة الآن، ولم يبعد زمان خرابها، ثم دخلنا إلى فسيح فوق المخرم، وكله نخيل متفرق وعن يساره (تلدنونت) وهما قريتان، وهو مسقط رأس الفقير سيدي إبراهيم الطاطائي من أصحاب والدنا وكان متجردًا أزمانًا، وقد حكى لي خوارق وقعت له مع الشيخ وكان من المسمعين في حلق الذكر، توفي 1361هـ وقد جاءه أجله في (تيكْمي نتالاغت) برأس الوادي ثم ذهبنا قدمًا فتركنا أيضًا (أيت ياسين) وراءنا على اليسار ثم بانت لنا ثكنة الحكومة القديمة وهي على رأس أكمة مشرفة على تلك الجهات وهي حصن منيع مسور ثم بدا للحكومة فبنت في سهل تحت الأكمة.

استدرنا مع الطريق بالأكمة فإذا بمركز الحكومة وحوله بساتين مخضرة وأمامه إلى جهة الوادي السوق فدخلنا إلى المركز فأبطأنا فيه ولم نخرج إلا بعد زمان، ثم مررنا بدكاكين التجارة، وما يمكن أن نراه فيما حوالي المركز ثم مررنا بالسوق كلها فرأيتها من أفضل الأسواق فيها صفوف حوانيت وأقواس مستديرة وأخرى حيث يجلس المتسوقون بسلعهم إذا اشتدت الحرارة، ومحكمة القاضي في صف من تلك الصفوف، ولهذه السوق شبه بالقيساريات الحضرية، ولها أبواب عالية خصوصًا ما انفتح منها إلى الشمال فإنه شاهق البناء كأنه باب قلعة عالية، وقد انفتح إلى السوق باب المستشفى، وقد ذكر لي أن هذه السوق كانت موجودة قبل الحرب، فهي طافحة بالسلع مملوءة الدكاكين في وقت إقفار غيرها منها، وقد كان في نيتنا أن نزور زاوية الهناء التي طبقت شهرتها كل جوانب سوس، ونحن نراها بمرأى منا، إلا أننا حين أبطأنا في المركز بدا أن المصلحة أن نصمد إلى الطريق التي نقصدها بالسفر، وهذه الزاوية الآن تحت يد القاضي سيدي إبراهيم، ولم نصادفه في البلد، لأنه كان في (تاكموت) على

قسم تركة بين أناس، وقد كان هو الذي اعتمدت على أخباره في هذه النواحي وذلك مقصدي في طاطا، وحين لم أصادفه عولت على اختصار زيارة طاطا فاكتفيت بما تيسر إلى فرصة أخرى إن شاء الله (ثم ندمت حيث لا ينفعني الندم، فقد مات القاضي وشيكًا فماتت به أخبار تلك الناحية، خصوصًا أخبار أهل زاوية الهناء، هذه التي نراها الآن بأبصارنا) فقبة سيدي محمد بن أحمد من (بني حسين) تبدو للعين من فوق يفاع إزاء أكَادير الهناء، والمكان قريب من المركز، لا يستغرق السير العادي بينهما ساعة، وذكر لي أن أكَادير الهناء لم يعمر إلا بعد أن ظهرت فيه مدرسة (آل حسين) وقد شغرت من الدراسة اليوم، وآخر من درس فيها سيدي أحمد بن عبد الرحمان وهو اليوم في (تيسينت) نائب القاضي سيدي إبراهيم، وقد كان تولى وهو رئيس الزاوية القضاء فاشتغل به ودفع ولدًا من أولاده للرئاسة الرسمية المخزنية في قريته، ودفع من كان مدرس المدرسة إلى ما تقدم من النيابة، ولله الأمر من قبل ومن بعد، وليس في أولاده طالب علم، وهكذا غربت شمس التدريس عن هذا المكان الذي كانت أكباد الإبل لطلبة العلم تضرب إليها من كل نواحي سوس، ولكل أجل كتاب، ثم لما توفي القاضي تولى نائبه القضاء وهو سيدي أحمد بن عبد الرحمٰن.

من طاطا إلى إيليغ:

نوينا أن نغادر طاطا إلى إيليغ وبينهما مسيرة زهاء ثماني ساعات زمانية، فعزمنا أن نقطعها تحت ذيل البرودة في هذا العشي وفي صباح الغد، فخرجنا من هناك عند العصر على رأس الثالثة ونصف فقطعنا محطة الطيارات في بسيط غير متسع الجنان إلا أنه يكاد يكون كله جذوعًا خاوية وقد انقطع عنها الماء من نحو 12 سنة والمكان لأهل قرية (تيغرمت) فرأينا كيف تهلك البلاد وينقصف العمران، فصرنا نمر ما شاء الله بجداول متسعة متخربة، وبحوائط لا تزال أسوارها قائمة، إلا ان فيها ثلمًا، وهذا المكان يسمى (بودان) ثم بعد أن خرجنا من بين النخيل الذي نسير فيه سرحت عيني مع النخيل الأجرد المسود المتناثر العراجين فرأيته طويلًا إلى جهة الشرق، فقدرت أن آلافًا من النخيل هنا تلفظ نفسها الأخير، ويقال إن أهلها كانوا من الحيف في مكانة وكذلك عاقبة

الظالمين (ثم بعد هذا الحين بلغني أن الحياة رجعت إلى (بودان) فاسترجع نخيله وأشجاره وأرضه خصبها، وذلك بعد 1369هـ) ثم دخلنا أمام مخرم (ويرمت) فصرنا نمر بجداول أخرى لمزروعات قد أتى ماؤها من عين عالية جاءت من جهات المخرم فدل ذلك على العمران الهائل الذي كان في هذه الناحية حوالي هذه القرية المنكودة الحظ، ثم لم نزل بالجداول حتى تم السهل واندغمنا في (ويرمت) وهو شعب طويل حزن كحلقوم البعير اعوجاجًا وضيقًا وكنا نحن الرفقة على ثلاثة بغال فصرت أجاذب سيدي العربي الإيليغي الحديث، ولكنه لا يكاد يمادني فيه إلا قليلًا فعراني وجوم وصمت، فلم نزل على ذلك حتى قال هادينا ها نحن تجاوزنا ويرمت، فذكر أسماء أخرى فقلت:

ومضيق في ويرمتا عوجًا ضم وأمتا
قد قطعنا في عشي شعبه الامعز صمتا[1]
لا ترى العين وإن تمعن على جنبيه نبتا
كالح الطلعة ما إن يستحق الدهر لفتا
لم نكد نقطعه حتى رأينا فيه موتا

ثم لم نزل نمشي وئيدًا أحيانًا وبالأغذاذ أحيانًا كلما وجدنا فسحة، وهذه الطريق صعبة، لأنها كلها من (طاطا) وهاد ونجود في أوساط الشعاب، ثم أودية وجبال، فلولا أننا نجوبها في وجه الليل لأذابتنا فيه الحرارة، وقد كان هذا المكان محل اللصوص وسمعت هادينا ينعت في شتى المواضع أن هناك موت فلان وهناك مهالك بني فلان وخصوصًا على يد أيت حمو الذين كانوا جاؤوا مع (النكّادي) قاتل مبارك التوزونيني الشهير الثورة في تافيلالت فقد هرب أيت حمو وأيت خباش مع النكّادي بعد احتلال تافيلالت فنزلوا إزاء تامانارت فصاروا يغيرون على القبائل الموجودة تحت يد الحكومة ويتلصصون في طرقاتها وكانوا رماة ثعليين لا يخطئون الأهداف أحلاس الوغى مساعير الحروب فأوقدوا نارًا عظيمة من الفتنة في الجهة التي يطرقونها ومن جملتها هذه الناحية فلا يكادون يخلونها فيفتكون بالناس فتكًا وقد اتصلوا مرة بقافلة من

(1) مكان امعز: فيه حجارة.

آل تاتلت فأخذوهم باليد فذبحوهم ذبح الأكباش من أذن إلى أذن وكذلك وقع لآل إيليغ مرة فقد قتلوا منهم أيضًا مقتلة تذكر، وفي هذا الطريق ملتقى أودية معروفة باللصوص من أيت أوسا وأولاد جلال، وإداوبلال، ويعرف هذا من قديم، ولذلك قال سيدي حمو الشاعر البربري:

أر سـركـغ أقـا دلـقـبـلـت مـدلـغ
أشـكـون إل لـكْـس (تـرك الـكـسـت) (أكُـف اشـلـح)

ومعناه أنني لا أسلك أبدًا أقا ومساكن أهل القبلة، لأن فيه أترك الكسوة، وقف أيها الشلحي، وهذا مما يدل على أن هؤلاء الأعراب من أولاد إداوبلال وأمثالهم هم المعروفون بقطع هذه الطرق من قديم، وما أشبه الليلة بالبارحة، وما زال هذا إلا بعد أن بسطت الحكومة يدها فتأتي للأمن أن ينبسط ظله على هذه النواحي.

وصلنا عند العشاء وسط وادٍ إزاء (بئر يوسف بن العبدي) فنزلنا هناك في منزل طيب ابتهجت له النفس وانشرح له الصدر واستردت فيه الروح أنسها، والجو صقيل، والنجوم مشتبكات في السماء والوقت طلق لا حرارة ولا برودة فنشر الرفاق زادهم المشتمل على حنيذ، وخبز من سميد، والكأس المنعنعة تدار والطبيعة الهادئة قد ظهرت من محاسنها أسرار، وتحتنا فراش خفيف فوق رمل لين كأنه حشايا المضاجع الوثيرة في قصور الحضر، فتمددت وحدي منفردًا بنفسي أفكر في طيب البداوة إذا استمدت ما تحتاج إليه من الحضارة فتمنيت لو كان معي أديب أجاذبه أطراف الأدب، وأساقيه أكواب الأنس، لأمعن معه في استنباط حلاوة الطبيعة ومحاسنها إن هدأت واستخرجت كل ما أودع فيها من المباهج وأنواع الحبور، لكنني لم أجد إلى ربة الشعر فنفثت على لساني هذه القطعة التي ستسمعها على رغمها الآذان الحضرية:

ومـبـيـت وسـط واد بـيـن «إيـلـيـغ» و«طـاطـا»
بـت فـيـه لـيـلـة بيـضاء أنـسًـا واغـتـبـاطـا
غـمـرتـنـي بـهـجـة فانـبسطت نـفـسـي انـبـسـاطـا
لـيـتـنـي تـمـلـك كـفـا ي مـن الـريـح بـسـاطـا

فـأري كـيـف ابـتـهـاج الـ ـبـدو فـاسـا والـربـاطـا
انـقـل الأصـحـاب طـرا لـيـروا هـذا الـسـمـاطـا
لـيـروا كـيـف يـلـذ الـ ـعـيـش فـي الـبـدو اعـتـبـاطـا
مـن سـوى أن يـوجـدوا حـو ل الـمـلـذات الـرهـاطـا[1]
مـمـتـعـات لـم تـكـن فـي أي قـصـر تـتـعـاطـى
حـازهـا الـبـدو وإن لـم يـسـحـبـوا فـيـهـا الـريـاطـا
ومـنـاط الأنـس طـيـب النفـس مـا كـان الـمـنـاطـا

وفي السحر قرب الثانية بعد نصف الليل قمنا وقد أغلى الرفاق الماء، فاصطحبنا بها كأسًا لا يحلم المترفون في (نيويورك) و(لوندرة) و(باريس) بمثلها في قصورهم الشاهقة وفي أبهائهم الفيحاء، ثم استقبلنا الطريق والقمر قد كسا تلك الجبال الغبراء بأنواره الفضية فاستبدلت بغلة شابة سوداء كانت تحتي أمس بأخرى قمراء تقدم سنها ولكنهم قالوا أنها أعرف بالسير في الجبل وأدرى بمستدارات هذه الطرق لخبرتها بها، فصرنا في طلوع وهبوط، انعطاف واستواء حتى وصلنا (تاڭنزا) وهي أعلى قمة من تلك الجبال، والواقف أعلاها ينظر طاطا وإيليغ بما بينهما تحته، ويقولون إن ابن الطالب الحسن المتقدم كان بنى فوقها حصنًا يعلن فيه بالنار ليلًا ما يريد إعلانه متى هجم عدو، كما يفعل ذلك في كل الشواهق التي تتراءى قممها في هذه النواحي، قالوا فكان العدو إذا جاء من جهة الصحراء، توقد النار فوق جبل باني ثم يوقدها الحرس الذين في تاڭنزا فمن كانوا بجبل (تيزي نتولكين) فجبل (وشدان)، وهكذا أيضًا إذا جاء العدو من جهة (وشدان)، فكلما رأى حارس نارًا فوق قمة، أوقد نارًا من عنده، فتصل الأخبار بسرعة، وفي أودية مررنا بها في هذا الصباح ماء قليل يسيل، وبعد تاڭنزا نزلنا بشعب صعب لأنه مكان حجير، وفيه صفا تزلق فيه البغال فلم نقطع كل ذلك حتى طلع الفجر، فصلينا الصبح ونالتنا مشقة اللغب، ولكن لا بأس والحمد لله، وقد قلت في سيرنا صبيحة هذا النهار هذا الرجز،

---

(1) الرهاط بكسر الراء: المتاع في البيت.

ولا يعلم إلا الله والعالمون بهذا المسلك الصعب، إنني وصفته حق وصفه، وعلى من يرتاب أن يسافر إليه ويركب فيه بلغة هزيلة، ثم يقطعه في مثل الوقت الذي قطعته فيه:

وليلة شديدة ليلاء أسحرت فوق بغلة عجفاء
هرمة هزيلة حذاء مسودة وإن تكن بيضاء
تجوب بي مخارما جرداء أثناء أوداء تبض ماء
وفي نجود حزنة معزاء فتارة في قمة شماء
توشك أن تناطح السماء كأنما تصافح الجوزاء
وتارة في وهدة برقاء أحجارها تمزق الحذاء
بين وجار جيأل عرفاء وباب جحر ذيبة طلساء
طريقها كشعرة غبراء على مزالق صفا ملساء
فوق مهاو عمق جوفاء ففي الطلوع ننحني انحناء
كما يصلي ساجد إيماء وفي الهبوط نثبت الارساء
على المطا كركع وراء فلم نزل نصابر الضراء
حتى اجتلت أعيننا السراء عند بدو طلعة غراء
في الفجر حين أرسل الأضواء وقد تركنا (تكْنزا) الوعثاء[1]
ووصلت ركابنا بطحاء بسيطة فسيحة فيحاء
فزحزحت أسواءنا جمعاء

أطللنا على قرية (إيليغ) وقد ظهر لنا طرف من نخيله، وذلك عند شروق الشمس فحططنا في الساعة السابعة ونصف، وقد تلقانا أخونا وصهرنا المفضال سيدي التهامي ابن العلامة الصالح سيدي أحمد الفقيه، فألقينا العصا في دارنا التي لا نستريح من وعثاء السفر إلا فيها، وهناك أختنا الطائرة بالفرح بنا، والحمد لله الذي يسر لنا صلة الرحم بفضله وكرمه.

(1) الوعثاء: المشقة المقصود أنها كلها مشقة على سبيل المبالغة كرجل عدل، وجبل تكْنزا جبل عظيم هناك.

إيليغ:

هو بين جبلين من الجنوب ومن الشمال الجنوبي، ويسمى أحدهما (إيوليغت) وهو لا يبتدئ إلا بعد انتصاف النخيل، أو بعد ثلثه على الأقل من الأعلى، والثاني يسمى (أدرار نعدي) وهو طويل من الأعلى إلى الأسفل، وقبل أن يدخل الإنسان في مسيل الماء بين النخيل يترك على اليمين مقبرة تنسب إلى (أيت يعزى ويهدي)[1] وما أكثر مقابرهم في كل جهة من جهات سوس، ومقبرتهم هذه يعتاد الناس التحليف فيها. وقد شاع وذاع أن كل من حلف فيها على باطل بأنه يؤخذ في الحين، وقرية إيليغ الآن قليلة السكان، لحروب وقعت بينهم تفانوا فيها والقلة الماء في عيونهم، فجلوا عن البلدة إلا قليلًا، واليوم وجدنا عيونهم الثلاثة تثر مياهًا، وعادت كما كانت من قديم، وهذه الغلة من الذرة هي أول غلة حصل عليها أهلها بعد حياة عيونهم، وقد كانت العين السفلى المسماة (تاوهالت) لم تغض قط، ولكنها لا تكفي إلا قليلًا من الحقول، وأما العينان العليبان فإن إحداهما التي تحت جبل (إيوليغت) تسمى (تافوزارت) والثانية التي تنبع أعلى منها جهة الجبل الآخر تسمى (تينكّلاس)، وهاتان غاضتا من سنة 1354هـ حتى رجعتا الآن، وقد كان أهل القرية حين دامت مياههم أثرياء أقوياء ذوي شوكة، لهم الخيل والعدة، وقد كانوا من أصحاب الشيخ الوالد كلهم من قبل سنة 1310هـ يرجعون إليه في كل أمورهم ويعتقدونه حتى ربما رفعوا إليه بعض نوازلهم التي لا يرتضي فيها فريق بما حكم به المحكمون من الفقهاء، وكان يأمرهم دائمًا بالائتلاف وعدم الاختلاف، واتقاء الله في ضعفتهم فيسلسون له القياد حتى خلف منهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فلقوا غيًّا من الخلاف المستعر فتنازعوا ففشلوا وذهبت ريحهم وركد أعصارهم وبردت جمرتهم ثم غارت العيون وعليها معتمد معاشهم في هذه الصحراء القاحلة، ثم جاء عربان (أولاد جلال) بغارتهم الشعواء على مواشيهم ينهبون ويفتكون بأصحابها، فكانوا ضغثًا على إبالة فتناحروا بينهم حتى رحمهم من كان يحسدهم واشفق على رقة حالهم من كان

(1) ذكر رجالهم الصالحون والعلماء في (الجزء العاشر) من المعسول.

يغبطهم، وقد كان الرجل الصالح الفقيه سيدي أحمد[1] الركني أسكنه الشيخ الوالد في زاويته في القرية ليكون لهم نبراسًا يستضيئون به في الجهالات ويقتبسون من نوره في الملمات المهمات، إلا أن بعضهم بدا له فصار يناوئه بعدما انتشر له بينهم ما انتشر من الطاعة والسمعة الحسنة وذات اليد، فعل الجيران بالجيران من قديم، فآل الأمر إلى أن ذاقوا وراء ما يظلمونه ويؤذونه مرارة التفرقة وسوء عذاب الضنك، ثم جاء الجلاء الذي هو أخو الهلاك فشتت غالبهم، ولله الأمر من قبل ومن بعد (ثم صلح حالهم بعد هذا الوقت ببركة الأمن السائد، ورجوع العيون إلى حياتها).

وقد كان في (إيليغ) وهو اسم لكل هذا الوادي 12 قرية كما يقول أهله، إلا أنها كلها خربت الآن إلا ثنتين فقط، قرية (أفوزار) وقرية (إيمي نتالات)، وهذه الأخيرة هي التي تطلق عليها إيليغ الآن وحدها، وقد كانت قرية (تيواضيل) لها عين تسمى (تابوكاط) فكانت حروب بين أهلها وبين الإيليغيين ما شاء الله حتى أجلاهم أهل إيليغ بمعاونة (أولاد جلال) في ثالث يوم عيد أضحى، ولم يجد عنهم أعوانهم الذين يناصرونهم وهم (إداوبلال)، فقد هدمت القرية فجلا أهلها متفرقين، ثم اشترى أهل إيليغ الأملاك منهم بعدما استولوا عليها عنوة، وهذه الحرب مرّ عليها نحو 200 سنة.

وقد زرت المسجد في القرية فوجدت فيه أربعة صفوف، والشمالي منه عن يسار المحراب أطول من الجنوبي، وسبب ذلك أن الشيخ الوالد كان صلى الجمعة هناك يومًا، فرأى تزاحم الناس وضيق المسجد بهم، فسأل عن أرض تلي المسجد شمالًا فتصدق بها أهلها فزادوها في المسجد، وقد تركوا صلاة الجمعة هذه السنة وهم الآن يعزمون على معاودتها[2] وقد مرّ بهذا المسجد علماء، لأنه مسجد كبير. . . فمنهم:

الفقيه سيدي محمد بن محمد فتحا من بني عبد الله بن إبراهيم من (تزكّي إداوبالول) وهو عالم جليل يذكر أنه فائق بارع، وكان يقضي ويفتي وكان لا

(1) توجد ترجمته في (الجزء السادس عشر).

(2) داموا عليها منذ ذلك اليوم الذي زرتهم فيه إلى الآن 1381هـ.

يزال حيًّا في 1295هـ وهو خال الفقيه أحمد بن عمر المتقدم عند ذكرنا من مرّوا من الفقهاء في (أقا) وقد أخذ عنه كثيرًا، وقد رأيت له خطًّا حضريًّا أنيقًا.

ومحمد فتحا بن محمد الشاهدي الركني، وهو فقيه مفت نوازلي، مات قبل 1300هـ.

والفقيه سيدي محمد بن إبراهيم الركني من (آل عبد الكريم) تخرج بالشيخ سيدي الحسن التملي من مدرسة (إيرازان) وبأحمد الحنكّيري وبعمه عبد الله بن أحمد، توفي 1333هـ.

والفقيه محمد فتحا بن الخضر الكّني عالم حسن فهم، يثنى عليه كثيرًا، له خط حسن، عدل في التوثيق، كان لا يزال حيًّا 1312هـ.

والفقيه سيدي أحمد بن عبد الله البوزيدي من (قصبة الخروع) أخذ عن الفقيه علي بن إبراهيم اليوسفي السكّتاني، وربما أخذ عن الشيخ سيدي الحسن التملي المشهور، وكان مشارطًا في إيليغ إلى 1295هـ ويلازم بلده بالمشارطة إلى 1320هـ وقد أصابه قبل موته عطش كثير، فيفطر بالماء، وكان دينًا خيرًا هينًا، محبوبًا لدى الناس متبوعًا بين إخوته وكان يشعب ما يجري بين أهله ويفتي ويقضي ويفض النوازل، وكان إذا أراد أن يخرج إلى قسمة مال أو تركة يقول لأهل بلده، ليذهب معي منكم بعض ذوي العقول وبعض السفهاء، فقيل له في ذلك، فقال إن وجدنا الحق وسلوك طريق العدل فيكفي ذوو العقول، وإن كان مجاهرة بالجور والتعسف في ترهات الباطل فإننا نحتاج إلى من يسافه عنا (أقول): إن الوقت إذ ذاك كما قيل من عز بز، والفقهاء يعدون مستضعفين، فيهددهم الظلمة من أرباب النوازل، فلا بد من أن يكون معهم من يدافع عنهم ومن لا يحتاط هكذا من الفقهاء فربما أدى ثمن عدم احتياطه من دم رقبته، أو يسمع ما يفسد عليه مروءته، وقديمًا قال الشعراني: إن آخر الزمان لا يطيب فيه العيش لصالح إلا بمدافعة سفيه، وربما ذكروا حديثًا في الموضوع وقد بات الشيخ الإلغي بطائفته يومًا في قريته فاجتمع عليه كل الناس إلا الفقيه فجال فيهم الشيخ على عادته بالوعظ حتى استتابهم كلهم، ولما رأى الفقيه أنه ما تأخر إلا هو، أرسل في الصباح ولدين له بقفتين كبيرتين من التمر إلى الشيخ

فتبسم الشيخ فقال: إن غرضنا نحن في صاحب القفتين لا في تمر القفتين، وكلام آخر مثل هذا يعلمه فيه أنه ليس كالذين يجمعون من الناس بل من الذين يجمعون قلوب الناس على الله، وكأن الفقيه خاف أن يكسف نوره، ولم يدر أن من عادة الشيخ احترام الفقهاء أمثاله، لكنه هو لم يكد الشيخ يغادر القرية حتى ذهب بأجوبة الشيخ ابن ناصر إلى المسجد فنادى أهل القرية ليجمعهم عليه ليريهم أن الناصرية هي الطريقة المثلى، لا الدرقاوية، كأن السر في الطرق لا في الرافعين لرايات الطرق ـ والسر في السكان لا في الديار ـ توفي الفقيه نحو 1327هـ.

وهذه الجولة للشيخ في تلك الناحية كانت 1324هـ، وقد ألم في كل قرى تلك الناحية قرية قرية على عادته في تتبع القرى للوعظ والإرشاد العام لكل الناس.

وسيدي أحمد بن عمر من (تزكي إداوبالول) المتقدم الذكر من هذه القرية من قبيلة (إيسافن نيت هارون) ولعله سبق من قبله إلى هذا المسجد.

ومنهم سيدي أحمد الفقيه الركني، فقد كان هناك 1296هـ ثم عاد إليه 1313هـ وفي السنة التي بعدها، وقد توفي 1346هـ.

وسيدي الحسن أخوه لازم المسجد 12 سنة حتى توفي 1312هـ[1].

وسيدي الحسن بن محمد التاتلتي اليعقوبي لازمه 18 سنة ومن عهده انقضى في المسجد عهد العلماء، وقد فارقه هذا سنة 1336هـ (وقد توفي في المحرم 1366هـ)[2].

وأمام المسجد حصن الجماعة، وكان قديمًا يؤمن فيه الناس أموالهم في بيوت لهم، وكان لكل أهل دار بيت خاص، وهو أقدم من القرن العاشر، وإن كان ينسب لسيدي محمد بن يعقوب، وذكر لي من يظن به أن له اطلاعًا أنه إنما ينسب إليه لأنه وقف عليه حتى أدير فوق السطح سور، وقد وقع مرة أن الدوبلاليين احتلوا مرة الحصن غدرًا، فجاء الفقيه الرجل الصالح سيدي محمد فتحا بن عبد العزيز التاتلتي فراودهم على الخروج فامتنعوا، فتوضأ وتوجه إلى

(1) ذكر في (الجزء السادس عشر).
(2) ذكر جميع اليعقوبيين في (ذلك الجزء) أيضًا.

القبلة فتوسل إلى الله بأسمائه الحسنى ثم أخذ حفنة من الحصى فرمى بها برجًا من بروج الحصن، فاهتز وانشق فعرا الدوبلاليين خوف شديد مما رأوه من كرامة السيد عيانًا، وقد رأوا شقًّا حصل من البرج حين اهتز، فخرجوا هاربين.

وجدت في الزاوية هنا مكتبة العلماء اليوسفيين، فصرت أتتبعها فرأيت فيما رأيت منها من الكتب المتداولة (شرح الهدية الطيبة) وهو (شرح الهدية) في الطب، وهو مشهور معروف، إلا أنني لم أطالعه قبل اليوم فمررت بخطبة الكتاب فوجدت مؤلف الكتاب وشارحه هو العلامة أحمد بن صالح بن إبراهيم ابن عبد المؤمن الدرعي، تعرض هناك لمؤلفاته التي ألفها قبل هذا الشرح وهي (تنبيه السائل في الكبائر) في عشرة كراريس، (ومتعة العريس)[1] ألفه في أحوال الجماع وآدابه نحو كراس (وشفاء المريض في بساط القريض) وهو ديوانه، قسمه إلى ثلاثة أقسام:

أولًا: في مدح النبي ﷺ بقصائد عديدة في بحور شتى، بين مطول إلى 300 بيت في همزية على بحر الخفيف، وبين ذات مائة أو مائتين إلى 15 بيتًا فعشرة أبيات إلى خمسة ـ هكذا قال ـ.

ثانيًا: في حكم وآداب.

ثالثًا: في تغزلات وما إليها، والكتاب ذكر أن فيه عدة كراريس، (ثم الرحلة الشافية) قال ركبتها لبعض أخوتي على رحلته الحجازية، في كراريس رباعية، ثم (تجديد المراسم البالية في السيرة الحسنة الغالية) ذكر فيه حياة والده صالح بن إبراهيم يبلغ أزيد من عشرة كراريس، ثم (حلية الكمال في أوصاف الحسن والجمال) على بحر الطويل، نظم في 41 بيتًا، ثم شرحه في كراريس إلى آخر ما ذكر هناك من المؤلفات التي تتعلق بالادب، وقد سألت عن زاوية سيدي صالح هذا بعض من عرف وادي (درعة) فذكر أن خزانتهم لا تزال مصونة لكنني سألت آخر فقال إنها تشتتت وأن سيدي أحمد هذا لا يزال ذكره متداولًا هناك بالتفوق، وكان حيًّا إلى أول القرن الثاني عشر، وقد توفي 12 من

(1) يطلق الناس العريس على الزوج، والحق في اللغة أن العروس يطلق على الزوج والزوجة معًا.

المحرم 1144هـ، وكان يشتغل بالحديث في رمضان هو آل (تامگْروت) فقط، لأن مولاي إسماعيل سلطان ذلك العصر منع آخرين لأنهم لم يستوفوا العلوم العربية التي يحتاج إليها تدريس الحديث وقد كان هناك حسدة لأحمد بن صالح يتمنون أيضًا منعه كغيره فقال يخاطبهم في قصيدة مطلعها:

أيا معشر الحساد موتوا بغيظكم وقولوا وشقشقوا فما ضرني القول

فـذا رمـضـان قـد تـهـلـل نـوره هلموا لتسمعوا الحديث الذي أتلو

وهي قصيدة كبيرة لا يستحضر منها سيدي التهامي الإيليغي الذي حكى لي إلا هذين البيتين، ويظهر أن الرجل من الأدباء، فيجب أن يبحث عن ديوانه المذكور إن كان لا يزال في مكتبهم أو في غيرها وأهله الآن لا علم فيهم وقد وجدت أواخر شرح (الهدية) المتقدم قصائد وأدبيات من المنثور المسجع فرأيت أثر الأديب من الآثار التي نعلمها عن تلك القرون في باديتنا هذه، فقد يتطاول إلى معنى حسن ولكن لا يدعمه الابتكار ولا الوزن السليم في البحر بعض المرات ولا يعتري هذا إلا من ترامى على الأدب ولم يأخذه عن أربابه.

وأحمد بن صالح على كل حال من الأدباء المطلعين على أدبيات كثيرة ثم أولع بها نثرًا ونظمًا، ونثره غالبًا أحسن من نظمه، على حسب ما طالعته هناك وقد ترجم له في (الدرر المرصعة) الذي ألّفه المكي الناصري الذي يدرك حياته بلا ريب، والمكي تأخر إلى ما بعد نصف القرن الثاني عشر وكلاهما من أدباء درعة، فأدبهما على طريقة واحدة وإنما نبهنا على هذا لئلا ينساهما وأمثالهما من هذه البوادي من يهتم من شبابنا بالتكلم حول الأدب المغربي في أطواره، ودرعة الآن شاغرة من العلم إلا قليلًا، وقد كنت كلفت صاحبنا الفقيه الأستاذ سيدي محمد بن الحبيب أن يجمع من أخبار ذلك الوادي فأجمع أمره على ذلك إلا أنه وقع دون المدى المطلوب بعدما جمع تراجم في كراريس رأيتها في يد أخيه وقد توفي ابن الحبيب نحو 1360هـ وليس ذلك المحل من ميادين بحثي أنا، لأنني اقتصرت على سوس في جهودي ليمكن لي أن أؤدي بعض الواجبات بقدر المستطاع.

ومما رأيته في تلك الخزنة في ذيل مجموع قصيدة لامية فيها نظم أبواب

صحيح البخاري، فيها 14 بيتًا مطلعها:

الحمد لله حمدًا هاميًا هطلا ثم الصلاة على أهدى الورى سبلا

فهاك ترتيب كتب للبخاري في صحيحه فاعتمد معنى تنل أملا

وبعدها قطعة جمع فيها أجواد الصحابة الموصوفين بالكرم الجم فيها أحد عشر بيتًا مطلعها:

كل كريم له الجود مكرمة من اسم خالقنا الكريم منصورة

وأثرها قصيدة قيلت في سيدي علي بن يوسف بن محمد بن محمد بن ناصر الدرعي حين قدم إلى سوس فيها 46 بيتًا مطلعها:

زالت حناديس ما بالقلب من كدر وإنجاب جنح دياجي الهم والغير

وثلاثة أبيات من الرجز أرخ فيها موت الشيخ سيدي محمد بن يحيى الأزاريفي، والكل منسوب هنا لعبد العزيز بن أبي بكر اليعقوبي الرسموكي ولا أستحضر الآن هذا العالم وربما كان من أحفاد العلامة الشهير أبي فارس المتوفى 1065هـ، وهذا ليس بمقصود بلا ريب لأنه من أهل أواسط القرن الحادي عشر قبل سيدي محمد بن يحيى الأزاريفي المتوفى نحو 1163هـ وهذا الشاعر من أهل أواخر الثاني عشر، وربما أدرك أوائل القرن بعده وكلامه حسن والقصيدة الرائية للمذكور ربما ندرجها في محل آخر.

ومما رأيته أيضًا (مختصر سيرة اليعمري) المرغيتي وهو مختصر جدًّا ذكر فيه ما يجب على المكلف معرفته من السيرة النبوية كما فعل ابن العربي المعافري في ملخص سيرته، ابتدأ بنسبه الشريف ثم بتعيين ما وقع له في كل سنة من الرضاع ومن كفالته وسفره إلى الشام، وبناء الكعبة، ومبعثه ومن سبق إلى الإيمان به، وموت عمه ثم خديجة ثم الإسراء ثم الهجرة ثم وفاته عليه السلام، ثم ذكر عدد سراياه وغزواته إجمالًا ثم صفاته ثم أسماؤه ثم أخلاقه ثم أزواجه، ثم أولاده ثم أعمامه وعماته، ثم مواليه فخدامه فحراسه فرسله فكتّابه فدوابه فسلاحه فأثوابه فمعجزاته صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وفي الكتاب تسع صفحات فقط ومعه في المجموع مؤلف في القبض مسمى (رسالة نصرة القبض) أوله الحمد لله الذي جعل العلماء مصابيح الاهتداء

إلخ ونسبت الرسالة هنا لغير المسناوي الذي عرفناها له وقد كتب في مفتتح المؤلف ما نصه: هذا ما صنف العالم الحاذق النحرير على قبض اليدين في الصلاة وهو مولانا محمد بن مولانا إسماعيل الشريف رحمهما الله ببركة أجدادهما الأعلين آمين وفي الرسالة 23 صفحة ونحن نعرف ما بين المسناوي ومحمد العالم من الاتصال فلئن كانت حقًّا لمحمد العالم فإنه نادرة.

وفي المجموع أيضًا (شفاء القلوب، ومواهب علام الغيوب في مناقب الشيخ سيدي محمد بن يعقوب) لسيدي أحمد بن إبراهيم الركني في نحو 40 صفحة ألمّ فيها ببعض ما يتعلق بالشيخ المذكور، ولم يستوف خبره ولكنه على كل حال مفيد[1] في بابه.

وفي أيضًا (شمس البيان في تحريم الدخان) نظمه في عشرة أوراق ومطلعه:

يقول عبيد الله نجل محمد يروم من المولى كثيرًا من الأجر

وهو للعلامة أحمد بن محمد أحوزي التملي الهشتوكي كما عرف به وهو علامة شهير توفي نحو 1126هـ.

ورأيت على كتاب هناك أن صاحبه أودعه مع كتب أخرى عند الفقيه سيدي أحمد بن سعيد التوماناري ولعله من أخوة الإيكراريين وليس من التوماناريين العباسيين لأنني وجدت على السفر المذكور أنه مبيع من أحمد بن سعيد التوماناري 1221هـ.

ووقفت هناك على نسخة من الجامع الصغير نسخها علي بن سعيد بن إبراهيم من (بني المؤذن) من قرية تاكموت في 4 رجب 1207.

و(المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى) للغزالي وهو كتاب نفيس مشهور يوجد، و(تمييز الطيب من الخبيث) للسخاوي[2] وهو مشهور، ولعل لكل واحد كتابًا في الموضوع، و(شرح على الشمائل) لبعض تلامذة الأستاذ

---

(1) لخصناه في الجزء السادس عشر.

(2) كذا مع أن الكتاب إنما يعرف للحافظ عبد الرحمٰن الزبيدي المتوفى عام 944هـ والسخاوي توفي عام 902هـ.

سيدي حسين الشرحبيلي، يقول في أوله: يقول محمد بن العربي بن حمدان هذا ما ألفيته من الحواشي المطرزة اللطيفة من تقاييد عمنا وشيخنا عبد الرحمٰن ابن حمدان على نسخته من الشمائل، وقد تفضل الله علينا بشيخنا سيدي الحسين بن محمد بن علي الشرحبيلي البوسعيدي سليلًا، الدرعي قبيلًا حين وفادتنا عليه أواخر 1139هـ في ذي القعدة الحرام.

فلازمناه بزاوية الرحمة والأمان وقد قصدنا زيارة الأشياخ، وقصدنا القراءة عليه فمكثت عنده إلى 1141هـ وقد أجلّنا ورفع شأننا إلى أن عزم على زيارة سيدي أحمد بن موسى فأتحفني بمرافقته، لعلمه بأني لا أقدر على مفارقته، فدخلنا زاوية سيدي حسين في الأربعاء الأولى من جمادى الأخيرة 1141هـ وأما خروجنا منها ففي ضحوة الخميس 18 رمضان 1141هـ وبعد رجوعه لبث 8 أيام فتوفي، وقد أخذت عنه في هذه السفرة (بهجة النفوس) لابن أبي جمرة على مختصره نسرد المتن ثم الشرح ثم الشفاء لعياض، ثم (الشمائل الترمذية) فختمنا الكل، وقد اطلع على الذي أجمعه على الشمائل فأعجب به وحثني على إتمامه، وعلى التقاط الدرر له الخ ثم ذكر أنه استمد من بين الكتب التي ذكرها من (هداية المغيث الباقي إلى موارد ألفية اصطلاح الحديث للعراقي) وقد سمى الكتاب (بغية السائل بجمع ما طرر على الشمائل) وهذه النسخة غير تامة، وفيها مائة وأربع عشرة صفحة، في قالب طويل بخط دقيق، ففي كل صفحة 51 سطرًا، وقد بلغ من الشرح الحديث الأخير في (باب صفة آدم رسول الله ﷺ) وهو الحديث المعلوم لأنس، أن رسول الله ﷺ كان يحب الثفل، قال عبد الله يعني ما بقي من الطعام وهو عبد الله بن عبد الرحمٰن أستاذ الترمذي، وهذه النسخة كتبها الأستاذ محمد بن بلقاسم في مسجد (تازناغات) 1278هـ. والمؤلف يبحث كثيرًا ويسوق النقول المختلفة، ولا أعرفه الآن، وما نقلته اخترته من الأصل كثيرًا ثم وجدت في هذه المكتبة نفسها من الكتاب نسخة أخرى تامة، كمل فيها الشرح والمتن، وفي آخرها أن نسخ الكتاب وافق تمامه يوم الجمعة 12 ربيع الأول 1189هـ، ومن هذه النسخة نسخ تلك المقدمة، وهذه في مجلد ضخم قصير، مدمج الخط وفيها 360 صفحة، في كل صفحة 30 سطرًا وهي في ضمن الخزانة اليوسفية، ورأيت أيضًا على دفة القلشاني على

(الرسالة) أنه كان في ملك محمد بن محمد بن علي الدرعي أصلًا، ثم الأغبالويي الافراني مسكنًا، اشتراه 1079هـ ثم اشتراه بعده عبد الله بن محمد ابن عبد الرحمٰن بن أحمد بن الحسين الايسي من (عنق الرمال) أوائل المحرم 1089هـ والبائع له محمد بن محمد بن أبي القاسم من عنق الرمال في التاريخ نفسه، ثم إن هذا باعه لشيخه سيدي أبي بكر بن عبد الله المرابط التامانارتي في رجب 1090هـ وأظن أن أبا بكر هذا من أحفاد الشيخ محمد بن إبراهيم الشهير.

ووجدت هناك في طرف شرح الزقاقية (فتاوي) لمحمد بن أحمد البوسعيدي غير مؤرخة، ولا أعرفه الآن، والبوسعيديون معروفون في (هشتوكة).

ووجدت هناك في طرف شرح ابن مرزوق على المختصر رسالة حسنة كتبها محمد بن أحمد بن بلقاسم النفيسي من (فاس) إلى شيخه العلامة محمد فتحا ابن الأستاذ الكبير محمد بن الفقيه أحمد بن علي الايزنكاضي الطاطائي حين توفي والده محمد بن أحمد العلامة الكبير ولنسق بعضها ونصها:

(حفظ الله بمنه وكرمه مقام شيخنا الأحظى والذخيرة العظمى من تبسم في وجهه رجاء المطالب، وتوجهت إليه جميع أهل (سوس) و(القبلة) بالمآرب وأفاض سجال العدل والإحسان، ورد بسياسته الغرار إلى الأجفان، الفقيه العالم العلامة السيد محمد بن محمد الإيزنكاضي أسعد الله زمانك وإقبالك وأصلح حالك وأسس على قواعد العز والعناية رجاءك وصير لك السعادة حيثما توجهت، وأخصب بمنه روض مرعاك، ومن طوارق الزمان وقاك، وسلام عليك ورحمة الله وبركاته (وبعد) فعظم الله لنا ولك الأجر وألهمنا الصبر في الفقيه الوالد رحمه الله، ورزقنا الشكر والرضا، فإن أنفسنا وأهلينا وأموالنا وأولادنا ووالدينا من مواهب الله عز وجل الهنية، وعواريه المستودعة نتمتع بها إلى أجل مقدور، ويقبضها في أجل معلوم، فإن لله ما أخذ وله ما أعطى، فقد افترض علينا الشكر إذا أعطى، والصبر إذا ابتلى، واصبر غاية الصبر (إلى أن قال آخر الرسالة) وحال أخيك نسأل الله أن يهديه ويورث له العلم وحسن

الخلق، وسلم مني على الفقيه السيد محمد بن محمد ابن عمك ووكده بالصبر ورعاية الناس في كل جهة، فإن تلك الدار بقيت لكما، (وفي أثناء الرسالة أيضًا) واعذرني في إبطاء هذه البطاقة في العزاء لكثرة الذهول، لاهتمامي بموت الابن الذي مات لي في الحضرة الإدريسية بعدما ظهرت نجابته غاية، وسلم له فحول علماء فاس)، الخ.

وقد رأيت هناك مجموعة بخط مشرقي فيها (المنح السنية على الوصية المتبولية)، للشعراني وهو كما أظن في عيوب النفس كتب 1050هـ مع (مقامات المغلوب) لأبي الحسين التوزي.

وهناك نسخه محمد بن محمد بن عبد الله من (أبناء إبراهيم بن علي) من (أيت كين) 12 رمضان 1243هـ، ثم حبسه على أعقابه، إلا أنه مع ذلك بيع حتى وصل هذا المحل، وناسخه لا يزال حيًّا 1248هـ كما فهمناه هناك من كتاب آخر وقفنا فيه على خطه.

ووقفت هناك على كتاب لا أول له ولا آخر، حسن الخط يشرح صاحبه كلام (المهدي بن تومرت) في كتاب له في التوحيد، فيقول مثلًا بعد أن يشرح معنى من معاني المعتقدات (ذكر الاي) أي الدالة على ذلك، أو ذكر الأخبار الدالة على ذلك، ومن كلامه ما نصه:

(وأما مرتبة جميع المؤمنين في المتشابه فهم الذين لا يشعرون (كذا) بما ورد في الشرع منه، لقوة إيمانهم، ولعلمهم بأنه من عند ربهم، وهم الذين واظبوا على الوظائف الشرعية، والتزموا تعظيم الحقوق الإسلامية، وسلكوا على الطريقة الحنفية السمحة، وإليهم الإشارة بقوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: 22] صدق الله العظيم، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «أكثر أهل الجنة البله» الحديث، وليس بلههم في الخير إنما بلههم في الشر لا يعرفونه وفي ذلك أنشدوا:

ولقد رأيت البله قد بلغوا المدى ... وتجاوزوه وازدروا بأولى النهى

ولما علم الإمام المهدي أن في الطريقة الجمهورية الاحتياط والسلامة من كل عيب والنجاة من كل تشويش وفتنة، وخاف من الترديدات النفسية،

والخواطر التشبيهية، وعلم أن علم المتشابه من علم الخواص أهل الاختصاص، وعلم أنه لا ينبغي أن يتعرض لتأويل المتشابه إلا راسخ في العلم، سكت عن مرتبة الراسخين، وجاء بكلام مجمل بديع يشير به إلى الانكفاف عن تأويل المتشابه، وهو طريق السلامة، وكان ذلك منه رضي الله عنه، والله أعلم، خوفًا على جمهور المؤمنين أن يسبق إلى أحدهم الخطأ في معتقده بتشبيه أو تعطيل، أو بما لا يليق بالباري سبحانه، أو بإبطال الآيات والأخبار رأسًا، فقال رضي الله عنه: وما ورد من المتشابهات التي توهم التشبيه والتكييف إلى آخر كلامه، رضي الله عنه، وإلى ما ذهب الإمام المهدي رضي الله عنه من الانكفاف عن تأويل المتشابه، ذهب جمهور السلف الصالح من هذه الأمة، وهو المجدد لما درس من الكتاب).

عمدًا سقت هذا الكلام حول المتشابه، ليعلم مذهب (المهدي بن تومرت) فإن الذي نعرفه أن الموحدين هم الذين أدخلوا التأويل في المغرب بعد أن كان من قبلهم يفوضون، ولا نكاد نجد في التاريخ إلا أن المهدي مذهبه التأويل لا التفويض.

وهذا كتاب نفيس عالي المنزع ينفع في العقائد، لأنه يستدل استدلالًا مقبولًا بالآي والأحاديث، وهو جزء وسط، ولعله مؤلف مبسوط في هذا الباب، غير شرح التوحيد للمهدي المشهور في (طبقات) ابن السبكي، وشرحه أناس منهم يبورك بن عبد الله السملالي، واعرف شرحه ولكنه ليس في هذا المنزع الذي لا يعلى عليه، وقد مرّ بي أن هناك شارحًا لتوحيد المهدي يعيش في عصر الموحدين ولعله هذا.

وهناك كتاب وجدت فيه فتاوى لمحمد بن عبد الحق بن علي الهوزالي، قاضي (سكتانة) بجيب الفقيه علي بن مسعود، ثم أخرى لمحمد بن علي مفتي الإسلام، وهو الفقيه اللغوي الهوزالي، والغالب أن هذا هو شيخ أبي زيد التامانارتي، وأما الآخران فلا أعرفهما، وإن كان القاضي محمد بن عبد الحق يحيى في زمن (بودميعة) فيزاد بين قضاته، ثم إنني وقفت أيضًا على فتاوى أخرى تحققت منها أنه معاصر التامانارتي المذكور وعيسى السكتاني وموسى بن

محمد بن مبارك، وكلهم يعيشون في النصف الأول من القرن الحادي عشر، وموسى بن محمد بن مبارك، أحسب أنه ابن قاضي (طاطا) وما إليها في زمن السعديين ومحمد بن مبارك، قد ذكره أحمد بن إبراهيم في كتابه (شفاء القلوب) استطرادًا كما وجدت في الكتاب أيضًا فتوى للقاضي محمد بن عبد العزيز البوسعيدي وقال ناقلها انتهى من أجوبة الإيلالني، ولا أعرف أيضًا هذه الأجوبة، ولا سمعت بها قبل هذا المحل، وقال الناقل أيضًا بعدما نقل فتوى محمد بن عبد الحق الهوزالي انتهى من أجوبة سيدي محمد بن علي الهلالي، وربما كانت هذه هي أجوبة الإيلالني المذكورة.

وآخر فيه (الموطأ) و(الشمائل) بخط العلامة الفائق سيدي محمد بن محمد فتحا بن الحسن اليحياوي الوولتي التازمورتي نسخها نحو 1173هـ.

وهذا العلامة يقال له التزمورتي نسبة إلى (تازمورت) قرية دخلت في جبل مطل على طاطا وتحسب منها، وكان من الأفذاذ الكبار في المعارف وقد رأيت له أثرًا أدبيًا بارعًا، يدل على مهارة، وهو مذكور في كتاب (مترعات الكؤوس) وذكره لا يزال له طنين، وقد كانت أسرته كلها عالمة من عهد أجداده، إلا أن أخبارهم ذهبت مع الذاهبين في غفلة التاريخ، وقد توجه إلى الحجاز وقال لأهله: إن كانت سكتي ذهبًا خالصًا فستبقى هناك، وإن كانت نحاسًا فسترجع إليكم، فتوفي (بالمدينة المنورة) وقد قيل إن قيم الروضة الشريفة رأى النبي ﷺ فدله عليه، فقام حتى صلى كل الحجاج الحاضرين عليه، وقد انقضت أسرته الآن، ولا ندري في أي سنة توفي بعد 1173هـ ويسمى آله (آل الطالب) والطالب إذ ذاك يطلق على العالم في القطر السوسي، وقد انتشرت كتبهم التي تباع في هذه النواحي انتشارًا.

كما رأيت أيضًا مؤلفًا للمرغيتي في إبطال السحر طلبه منه المهدي بن علي ابن الطاهر السجلماسي الشهير في أوراق قليلة، وقد رأيت في تلك الخزانة سوى هذه الكتب جميع الكتب المتداولة بالخط زيادة عن الكتب المطبوعة وهي خزانة قيمة.

ومما نسيت أن أذكره من هنا نسخة من (الخصائص الكبرى) للسيوطي،

وهي نسخة حديثة النسخ 1128هـ والكتاب كان يدرس في سوس، وهو مما درسه الحضيگي، وأخذه عنه محمد بن عمر الاسغركيسي، كما في (فهرسته) وهكذا وجد الكتاب من أجيال في (سوس) مع كونه قليل النسخ، فإن كان موجودًا اليوم بعد طبعه في الهند، فإنه كان قليل الوجود في المغرب كله قبل طبعه ولم أره بالخط في (سوس) إلا هنا وفي محل آخر، وهذا مما يدل على اعتناء السلف بالكتب النادرة فينسخون ويدرسون، فللّه تلك الهمم، فقد كانت كل هذه النواحي من (تامانارت) إلى (طاطا) إلى (تاتلت) بـ(سگتانة) فكل هذه القرى وكل هذه القبائل مجالات للعلماء الكبار، ومثابة للتدريس، وأمكنة للخزائن العامرة، واليوم تقلص العلم من (تامانارت) إلى كل هذه النواحي، فلم أعرف عالمًا حيًّا الآن، إلا قاضي (أقا) فإنه حسن معتنٍ، وإلا سيدي أحمد بن عبد الرحمٰن الطاطائي نائب القاضي في (تسينت) الآن فإنه يذكر لي بعلم ودين وتقوى، وإلا بعض الناس ينسبون للعلم نسبة إضافية، فهكذا انطوى البساط بما فيه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

هذا الزمان الذي كنا نحدثه ... فيما يحدث كعب وابن مسعود

إن دام هذا ولم تحدث له غير ... لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

وهذا وقع مثله أيضًا في الخزائن، فإنها كانت منبثة هناك أيضًا، واليوم لا يوجد إلا خزانتان كبيرتان إحداهما في (أگادير الهناء) (بطاطا) والأخرى في (تاتلت) ولم أر ما هناك إلى الآن لأنني لم أنتظر حتى يتيسر، ولهذا أعزم على الرجوع إلى هذه الناحية إن شاء الله، ولا قصد إلا رؤيتهما، ثم سألت عن محمد بن إبراهيم الإيليغي القاضي الذي وجدناه مقيدًا بخط القاضي محمد بن أبي بكر الأقاوي فقيل لي إنه من (افوزار) وأهله هم آل عبد الله بن موسى ولا يزالون يسمون إلى الآن (آل القاضي) وقد تخرج من (تامگروت) عن الشيخ أحمد بن ناصر، وقد رأيته آخر فتوى يذيل على فتوى فقيه آخر يسمى عبد الله ابن علي، ولا أعرفه في هذه النواحي، ومعه محمد بن عبد الله الأوداشتي، ولعله من أسلاف العلامة سيدي محمد بن أحمد الاوداشتي التريتي وهؤلاء كلهم في النصف الأول من القرن الثاني عشر، وقد عاش الأخير إلى ما بعد

1150هـ، كما تدل عليه فتوى أخرى رأيناها هناك، وقد وجدت في هامش كتاب هناك اسم الفقيه محمد بن عبد الرحمٰن، فقيل لي إنه من (آل إبراهيم) من قرية (إيليغ)، وقد كان يعيش إلى أواسط القرن الماضي، وكان موثقًا مشهورًا يوصف بالعلم في زمانه، وقد توفي بعد 1223هـ كما يدل عليه أثر هناك.

كما وقفت أيضًا هناك على سؤال من المسمى عبد الله بن أحمد وجوابه من الفقيه عبد الرحمٰن بن أحمد الإيليغي، من (آل اكْرام) الذين لا يزال أعقابهم إلى الآن، وفتاويه موجودة، وكذلك أحكامه بين الناس ويوجد في أواسط القرن الماضي.

وقد سمعت أن في قرية (إيغي) من قرى وادي (إيليغ) قاضيًا عالمًا كبيرًا يثنى على مقامه في العلم، واستقامته كثيرًا، يسمى محمدًا، ويعيش أواسط القرن الثاني عشر، وربما يتوفى 1214هـ في الطاعون الجارف.

وكثيرًا ما يذكره سيدي أحمد الفقيه الركني، ويثنى عليه، وتوجد آثار له في الإفتاء والقضاء.

وهذه القرى كلها مرّ فيها العلم في أسر متعددة، ولكن مثابة العلماء هي قريتا (الركن) و(تاتلت) فقد سمعت من يقول انه مرّ في (الركن) زهاء ثمانين عالمًا[1] من القرن الثامن إلى القرن الرابع عشر حتى قيل إن هناك نساء عالمات في القرون الوسطى، ولكن أخبار الكل درج مع الدارجين، فلا عين ولا أثر، والبادية ممحقة للعلم فلا تبقي ولا تذر من آثاره، ورحم الله مالكًا الذي وصى أحد تلاميذه على أن لا يسكن البادية التي تمحق العلوم.

هذا وقد كنت رأيت هناك مجموعًا لآل (تاتلت) فإذا فيه منظومة لبعض مدرري الولدان مع شرحها، يبين فيها لطلبة القرآن فقط من غير أن يعرفوا من العربية شيئًا ما يكتبون به رسوم الأشرية، وعقود المعاملات، فصار هذا المؤلف يبين لهم بالعربية، ثم بالشلحة كلمات عربية مفسرة بالشلحة، كي يعلم بها المدررون كيف علم التوثيق، وكيف يستظهرون ما يحتاجون إليه من الكلمات العربية فيقول مثلًا في شرح الأبيات.

(1) ذكر من عرفوا من الركنيين في (الجزء السادس عشر).

وربوة بلدة ذراع ومنكب زقاقة مرفود وزرب تذيلا
كذا شعبة وحافة ومغارة وصفح وصخرة وسرب فيسفلا

(ش) الربوة (تاوررت) وهي الكدية، والذراع (إيغيل) والمنكب (ايغير) والزقاقة (تاسوكت) والمرفود (اضلال) وللزرب (ايفريكْ) والشعبة (تالات) كالتلعة والحافة (تاكْنزا) والمغارة، الكهف، وهو (ايفري) والصفح (ايسلي) والصخرة (تاوونت) أو (تكْنكْيت) والسرب: هنا المراد به (اسمامان) يعني مجرى الماء.

هذا في المفرد، وأما في الجمع فزقاقات ومغارات وحافات وصخرات وصفائح والمرافد والشعاب.

والكتاب مبتور، وإنما فيه عشر صفحات، ومؤلفه لم يسم لأنه من أهل هذه الجهة، لقوله في السرب (اسمامان)، ولا يقول هذه اللهجة إلا أهل هذه البلاد، وأما أهل بلاد جزولة فإنهم يقولون السرب بلهجتهم، وينطقون بلفظة السرب مسكن الراء وكذلك حين قال (تاوونت) فتلك الجهة التي نحن فيها يقولون (تاكْونت) بالكاف لأتاوونت بالواو، ولم أر قط الكتاب إلا هنا، وهو مقسوم إلى أبواب، والموجود هنا باب الأرض وما أشبهها، باب ذكر الأشجار، باب ذكر الديار، باب ذكر الماعون وما أشبهه، باب ذكر الدواب وما أشبهها، باب ذكر الوزيعة وما أشبهها، باب ذكر الرقيق والرجال والنساء باب ذكر صفات ابن آدم، هذا ما هنا في النسخة، وقد ساق في باب الرقيق أبياتًا للشيخ أحمد بابا السوداني في القبائل التي يباع أبناؤها، والتي لا يباع أبناؤها، وتلوه مؤلف في الترسل الساذج، من فقيه إلى فقيه، ومن إنسان إلى صهره أو إلى صاحبه أو إلى رئيسه، وكل ذلك بعبارات بسيطة، جمعها المؤلف للوارشيين الشلحيين الجاهلين للعربية فيتدربون على الترسل بهذا المؤلف، وتلوه مؤلف آخر مثله في مسطرة التوثيق، وكل هذه المؤلفات سوسية ساذجة صنعت للوراشيين.

ويوجد في المجموع أيضًا منظومة شلحية للحسن بن عبد الله بن أبي بكر ترجم فيها (المقنع) للمرغيتي إلى الشلحة ويزيد على ما فيه أحيانًا على ما قاله

وهو في ست صفحات وسطى، والمؤلف عجيب لم أره قط إلى الآن، نسخه محمد بن محمد من بني عبد العزيز من آل سيدي محمد بن يعقوب سنة 1267هـ والحسن المؤلف لم أعرفه الآن، وأما الناسخ فقد عرفناه وهو مذكور بين أهله في (المعسول)[1].

وفيه أيضًا قصة فتح إفريقية بنظم شلحي، وهي ملحمة أشادت بشهامة عبد الله بن جعفر، وهو بطل القصة في ست صفحات، وهذه الملحمة منتشرة، فقد سمعتها في الأسواق كثيرًا ما يتلوها أصحاب الحلق.

وفي آخر المجموع المؤلف الذي ألفه الفقيه سيدي أحمد بن إبراهيم الركني في أحوال الشيخ سيدي محمد بن يعقوب، إلا أن ما في أول هذه النسخة مخالف للنسخ المعلومة من الكتاب ففي هذه النسخة في نسب الشيخ رضي الله عنه (محمد بن يعقوب بن أبي بكر بن علي بن محمد بن داوود بن يوسف بن أحمد بن أبي سلهام بإزاء العرائش بساحل البحر ابن محمد بن عبد الله بن أبي مدين الغوث التلمساني ابن سليمان في (عين الحوت) بن زكرياء بن محمد بن علي بن محمد بن إدريس بن عبد الرحمٰن بن موسى بن أبي القاسم الصغير ابن إدريس الكبير بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب، هذا وكان سيدي يعقوب المذكور هو وإخوانه، منهم سيدي أبو زكرياء في بلاد حاحة بإزاء (السويرة) وأخوه سيدي علي بن إسماعيل بـ(عين الفطر) وأخوهم سيدي عبد الله بن محمد بن عبد الله المكنى بابن امغار في عين الفطر، وأما أولاد سيدنا ومولانا عبد الله بن حسين صاحب (تامصلوحت) ابن سعيد بن إبراهيم ابن شعيب بن أبي عبد الله المكنى بابن أمغار في عين الفطر انتهى مريد الشريف سيدي محمد بن سالم بن عبد الله بن إسماعيل انتهت وكملت النسخة الشجرة المشتملة على أنساب الولي الصالح القطب الواضح الشريف سيدي محمد بن يعقوب نفعنا الله به وبأصله وفروعه، بجاه سيدي الثقلين المبعوث إلى الخلق طرا ﷺ (هذا منتهى كلامه ثم افتتح ذكر المؤلف المذكور بعدما ذكر ما يتعلق بالنسبة الصنهاجية) وقد ذكرت في

---

(1) في (الجزء السادس عشر).

(المعسول) ما ذكره سيدي أحمد بن إبراهيم الركني، وقد قرأت في وصية الشيخ التي عليها خط سيدي محمد بن إبراهيم الشيخ التامانارتي نسبة سيدي محمد بن يعقوب إلى صنهاجة ثم وقعها الشيخ بيده وكذلك ذكر لي الفقيه سيدي الحسن بن محمد أن كل رسوم أولاد الشيخ ليس فيها إلا الصنهاجية وحدها.

تاتلت:

خرجنا عشية الاثنين 25 شوال أنا وسيدي التهامي لزيارة الشيخ سيدي محمد بن يعقوب لنرى هذا المقام العجيب الذي كنا نسمع به من قديم، فتسلقنا (جبل نعدي) فما قطعناه إلا بجهد مع أنه غير كثير، ثم صرنا ننزل وراءه في كدي غير وعرة، وإن كانت حزنة حجيرة، وذلك البسيط يسمى (أزاغار وانگيك) وقد كان قبل هذه السنوات محرث أهل هذه الجهة، وهو جميعًا مقسوم بين الناس برسومهم، وسمعت من يقول إنه كان دائمًا يخصب بالتوالي إلى سنة 1314هـ ثم صار يتخلف أحيانًا إلى سنة 1323هـ فكان هذا العام آخر عهد الناس يخصبه إلى الآن، وهو متسع استدارت به الجبال من كل الجهات، فهو في الاتساع كبسيط (الغ) في بلادنا ثم وصلنا جبلًا يسامت قرية (الركن) حيث مشهد سيدي جعفر والمحل يسامته فيه كومة أحجار، فدعونا هناك، ويقال إنه عالم قديم من قبل القرن التاسع، وأنه من أسلاف الركنيين ثم وجدته مذكورًا بين (أيت ويهدي)[1] وقد ذكر الفقيه سيدي محمد بن إبراهيم أنه رأى بعض أحكامه في (أيت يحيى) برأس الوادي بالمكانة العليا التي تظهر من النصوص التي يسوقها الفقهاء المتقنون، كان يحدث بذلك دائمًا، ويقول الناس إن الدعاء عنده مفتاح للدعاء عند الشيخ ابن يعقوب، ثم سرنا قدمًا في أرض معزاء فيها أحجار إلى أن دخلنا مخرمًا في الجبال الغربية، وهناك تاتلت والقرية في منبسط قليل من الوادي بعد الدخول من منفتح في الجبلين، فنزلنا وصمدنا إلى ضريح الشيخ وأنا أمر أمام ذاكرتي هذا المكان المقفر الذي نزل فيه هذا الشيخ الجليل، فقامت زاويته بالله لا بالساقية ـ كما قاله السلطان مولاي عبد

(1) يذكرون إن شاء الله في (الجزء العاشر).

الله الغالب بالله ـ ودور تاتلت مبنية بالأحجار بناء حسنًا مستقيمًا، فكانت عليها طلاوة، وإن لم تكن بيضاء، وضريح الشيخ وسط الديار، وقد كان رفيقي سيدي التهامي اقترح علي أن أخاطب مقام الشيخ الجم الكرامات بأبيات اقتفاء لوالدي في عينيته المشهورة فلم أنشرح بذلك صدرًا، لأنني لا أقدر أن أخاطب إلا بما أفهمه بلا غلو، ولكنه ألح وأبى علي إلا أن أقول فقلت هذه القصيدة المهلهلة النسج على عمد ليمكن للناس هنا أن يفهموها، ولم أقل فيها إلا معتقدي في الشيخ وأمثاله رضي الله عنهم بلا غلو، لأننا نحاول أن لا نخرج عن السنة في كل شيء على قدر طاقتنا ونصها:

إلى مقامك يا رب الكرامات	اعملت من بعد نص المطيات
لكي أرى يا ابن يعقوب المقام على	ما كان فاق به كل المقامات
يا طالما سمعت أذني وأقرأ ما	بين الدفاتر عنك كل آيات
فاليوم تبصر عيني ما وعت أذني	وسط مقامك من نفع البريات
كم لك يا شيخ من عزم توجهه	لكي ترد الورى عن الخطيئات
وكي تعرف من ناموا على عمه	في هذه الأرض قيوم السموات
تسوقهم رهبًا حتى تقربهم	من ربهم بسياط من كرامات
هذا المقام مقام النور يدركه	من كان متصفًا بألمعيات
عمرته بالهدى والرشد حفهما	جود يرفرف من فوق المنارات
أسست زاوية على أساس تقى	رأس فدام بها نبع العبادات
مأوى المساكين بل مثوى المدارس من	سرج أمام ذوي جهل مضيئات
فكم وكم عالم يا شيخ طار له	ذكر تطيب به بيض الصحيفات
وما استقى من سوى هذا المقام على	أيدي بنين على الأقران سادات
ندريهم علماء الدين قد بهروا	في كل عصر بتصحيح الديانات
وكل ذلك من فيض تمد به	من عهد عصرك من بحر الكرامات
لك الكرامات أثناء الحياة وإذ	أصبحت وسط الضريح بين أموات

فالروح تحيا ولا تفنى عزيمتها في كل ما ألفت بين العزيمات
على الذي عاش إنسان يموت كما عليه يبعث في يوم القيامات
يا سعد من كان في حال الحياة على خير طريق يعيش في الإنابات
مثل ابن يعقوب من كانت طريقته في عصره بالتقى خير الطريقات
قد نبذت زهرة الدنيا إنابته لربه فاكتسى خير الصيانات
يا أيها الشيخ يا بدر الهداة ويا بحر العطاش ويا عصمة آفات
ومن له همم فعالة وسنا في الرشد والجود آت بالعجيبات
ومن مقاماته حيًّا وحين ثوى بين المقابر من أسنى المقامات
لله لله ما أعطاك ربك يا عبدًا بطاعته سباق غايات
أطعت ربك من شرخ الشباب كما يبغي فنلت مكانات سنيات
وألسن الخلق أقلام الإله ومن أثنوا عليه فقد حاز الكمالات
والعبد عبد وإن أرقاه سيده بفضله في مقامات عليات
ونطلب الله أن يبقي المعارف في هذا المقام سراجًا في الجهالات
يكون مثل الذي قد كان منتجعًا أمس لدى كل من نص المطيات
فلا مقام بغير العلم يذكر إن طارت حواليه أنفاس اليراعات
عليك خير سلام يا ابن يعقوب من محب مثلك من أهل السعادات
حط الرحال لدى مثوى ضريحك عن شوق وربك يقضي كل حاجات

وقد كان والدي رحمه الله سافر على رجليه من إلغ حتى حلّ بساحة هذا الشيخ سنة 1308هـ فبات هناك هو وأصحابه، ولم يبال بهم أحد وفي الصباح جاء أحد صلحاء أبناء الشيخ فرحب بهم معتذرًا وقد قال إنه رأى الشيخ جده في المنام يلومه على عدم إكرامه لهؤلاء الأضياف، وقد خاطب والدي رحمه الله الشيخ بهذه القافية إذ ذاك.

أيا من أشارت بالأكف الأصابع لرتبته العليا وليس منازع
ويا غوث هذه البلاد وقطبها فنورك فيها يا ابن يعقوب ساطع

ويا من تجلى بالكرامات جهرة وكان لديه في أموره طابع
أتيت ضريحكم برجلي زائرًا معاهدك الحسنى وقلبي خاشع
ركبت إليكم مركب الشوق ذاهلًا عن الأهل والإخوان والشوق قاطع
وما الشوق إلا مركب البحر والفلا وليس لمطرود سوى الشوق شافع
أتينا بذل وانكسار وعبرة وكثرة أمراض وهن طبائع
فأنت على باب الإله فجد لنا بأودية الأمراض فالله سامع
فيا سعد من أتى بشوق مبرح لبابكم المفتوح والخير ذائع
فلا شك أن يحظى بحاجته التي يدوم وصالها وما أنت مانع

ثم التقينا بالفقيه سيدي أحمد بن عبد الرحمٰن بن محمد بن محمد بن عبد العزيز بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن يعقوب، وقد جاء إلينا مرحبًا فاستفدت منه بعض خبر أهله مما أرصدته (للمعسول)[1].

والذين مروا في مدرسة (تاتلت) من العلماء على ما حكى لي الفقيه سيدي الحسن بن محمد يوم جالسناه:

أولًا: سيدي محمد بن يوسف الركني لازم التدريس هناك 18 سنة وكان في المدرسة العليا، توفي بعد 1286هـ.

ثانيًا: سيدي بلا بن محمد أخو سيدي الحسين اليعقوبي لأبيه أخذ عن أهل الزاوية الهنائيين، كان يدرس وكان صعبًا غليظ الطبع يتعدى الحدود على التلاميذ ويدعون عليه فيتغول له غول فأصابته رعدة ودهشة فتطلع له شقشقة حتى تسد حلقه فلم تزل به حتى توفي قبل أخيه سيدي الحسين.

ثالثًا: سيدي الحاج أحمد بن موسى الطاطائي كان فيها مرتين الأولى قبل 1290هـ والثانية 1299هـ توفي 1336هـ.

رابعًا: سيدي محمد بن محمد الأملولي الاغزيري من إنداوزال، يظن الحاكي أنه تخرج من إيرازان، وكان عالمًا جيدًا بارعًا في التدريس، مر في تلك المدرسة مرات ثلاث، توفي 1320هـ.

---

(1) يوجدون في (الجزء السادس عشر).

خامسًا: سيدي عبد الملك بن محمد فتحا بن محمد بن محمد فتحا بن عبد الرحمٰن الأملولي وكان نائب قاضي تارودانت حينًا وكان فقيهًا نوازليًّا بارعًا وكانت محاورة بينه وبين سيدي محمد بن يوسف الركني في مسألة وكان عنده طابع القضاء الرسمي على النيابة وتوفي 1290هـ على ما يظن وأصله من أعلى أزاغار من إنداوزال وقد أخذ من فاس عن سيدي حمدون بن الحاج وقد مرّ ذكره في الرحلة الثانية.

سادسًا: أحمد بن عبد المالك عالم كبير كأبيه المذكور قبله له شهرة عظيمة علمية يدرس ويفتي ويقضي وكان في مسلاخ والده وتوفي في صدر هذا القرن وقد ولد له ولده محمد ليلة الأحد 8 جمادى الأولى 1287هـ وله خط جيد رأيته وكانت له مصاحبة مع الأديب سيدي الحسن بن محمد بن يوسف الركني.

ترجمة: وهنالك أحمد بن عمر الأملولي فقيه متخرج بالشيخ الحسن الإيرازاني، ثم صار من عمد طريقته المنافحين عنها، وله صحبة مع الشيخ الإلغي حتى زاره في إلغ، وقد طال عمره إلى ما بعد 1320هـ.

سابعًا: سيدي الحاج محمد بن عبد الواحد النظيفي ثم المراكشي الشيخ الشهير رضي الله عنه، مكث هناك ستة أشهر ولا يزال حيًّا الآن 1363هـ والذي أرسله إلى المدرسة هو شيخه الحاج أحمد بن موسى.

ثامنًا: سيدي عبد الله الواحماني السكْتاني كان فيها 1310هـ وهو القاضي النوازلي العالي المنزع، توفي 1351هـ وهو والد الأديب القاضي العلامة الجليل الحاج إسماعيل - وسيذكر إن شاء الله في (المعسول)[1].

تاسعًا: سيدي أحمد بن عبد الرحمٰن المتقدم الذكر الحي إلى الآن 1363هـ مكث فيها سنوات وهو الذي ذكرنا أنه اجتمعنا به وأملى علينا ما نكتبه.

عاشرًا: الحسين اليعقوبي أمضى فيها قليلًا لأنه إنما يكون في المدرسة السفلى كثيرًا كما سنذكره وهؤلاء من استحضرهم الحاكي سيدي أحمد بن عبد

(1) في (الجزء الثامن عشر).

الرحمٰن ممن مروا في المدرسة العليا، وأما العلماء الذين مروا في المدرسة السفلى، ويذكر أنها القديمة من أيام الشيخ فهم:

أولًا: سيدي أحمد بن إبراهيم الركني الشهير في أواسط القرن الثاني عشر وهو الذي ملأها علمًا وسمعة بالتدريس، توفي بعد 1169هـ بقليل.

ثانيًا: سيدي محمد فتحا بن أحمد ولده وكان علامة جهبذًا تخرج من فاس، ولأبيه مجموعة فتاوٍ موجودة بل لكل واحد منهما مجموعة فتاوٍ، كان درس في المدرسة ما شاء الله ولا ندري الآن متى توفي بعد أبيه.

ثالثًا: سيدي محمد بن فتحا بن أبي بكر من قرية (فدوكس) إزاء قرية تاتلت، وكان عربيًّا مبينًا يجتهد في تعليم العربية كثيرًا، أخذ من (إيرازان) عن الشيخ سيدي الحسن التملي، وعن العلامة سيدي الحاج أحمد بن موسى.

وقد كان شارط قبل في مدرسة من (سكْتانة) ولعلها مدرسة (أماديدن) توفي في العشرة الأولى من هذا القرن، وكانت في أخلاقه حزونة شديدة، وسبب مفارقته لمدرسة (تاتلت) أن بعض أهل القرية جاءوا إليه، ليكتب له رسالة مستعجلة، فطلب منه أن يكتبها في الحين، فطلب منه الأستاذ أن يصبر حتى يتم درسًا اشتغل به، فحين أبى أن يصبر أدى ذلك حتى تجاذبا الكلام فطفر الأستاذ ليرحل، وحلف أن لا يمكث في المدرسة بعد محاولة عقلاء القرية أن يثنوه عن نيته ولكن لسان حاله أنشد:

إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد إليـه بـوجـه آخـر الـدهـر تـقـبـل

وله أخ يسمى سيدي عبد الله حاذق، أخذ عن سيدي الحاج أحمد بن موسى وعن الحاج علي بن بوجمعة المسفيوي، ولكنه لم يسعد بعمله، ولا حظي به، فساقته الأقدار حتى انخرط في سلك العوام، مع أنه عالم جيد، وله تحريرات جيدة بخط حسن وأحكامه موجودة، توفي نحو 1330هـ.

رابعًا: سيدي عبد الله بن علي المغارتي، شارط فيها سبع سنوات، وقد كان اجتهد كثيرًا، وكان مجدًّا كثير الإكباب، ممعنًا في التدريس غير متسع للعوائد التي لم يدركها عند من درج بين أيديهم، أخذ عن الأستاذ سيدي

محمد فتحا بن أحمد الأودشتي، وعن سيدي محمد بن إبراهيم المغارتي، ثم التحق بفاس، فكان ممن أخذ عنهم هناك العلامة الحاج محمد بن عبد السلام كْنون ويسمى كْنون الصغير نحو سنة 1329هـ وقد أجازه إجازة مطلقة، ثم كان سيدي عبد الله يشارط في (تغارغرت) وفي (إيماديدن) وفي (تيركْت) وفي (رأس الوادي) وفي (لوليجة) عند القائد أحمد بن مالك، وكان قاضيًا عنده، وقد كان ساكنًا في (تاتلت) 17 سنة، وقد امتد عمره إلى أن توفي سنة 1359هـ ودفن في ضريح سيدي سعيد بن أحمد في (تيركْت) من قبيلة (أنداوزال) وهو من أشياخ سيدي الحسن بن محمد الذي يحكى لنا، وهؤلاء من يعرفهم الحاكي من مروا بالمدرستين.

نزلنا في دار الفقيه سيدي الحسن بن محمد فتحا الذي كان ولده سيدي إسماعيل زارنا في (إيليغ) فتعرض لنا في هذه العشية، ووالده باق في (طاطة) صلينا المغرب في سطح المدرسة السفلى، ثم أوينا إلى مثوانا، فبت وأنا أسائل عن أبناء الشيخ وعن أحوال الشيخ وأنا أميز بنظرات ابن خلدون فأذهب الزبد جفاء وأبقى ما ينفع الناس على قدر علمي ومستطاعي، فقيدت كثيرًا (للمعسول) وفي الصباح زرنا أيضًا الشيخ وهو في الطريق الغربي من المقبرة وقد استدار حوله بناء إلا أن قبره لا بناء يحول سقفه بينه وبين السماء، ويقال إن القبة بنيت عليه، ثم انهدمت فبقي القبر كذلك ضاحيًا وقد انشرح صدري أمام القبر، ولا ريب أن من اطلع على تاريخ هذا الشيخ الجليل من حبه للخمول، ومن إخلاصه في عمله، ومن إطعامه الطعام لا يرتاب إنه من أفذاذ هذه الأمة رضي الله عنه ونفعنا به، ومن هناك إلى المدرسة العليا، فمررنا على المجزرة التي يذبح فيها الذابحون ما يقدمونه هديًا إلى المشهد، على عادة الناس عند طلب حاجاتهم وقد اجتهد العلماء أن يبينوا للناس ما في ذلك، ولكن من يصيخ إلى السنة والناس عبيد ما ألفوا وقد قال مالك لا يساق الهدي إلا إلى الكعبة، ولابن سليمان الرسموكي كلام فصل فيه لحوم أمثال الذبائح إلى ثلاثة أقسام ما ذبح لوجه المسوق إليه لا تؤكل، وما ذبح لوجه الله صدقة على المساكين تؤكل، وما لم يتضح أمرها فإنها مكروهة.

وأمام المجزرة درج يطلع بها إلى الأعلى من يدعون للزائرين في أيام

المواسم إن لم يكونوا كثيرين جدًّا وإلا فإنه يذهب بهم إلى ما فوق زاويته التي سنذكرها، ثم هبطنا إلى منبع العين الجارية، وقد تغيض، ويكون معول القرية على بئر سيدي علي بن إبراهيم فوق القرية، والعين تسقي حقولًا ومباقل أسفل القرية، ثم دخلنا المدرسة، فوجدنا فيها أكثر من 20 تلميذًا للقرآن فحررناهم.

ثم جلسنا في غرفة للفقيه أستاذ المدرسة سيدي سعيد بن مبارك بن أحمد ابن سعيد بن علي التيوايناني من (كْطيوة) من تخرجوا حديثًا بسيدي الحاج مسعود الوفقاوي، وبأبيه سيدي مبارك ولد 25 صفر 1335هـ وأبوه فقيه أخذ عن الأستاذ سيدي محمد السملالي الكلفاني مدرس (تازمورت) وقد اقترن مبارك ببنته، وهي أم ولده الأستاذ سيدي سعيد هذا، وكان يشارط ويدرس في قرية (تيواينان) توفي 22 - 4 - 1362هـ، وأحمد بن مبارك أخو هذا الأستاذ، أخذ أيضًا عن الوفقاوي وعن والده، وهو اليوم في (تازمورت) وعمه علي عالم يذكر أيضًا يفتي ويقضي، مات قبل 1330هـ وولده أحمد بن علي كذلك كان يشارط في مدرسة (بوكْلولا) ولا يزال حيًّا، وجدهم سعيد كذلك عالم يذكر، وهم أسرة علمية كما يرى القارئ فليزادوا على الأسر العلمية السوسية التي عرفناها وعددناها في (فصل) من (سوس العالمة) وقد وجدت عند الأستاذ سيدي سعيد كتبًا تتبعتها فوجدت في مجموع خطي منها مؤلفًا في بيع الثنيا لمحمد بن محمد بن عبد الرحمن الدويملالني[1] التملي في ست صفحات كبيرة أكثر فيها النقول عن علماء سوس الكبار، توفي 1231هـ، وفي آخره منسوخ من تأليف آخر بيد عبد الملك بن سعيد بن علي بن عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي بكر الأياوي التملي 1196هـ.

كما رأينا عنده، من نسخة من (التنبيهات) لعياض مبتورة، الجزء الأول نسخ 979هـ.

والجزء الثاني من حاشية الزرقاني ابن فجلة من نسخ موسى ابن داوود الصنهاجي 1086هـ.

وشرحًا على لامية أبي العباس الجشتيمي في البناء في الكلمات للحسين

(1) ذكر رجال هذه الأسرة في (الجزء الرابع).

ابن إبراهيم الودريمي الهشتوكي، أتمه 1282هـ وهذه الكتب من خزانة في هذه الزاوية، وقد تفرقت كتبها عند المرابطين، وجلها عند الفقيه سيدي أحمد بن عبد الرحمٰن، وقد كان أمكن لنا أن نتربص يومًا حتى نراها على عادتنا في الخزائن، إلا أنني ظهر لي أن أعجل لأنني رأيت رب مثوانًا تكلف في الضيافة ولا أريد أن أثقل عليه ليلة أخرى.

لو اختصرتم من الإحسان زرتكم والعذب يهجر للإفراط في الخصر

ومما رأيته في تلك الجلسة (كتاب العاقبة) لعبد الحق الإشبيلي، في مجلد بخط جميل سالم من الخرم ومن المحو، نسخت النسخة 1012هـ بيد عبد الله ابن يعزى بن أحمد التودماوي، وهي في أحوال ما بعد الممات، والكتاب قليل.

وقد رأيت هناك في حاشية أن أحمد بن إبراهيم بن أحمد الركني استعار سنة 1071هـ كتابًا هناك من محمد بن أحمد ابن القاضي، والرجلان عالمان لم يعرفا الآن لأن أحمد بن إبراهيم الركني المشهور من أهل أواسط القرن الثاني عشر توفي حوالي 1170هـ وهذا كما ترى من الحادي عشر، فهما اثنان.

ووجدت أيضًا أن الوباء كان سنة 1090هـ وأن فيه موت الصالح الناصح سيدي عبد الله بن عثمان التاتلتي اليعقوبي يوم السبت 25-3-1090هـ وهناك أيضًا عبد الله بن أحمد بن محمد اليعقوبي التاتلي أخذ عن الشيخ المحقق سعيد ابن إبراهيم الكُنجاني[1] المراكشي، ثم ذهبنا إلى الزاوية، وهي قريبة من المدرسة فولجناها، فزرنا المصلى الذي كان الفقراء مع الشيخ يصلون فيه، وفيه ظلمة مع أنه متسع، كما زرنا أيضًا مصلى الصيف، ويسمى (مركع سيدي أحمد بن موسى) وهو غير واسع ثم ذهبنا حتى زرنا المطبخ، ورأينا كسكسو الزاوية المعتاد لكل من ورد ـ أيًا كان، صباحًا ومساء، وهو غير منخول، فتناولنا فيه للتبرك، والخدام محتزمون يخدمون، وأطلعنا على محل المطاحن، وفيها 13 مطحنة تطحن دائمًا وقد كان القتلة يهربون إلى حرم الزاوية، فيتولون

(1) رأيت اسم الكنجاني هذا في كتاب (رحلة الوافد) المخطوطة، واليعقوبيين ذكروا في (الجزء السادس عشر).

خدمتها، والآن بعد انبساط الحكومة يكري من يخدم، والقيم على الإهراء المملوءة شعيرًا وزيتًا وتمرًا يسمى (الفقير) رأيناه، وهو من أصحاب الشيخ الإلغي طريقة، وقد أرانا أبواب الإهراء مقفلة، وقد ضاقت بالحبوب فيبنون الآن هريًا آخر، وقد طلعنا على السطح، فعملنا إذ ذاك مقدار ما هناك من الحبوب الكثيرة جدًّا.

ثم نزلنا فزرنا دار المساكين خارج الزاوية، وفيها أيتام وأيمات يأكل الجميع من الزاوية دائمًا وفي العشي غادرنا المكان.

مراجعة إيليغ:

بات معنا الفقيه سيدي الحسن بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن الحسن ابن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن يعقوب في (إيليغ) يوم رجوعنا من (تاتلت) فسألته عن نسب سيدي الحسين اليعقوبي الشهير فقال: إنه الحسين بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن محمد ابن محمد بن محمد بن يعقوب، وله أخ عالم يسمى بلا بن محمد وقد تقدم عليه، وهناك بلا آخر يلقب بالأعرج، تخرج من (تمگدشت) بالشيخ سيدي الحسن بن أحمد، وولده سيدي الحسن الذي يحكى لنا في أواسط ذي الحجة 1290هـ. وأخذ القرآن عن محمد بن عبد الرحمٰن الكنسوسي في القرية، ثم افتتح عند سيدي الحسين اليعقوبي، فبقي عنده قليلًا، ثم أخذ عن الفقيه محمد الأغزيري الأملولي وقد تقدم ذكره ثم إلى الفقيه سيدي عبد الرحمٰن الوحماني في مدرسة (فم تاتلت) سنة، ثم إلى سيدي الحاج أحمد بن موسى في مدرسة (تيميشا) ثم عند الفقيه عبد الله بن علي المغارتي في المدرسة السفلى (وتاتلت) وكان عام 1318هـ منتهى أخذه، فشارط في (إيليغ) كثيرًا.

وسألته عن الأستاذ عبد الرحيم التاغارغارتي الشهير، فقال إن أباه اسمه إبراهيم و(تاغارغارت) معدودة من قبيلة (أنداوزال) تخرج بسيدي أبي بكر بن أحمد التاگموتي لازمه من قديم وقد مات والده إبراهيم في وباء 1214هـ فرجع به أهله، وكان إبراهيم ذا همة عالية معلومة باتباع السنة، لا تأخذه هوادة فيها، وكان إذا رأى أهل محل فرطوا في مسجدهم لا يؤذنون ولا يشارطون أستاذًا،

يقاومهم ويدل عليهم من يغير عليهم من أعدائهم، لعلمه أنهم يقاتلون شرعًا، وكان زوج أمه من صاحب لأبيه لأنها لا تزال صغيرة، فرأى عين المصلحة في ذلك فأرسل إلى علماء حضروا عنده عشية، فأمرهم أن يراودوا أمه للتزوج من صاحب أبيه المذكور وقد ماتت زوجه، وكان ذا مال وطلب منهم أن يتلوا عليها الأحاديث والآيات التي في فضل الزواج فأبت إباء كليًا، وقالت إن ضيقت على ولدي وعلى قرينته في دارهما فإني سأغادرهما، فقالوا له إنها امتنعت، فأمرهم بالرجوع، وأن لا ييأسوا أن يراودوها بكل حيلة كأنه يتذكر قول بشار:

لا يـويـسـنـك مـن مـخـدرة ... قـول تـغـلـظـه وإن جـرحـا
عـسـر الـنـسـاء إلـى مـيـاسـرة ... والـصـعـب يـسلس بعدما جمحا

وأخيرًا أسلست له القياد وفوضت له الأمر، فعقد للرجل عليها في الحين، فذهبت إلى دارها وبعد شهرين زارها مع زوجه ففرحت بهما غاية الفرح، وقد اغتبطت بزواجها، وابتهجت به غاية الابتهاج وبعد خمسة عشر يومًا خرجت لتودعهما وقد أتت بحلي كثير مما أعطاه لها زوجها الجديد فوهبته لزوجة ابنها، فلم تزل تماشيهما حتى حالت هضبة بينهم وبين أهل القرية فعمدت إلى ولدها تربته على ظهره وهي تدعو له وترضى عنه كل الرضا من جراء ما صنع بها، وكذلك فعلت بزوجه وطلبت الله أن يرزقهما أولادًا صالحين ويرى الناس أن الله استجاب دعوتها في ولدها الذي كان جبل السنة في عصره وفي انه رزق سبعة أولاد وبضع بنات وقد كان الأستاذ يعمل بنفسه في حقله وعادته أن يلازم تلاميذ القرآن في مسجد القرية حتى يحفظوا ويطلقهم ثم يعمد إلى المسحاة والقفة وهما لا تفارقان جنبه في المسجد، فيخرج إلى غرس أشجار اللوز وقد عد في تركته ألف شجرة من اللوز المثمر مما غرس بيده، وعند الظهر يرجع إلى المسجد إلى العصر، فيراجع عمله، وهذا ديدنه دائمًا، وكان رحيمًا شفوقًا وكان أيضًا يدرس العلوم، مشهورًا بالصلاح وإتقان الفنون التي أخذها، وجد يومًا بعض أصحابه يضرب تلميذًا ضربًا مبرحًا فضربه بيده قائلًا: ارحم ترحم إنما يرحم الله الرحماء وقد أدركت له بنت، فذهب بها إلى الولي الصالح الفقيه الصوفي المعتاد أن ينزوي في خلوته على النساخة في الكتب سيدي أحمد بن الحاج الاوداشتي الشريف فأدخلها عليه فطلب منه أن يقبلها منه هدية على سنة

الله ورسوله فقبلها منه وعقد عليها في الحين، وهو إذ ذاك مسن وعنده زوج أخرى لا تزال عنده وقد ذهب أيضًا إلى الفقيه إسماعيل الكني[1] وكان زاهدًا سنيًّا كبير القدر فعرض عليه بنتًا أخرى فقبلها منه فواعده أن يلتقي معه في خلاء سماه له وهو (تانلا) بين (أيت كين) و(أيت حميد) فأردف بنته فمكنها من زوجها هناك فذهب بها وهكذا زوج بنتيه زواجًا لا صخب فيه ولا نصب فولدت الأولى الفقيه المدرس الخشوع سيدي محمد بن أحمد الأوداشتي الشهير وقد امتد عمره إلى ما بعد 1320هـ.

والأوداشتيون أسرة علمية وقد مضى منهم الفقيه محمد بن عبد الله من أهل أوائل القرن الثاني عشر وهم شرفاء محققون.

وبعد هذا وجدت اسم أحمد بن عبد الكريم الأوداشتي ولا أدري أهو أحمد بن الحاج المذكور أم لا.

والأخرى ولدت الصالح سيدي محمد بن إسماعيل من حفظة كتاب الله، وقد ذكر لي الحاكي أنه رأى مختصر التاغارغارتي للقسطلاني وفي أوله خط الفقيه الايزنكاضي كتب فيه شيئًا لأن التاغارغارتي سأله عما عزم عليه وأرسل إليه مبتدأ الكتاب، فوضع فيه ما وضع، قال الحاكي ويوجد في كلام التاغارغارتي لحن ما، وهذا الذي يحكي أخذ كل ما قال عن شيخه سيدي عبد الله الواحماني وهو أدرك حياته، ثم هو الذي تولى قسمة تركته ولعبد الرحيم ولد فقيه يسمى أحمد وكان يفتي ويقضي وأحكامه موجودة، وقد اعتبط شابًّا.

أقول إن التاغارغارتي ذكره علي الدمناتي في (فهرسته) وقد لقيه في (سوس) حين زاره في أواسط القرن الماضي ووفاة التاغارغارتي كانت عام 1279هـ وكان قاضيًا كبيرًا في عصره يقصده الناس لمراقبته لله ولخوفه فلا يدلي إلا بالحق، ولا يحكم إلا بالعدل ومحررات يده وأحكامه كثيرة وألسنة الناس لا تزال رطبة بذكره[2].

---

(1) هذا هو جد الأستاذ حسن الذي تخرج الآن من مصر فرجع بهمة عليا كما كان سافر بعزيمة وصمود فهو حسن بن أحمد بن محمد بن إسماعيل.

(2) في (الجزء الثامن عشر) الأسرة التاغارغارتية.

وهناك الفقيه عبد الرحمٰن بن علي الكيني فقيه شهير، وكان يشارط في قرية (تينتازارت) بـ(طاطة) وكانت له صحبة بالفقيه سيدي محمد بن يوسف الركني ولعله توفي قبل 1280هـ وهناك رسائل كثيرة بين معاصريه كالمذكور وقد رأيت له حكمًا مؤرخًا بـ1273هـ.

ومما أخبرت به أن في قرية (إيمولا) إزاء قرية (ابن تابيا) عالـمًا يسمى أحمد بن محمد الظلالي الإيمولائي، وقد رأيت له آثارًا في الإفتاء وكان يعيش إلى أواخر القرن الثاني عشر وقد نقل عن أحمد بن أبي بكر الرسموكي في الفتوى التي رأيتها وقد كان قاضي هذه الجهات في عصره ومحرراته كثيرة وقد رأيته يفتي مع محمد بن عبد الله من (أكادير نيت الطالب) السكْتاني ومع محمد ابن محمد المنصوري و(آل منصور) موجودين في (الفائجة) وقد تفرقوا في ثلاث قرى (تينفو) (دوكْدير) (إيمضر).

ورأيت أيضًا هناك فتوى للفقيه القاضي موسى بن محمد بن مبارك الخالدي وهو بلا ريب من قضاة السعديين وهو من الشرفاء الخالديين وهم مشهورون في هذه البلاد ومحمد بن مبارك هو القاضي في عهد السعديين قبل ولده وهو الذي نقل عنه سيدي احمد بن إبراهيم الركني أخبارًا عن سيدي محمد بن يعقوب، ومن هؤلاء الخالديين آل إيزنكاض العلماء وقد تقدمت الإشارة إليه قريبًا. وفي بعض فتاوي الإيزنكاضيين نسبتهم إلى (أيت سمكْ) لأنهم يشارطون في (أمين) كما أنهم كذلك يشارطون في (تاكْاركْوست) وأصلهم الأصيل في (تيودفي) المشهور في (طاطة) وقد انقرض هؤلاء الذين خرجوا من (طاطا) ولم يبق منهم الآن 1363هـ إلا واحد (نعم) هناك في أصلهم الأصيل كثيرون من إخوانهم إلى الآن إلا أن العلم انقرض فيهم.

ورأيت أيضًا فتوى للفقيه علي بن إبراهيم الأنزوري نسبة إلى قرية (أنزور) جهة قرية (ابن تابيا) نقلها عبد الله بن أحمد الركني، وهذا يعيش في النصف الأول من أواسطه من القرن الثاني عشر فيكون هذا من أهل القرن الحادي عشر وقد وصفه بالفقيه الصالح الناصح.

وقد رأيت هناك نقلًا منسوبًا إلى رحلة لسيدي أحمد الهشتوكي ولم أسمع

قط بهذه الرحلة إلى الآن ولم أدر أهي حجازية أم غيرها وإن كانت الحجازيات هي الكثيرة إذ ذاك والغالب أنه أحمد أحوزي الشهير وما أكثر مؤلفات أحوزي ففي كل حين نقع على أخريات منها (ثم علمت أن هناك رحلتين حجازيتين لأحمد أحوزي الهشتوكي موجودتين في (تامكَّروت) فعلمنا ما كنا جاهلين[1] والحمد لله).

ورأيت أيضًا هناك من بين رسوم اسم الفقيه محمد بن إبراهيم الإيليغي الساكن في (تاكَّموت) سنة 1243هـ وقد وصف في تحرير للشيخ أبي بكر بن علي بن يوسف الناصري بالفقيه النبيه وقد حرره من جميع النائبات والكلف بين القبيلة وقد جعل له مكانة بتحريره مما يدل على أنه عالم له شهرة وتصوف يعتقد به، ومحمد (بالضم)، هنا غير محمد (بالفتح) القاضي المتقدم الذكر لأن المتقدم قديم وأبو بكر الناصري توفي نحو 1282هـ.

وقد وجدت في هذه الخزانة اليوسفية الإيليغية أيضًا حاشية على الشفاء ضخمة جمعت من طرر شرح الإمام الخفاجي على الشفاء نسب بعضها إلى الشريف التلمساني شارح الشفاء وبعضها لعبد الله بن أحمد بن سعيد بن يحيى ابن معاوية الزموري شارحه أيضًا فرغ مؤلف الحاشية منها 1089هـ ونسخت النسخة 1144هـ وعلى ظهرها ما نصه. . . للإمام العالم أبي محمد سيدي بلقاسم الماسي رحمه الله ورضي عنه، وقد كتب هذا وسط الصفحة على ظهر الصحيفة الأولى من المؤلف حيث اعتاد النساخ أن يكتبوا أسماء المؤلفين، فهل الحاشية للماسي المذكور فقد قلبت منها محلات فيها فلم أهتد لشيء يفيدني ومبتدأ الحاشية.

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد الذي لم تكن له صاحبة ولا ولد الخ.

وقد وجدت هناك ختمة للرسالة طلبها عالم يسمى محمد الصبيحي من العلامة محمد ـ فتحا ـ بن عبد الرحمٰن بن زكري من قرية (آل ياسين) الطاطائي وفيه 15 صفحة طولى، وفيه أحاديث وآداب وأدبيات، ونعلم أن محمد بن

(1) والفضل في هذه الفائدة يرجع للعلامة البحاثة أبي المزايا سيدي إبراهيم الكتاني.

زكري تلميذ للحضيكي، وهو شيخ لسيدي محمد بن أحمد الإيزنكاضي.

ووجدت هناك مجموعة للعلامة المحدث محمد بن عبد السلام الناصري كتبها كلها بيده حين أقام للأخذ من فاس 1182هـ وكلها حول الحديث واللغة كمثلث قطرب المنثور وشرحه وكفاية المحتفظ، ومؤلف في الحساب وفي النحو وفي ألفية العراقي في السيرة، و(المغني عن الحفظ) والكتاب، لعمر الموصلي وعليه طرر من الناسخ في الذي يؤاخذ عليه المؤلف والكتاب مطبوع مشهور ونظم خاتمة كتاب (سفر السعادة) للفيروزبادي لمحمد المقدسي الداوودي و(سفر السعادة) مطبوع اليوم ومنظومة ابن زكري الفاسي في مصطلح الحديث والغماز على اللماز للسنهوري في الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ورجز سيدي محمد ابن يوسف في مصطلح الحديث، الذي نظم فيه النخبة وذيل طبقات المدلسين لإدريس العراقي والأصل لابن حجر وهو في زهاء صفحتين، ولكن وراءه بياضًا لعله لم يستتم كتابته، والدرر المنتثرة للسيوطي وعلى طرره من بحوث سيدي إدريس العراقي ما لو جمع لكان حاشية نفيسة فإنه يباحث المؤلف كثيرًا في أحكامه على الأحاديث وقد أخذه ابن عبد السلام عن العراقي في (جامع الرصيف) وشرح سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي على منظومة المصطلح الشهير لمحمد العربي الفاسي وشرح عز الدين ابن جماعة (على غرامي صحيح) ومجموعة في طبقات المفسرين وتفضيل بعضهم على بعض، وعليها حواشٍ كثيرة للناسخ ينقل عن شيخه العراقي ثم (نخبة الفكر) وعلى طررها حواشٍ مطررة ببحوث الناسخ ولو خرجت لكانت حاشية لطيفة على الكتاب.

تلك المجموعة هي التي أنفق فيها ذلك الولوع بالحديث أحسن أيام شبابه فبقيت عند أولاده لا يقدرون قدر جهود الأجداد فتعاطتها الأيدي حتى أهداها سيدي إدريس القرشي الناصري من أهل (زاوية البركة) إلى الفقيه سيدي أحمد الركني، ولا يعلم إلا الله كيف بت معها في هذه الصحراء وأنا أقول لها:

أيا جارتا إنّا غريبان هاهنا   وكل غريب للغريب نسيب

فيا لها من مجموعة فيها خط دقيق صحيح بلا لحن وفيها زبدة ما أخذه ابن عبد السلام عن شيخه إدريس العراقي وجلّ ما فيها موجود اليوم إلا أنها مع

ذلك مجموعة قيمة يتنافس فيها العارفون لما عليها من طرر المحدث العراقي ربما لا توجد اليوم في غير هذه الكناشة.

ومما رأيته أيضًا في تلك الخزانة مجموعة فتاوى ضخمة وهي بلا ريب لعبد السميح الأمزالي وهي التي سئل عنها العباسي كما في نوازله أتعتمد أم لا فقال لا بد أن ينظر في كل جواب منها على حدة وقد وجدت على مفتتحها أنها لأحمد بن محمد بن عبد السميح التاغاتيني مع أن هذا يذكر أجوبة أحمد بن محمد بن عبد السميح في الكتاب بالكيفية التي يذكر بها غيرها، ويوصف فيها بالفقيه العالم كما يوصف به غيره، ولو كان المؤلف هو هو، لما كان يذكر نفسه بتلك الأوصاف وليعلم القارئ ذلك، ولم أر هذه المجموعة إلا هنا، وقد قرأت فيها ما يوجد في الأجوبة البرجية المشهورة. وإن كان لا بد أن تكون هنا زيادة.

ومما رأيت هنا شرح (الكافية) لابن مالك بخط حسن، وهو موجود إلا أنني أردت أن يعرف الناس انتشار هذه المؤلفات في هذه النواحي أيضًا، وكذلك رأيت شرح (بهرام) على المختصر، وناسخه أحمد بن عبد الله بن أحمد ابن محمد الأملولي الهوزالي بخط جميل رائق، وليزد هذا على الأملوليين المذكورين آنفًا، وكذلك شرح (التسهيل) لابن عقيل أو للدماميني موجودة في هذه الجهة كما حدثت به عن بعض الخزائن.

ورأيت هناك في كتاب فتوى للشيخ الفقيه سيدي محمد بن عبد الله الإريزي وقد نقل عن أحمد بن سليمان الرسموكي، ولا أعرفه الآن، ووفاة الرسموكي 1133هـ فيكون هذا بعد هذا الوقت، وهناك محل يسمى (إيرزي) في جهة (هوزيوة) ولعله المنسوب إليه.

ورأيت هناك مجلدًا في الخطب الجمعية، فيه إنشاء عالي النفس وفي أولها تقاريظ الأدباء الدلائيين واليوسي والتجموعتي والمرغيتي، ويجب على أدبائنا أن لا ينسوا الأدب الدلائي في أبحاثهم وقد حثثت على ذلك الأديب ابن العباس القباج ليعلنه في الصحف يوم رأيته في رحلة لي أخيرة إلى الحواضر.

تيسناسامين:

خرجنا يوم الجمعة 29 من شوال فمررنا بحقول (تاوهالت) وفيها العين المتدفقة، وقد غطتها الحكومة في سرب تجري فيه لئلا يفسدها السيل، ثم بعد سير ساعتين بين جبلين في بسيط، نزلنا في القرية فتلقانا أهلها، بالترحيب، لكونهم ينتظروننا من أيام، وفي العشي خرجت فرأيت نخيلهم وماءهم، فرأيت حقولًا غير واسعة، ونخلًا غير كثير، وللقرية عين دائمة لا تغور، وأخرى تفور وتغور بحسب الأمطار وانقطاعها، وقد حييت كل العيون في هذه السنة لكثرة الأمطار والسيول من أول السنة إلى الآن.

وقد زرت المسجد فوجدت في مصلاه ثلاثة صفوف وسطى، وإزاء المحراب المنبر، مما يدل على أنهم كانوا يصلون الجمعة قبل هذا الوقت، وقد أخبروا أنها ما انقطعت إلا منذ عقود من السنين بسبب حرب[1] بينهم، وسكان القرية الآن 40 كانونًا، وغالبهم أصحاب الطريقة (الإلغية) وفيهم من ينتسبون في أنسابهم إلى الشرفاء الخالديين الكثيرين في هذه النواحي، وهم نحو نصف سكان القرية وقد مرّ ببالي أن الشرفاء الخالديين إدريسيون.

في الطريق إلى سكتانة:

بكرنا قبل الفجر بثلاث ساعات، فاستقبلنا الطريق المكنوسة، وهي التي شجعتنا على السير في الظلماء، والليلة ليلة السرار، وبعد خمس كيلومترات مررنا بالقرية التي فيها زاوية الشيخ (أبي صالح) وهي محطة القوافل من قديم، والمؤسس لها، وقد وجدنا أن بكري النسب من (آل يعزى ويهدى) وأنه من أهل القرن الثامن أو السابع، ولا ورثة له[2] ويخدم زاويته التي أسسها للوارد والصادر، قبائل في هذه الجهة، تدفع لها قدرًا معلومًا سنويًا كما يحط فيها كل ذي بهيمة مرّ بها صاعًا نبوية من التمر أو من الشعير، ويجعل كل ذلك في خزانة الزاوية، فيطعم به كل من بات هناك أيًّا كان وعلى أي عدد كانوا، عادة

---

(1) استرجعت إقامة الجمعة بعد إعلان الاستقلال في هذه القرية.

(2) مذكور بين اليعزاويين في (الجزء العاشر).

من السلف إلى الخلف، وقد جرب أصحاب القوافل أن من لم يحط فيها صاعًا نبوية مما تحمله بهيمته، أن تهلك تلك البهيمة، ولذلك صارت العادة متبعة إلى الآن والناس يصابون من الناحية التي يخافون منها.

وقد كان الشيخ ابن يعقوب التاتلتي يزور مشهده من أول القرن العاشر هذا كل ما نعرفه عن أبي صالح وقد كانت هناك مدرسة علمية انهدمت منذ أزمان.

ثم بعد طلوعنا من وادٍ طويل إلا أن ما حواليه غير عال علوًّا كبيرًا، اطلعنا إلى ثنية نزلنا منها على دار آل (ابن تابيا) ورئاستهم مشهورة، وأولهم محمد وكان من كبار رؤساء هذه القبائل يذكر كثيرًا إلى أن تعدى أهل قريته عليه فقتلوه مع قرينته فقطعوا رؤوسهما فهرب أولاده الصغار والكبار، إلى (إيليغ) فهناك سكنوا ما شاء الله، وقتل محمد في نحو 1290هـ، وكان له أربعة ذكور برز منهم عبد الرحمٰن ومحمد ـ فتحا ـ ومحمد وعلي وكان عبد الرحمٰن هو البارز بعد مراجعتهم بالغلبة، فجازوا أصحابهم الجزاء الأوفى، فكان يقبل ويدبر ويحارب الرئيس محمد ـ فتحا ـ بن عبد الله من (آل أبي بكر) من قرية (دوتاوريرت) وكان عبد الرحمٰن على نحلة (تاݣورولت) والآخر على نحلة (السكتانية) المسماة (تاحكات)، إلى أن غلب محمد بن عبد الله وتبعه غالب الناس، فذهب عبد الرحمٰن 1333هـ إلى الحاج التهامي الأݣلاوي، فأتى بجيشه فألقى الأݣلاوي القبض على محمد بن عبد الله، ونهب داره الطافحة بكل نوع من أنواع الأموال والأثاث، ثم بدا له فألحق به عبد الرحمٰن في السجن فهلك محمد وأطلق عبد الرحمٰن مع آخرين من السكتانيين، وكان محمد ـ فتحا ـ أخوه مسجونًا أيضًا ثم صار رئيسًا تحت الأݣلاويين وتوفي عبد الرحمٰن 1343هـ ثم محمد في شعبان 1351هـ على ما أخذناه من أفواه المحدثين ومحمد (أخوهما 1362) فتلاهم محمد بن محمد ـ فتحا ـ إلى أن سجن أخوه عبد الله على جريمة قتل فعزل وبقيت دارهم شاغرة من الرئاسة إلى 1361هـ فصار أخوهم الحاج أحمد بن محمد ـ فتحا ـ شيخًا على إخوانهم وهو أصغرهم، وإخوته الباقون لا يزالون على شركة في أموالهم ولهم دار لها بروج نبعت عين في وسطها، وثروتهم قليلة.

ثم قلنا في الهاجرة في قرية (تنماليز) فنزلنا في المسجد، فإذا بالفقيه سيدي محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله من (آل الحسن) فرحب بنا لأنه كان يسمع بي، ولم نكن نقصد هناك إنسانًا معلومًا، فسألته عن أهله، فذكر أن والده كان لا بأس به في العلم، وقد أخذ عن عبد الرحمٰن بن محمد بن أحمد الإيزنكاضي في مدرسة (واويرست) والإيزنكاضيون من الخالديين المذكورين قبل في (طاطة) وعبد الرحمٰن عالم كبير له محررات أحكام، وفتاوٍ توجد ويوصف بالصلاح، وهذا الذي ذكرنا قبل في (طاطة) أنه توفي شابًا فبكاه أبوه كثيرًا، حتى كاد يجن.

قال الحاكي، أنه هو أخذ أولًا عن العلامة عبد الله التيواضوئي أستاذ مدرسة (تينزرت) صاحب (المصباح) على الألفية، وهو نحوي علامة مشارك ممن تخرج بالأستاذ أبي العباس التمكْيدشتي وكان في مقدمة النجباء من أصحابه ولذلك اتفق عليه تلاميذ الشيخين أبي العباس وأبي علي على أن يسافر إلى الحضرة الحسنية مع سيدي الحنفي حين توفي سيدي الحسن بن أحمد سنة 1297هـ، قال فذهب على بغلة سيدي الحسن، وبسبحته وبدليله، ومع رفيقه الذي كان يعلم كيف عادة آل المخزن، ومرّ ببعض تلاميذه في (تينزرت) فصاحب منهم من شاء، فعزى السلطان ورحب به ثم اجتمع له جمع من علماء الحضرة فصاولوه في مباحث فإذا به غلبهم كلهم في مداولات شتى، قال جاؤوا إليّ بعد حين بعالم ضخم الجثة فأراد أن يتكلم معي بعبارة فصيحة، فإذا به لحن، فعارضته، وأنا أتلو عليه كلام الموضح والصبان والأشموني، فدهش فسكت عني، ثم ألقيت عليه مسألة بسيطة في مبادئ النحو، فإذا به وبأصحابه انقطعوا فقال لي قائل إنكم يا معشر السوسيين تغلبوننا دائمًا في العربية وفي استحضار جزئياتها وشواهدها وفي معرفتكم باللغة العربية وآدابها، وكان العلامة التيواضوئي مثابرًا على التدريس، طارت له السمعة بذلك، وتخرج به كثيرون، توفي 1309هـ ومن أهله أحمد الأستاذ في المدرسة بعده، وقد أخذ عنه سيدي مولود اليعقوبي.

كما أخذ أيضًا الحاكي عن الأستاذ سيدي محمد بن عبد المالك اليزيدي مدرس مدرسة (تامازت) وهو علامة شهير تخرج بأحمد التيمكْيدشتي ثم بابنه

الشيخ سيدي الحسن، حكى عنه الحاكي أنه كثيرًا ما ينقل عن الحضيكّي ويقول أنه جده من جهة الأم، توفي يوم الاثنين في 28 صفر 1332هـ وهو علامة جليل من كبار المدرسين المخرجين في عصره، له تلاميذ كثيرون.

وممن تخرجوا به الفقيه سيدي إبراهيم الأوخشيني الإيزناكّي وكان قاضيًا كبيرًا في تلك الجهة، وتوفي بعد 1330هـ.

وسيدي محمد الرسموكي سكن في (تامازت) كان يدرس في مدرسة أولاد برحيل، قبيلة القائد حيدة توفي 8- ذي الحجة - 1341هـ.

وسيدي محمد بن عبد الكبير في قرية (تالات إينمغارتين) - شعبة المغارتيين - إزاء هذا المحل الذي نزلنا فيه، وقد سكن الفقيه في قرية (أكّز) هناك وشارط في مسجدها حتى توفي، وكان يدرس فيها العلوم كلها، المختصر فما دونه والألفية وغيرها، وكان عالمًا محصلًا مشهورًا بذلك توفي نحو 1330هـ.

وسيدي الحاج عبد الرحمٰن بن الحسن بلديه، اندغم في المدن حتى توفي فيها قبل 1340هـ.

وسيدي الحسن الشرحبيلي كان يدرس في زاوية جده، له خط حسن رأيته مع عبارة مقبولة وكان يفتي كثيرًا توفي قريبًا قبل 1350هـ[1].

وسيدي إبراهيم الحاحي كان نجيبًا أرسل إليه قائد بلده فكان في المدرسة ولم ينشب أن توفي نحو 1320هـ ولم يعرف في أي محل يقطن في (حاحة) وكان صالحًا خائفًا لربه.

ومحمد الصغير الواعلاني كان يشارط في قرية (النقب) بـ(أيت واغردا) قبيلة إزاء (أيت أوبيال) توفي 1340هـ.

وسيدي محمد بن الحسين الأمكّوني السكّتاني الحمزاوي حصل الفنون مع القراءات السبع، وكان كذلك آية في علوم الهيئة، وقد أخذ أيضًا من فاس وكان في مدرسة أستاذه من المعينين، سكن في رأس الوادي من قرية

(1) ذكر الشرحبيليون في (الجزء الثامن عشر).

(إداڭايلال) ثم إلى فريجة، وكان يدرس هناك، وله فطانة تذكر، إلا أن في ميزانه خللًا كما شاع عنه وكان ربانيًّا توفي نحو 1360هـ.

وسيدي عثمان أڭرام من الويساعديين رجع إلى بلده فقضى وأفتى ما شاء الله، توفي قبل 1340هـ.

وسيدي محمد الاقيڭرني من ذكره في أقا.

وسيدي مبارك الافيفي وكان نجيبًا مثابرًا على المطالعة منزويًا عن الناس، ولا يعلم له حال بعد تخرجه، لأنه ذهب إلى بلده البعيد عن هذه الناحية.

وسيدي مبارك الزدوتي الإباليلي رجع إلى بلده وقد تأثر آثار والده الذي كان علامة يدرس في مدرسة السوق من إداوزدوت، قال الحاكي وقد زرت هذه المدرسة وفيها مصلى مظلم طويل، توفي 1361هـ.

وسيدي بلقاسم ابن أخت سيدي محمد بن عبد الملك الأستاذ نفسه وكان مدرسًا كبيرًا، توفي نحو 1358هـ كان ساكنًا في اولاد برحيل ومدرسًا في مدرستهم.

وللأستاذ ابن عبد الملك ابن نجيب وهو محمد الصغير، كان يدرس بين يدي أبيه وبعده، توفي في الخميس 13-5-1346هـ.

ومن تلاميذه أيضًا إبراهيم الزدوتي كان نجيبًا وهو اليوم 1363هـ رئيس وقاض في (إدومحمود)، لا يزال حيًّا.

وسيدي عبد الدائم التالامتي توفي إثر تخرجه نحو 1320هـ.

وسيدي إبراهيم بن المعلم وهو إبراهيم بن محمد الإيليغي لا بأس به وكان يعين في المدرسة وقد كان أخذ عن سيدي أحمد بن يوسف في مبادئه توفي في 1359هـ وكان يشارط في مدرسة سيدي البغدادي في قبيلة أنداوزال وهناك مات.

وسيدي محمد بن عبد الرحمٰن التيزڭيي المغارتي لازمه أزيد من عشرين سنة، ثم صار يشارط ويدرس القرآن، لأنه لم يتيسر له إلا ذلك، توفي نحو 1355هـ وكان يحفظ كل المتون كالمختصر والألفية وجميع ما يقرأ عن ظهر

قلب، وكان يتلوها على كل من لاقاه، وفيه بله وحسن طوية، وكان ضعيف الحال، فقيرًا مسكينًا، ومولاي أحمد القاضي من بني السعيدي وهو مشهور[1] ومما يتعلق بابن عبد الملك اليزيدي أنه كان بعد تخرجه اتصل بالأستاذ سيدي عبد الله التواضوئي فيعينه ما شاء الله، ومن هناك إلى (أولاد عبو) في (المنابهة) في مدرستهم يدرس فيها، ثم إلى (الرزاگنة) في مدرستهما، ثم إلى مدرسة (تامازت)، فيدرس فيها إلى أن ابتلي بالنيابة عن قاضي (تارودانت) وكان يقسم التركات، ولا يطئ عليها، كما أنه لا يبالي بالرؤساء فنزل على قسم مال كثير، لذي أملاك شتى من غير مشاورة القائد الشباني، وفي صبيحة يوم وقف أمام باب داره أعوانه، فمدوا إليه رسالة القائد، وفيها تغريمه بمائة ريال، ويقدم إلى السجن حين لم يؤد ما يأخذه القائد من التركات فدخل الدار، فخرج من باب آخر فتوجه إلى مدرسة (سيدي عمرو بن هارون)، وفيها إذ ذاك الأستاذ مبارك ابن حمو النظيفي، وصار يعاونه حتى سمع أن الكنتافي له صحبة بالشباني فذهب إليه، وتوسط بينه وبين القائد، فرجع إلى مدرسة (تامازت)، فصار يقول للطلبة: إذا سمعتم بأنني راجعت القضاء، فاذهبوا بي كما يذهب بالمجانين إلى (سيدي أبي عيسى) أو إلى حفرة فارجموني فيها، إلا أن القدر ساقه إلى (مراكش) فلاقى القاضي سيدي محمودًا الخياطي قاضي (تارودانت) وقد كان يراسله دائمًا في مراجعة القضاء، فيأبى كل الإباء، فحين لاقاه راوده بكل وجه، وقد قال له إن هذا متعين عليك، لأننا لا نجد معينًا مثلك، وقد كان هذا القاضي مستقيمًا فلم يزل به حتى أسلس القياد، فيقضي بين الناس، ولكن في غير أوقات الدراسة، وكان يقول لا أدع ستين من الطلبة الذين يأتون من ديارهم لاشتغل بالعوام الذين لا ينقضي خصامهم، وكانت أنصبته سبعة دائمًا.

رجع إلى بقية تلاميذه:

ومن تخرجوا باليزيدي أيضًا الفقيه سيدي محمد أكبيل الأندوزالي مدرس (سيدي عمرو) الآن وهو من بيت علم ولا يزال حيًا، وهو محمد بن يوسف بن عبد الله بن عبد الرحمن، من أحفاد الشيخ سيدي محمد بن علي الهوزالي

(1) ترجم مع أهله في (الجزء السادس عشر).

المتوفى 1163هـ وقد لاقيت هذا السيد كما سيراه القارئ فيما بعد.

وممن أخذ عن هذا اليزيدي أيضًا الفقيه سيدي عمر الجراري، نزيل (مراكش) المتخرج من (الأزهر) وهو من القراء السبعيين، ومن المحدثين ومن العلماء المشاركين، وهو من أسره السكراديين، وله فهرس ومؤلفات. توفي بمراكش نحو 1364هـ.

فهؤلاء من يستحضرهم الحاكي من الذين أخذوا عن ابن عبد الملك اليزيدي وهم أكثر من هؤلاء، ويجدهم القارئ منبثين في كتبنا التاريخية كالمعسول وغيره. ومن أهل هذه القرية التي نحن فيها الآن الفقيه سيدي أحمد ابن محمد بن يدير، تخرج بسيدي علي اليوسفي السكتاني، وكان قاضيًا مفتيًّا صالحًا. موصوفًا بالضبط في كل ما يكتب ويدرس، وكان يشارط في قرية (دوتاوررت) وكان يعلم لأنه ماهر وتوفي 1299هـ.

وأخوه الفقيه الحسن بن محمد، تخرج بـ(آل حسين) الطاطائيين ثم بابي علي التميكيدشتي، ثم سافر إلى (فاس) مع العلامة الحسين اليعقوبي، وأخذ هناك الحديث، ثم توفي في (مراكش) فذهب شبابه غضًّا طريًّا، وكان فائق التحصيل، توفي قبل 1290هـ.

والفقيه أحمد بن محمد من (آل موسى) تخرج أيضًا بعلي اليوسفي الإبراهيمي، وكان يعلم القرآن والفنون، وكان يشارط ويفتي ويقضي وأحكامه موجودة، توفي 1295هـ.

والفقيه عبد الله بن محمد بن آل مضيفنا الحاكي، أخذ أيضًا عن علي اليوسفي المذكور. وكان قاضي جهته، عاليًا في مجالاته، وكان في بعض مدارس سكتانة، توفي 1324هـ.

ومن فقهاء هذه النواحي الحسن بن علي من (آل صالح) من (تالات إينمغرتيين)، أخذ عن اليوسفي[1] المذكور أيضًا، وقد طارت له شهرة كبيرة في الإفتاء والقضاء، ومحرراته في هذين الميدانين طافحة بها البلاد، وأخباره كثيرة توفي 1311هـ وقد فتك به أهله ظلمًا وعدوانًا، لأنهم استضعفوه فذهب دمه

(1) قد استوفى الكلام في علي بن يوسف وآله في (الجزء السادس عشر).

هدرًا، وقد قسم سيدي الحاج أحمد بن موسى الطاطائي تركته لورثته فحاز منها نسخة للبخاري مكتوبة بخطه ـ وقد تقدم ذكره ـ.

ومنهم بلديه الفقيه سيدي علي من (آل سيدي علي)، أخذ عن الحسن بن الطيفور في (تيزنيت) لازمه هناك على شظف من العيش، حتى رجع مملوء الوطاب ثم صار ذا هيبة في النوازل، وقد اتصف بحال شيخه الساموكْني المتعالي بعلومه، فلا يقعقع له بالشنان في معلوماته توفي نحو 1315هـ.

ومن تلك القبيلة الفقيه سيدي إبراهيم بن محمد من (آل المؤذن) من بني خلف اشتهرت كتابته في القضاء والإفتاء، وكان يعلم القرآن باجتهاد، يعلمه في مشهد (سيدي ابي عيسى). وفي هذه القرية التي نحن فيها الآن توفي نحو 1260هـ.

ومنهم محمد بن محمد من (إيماديدن) السكْتاني الشهير بالتفوق في الفقه، وله أحكام في النوازل، وكان يكثر النقول في أحكامه، ويطيل في جلبها نصًا نصًا، توفي 1270هـ.

وسألته عن قرية سيدي عيسى السكْتاني الشهير فقال إنها تسمى (أساكانطلبة) من (أفينيس) وقد خربت الآن، كما أن أصل سيدي أبي بكر السكْتاني الشهير على ما اشتهر من قرية (تينرضن) وكلاهما متوفى بمراكش، وكلاهما كان قاضيًا وولد هذا الفقيه الحاكي نحو 1288هـ وهو يعاني النظم، وقد رأيت له من ذلك قافية هنأ بها القاضي سيدي الحاج إسماعيل حين رجع من الحج، فأجابه القاضي بأبيات مطلعها:

اعقد لآل فيه در وجوهر ... رأى بصري أم فاح مسك وعنبر
أم الورق تشدو في رياض خميلة ... جرت فيه ما بين الأزاهير أنهر

إلى أن قال في وصف القصيدة والفرح بها:

فأحللتها ربع الفؤاد فسلمت ... تحية ود لا تعد وتحصر
وما هي إلا غادة تستبي نهى الـ ... ـمعنى إذا تختال أو تتبختر

إلى أن قال آخرها:

عليكم سلام الله ما لاح بارق ... وسالت دموع الصب إيان يهجر

ومن فقهاء سكْتانة سيدي علي بن محمد من قرية (أكْديم) كان من علماء أواخر القرن الثاني عشر، ولا تزال له شهرة، وهو ماهر في الإفتاء والقضاء، ويعاصر سيدي أحمد بن محمد من (إيمولا) المتقدم، ويفتيان معًا، وقيل إنهما توفيا قبل 1214هـ.

وقد رأيت هناك مجموعًا فقهيًا في فتاوي سيدي عيسى السكْتاني، وأبي بكر السكْتاني، ومحمد بن يوسف التملي، وأشياخ والد سعيد بن علي الهوزالي الذي جمع هذه الفتاوي، ومحمد بن عبد الحق الهوزالي قاضي (سكْتانة) ومحمد بن علي قاضي الجماعة بسوس وهو هوزالي أيضًا، وسعيد بن عبد الله السملالي، ومن عاصرهم من فقهاء مراكش وجامعها هو محمد بن علي بن مسعود بن محمد بن عبد الله الإيلالني، وليس المجموع بذلك الشهير في فتاوى سيدي عيسى السكْتاني الذي جمعه تلميذ محمد بن الحسن الروداني، فإن هذا المجموع الذي وجدناه هنا نادر لم نره قط إلا هنا.

ومن فقهاء المغارتيين أيضًا سيدي محمد بن إبراهيم وأخوه سيدي محمد فتحا وكلاهما مشهور، وهما من قرية (تاوريرت) ويعاصرهما أحمد الإيمولائي المتقدم، والكل من المشاهير هناك، ولم نقف لهم على شيء.

بتنا في القرية عند الفقيه المذكور، وقد أبى علينا كل الإباء أن نسافر هذا اليوم، وفي صباح الغد غادرنا القرية التي بتنا فيها مرغمين، ونزلنا في مسجدها القديم المشعث، إلا ما كان من المصلى، فإنه لا بأس به، وفيه ثلاثة صفوف، وفيه محل منبر الجمعة، إلا أن صلاتها انقطعت منذ 50 سنة لحرب بين أهل القرية، والمحل بناء قديم لأنه حصن حربي أصالة، له أبواب وسور دائر بالدور، وهو في غربي الوادي، وقد أسحرنا منها قبل زهاء ثلاث ساعات قبل الفجر وفي وسط (تيغفار) نزلنا فأفطرنا على عين نابعة في مسيل ماء، وقد طاب لنا المكان وحلت لنا البهجة أزرارها فيه، وأرتنا محاسن الصحو عند الشروق أسرارها، فلم أملك أن قلت:

وكأس شربت عند منهل (تيغفار) حللت لها من شدة الأنس أزراري
شربت على وجه الطبيعة شربة منعنعة أفشت مكامن أسراري

وحلت على رغم الفلا عقد لهجتي ... فبحت ولم أملك برائق أشعاري
فلله هذا مجلسًا مونقًا وإن ... يكن من رمال بين أشتات أحجار
فكم مجلس يحلى لعين مسافر ... وإن لم يكن روضًا يرف بأنهار
فكل مكان أبهج النفس طيب ... وإن لم يحط إلا بأشواك أشجار

وقد كنت قلت قبيل الفجر وأنا أتمثل ولدي سعيدًا الغزيل المرح النشيط:

ذكرتك والبغال لها ذميل ... وقد امتد بي سفر طويل
ذكرتك والسرى بين الروابي ... يقلقلني به بغل هزيل
تشخصت المحيا منك طلقا ... فخامرني لرؤيتك الغليل
وتضحك في مناغاتي ووجهي ... بكفك نحو وجهك تستميل
وتنطق لي لغات من عيون ... عراها من بساطتك الذبول
متى أيضًا تعانقني بأيد ... رقاق شف أعظمها النحول
فليس يلذ لي عيش إلى أن ... يرد إليك راحلتي قفول

وقد كنت قلت مقطعات في أقا في الموضوع، ونص **أولاها**:

ما الروض نمنمه الهتان بالزهر ... فجر فيه النسيم الذيل في السحر
ولا الكؤوس بها راح تشعشعها ... للشرب فتانة الأصداغ والطرر
ولا التلاحين تلقيها مغنية ... تسبي العقول إذا جست على الوتر
اشهى إلى خلدي من غنة كسيت ... تأتاء لهجة طفل جال في خبر
كم ليلة بات خشف لي على قصص ... (ذبيبة)[1] فقضينا أطيب السمر
ينشى تهدجه في حوك قصته ... قلبي فأمضي بسكري الليل في سهر
يأتي بها قصة بتراء عن عجل ... كخطفة الباشق المطرود عن ثمر
سعيد يا قطعة من قلب والده ... هذا الذي يتقلى اليوم بالذكر
مدت مهامه فيح بيننا فمتى ... تطوى فينشر وصل معلم الحبر

(1) هناك قصص شعبية عن الذيب يتحدث بها إلى الأطفال.

فجمرة البين قد أذكت حوانحنا حتى رمت بيننا الأنفاس بالشرر
متى إليك ونحوي منك يا رشأ ما كان ينسى أباه لحظة البصر
في كل وقت يناديه ومنيته أن لا يزايل بين السحر والنحر[1]
بالله زر يا نسيمًا هب من جهتي (الغا) فأنت رسول الصب أن تزر
وانشر هناك من أنفاس التنهد ما أودعت بين ثنايا ذيلك العطر

والثانية:

أن سعيدًا ولدي لفلذة من كبدي
غزيل ذو مرح ما شغله غير الدد[2]
لم أك أنسى لطفه في قربه والبعد
لا سيما أن يهوكي يطلع فوق عضدي
بأرجل صغيرة ليس لها من جلد
وهو يعاني جهده فيستعين باليد
وفخذه في عنقي يجعلها كالسند
ووجهه من فرح كزهرة الروض الندي
إذا تبسم أحس منبعًا في خلدي
من بهجة أسبح فيها سبح جلد أيد
يا زهرة القلب ويا روحي التي في جسدي
متى أراك ثانيا تبسم لي عن برد
فينثني طيب الحيا ة ثانيًا طوع يدي
سبحان من يجمع أشتات المنى في ولد
كيف يرى العقيم من ذوق لعيش رغد

---

(1) المقصود أن يحمله أبوه في ذراعه ويضمه إلى صدره.
(2) الدد: اللعب، وفي الحديث: لست من دد ولا دد مني.

والثالثة:

أغيب ولم يغب عني ادكار ... به عن جفن عيني غاب نومه
فإن خطر النسيم من (الغ) أهفو ... على نفس الحما منه اشمه
فيا شوقي إلى ولدي سعيد ... متى أيضًا إلى صدري أضمه
متى أيضًا أناغيه وحجري ... ترامى فيه بين يدي جسمه
مزجنا بيننا أهفو إليه ... ويهفو لي ولا تكفيه أمه
فيهتف كل ما فارقت (بابا) ... و(بابا) كل ما قد نال علمه
بني يا منى قلبي وروحي ... وريحاني الذي ما مل شمه
ذكرتك في أقا فذكرت وجهًا ... طليقًا لم يزل في الطرف وسمه
فكدت أمد نحو يديك كفي ... فينزاح الأسى ويزول همه
حسبتك ماثلًا عندي ولكن ... أفقت فزال حسباني ورسمه
متى رباه يرجع يوم (الغ) ... فيرجع لي بكل السؤل يومه؟

في سكتانة:

نزلنا في قرية (تاتفكْغت) في وسط سكْتانة المائية لأن سكْتانة على قسمين: بورية ومائية، والبورية تبتدئ من المحل الذي وجدنا فيه دار (ابن تبيا) وتقل في ذاك القسم المياه الجارية مما يتبقى من سيول الشتاء، والقسم الآخر تكثر فيه المياه من العيون النابعة في الوهدات أو في البسائط، فعليها تكون قراهم، وفي حقولها يستنبت الزعفران وقد وجدنا الوقت وقت جمعه، وأصل هذا النبات يشبه البصل، وكذلك يشبهه فروع نباته ففي بكرة كل يوم من أشهر شتنبر واكتوبر عند الأسفار يجمعون نواويره المفتحة، وفي وسط كل نوارة ثلاث زغبات طويلة حمراء، فيبيت ذلك النوار ثم تؤخذ زغباته في اليوم الثاني وتطلى بالزيت فتجعل في الشمس ساعة ثم تصان في الأوعية صونًا تامًّا عن الريح ويصدر إلى السوق والهكتار من الأرض ربما ينتج أكثر من كيلو، إن صلح وسلم من الآفات، ولكل مزروع آفة خاصة وما أكثر آفات الزعفران وقد غلا ثمنه الآن، فثمن الكيلو اليوم 1363هـ سبعة آلاف فرنك في سوق البلد، وبلاد

سكْتانة المائية نافعة لأنها باردة تؤتي دائمًا الغلات سواء منها ما يحرث تحت الماء أو في البور، وفيها مراعي الماشية إن كثرت الأمطار، وفيها الزيتون واللوز والتين والشعير والقمح والذرة وكل البقول المتعارفة وإنما الذي يعوزهم الوقود فإن الحطب قليل عندهم إلى الغاية ويتلقون منه عرق القربة في الشتاء، خصوصًا أن خيم عليهم الثلج، وهذه الجهة بسائط غير فيحاء وهضاب منخفضات (والفائجة) من حدود (طاطة) إلى حدود (سكْتانة) هي محل السخونة وحدها.

و(سكْتانة) الآن يتولى عليها القائد عبد الله بن الحاج التهامي الكلاوي وعلى كل هذه الناحية إلى (درعة) وإلى قبائل الجبال الموالية لها إلى (تدغة) المطلة على (تافلالت) وعلى القبائل التي تمتد من تلك الناحية حتى (دمنات)، والذي يتولى كل هذه الجبال هو القائد إبراهيم ابن الحاج التهامي، فقد تولى رسميًّا في صفر 1362هـ بظهير شريف على أزيد من عشرين قبيلة دفعة واحدة بأنعام مولانا الملك عليه بها، رغم ممانعة الفرنسيين، وما أخوه القائد عبد الله إلا نائب عنه في (سكْتانة) و(الفائجة)، ولا يزال عبد الله في ريق شبيبته وغرارته وأفعاله أفعال الأغرار، أرأيت ما الناس فيه اليوم تحت كلاكل الاحتلال؟ فمتى ينزاح عنا كابوسه يا رب.

وكان منزلنا في (تاتفكْغت) بزاوية والدنا وفي صباح الاثنين 2 الثاني ذي القعدة حللنا عند مشهد سيدي محمد بن ويساعدن الشهير فجاء إلينا هناك سيدي أحمد بن محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن إبراهيم بن محمد من (آل حميدو) من آل (تانزيت) من قرى (تيسينت) إيالة القائد محمد الدوبلالي وهو فقيه خلاسي مهذب، أخذ عن الفقيه سيدي أحمد بن إبراهيم من (أونزوين)، وقد سألته عن شيخه هذا فقال: إنه أحمد بن إبراهيم بن محمد بن محمد بن عبد الله من (آل محمد) الأولويليين، من قبيلة (أونزوين) من قبائل (سكْتانة) وقد أخذ سيدي أحمد بن إبراهيم عن الفقيه سيدي الحسن بن مبارك التكاني أصلًا السرحاني اليحياوي مسكنًا، وهذا أخذ عن الحسن التملي (الإيرازاني) وكان التكْاني يشارط في مدرسة (السراحنة) من (اولاد يحيى) في (رأس الوادي) وهناك لازم التدريس إلى أن توفي 20 شعبان 1331هـ.

وممن أخذ عن التكاني أيضًا وتخرج به الفقيه سيدي محمد من (آل محمد) من قبيلة (تاملدو) من (واوزكيت) وكان يدرس في قرية أعرابن وهو أحدهم، وكان يعلمهم العلم، وهو عالم حسن، يكثر عنده الطلبة، توفي نحو 1344هـ.

وممن أخذوا عنه أيضًا الفقيه سيدي محمد بن عبد الله النظيفي، سكن في قرية آل طلحة من سكتانة، وكان يدرس هناك القرآن والعلم وكان عالمًا حسنًا توفي في مفتتح ربيع الأول 1337هـ.

وأما أحمد بن إبراهيم الأنزويي المذكور آنفًا فإنه كان حينًا في مدرسة (إغري) بـ(سكتانة) درس هناك القرآن والعلم، ثم مسجد تانفكغت فعلم فيها القرآن، ثم مدرسة (واويرست)، فيدرس هناك العلوم في الأربعين سنة التي قضاها هناك من 1307هـ إلى 1348هـ وتوفي ليلة الاثنين 15 صفر 1348هـ وقد كان يفتي ويقضي ولا يفتر عن التعليم، وكان حافظًا لحرفي البصري والمكي زيادة عن حرف ورش، فيعلم الجميع، وله خط جميل يذكر وباعه في المعارف غير طويل وفقهه أوسع من عربيته.

وممن تخرجوا به سيدي عثمان السفكومتي من الويساعديين تخرج به فشارط في تاماسين فكان يدرس إلى أن توفي 1348هـ.

وقد وجدت الفقيه المذكور يعتني بالوفيات فقيدت عنه ما يلي:

توفي الفقيه المتأدب المشهور سيدي أبو بكر بن أحمد من أقيكرن في رمضان 1348هـ وتوفي مولاي عمر بن عبد الله من قرية أمزوك من قبيلة آل الحزن من سكتانة في شعبان 1348هـ ممن تخرج بسيدي الحاج أحمد بن موسى الطاطائي الشهير وكان يشارط في مدرسة إيماديدن وفي قرية أيت عبو ويعلم القرآن والعلم. ثم في ـ دادس ـ نقله إلى تلك الناحية الخليفة محمد بن عبد القادر المتوفى يوم الخميس الثاني عشر من المحرم 1343هـ وقد كان خليفة في ـ تاليوين ـ للحاج التهامي الأكلاوي أول ما استولى على تلك الناحية ثم صار مولاي عمر يدرس إلى أن توفي ودفن هناك «وهو والد صاحبنا الذي كان يحضر معنا في البيضاء سيدي محمد بن عمر، وقد كان يعلم في ـ مسجد ولد حبيبة ـ ويؤم فيه ويخطب في جامع ـ درب الكبير ـ ثم رجع إلى سكتانة

حيث صار يدرس العلوم إلى الآن 1377هـ ألحقته هنا بعد أزمان».

توفي سيدي الحاج عبد الرحمٰن من ـ تلوات ـ في ـ إكلو ـ في شعبان 1348هـ وكان يدرس في مدرسة تلوات حيث دار الرئاسة الأكلاوية العتيدة ذات الشأن الأعلى اليوم.

توفي سيدي الحسين بن محمد المسفيوي 1347هـ أخذ عن الحاج علي المسفيوي وكان يكتب عن الأكلاويين وشارط حينًا في ـ أساكانتملدو ـ من واوزكيتة واصليه من ـ إيمي نزات وكان يسمي نفسه المرهوني وجده إبراهيم هو المرهون وقد كان مشهورًا بأنه رهن نفسه ارتهنه بعض الملوك على طاعة مسفيوة وكان يذكر بالصلاح والخير وكفى أن جعل نفسه رهنًا في المصلحة العامة، توفي سيدي محمد بن أحمد بن باها الروداني مولدًا التيبيوتي أصلًا يوم الخميس 4 ذي الحجة 1349هـ وقد يشارط في مدرسة (دوتوريرت) وفي (تاليوين) وكان يدرس فيها العلم ويفتي ويقضي وينحاش إلى الأكلاويين وكان في (تاكًاركًوست) وهناك دفن.

توفي سيدي محمد بن الحاج عبد الله السكًتاني الفقيه في قرية دوتوريرت في يوم السبت 7 ربيع الأول 1344هـ أخذ عن الفقيه سيدي الحسن بن مبارك التكًاني المتقدم الذكر وهو من بين المتخرجين به وكان يشارط في مدرسة قريته يدرس فيها ما شاء الله الفنون وحينًا في قرية (تاتفكغت) وأخذ أيضًا عن سيدي محمد بن إبراهيم التمنرتي ثم التانكرتي والد شيخنا سيدي الطاهر ابن محمد الشهير.

وتوفي سيدي إبراهيم بن أحمد التانفكًغتي 1316هـ أخذ عن العلامة محمد ابن الحسن التملي الإيرازاني وكان يشارط في مدرسة (تاكًاركًوست) وكان يدرس فيها وكان مشهورًا بالمواظبة على التدريس ويفتي ويقضي وكان صوفيًا عزوف الهمة دفن في (تاكًاركًوست) وبينما كان يخطب في الجمعة فإذا به سقط وبعد يومين التحق بربه فزار قبره.

وتوفي سيدي محمد بن عبد الكبير في صفر 1332هـ، أخذ عن سيدي محمد بن عبد الملك اليزيدي التامازتي، وقد تقدم ذكره ودفن في (إد طلحة)

وكان الإمام الذي صلى عليه هو سيدي أحمد بن إبراهيم الأنزويي.

وتوفي الفقيه عبيد بن علي الإيلالني في (أزاغار أومسليتن) عام 1311هـ هذا ما قال، وغيره قال عام 1314 فليحرر ذلك وكان في مدرسة إد طلحة ويدرس فيها أخذ عن الحسين اليعقوبي ودفن في محل مدرسته وهو من أصحاب الشيخ الإلغي.

وتوفي سيدي الحاج أحمد بن موسى الطاطائي عام 1335هـ.

ومن سكان (واويرست) الفقيه سيدي الحسن بن منصور، وكان يشارط في المدرسة، ويختلف إلى داره حتى فتك به اللصوص ليلة في عقر داره عند مفتتح هذا القرن، وهو أخو سيدي أحمد بن منصور الفقيه المديدي الذي لا يزال حيًّا[1] كما كان والد سيدي محمد الذي هو إمام السلطان الآن.

ابن ويساعدن:

وهو أشهر من نار على علم ويا طالما كنت مشتاقًا إلى زيارته لما قرأته عنه في التاريخ وقد رأيت قبة مشهده على صغرها حسنة، وقد فتشنا عما يتعلق به من الظهائر ومشجر نسبه، فإذا بالكل لم يحضر، فهو عند أخي مقدم الزاوية الذي تلقانا أحسن لقي، وقد كان أخوه أحرز كل ذلك، وقد أخبرنا المذكور أن أصلهم من (أغمات) من أبناء ابن سعدون الفقيه المدفون هناك، ولم يتحققوا مسقط رأسه، وترجمته موجودة في (دوحة الناشر) وفي (الصفوة) وفي (طبقات الحضيكي) وفي (الفوائد الجمّة) وفي (ممتع الأسماع) وقد علم أن شيخه هو عبد الكريم الفلاح، وما وقع له من نصر المسلوخ على عميه المتوكل والذهبي، وقد توفي 987هـ وقد كان عالمًا مدرسًا وشيخًا مربيًّا، وقد كان له في الكرم آيات، وقصعته الموجودة إلى الآن فيها ثمانية أشبار، كما عاينته بشبري، وقد جلت في قبة الشيخ الصغيرة، وفي المسجد إزاءها، ولا بأس باتساعه، وهناك مدرسة علمية قديمة درس فيها أناس في أزمنة مختلفة والغالب أنها بنيت من عهد الشيخ، وزاويته لا تزال القبائل تخدمها إلى الآن وأولادها

(1) توفي نحو عام 1371هـ.

محترمون، وفي أيديهم ظهائر من عهود السعديين، بل لهم مصاهرة حينًا مع بعض حواشي الملوك.

وقد كان من أولاد الشيخ ابن ويساعدن بركة فانتشروا انتشارًا كثيرًا ولم نتمكن أن نعرف مقاطنهم لاستيلاء الجهل على من لاقيناهم هنا في الزواية وقد كان الشيخ الإلغي كثيرًا ما يرد على هذا المكان وينزل فيه، وله فيه أتباع وبعضهم ينتسب إليه إلى الآن كمقدمهم السيد عبد الواحد وكان يمحضهم النصيحة ويزعزعهم بمواعظ خاصة توقظهم مما يبتلى به أولاد المشايخ من الغرور والاتكال على الأجداد، ولم ينسوه إلى الآن، فقد ذكروا أنه حصرهم في المسجد يومًا فلم يزل بهم حتى أعلن من وفقهم الله منهم التوبة النصوح ثم بقوا عليها حتى التحقوا بربهم وكان يعلى بين أصحابه من سمو روحانية الشيخ ابن ويساعدن، ويشهد له بمقام عظيم.

وكانت رئاسة هنا في هذه الزاوية لعبد الواحد بن إبراهيم بن عبد الواحد ابن أحمد بن محمد بن مسعود بن محمد بن عمر بن محمد بن ويساعدن، فقد كان عند الحاج التهامي هو مقدم رؤساء السكْتانيين، لا تعلو يده يد، إلى أن أمر أمره فصار يناوئ الأكلاوي الخليفة حتى أشهر عليه الحرب فكاد أمر سكْتانة يرجع كله إليه بالغلبة حتى دكه جيش لجب أرسله إليه الباشا المذكور تحت إدارته بنفسه، لأن خليفته غلب على نفسه أمره فدفع بجيشه دفعة هزمت أصحاب عبد الواحد فانهزم إلى قرية الخروع من الفائجة فنهبت داره وديار شيعته في وورست وبقي هناك أكثر من سنة ثم ذهب إلى اسكْانتركْت باندوزال، حتى توسط أناس بينه وبين الباشا فرجع إلى داره وبقي مقدم الزاوية، ولم يزل على ذلك إلى الآن، وقد كان استيلاء الباشا أولًا على سكْتانة في أواخر سنة 1334هـ، وهذه الوقيعة في سنة 1337هـ، وسنؤخر الكلام على آل هذا الشيخ لنستوفي ما أمكن لنا حواليه في (المعسول) إن شاء الله[1].

رجعنا إلى تنفكْغت فأخبرنا أحد السكان المسنين أن هذه القرية السفلى ما بنيت إلا نحو 1230هـ وإلا فالقرية القديمة كانت على رأس الكدية المشرفة

(1) في الجزء التاسع عشر.

على جنوب القرية الآن، ولا تزال أطلال الديار فيها، وسبب ذلك وقوع خلاف بين أهل القرية، فأجلى فريق فريقًا ثم لما رجع الفريق الراحل على أيدي حزب تكْزولت أجلوا الفريق الآخر، وإذ ذاك بنيت القرية التي توجد الآن، ومسجدها كانت الجمعة تقام فيه قبل هذا العهد، والعين مارة وسط هذا المسجد ومتعلم التلاميذ يوجد وسط الديار، لأن وقت الحروب لا يمكن للناس ليلًا أن ينحدروا إلى المسجد لأن من يكون في الكدية يرميهم بالرصاص، وهناك أستاذ مجد في تخريج التلاميذ يسمى إبراهيم وله فهم في العلم.

خرجنا من هناك صبيحة الثلاثاء 3 ذي القعدة، فمررنا بقرية (إيمكْون) وبعد حين مررنا بدار للباشا ـ التي سنمر بها ـ وهي في الأصل للشيخ محمد فتحا بن عبد الله الذي استولى الباشا على كل ماله وأملاكه، ولها بروج، وإزاءها دار نائب القاضي الأعلى الفقيه سيدي عبد السلام المولود 15 رمضان 1317هـ وقد أخذ القرآن عن أبيه إبراهيم ثم افتتح عند الأستاذ محمد النظيفي المعلوم بابن مومو ممن تخرجوا بالسملالي الكْلفاني وقد تقدم ذكره، وكان إذ ذاك في مدرسة (إد طلحة) وبعد شهور انتقل إلى (تازارت) في (مسفيوة) فصار يأخذ عن سيدي عمر ابن القائد المدني الأكلاوي سنتين ثم لما مات أخوه القائد عبد الملك انتقل إلى قيادة (دمنات) في مكانه فصاحبه عبد السلام فمكث هناك سنة، ثم رجع إلى سكْتانة فلازم الأستاذ سيدي محمد الروداني ممن تخرجوا أيضًا بالكلفاني السملالي سنوات في مدرسة (تاليوين) وقد أخذ أيضًا قليلًا عن سيدي عبد الله بن واحمان، كالاستعارات ومثلها، وقد اجتمعت مع الحاج عبد السلام هذا في دار القاضي الحاج إسماعيل فرأيته مستحضرًا في الفقه يعد من فقهاء سكتانة البارزين، وقد جالت مذاكرات شارك فيها مشاركة حسنة، وسمعت أنه كان يزاول النوازل قبل هذا القاضي ثم وقعت له مع مراقب هناك واقعة فنهاه عن الجولان بعدها في النوازل إلا أن القاضي حين تولى رسميًا، أخذ بضبعه فأشهره وهو الآن عضده الأيمن، وفي مقابلة الدار المتقدمة قبة على من يسمى عبد الله بن سليمان الشريف من أهل (أكادير الطلبة) ويقال إنه عالم كبير وعقبه موجود ولم نجد من يحدثنا عنه، بما يشفي الضليل ويروي الغليل.

ثم بعد سير ليس بالكثير أطللنا على تاليوين فرأينا دار القائد عبد الله التي وصفناها قبل ولها بروج وحولها بساتين من اللوز لا تزال أشجارها صغيرة وكانت الدار صغيرة ثم زيد فيها كثيرًا حين احتلها الباشا وخلفاؤه الاكلاويون بناءات ثم وجدنا قبة مبنية على من يسمى (سيدي علي أبا حسون) لا نعرف من هو وحوله مسجد قديم فيه أربعة صفوف وبناءات قديمة أخرى، ثم بناءات جديدة بنتها الحكومة 1356 ملجأ خيريًّا في تلك المسغبة وقد طفت فيها فتمنيت لو كانت مدرسة علمية، وهي الآن خاوية، وإزاءه ماء جار وفي كل ذلك البسيط مغروسات حديثة من أشجار اللوز، ثم جزنا مسيل النهر وفيه ماء قليل ويسمى وادي (زكْموزن) ولا ينقطع فيه الماء حتى في الصيف، والسواقي تطلع يمينًا وشمالًا ثم مررنا بمركز الحكومة الأخير عن يميننا في موقع يطلع على حقول الوادي ثم حللنا بدار القاضي صاحبنا الجليل الحاج إسماعيل في قرية تاكْركْوست وقد وجدناه في انتظارنا لأنه كان أرسل إلينا ونحن في (الفائجة) هذه الرسالة:

(بعد أن رمت بنا يد البعاد رميًا يعز معه اللقاء، ومضت على ذلك سنون قوسيت أثناءها آلام تتفطر منها الأكباد ويحترق منها الفؤاد، فتهاجم فيالق الأحزان فتكتسح كل اصطبار وسلوان، جاءنا هذا اليوم فأنعش الآمال وأبدى أسبابًا شتى نرجو بها الاجتماع، فسرعان ما انهارت والحمد لله العوائق وزالت الموانع، فقد أبرز الزمان ما ليس في الحسبان فبشرتنا طوالع السعود باللقاء فابتهجت الأرواح بيوم الملتقى، والذي أعني بالخطاب وتحرير الكتاب هو المخلص الداعي إلى الرشاد الباذل جهده في النفع العام للبلاد والعباد، ذلك النور الباهر، والسر الظاهر والمجد الباذخ، والكمال الشامخ والمصلح المجدد، والمعين المنجد، والدليل المرشد، والغمامة الصيبة، والنسمة الطيبة، والسيادة القعساء والشهامة الشماء، والأخلاق الفاضلة، والشمائل الفائقة الكاملة، الفقيه الأديب والشاعر المفلق المرتجل المدرس البحر الزخار الذي أحيا رسوم التعاليم الحقة، والمذلل لمستعصيها بالمدارك المدققة، والفاتح لصياصيها العالية المنيعة، والباني لصروحها بأيدي أفهام مطيعة، ثالث النيرين، والعامل لسعادة الدارين) إلى آخر الرسالة.

وفي آخرها يقول: (فطريقكم علينا ونحن في الانتظار).

وجدنا مكانًا حضريًا وأثاثًا ورئيًا ووجهًا طلقًا، وكرمًا فائضًا، وكتبًا متنوعة قديمة وعصرية، فهناك اتصلنا بالحياة وتنسمنا أخبار العالم، فنقضي كل الأوقات بالمذاكرات المتنوعة والبحوث القيمة، وفي الليل راح علينا الفقيه سيدي الحاج عبد السلام المذكور فتعرفت به ووالده إبراهيم الذي من معلمي القرآن توفي 23 ربيع الأول 1340هـ.

وقد ذكر لي عن أسرة تسمى (آل القاضي) من قرية (أيت عبو) وآخرهم الحسن بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله والأربعة كلهم علماء، قضاة، وكان الحسن آخرهم نائبًا عن قضاة (ردانة) توفي مفتتح رجب 1283هـ.

ووالده المذكور كان حيًّا 1253هـ واشتهر بأوعبو وذكر أنهم كانوا يأخذون من (تيمكْيدشت) قال وأحسب أن القاضي محمد بن عبد الله، ربما كان قاضيًا مستقلًا، وقد رأيته مع أحمد الظلالي الإيمولائي ومحمد بن منصور في فتوى كما تقدم في (إيليغ) وقد كان الحسن عالي الشأن مداخلًا للرؤساء، حتى كاد يهلك في بيت كان يحكم فيه في السوق وقد دس فيها بارود إلا أنه قام لقضاء حاجة فثار البارود فسلم، وكان فقيهًا محررًا يأتي بنقول صحيحة في الأحكام، وأصلهم من (أملن) وقد تهدمت دارهم ونهبت أمتعتهم فجلوا عن بلدهم نحو 1295هـ.

ومن فقهاء سكْتانة (عبد الملك) من (زاكْموزة) من قرية (أنامر) تخرج من تيمكْيدشت بأبي علي بن أحمد، كان يفتي ويقضي وتوفي نحو 1330هـ.

ومنهم ياسين من قرية (ايغيل نوغو) من زكموزة كان مشهورًا بالإفتاء وفض النوازل، وهو وسط في معلوماته كما يظهر من مخطوطات يده، توفي نحو 1330هـ.

وقد كان في (تازولت) القائد محمد الواعناني الشريف الحسني في عهد مولاي سليمان وعقود مشترياته ريئ بعضها في العقد الثاني من القرن الماضي وكان قائد سكْتانة، وكان على نحلة (تاكْوزولت).

ومن الرؤساء أيضًا (آل سمك) وكانوا على نحلة (تاحكْات) والمعروف

منهم أولًا واحمان من آل أبي بكر من (دوتاوريرت) وقد كان شيخًا على شيعته، توفي في العشرة الأولى من هذا القرن، فإنه لا يزال حيًّا نحو 1305هـ، ثم تلاه الشيخ عبد الله، توفي سنة 1316هـ وكان أخوه الحسن رديف الكْلاوي بمراكش نحو 1337هـ.

وقد كان القائد محمد التازولتي المتقدم رئيس تاكْوزولت ثم ولده أحمد، ثم ابنه الحسن، وهذا هو المعاصر لواحمان، فتفرقت عليهما سكْتانة تاكْوزولت وتاحكْات ثم الحاج أحمد، ثم أخوه محمد، وهما لا يزالان حيين إلى الآن، وقد سجن الحاج أحمد بيد الباشا مع رؤساء سكْتانة أجمعين حين احتل سكْتانة 1334هـ، ثم انقضت من التازولتيين الرئاسة كما انقضت في أمثالهم السمكْيين.

ومن فقهاء سكْتانة سوى المتقدمين العلامة سيدي مبارك بن أحمد النظيفي الشهير، أخذ عن أبي العباس التيمكْيدشتي، وهو من قدماء الآخذين عنه، وقد قطن (تاكْركْوست)، وقد رأيت له مخطوطًا جميلًا بخط جميل 1253هـ ولم يعلم وقت وفاته، وله ولد يسمى محمدًا، عالم أيضًا، تخرج بأبيه، وقد كان يفتي ويقضي كأبيه، وقد شارط في مدرسة وامسلخت عند مشهد سيدي عمرو ابن هارون، وتوفي نحو 1320هـ.

وكان أبوه أسود، وولده عمر غير شديد السواد، وقد كان مبارك خطب بنت رجل من آل ابن يعقوب ولم يرضوا به لسواده، فعمد الرجل إلى ضفادع فطبخها في طاجن فاستدعى الفقيه وحين عاين الضفادع أبى من الأكل فقال له الرجل أهي محرمة؟ فقال: لا، إلا أننا لم نألف أكلها فرفع الرجل المائدة ففهم مبارك أنه ممتنع من إخطابه وإن كان فقيهًا لسواد جلده، ولعدم ألفة الناس أن يزوجوا بناتهم من السود، ففهم الفقيه ذلك فانكف عن الخطبة.

بنو دارم أكفاؤهم آل مسمع وتنكح في أكفائها الحبطات

كانت قرية (تاكْركْوست) مشهورة بالزاوية اليعقوبية، بناها سيدي أحمد بن عثمان بن محمد بن يعقوب، وقد كان سيدي محمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن عثمان بن محمد بن يعقوب ووالده محمد أمضيا هنا تفوقًا عظيمًا قلما

يوجد له نظير في الإكباب على التدريس والعناية بالمعارف، خصوصًا الحديث، وقد أسس هناك سيدي محمد بن إبراهيم مسجدًا كبيرًا حضريًّا لم أر له في هذه النواحي نظيرًا وله صحن كبير وفيه ثمانية صفوف متسعة، وفي طوله من الجانبين جنوبًا وشمالًا إحدى عشرة خطوة، وفي عرض كل قوس تسع أقدام ونصف وعمادة كل قوس فيها أربع أقدام فيكون طوله 150 قدمًا، وقد انفتح إلى صحنه شرقيًّا خمسة أقواس، وفي جنوبه أربعة، وفي الشمال اثنان، ثم ردهة سرد البخاري وما معها، مما ملأ قدر قوسين آخرين.

وهناك منبر من ذلك العهد، حسن مزخرف، وهذا كله يلقي رونقًا على المكان، وقد ذكر لي أن للمسجد أحباسًا، وفي شماله المدرسة التي تهدم الآن غالبها، وفيها بيوت كثيرة، وقد كانت دمعة تنحدر بصعداء تلت تنهدًا عميقًا غلب علي حين أرى معاهد الدراسة تخوي على عروشها كأننا لسنا بأبناء اولائك الأسلاف ولله الأمر من قبل ومن بعد [1].

وقد زرنا بقية خزانة هذه الزاوية وهي الآن تحت يد شاب لبق نشيط حليق العارضين، له ثقافة ألم فيها ببعض المعلومات العصرية، وأرجو أن تكون له ذلاقة اللغة العربية التي كان فيها أجداده أقطابًا، ويظهر لي منه أنه قريب كل القرب إلى الخير إن وجد من يوجهه ويرشده ويأخذ بيده، ولكن أنى يجده إن لم يجده في القاضي الحاج إسماعيل ورفاقه، فوارحمتًا للشباب الذي وصفه أبو العتاهية بقوله وأحسن:

إن الشباب والفراغ والجدة   مفسدة للمرء أي مفسدة

إنما لا نحب أن ينسى أولادنا مدينتنا الشرقية ومميزاتنا القومية ولغتنا الموروثة ونحن نتحقق أننا لا نحيا إلا بالجمع بين لغتنا وبين غيرها من اللغات ولكن ما العمل اليوم ولا تزال الأبواب مجافة والحضارة الغربية تغلب حتى تجرف مقوماتنا وديننا وتقاليدنا واللغة الغربية كادت تنسي أبناءنا اللغة العربية حتى كأننا من لا شيء فالله المرجو أن تنقلب الكفة وهو وحده المطلع على ما نطلب.

(1) استوفينا الكلام في اليعقوبيين هؤلاء في (الجزء السادس عشر).

مثلنا بين كتب كلها مخطوطة تأثرت بوكف السقوف تحت الأمطار وبآثار الغبار وبالتلوث بكل ما يزاول في الدار، فصرت أتتبعها فوجدتها خزانة غنية بكتب الحديث وهذه أسماء ما تكون الفائدة في ذكره:

(فتح الباري) تامًّا في مجلدات كثيرة بخط شرقي مع المقدمة بخط مغربي.

(الإصابة) كذلك في مجلدات ضخام بخط مشرقي.

(النووي) على مسلم في مجلدات صغار على إحدى عشرة بخط مشرقي.

(القسطلاني) على البخاري في مجلدات كبار بعضها بخط الشيخ سيدي محمد بن إبراهيم بن أحمد بن عثمان أتم أحدها سنة 1104هـ والآخر سنة 1111هـ وفيها جزء منتسخ بخط الحسن بن عبد الكبير لأولاد الولي الصالح سيدي أحمد بن عثمان، محمد بن إبراهيم ومحمد بن عبد الله، ومحمد بن الحسن سنة 1098هـ.

(نسخ من البخاري) جميلة الخط بعضها أجزاء صغار.

(نسخ أخرى من صحيح مسلم) بعضها بخط مشرقي وفيها واحدة قيمة من النفائس بخط مشرقي نسخت 707هـ.

(نسخ أخرى) متعددة وعليها سماعات مشرقية، بعضها من ابن حجر نفسه وفيها كثير من مثل ذلك وأخرى نسخت 999هـ على بعضها مسودة تتضمن أسماء الحاضرين لسماعها كما أحسبه ولم أتمرن على قراءة الخط المشرقي كما أنه ليس عندي متسع لإمعان النظر.

(والتنقيح لألفاظ الصحيح) للزركشي.

(ومعونة القارئ) لأبي الحسن المالكي شارح (الرسالة) نسخت بيد سوسية.

(نسخ من الموطأ) بعضها من الذخائر مذهبة مصححة بخط رائق.

(شرح على الموطأ) مبتورًا أولًا وآخرًا، ربما كان الزرقاني.

(وتفسير ابن عطية) بخط مغربي.

(والدر المنثور للسيوطي) بخط مشرقي بأجزائه الحادية عشرة نسخ بعض

أجزائه 1117هـ وبعضها في أوائل القرن العاشر بخط يوسف الأرميوني تلميذ المؤلف.

(نسخ من الشفاء) بعضها من الذخائر بالتذهيب والزخرفة (شرحه للبيضاوي) بخط مشرقي متعدد النسخ في مجلدات ضخام (بهجة النفوس) شرح ابن أبي جمرة على مختصره كتبه يحيى ابن أحمد بن إبراهيم التيييوتي السوسي 1103هـ.

(تهذيب الأسماء واللغات) للنووي بخط مشرقي، نسخ 1082هـ.

(تهذيب) للموطأ كما أظن بخط أندلسي قديم لم أهتد إلى معرفته، لأنه ممزع الأوصال.

(مؤلف فقهي) لعبد الحق أحسبه الصقلي المشهور، وبخط جميل اندلسي إلا أنه مبتور أولًا وآخرًا كثيرًا ما يقول، عبد الحق (كذا) عبد الحق الحكم (كذا).

(حاشية برهان الدين الحلبي) على الشفا بخط مشرقي (شرح علي ابن حكيم الدين الهندي) المشهور بالمتقي على ما رتبه من الحكم العطائية بخط مشرقي نسخ 950هـ.

(التوضيح) لخليل نسخ 987هـ، بيد أحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد ابن علي اليعقوبي البطوي.

(الجزولي على الرسالة) نسخ 5 صفر 737هـ، بخط مغربي جميل، فالنسخة إذن من عهد المصنف لأنه إذ ذاك لا يزال حيًّا.

(حياة الحيوان) للدميري بخط مشرقي.

(تنبيه اللئام في أكل الطعام) جواب للحضيكي فيمن أكل وقام إلى الصلاة وهو يتلمظ ببقايا الطعام في فيه بخط العلامة محمد بن علي بن عبد الله الإيزنكاضي وهو في ست صفحات صغيرة (والإيزنكاضيون تقدموا في طاطا).

(مرائي الزواوي) المشهور بنسخ المذكور أيضًا سنة 1208هـ.

(ورقات) بخط جميل مغربي من مروج الذهب، وهي تاريخ المسعودي.

(كتاب مبتور أدبي) أولًا وآخرًا بخط رائق تتضمن بحسب ما بقي من خطبة الكتاب 118 بابًا.

(أدب المجالسة).

(أفضل الكلام ودم العي وحشو الكلام) الخ.

(قواعد الإسلام) لابن عبد السلام بخط مشرقي قديم، وهي نسخة قيمة.

(النجم الثاقب) لابن صعد التلمساني، إلى غير هذه من شروح وحواش متداولة، وما هذه الكتب إلا ما بقي من الخزانة المبعثرة ولا يزال بعضها الذي لم نره تحت أيدي بعض هؤلاء المرابطين، وهو عامي لا تمكن رؤيتها تحت يده، فليتصور القارئ هذه الكتب الكثيرة المشرقية الخط كيف أوصلها الحجاج إذ ذاك، وطريقهم إنما هو بري، يقطعون (برقة) في شهور كثيرة، وقد وصف التاريخ هؤلاء التاݣاركوستيين بالاشتغال بالحديث، وها نحن نرى مصداق ذلك عيانًا، إلا أن الذي يؤسف عليه كثيرًا، أننا وجدنا هذه الكتب متبللة بالأمطار حتى تلاصقت أوراقها وبلل بعضها لا يزال حديثًا، وقد صدق في أمثال هؤلاء الذين يكنزون الكتب، ثم لا يحافظون على صيانتها، حديث الهرة التي حبستها من حبستها، فلا هي أطعمتها ولا هي أطلقتها لتأكل من خشاش الأرض.

ومن فقهاء سكتانة، العلامة المقري المرابط سيدي محمد الأوزديني من زاوية (أوزدين) ويذكر أنه أخذ القراءات السبع من حاحة والعلوم من (تيمكيدشت) وكان يشارط في مدرسة (إيمكون) كل عمره ويكثر عنده الطلبة، ويدرس العلوم قليلًا والقراءات كثيرًا، وكان يفتي ويقضي بالنيابة عن قضاة (ردانة) وفتاويه ومحررات أحكامه كثيرة، تخرج به كثيرون من الجم الغفير في القرآن توفي 3 - 1 - 1323هـ والزاوية ليست من (سكتانة) وتوجد إزاء قرية (الفكارة) من (أيت حمو) ثم سكنوا في قرية (تاݣجديت) وعرفت تلك الزاوية بالعلم على ما اشتهر في الألسنة إلى الآن.

ومن الفقهاء عبد الله بن عبد الرحمٰن الأسولي، نسبة إلى قرية (أسول) إزاء (تاليوين) وقيل إنه أخذ عمن قبله، فاعتنى بكتاب الله وكان موثقًا ولا تصحيف في كلامه، توفي 15 جمادى الثانية 1351هـ، وكان يعلم في مسجد قريته.

وأسواق (سكْتانة) الآن ثلاث، ثلاثاء (إمغيض) وأخرى في (تيريت) والاثنين في تكْيوين وفي القديم كانت سوق الأحد على محل عين هناك تسمى (سلو) وقد استبدلت 1350هـ بالاثنين المتقدمة، وهناك سوق إزاء (سيدي علي أبي حسو) من (أفخفاخ) يوم الخميس قد انقرضت 1288هـ.

ويوجد في محل يسمى (أنيسي) قرية تسمى (المدينة) ولا ندري سبب ذلك واسم المدينة يطلق أيضًا على مدينة (أزرار) لقرية هناك، وعلى مدينة (أسرارغ) لقرية أخرى هناك، وقد ذكر لي أن المعدن المشهور في (زكْندر) الذي ذكر ابن خلدون أن يوسف بن عبد المؤمن كان زاره، وأنه يستخرج المعدن، وكما ذكره أيضًا عبد الواحد المراكشي في (المعجب) بين معادن المغرب أنه موجود في قبيلة واوزكْيت في محل يسمى أزيلال، وتوجد فيه مغارات إلى الآن، وهو في وسط الجبال وهو معدن فضة.

كان رب مثوانا القاضي الأجلّ سيدي الحاج إسماعيل ممن لي به معرفة من أيام (الحمراء) فقد دخل عليّ بعد عصر يوم من أيام رمضان زائرًا في (الرميلة) فأنشدني قصيدة رائية إثر حضوره معنا في درس البخاري في الكتبية بين الظهرين من أيام رمضان 1354هـ والقصيدة:

من لم يشاهد حضرة المختار ... إذ كان يقرئ سنة المختار
ما إن رأى بحرًا خضمًا زاخرًا ... يهدي إلينا جوهر الآثار
ألبست يا رب السيادة حلة ... هي حلة الإقبال في الأخيار
أحرزت طفلًا ما يعز لشارخ ... إدراكه في أطول الأعمار
يا أيها النشء استقوا من بحره ... ماء الحياة وصافي الأسرار
شمس لو أن الشمس تنثر لؤلؤًا ... في الدرس بين كواكب ودرار
وفصاحة أربت على سحبانها ... وجزالة أربت على بشار
أين ابن خاقان وأين بيانه ... أين ابن عباد من المختار
وشمائل كالروض دبج برده ... كف الغمام ونسمة الأسحار
ورث السيادة سيدًا عن سيد ... بالفرض والتعصيب والإقرار

المستمى فوق المنصة مفخرا رغمًا على أنف الحسود الضار
حسدوا الغزالة في السماء وما دروا أن الحسود له عذاب النار
وعلى علاه تحية ما صافحت زهر الربا أيدي النسيم الساري

وجوابها يوجد في (المعسول)، ونص مطلعه:

أنسيم روض هب في الأسحار والروض مبتسم عن الأزهار

هذا وقد رأيت في خزانة القاضي (الأجوبة الزنجفورية) للكنسوسي ذي الأدب النظير، الذي ما له في عصره في الأدب من نظير، أجاب بها الحسن بن الطيفور الساموكْني، وعبارته فيها بينة، وللكتاب خطبة أدبية عالية المنزع، والكتاب مطبوع.

كما رأيت هناك شرحًا على الألفية لابن مالك (مصباح أهل الخاصة، في فهم ألفاظ الخلاصة) في مجلد ضخم، للاستاذ عبد الله التيواضوئي، قال في آخره، قال مقيده غفر الله له عبد الله بن أحمد الهوتاتي النجار، التينزرتي الوجار معتقدًا أن ليس فيه إلا النسخ والترتيب، رجاء الدعاء من المطالع الحبيب، . . . وكان الفراغ من تقييده أوائل رجب الفرد من عام 1305هـ انتهى، وهو يبسط الكلام في إعراب المتن وفي الشواهد ويعربها وربما ساق حكاية لمناسبة.

كما رأيت أيضًا شرحًا صغيرًا لمنظومة لأبي زيد الجشتمي في (الوصايا) وهو له أيضًا في زهاء ورقتين، كما رأيت هناك في فتوى واحدة أسماء هؤلاء الفقهاء محمد بن محمد فتحا فيهما الهوزالي ومحمد بن محمد فتحا الركني ومحمد بن مبارك التلدنونتي، ومحمد ابن الحاج التاكْركُوستي، هم كلهم في فتوى واحدة.

كما رأيت كتابًا نسخه منصور بن إبراهيم الهسكوري ختمه بنظم وذلك في 1132هـ.

كما رأيت هناك اسم من وصف بالعلامة الكبير الشأن الشريف عبد الله، التيييوتي ولا أعرفه الآن، ونعلم أن في تيييوت الشرفاء أبناء (أبي درقة) ولعله منهم.

كما رأيت هناك أيضًا كتابًا فيه تفسير العربية بالشلحة أوله العالمون بفتح اللام: الخلق الواحد منهم عالم، والعالمون بكسر اللام: العلماء الثقلان: الجن والإنس، الرجل: أرڭاز، والرجال جماعة، والزوج والبعل والجمع: إرڭازن والمرأة تامغارت، وكذلك الزوجة والصاحبة، وقال في محل آخر، الحوض: إفرض والأحواض جماعة، الغدير: تامدا والغدران جماعة، الوادي أسيف والأودية والأنهار جماعة وفيه فصول:

فصل في أسماء الأشجار.

فصل في أسماء الحبوب التي تؤكل.

فصل في السماء وما يلحق بها.

فصل في آلة العمل كالفأس وغيرها.

فصل في الطيور.

فصل في خشاش الأرض.

فصل في الوحوش والسباع.

فصل في الأنعام.

فصل في أنواع المعادن.

فصل في أسماء أصوات الدواب.

فصل في أسماء النباتات.

فصل في المكايد.

فصل في أوصاف الأرض.

فصل في أعضاء الجسد.

فصل في أسماء الصناعات والحرف، وفي أوصاف الناس.

فصل في أسماء الشح والبخل.

فصل في الأفعال والأقوال.

فصل في أسماء مباعلة الزوجين.

فصل في أسماء أشياء أخرى بالهيئة الاجتماعية.

والكتاب بسيط، وما المقصود منه إلا تعريف حفاظ القرآن أئمة مساجد هذه البادية بعض أسماء عربية من الألفاظ التي يتوقفون عليها في التوثيق، وفي كتابة رسوم الناس وفي الكتاب ست صفحات عادية.

وكذلك رأيت هناك رجزًا لأحمد بن عبد الله بن أبي بكر الزدوتي في (مسائل السهو) في الصلاة، وقد شرحه هو بنفسه في 15 صفحة بخط مدمج دقيق.

هذه نتيجة بعض مخطوطات عند القاضي، وخزانته الخطية لا تزال في قرية أسرته الأصلية، وقد قلت عشية ليلة الفراق للقاضي ولجلاسه الفقهاء الحاج عبد السلام وسيدي عبد الرحمٰن بن يحيى هذه الأبيات جوابًا لاقتراح علي:

لله من سكْتانة الغراء ... قطر يثير مشاعر الشعراء
من لم يزرها لم يزر بلدًا به ... أرض تطيب قوافي البلغاء
قد كنت أسمع ما سمعت إذا بها ... أنس السميع ونزهة البصراء
ماذا تظن بتربة طابت منا ... بتها بما ينسى أريج كباء[1]
حتى النبات بها يطيب فهل شمـ ... ـمت من الحقول هناك نفح هواء
تالله ما سكْتانة الغراء غيـ ... ـر مباسم تفتر عن نعماء
لا عيب فيها غير أن ضيوفها ... ينسون أنهم من الغرباء
فيرون لو يجدون أن لا يبرحوا ... مما رأوه من ندى الكرماء
سقيًا لها أرضًا سبت قلبي بما ... أبصرته فيها من الأدباء

وقد كان الفقيه النبيه حافظ المختصر سيدي عبد السلام حاضرًا معنا كل هذه الأيام، ولم يفارقنا بأخلاقه الدمثة، وهو وقور حسن المحادثة والاستماع، وله مشاركة حتى في الأدب وقد أخذت منه نسخة أبيات قالها في أحد خلفاء الباشا في مركز تاليوين، ولا بأس بها فصاحة وبيانًا، ولأهل هذه الجهة ذوق عالٍ في الأدب، وإنما ينقصهم أن يمارسوا وهم في أفاضل علماء سوس وقرهم الله وحفظهم للمعالي.

(1) الكباء بالكسر: العود الذي يتبخر به.

وقد زرت دار القيادة أنا والقاضي لأن ذلك لا بد منه لكل طارئ ليسلم من نزل عنده، وإلا فسيسأل عما هي وما لونها، اقترح القاضي رب مثوانا ذلك، فاستقبلنا القائد الشاب استقبالًا له شبه بالاستقبالات الرسمية، وقد تناولنا هناك شرابًا أمام قبة أنيقة، وإزاء بركة صافية ينسج النسيم على صفحتها درعًا رقيقة أو غلالة تتموج حول راقصة رقصًا متئدًا في المسرح وقد كان من هناك سمعوا بي فأظهروا الفرح باللقي، وقد حثوني على معاودة زيارتهم والنزول عندهم أيامًا، فقلت له، الله ييسر، ففارقناهم كما لاقيناهم، لا علينا ولا لنا.

على أنني راض بأن أحمل الهوى وأخلص منه لا علي ولا ليا

ولم يلبث هذا الشاب أن دهمه أبوه يومًا فذهب به مخلوعًا بعدما كثرت الشكايات به ثم لم ينشب أن اعتبط رحمه الله.

هذا وقد صلينا الجمعة في جامع تاڭرڭوست فتأسفت كثيرًا لذهاب الاهتبال بالدين في هذه الزاوية التي منها تستقى الديانات، والله الأمر من قبل ومن بعد، ثم إنني كتبت إلى هؤلاء الأدباء السڭتانيين هذه القطعة لما فارقتهم:

أأنتم أم الأنس اللذيذ أودع فقد كاد قلبي بعدكم يتصدع
أودع طيب العيش مذ صافحت يدي يدًا منكم مدت إلي تودع
فأي امرئ تبقى له منة وقد رأى البين في قطع التواصل يوضع
ففي ساعة التشييع ينكشف الهوى من السفر أو ممن أتوا ليشيعوا
فلله في سڭتانة الملأ الألى تملكني منهم شراب يشعشع
فما أنس لا أنس الذين بأنسهم زمان مقامي بينهم أتمتع
فقد آنست عيناي كيف يرى الندى وكيف كؤوس الجود للضيف تترع
فإني لما أولوه أشكر كلما سرى في فؤادي ذكرهم يتضوع

أولوز:

كانت دائرة (تاليوين) مركزًا مشتملًا على (الفائجة) وسڭتانة ونصف أونين وإيوزيون وتيفنوت، وزڭمزن، وواوزڭيتة، وهذه كلها في إيالة الحاج التهامي، فأما الفائجة وسڭتانة فتحت القائد عبد الله ولده، نائبًا عن القائد إبراهيم أخيه

الذي تولى على جميع قبائل تلوات وما وراءها، نيف وثلاثون قبيلة ـ فيما سمعت ـ، وعلى إيوزيون ونصف أونين خليفة له يسمى أحمد التيزالي، وعلى تيفنوت خليفة له آخر يسمى عبد الرحمٰن المعدني، وعلى واوزگيتة وهي قبيلة كبيرة، خليفة آخر يسمى محمد بن حامد، وعلى زگمزن خليفة يسمى الحسن الرباعي الأگلاوي، وهذه الإيالة التي تحت تاليوين كلها تحت نظر القاضي الحاج إسماعيل في الدعاوي الشرعية، وعنده نيف وخمسون عدلًا، وهو من أصحابنا وعلى فكرتنا وممن مازجناهم ومازجونا.

خرجنا من هناك في الساعة الثانية ليلًا على البغال في الطريق المرصوفة فسرعان ما خرجنا من إيالة ذلك المركز فدخلنا في إيالة أخرى تابعة لأگادير من أعلى رأس الوادي والقواد في رأس الوادي الآن من أعلاه إلى هوارة هم هؤلاء:

القائد الطيب الضارضوري على الرحالة وطرف من إنداوزال، ثم يليه في سفح الأطلس إيالة القائد الكنتافي محمد بن إبراهيم على أيت سمگ، وعلى النصف الآخر من أونين، يوجد أيضًا المكان المسمى (تالگجونت) وقائده الحسن نبازي، ثم القائد إبراهيم التالامتي عن (تالامت)، (وأيت إيگاس) وطرف من (منتاگة) وهو (أسيف نتامنت).

ثم القائد المهدي المنتاگي على منتاگة، وقبائل أخرى في الأطلس، وقد امتدت حكومته إلى أن تجاوزت ما يسامت تارودانت، وأما الذي يلي حكومة الضرضوري في سفح جبل الأطلس الصغير جنوبًا، فحكومة القائد محمد بن عبد الرحمٰن أبو الزيت علي إيرازان، وعلى أرغن، وأرغن في الأطلس الصغير، وهي قبيلة المهدي بن تومرت.

ثم القائد محمد بن إبراهيم التيييوتي المستولي على إيالة كثيرة اتصل بعضها بإيالة الضارضوري، فله نصيب من إنداوزال كما يحكم إگطاي وتيييوت، بله قبائل الجبل الأطلس الصغير، ادوكنسوس، إداونظيف وهي غير اداگنظيف وانداوزال وهي غير انداوزال وادافينيس واداوزدوت ووادي تاكموت، وأما في وسط ما بين الجبلين، فالشنقيطي على المنابهة وطرف من

إنداوزال، وهذا الطرف يسمى إمهرين.

ثم أولاد يحيى وهي حكومة القائد العربي بن موسى صاحب فريجة ويطلق أيضًا عليه ولد باحيدة[1].

ثم هوارة في أسفل تارودانت وهي في يد القائد بوشعيب الزموري[2]، وهي ملحقة بمركز أݣادير، وقاضي أݣادير السيد الحبيب السويري وهو قاضي هوارة أيضًا، وأما قضاة غير ذلك فقاضي تارودانت سيدي محمد بن علي أوبو الهوزالي، والآخر الذي على تامازت يسمى سيدي محمد ابن الحاج علي، وأصل أهله من حاحة[3].

هذه نظرة مجملة نعرف بها ما نعرفه نحن في اصطلاحنا برأس الوادي من أعلاه إلى أسفله، ونعني بالأسفل منتهى هوارة، ويقال لكل ذلك من أهل رؤوس أهل جبالنا سوس أو وادي سوس وأعلاه يسمى رأس الوادي.

أول ما مررنا به من أفخاذ قبيلة أرحالن، أيت يحيى، وقد أروني هناك دار القائد إبراهيم بن إبراهيم، وكان قائدًا على أيت يحيى من نحو 1335هـ فدام نحو ست سنوات، ثم عزل، وذلك لأنه كان بينه وبين آل مالك الجاكانيين قواد إنداوزال عداوة وحروب، لأن أولاد مالك من تاݣوزولت، وهو من تاحكّات إلى أن تمكن الاحتلال وانبسط أمر الحكومة بعد الحرب الكبرى فعزلته، فتولى القائد محمد بن مالك بن علي إيالته وقد كان بين إبراهيم والحاج التهامي الأݣلاوي مصادقة، فمكنه من قبيلة إميرݣن ينتفع بها حرثًا وحصادًا وخدمة، وكل ذلك معونة، وتلك القبيلة من إيالة الݣلاوي ولا يزال الحال على ذلك إلى الآن وهو شيخ مسن.

وقد كان آل (ماخفامان) هم القواد على (أيت يحيى) وقد اشتهر منهم القائد بلا من آل إبراهيم. وسمعت أنه كان القائد أيام الباشا حمو، ثم دام بعد ذلك إلى أن مات حتف أنفه في وقت لا نعرفه الآن. ثم تبعه القائد الهاشمي،

(1) هؤلاء القواد ماتوا كلهم، بعضهم حتف أنفه، وبعضهم جرفه السيل فيمن جرف.

(2) هذا في (فرنسة) اليوم منتجئًا.

(3) توفي هذا بعد 1365هـ بقليل.

فلم يزل إلى أن مات، وكان مضيفًا مكرمًا مثنى عليه، يخبر عنه بكل خير، ولا يزال الحسن ابن القائد بلا حيًّا إلى الآن، لكنه لم يتول قط قيادة.

وقد كان القائد إبراهيم بن إبراهيم نزع من هذه الأسرة (أيت يحيى)، فكان قائد الفوضى المنتشرة ما شاء الله، إلى أن وقع له ما تقدم ذكره، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

ثم دخلنا محلًّا يسمى (أكْني نفاد) ـ شعب العطش ـ ولا ماء فيه إلا من الأمطار فيستكثرون من النطفيات، وشجر أرگان يكثر في هذه الجهات، ولم يزل قيد عيوننا منذ أن دخلنا أيت يحيى وهلم جرا، ثم أطللنا على (أولوز) وقد بانت لنا دار على أكمة من علو تسمى (توكْ سوس) وهي للضارضوريين القواد، ومررنا عن يميننا بتاكْرگوست وأنسا زاوية أخرى لآل سيدي محمد بن يعقوب، وهنا مات الرجل الصالح العالم منهم محمد بن عبد العزيز، ثم وصلنا سوق أولوز حيث تقام سوق يوم الأحد، والأربعاء، وهناك دار الضارضوريين، فنزلنا حتى تناولنا لهنة، ثم دخلنا في الزياتين بين جداول الماء المتدفقة الخرارة[1] وقد تبدى لنا رأس الوادي المتسع بين الأطلس الكبير والأطلس الصغير، وطوله من هذا المحل إلى أكَادير أزيد من مائتي كيلو متر، وكلها أرض غنية ذات ثروة هائلة، لو استخدمت كلها لكان منها لجميع السوسيين ثروة ما مثلها ثروة.

ثم مررنا بعد مجاورتنا مسيل الوادي بقرية الشرفاء أولاد (سيدي عبد الله ابن بورزكْ) دفين قبيلة إيوزيون، وبورزكْ دفن في قرية (بووورغ) في هذه النواحي من قبيلة أرحالن، هكذا ذكر لنا، وهم محترمون محررون من العمل بين العوام على العادة في أمثالهم.

ثم مررنا بقرية (الفرفار) وهي للناصريين وتنسب لسيدي علي بن محمد الناصري، وللناصريين منازل هذا أحدها.

ثم نزلنا في قرية (تيكْمي نتالاغت) حيث زاوية أصحاب الطريقة الإلغية،

(1) أخبرني مخبر أنه مرّ في هذه السنة 1381هـ على هذا المكان، فوجد أشجاره حمراء بالعطش، وقد غارت المياه لا في الوادي، ولا في العيون، فسبحان مقلب الأحوال.

وذلك حوالي العاشرة، وقد تعجبت حين مررنا بمسيل الوادي فلم أر فيه ماء، مع علمي بأن ما تحت تارودانت تتدفق مياهه صيفًا وشتاء، فذكر لي أن الماء الذي ينزل مع الوادي إنما هو لآل أولوز فيفرق بين سواقيهم فيبيعه القائد الطيب الضارضوري لمن شاء من أهل إنداوزال الذين ذهبت إليهم ساقية كبيرة تسمى تابومهاوت، رأيتها ولكل أفخاذ إرحالن نصيبهم من الماء.

كما ذكر لي أيضًا أن بلاد المنابهة لا تنتفع بماء الوادي، بل بعيون حية كثيرة، غالبها دائم الجري صيفًا وشتاء، إلا أن أهل أكْلي من المنابهة إن كثر الماء في الوادي ربما يرفعون الماء منه في سواقيهم، وفي أسفل ذلك تحت تارودانت ينبع ماء كثير في وسط الوادي، وهو الذي نراه في هوارة إلى كسيمة، فعرفنا أن ذلك ليس من الثلج الذي يذوب على ظاهر الأرض، وكفى بها فائدة.

نزلنا في قرية تيكْمي نتالاغت وفيها سيدي جامع الإمام، عليه سيمى الخير، ملازم لتعليم كتاب الله ولد عام 1299هـ وأصله من أيت ميلك من هشتوكة، وقد اجتمعت به فأخبرني أن هناك في أسرسف فقيهًا يسمى بلقاسم أخذ عن سيدي عبد الله بن إبراهيم اليوفتاركاوي، وكان يفتي ويقضي حتى فتك به فاتك جبار حكم عليه في نازلة، في زقاق من أزقة القرية ليلًا، وذلك عام 1323هـ، وفقيهًا آخر يسمى أحمد الشلح، تخرج أيضًا بالمذكور، وكان يشارط في (أسرسف) وهو مسجد كبير ولا يزال حيًّا على ما قال الحاكي، وكان أيضًا يفض النوازل قبل الاحتلال.

وممن هناك أيضًا الفقيه الحسن التيفيراسني وكان مشارطًا في مسجد (أيت مرزوكْ) من (أيت ملك) وقد أخذ عنه الحاكي هناك، وهو من أسرة الحاج عابد المشهور. وهو شيخ مسن. كان يسكن في قرية أهله في (بوزاكرن) قرية في (أيت ميلك) توفي نحو عام 1318هـ.

وهناك آخر يسمى أحمد من الجبل يسكن في مدرسة (أيت عمرو)، وهو شيخ مسن، تسلط عليه داء جذيمة الأبرش، حتى عم جميع جسده، توفي قبل 1323هـ.

وقد كان في هذا المسجد في هذه القرية التي نحن فيها عالم من القراء الكبار يسمى مالك بن علي، أخذ القراءات عن داوود البعمراني الأصل ثم سكن في قرية (أݣرض الأحد) من (أسيف نتامنت) كان شارط في قرية (تيݣمى نتالاغت)، أحقابًا. وقد توفي 1315هـ، في المحل المتقدم الذي يسكن فيه. وقد أخذ عنه المذكور هنا. إلى أن استوعب قراءة البصري، ثم توجه إلى أحمد الحنݣيري السمݣي، وكان يدرس في مسجد بداره، فصار يدرس فيها. حتى تخرج به كثيرون، ثم رجع سيدي مالك فصار يعلم في مسجد القرية إلى 1346هـ، فذهب إلى جهة (فاس) فانقطع خبره.

وقد أخبرت أن هناك فقيهًا يسمى محمد المافاماني كان قاضيًا كبير القدر في قبيلة (أونين) وهو من المافامانيين السملاليين المشهورين[1].

كما أخبرت أيضًا أنه يوجد علماء من (أيت تيركنيت) من (أيت سمݣ) كانوا علماء أجلاء، وفي أيدي الناس كنانيش لهم، فيها فتاويهم وقد رأيت مجموعًا لهم فرأيت فيه مؤلفًا للفقيه عبد الرحمٰن بن سعيد التركنيتي أتمه - 4 - 4 - 1295هـ، وقد رتب فيه فتاوى جمعها، ونسبها للفقيه محمد الإيلالني نزيل (تاوينخت) من زداغة من (أيت سمݣ) وقد سماه مدرج القاضي، وشمس المفتي، وفيه 430 صفحة.

وممن ذكر هناك الفقيه عبد الرحمٰن بن الحسن الزداغي الكيسي من(أيت سمݣ) عاش 1296هـ، ولم نعرفه إلا هنا.

ومحمد الإيلالني المتقدم رأيته هناك قال: قال شيخنا محمد بن يحيى الأزاريفي فعلمنا عصره لأن محمد بن يحيى توفي 1163هـ، والجامع عاش إلى 1309هـ، وله أخ يسمى عمر، عالم لا يزال حيًّا 1298هـ.

ومنهم أيضًا الحسن بن محمد، عالم أيضًا مات قبل 1296هـ، وآل تركنيت أسرة علمية تزاد على الأسر العلمية السوسية المذكورة في (سوس العالمة).

ومدارس (إرحالن) التي يدرس فيها العلم مدرسة (وامسلاخت) المبنية على مشهد سيدي عمرو بن هارون حيث ميدان العلماء: مبارك النظيفي، وأحمد الزدوتي المسمى (تالمصحفت) وأحمد اليزيدي، وغيرهم ومدرسة

(1) تكلمنا على من نعرفهم من المافامانيين في (الجزء الخامس).

(تينزرت) حيث كانت مجالات تدريس التيواضوئي، والفقيه أحمد صهره، ومدرسة تامازت حيث مضى العلامة محمد بن عبد الملك اليزيدي.

وقد زرت مسجد تيگْمى نتالاغت التي نزلنا فيها الآن، فوجدت مصلاه صغيرًا فيه ثلاث صفوف، وفيه المنبر ولكن الجمعة انقطعت فيه الآن، وقد تعجبت في هذا المسجد الصغير. حين كان يذكر بأنه مرّ فيه اجتهاد كثير في تعليم القرآن والروايات، وربما يبلغ طلبته الأفاقيون ستين من عهد سيدي علي البلفاعي في أول هذا القرن، وقد كانت العادة في كل مساجد (رأس الوادي) من أعلاه إلى أسفله، ولا يستثنى إلا النادر، أن يقصدها طلبة الجبال لحفظ القرآن وتعلم الروايات، وقد كان كل واحد من أهل اليسار من القرى ينفذ المؤنة اليومية لطالب واحد وتسمى (الرتبية) غداء وعشاء، فتكفي التلميذ، ويستغني بها عن التزود من أهله، فاحتفلت مساجدهم بالقراءة، ولا يزال إلى الآن مئات من الجبليين الذين تعملوا في هذه المساجد أحياء إلى الآن، وقد ألف الرسلواديون تلك العادة، ويتسبقون إليها، فلم يكن ليعدم أي تلميذ من يمونه فالبلاد غنية وأهلها كرام، وقد دام هذا الحال إلى أن كان الباشا حمو في (تارودانت) ـ 1314هـ، فوالي مغارم باهظة على الناس، حتى أفقرهم فجلا الناس عن القرى والمساجد، فيتناقص ذلك شيئًا فشيئًا، حتى جاء الاحتلال فدخل ذلك في خبر كان، وهذا الكرم الحاتمي الموجود في هذا الوادي هو السبب حتى كان مثابة علماء كثيرين وقراء كبار من الجبليين، فعمروا المدارس بالعلوم والقراءات وقد زخر التاريخ بذلك قديمًا وحديثًا.

جلت العشية بين زياتين القرية فقيل لي أن زيتون (تاغولامت) أفضل من زياتين (أولوز) وما إليه. وهي التي تنتج بعد العصر أكثر، ويعللون ذلك بأن زياتين (أولوز) نبتت من تراب ليس فيه الصفا بخلاف الأخرى فإن الصفا موجود تحت التراب الظاهر للعين، وهذه العلوم إنما تستمد من التجريب، (وأندب لكل مهم أهل بلواه) كما في الحديث.

في أولوز:

كان للضارضوريين مع الشيخ الإلغي تعارف من قديم. فكان هؤلاء

يوصون دائمًا إن خطرت في هذه النواحي أن يروني، فلبيت اليوم طلبهم وقد لقوا سيدي محمد بن عمر من (تيكْمى نتالاغات) فقالوا له إما أن يأتي إلينا أو نأتي إليه غدًا إن شاء الله، فاخترت الذهاب إليهم فركبنا بعد العصر. فمررنا في مسامتة قبة (سيدي عمرو بن هارون) وقد تركنا عن يميننا الزاوية الناصرية ثم أطلال قرية (أضارضور) الأصل الأصيل للقواد الضارضوريين، ثم قرية (تاڭنزا)، وفيها دارهم كما كانت أخرى في (أڭادير نتافوكت) وأخريات في (وامسلاخت) نراها من بعيد بأبراجها إزاء قبة سيدي عمرو بن هارون ثم سرنا قدمًا فجزنا الوادي فدخلنا دار هؤلاء الرؤساء التي في أڭادير نيبلازن.

وقد كان الحاج وحمان أخو القائد الحالي سكن فيها، وبنى فيها رياضات وديارًا وقد دخلت إلى وسطها ساقية، فتلقانا رب المثوى بالباب، فرحب ترحيبًا كثيرًا، فأنزلنا في رياض قرينة مسكن بنت المدني الأڭلاوي، وهو روض مراكشي مجصص واسع، حسن الأثاث فيه، أحواض بالأشجار، وقبتان مفروشتان فراشًا حضريًا، فقيدت هنا عن القائد خبر أهله وقد زور علي في بعض ما كتبته عنه وقد أدخل في أهله من ليس منهم اكتشفت ذلك بعد، وفي البكرة زرت القنطرة التي هشمها سيلان هائل كان في آخر رمضان الماضي وقد جرف قرى وديارًا من فوق، وقد رأينا إزاءها دارًا أخرى للقائد هي التي أفرغ فيها جهده في التزليج والتنميق.

ثم من هناك بعد الأفطار إلى مشهد (سيدي عمرو بن هارون) فلاقيت هناك فقيه المدرسة سيدي محمد بن يوسف بن عبد الله بن محمد بن سعيد، وسعيد هذا هو المتزوج ببنت سيدي محمد بن علي الهوزالي أكبيل الشهير، ولد هذا الفقيه 1287هـ في قرية (تاوريرت اوكبيل) من (إنداوزال) وأخذ القرآن عن سيدي وحمان الزكري في مسجد (بني دحمان) ثم ابتدأ العلم عند سيدي محمد المزوضي، وكان متخرجًا بسيدي الحسن التيمكْيدشتي، ثم شارط في مسجد بني دحمان، والمسجد للقرآن والعلم معًا، وقد تحول إلى قبيلة (مزوضة) ولا يعلم متى وفاته، ثم بعد تحصيل المبادئ انتقل أول 1312هـ إلى مدرسة (تامازت) عند سيدي محمد بن عبد المالك اليزيدي الشهير وبقي عنده إلى 4 ذي القعدة 1319هـ فطلب منه أهل (تاغولامت) استاذًا فأرسله إليهم، ثم تزوج في رجب في

السنة هناك، فاستقر به القرار إلى الآن 1362هـ، ثم صار يدرس المتون هناك ما شاء الله، ثم شارط في (أوفور) في (إيوزيون) سنوات نحو عشر، وكان أيضًا يدرس هناك المتون على قلة، ثم إلى (تولوا) ثلاث سنوات ثم إلى هذه المدرسة في (وامسلخت) 1357هـ وهو يدرس هنا إلى الآن، (ثم بعد أزمان بلغتنا وفاته 21 رمضان 1376هـ رحمه الله ووالده يوسف توفي 1323هـ).

وجده عبد الله عالم كبير أخذ عن أبي زيد الجشتمي وكان يفتي ويقضي، قال رأيت رسالتين بينه وبين أبي زيد الجشتمي المذكور، يستشير سيدي عبد الرحمٰن في الانتقال من مدرسة، ولا يستحضر وقت وفاته.

وكذلك محمد بن سعيد فإنه عالم كبير أيضًا وصالح شهير، وقبره هو المشهور إزاء قبر الشيخ سيدي محمد بن علي الهوزالي وكان له مقام كبير في عصره ويحسب أنه أدرك جده لأمه الشيخ سيدي محمد بن علي، وأنه أخذ عنه لكونه معمرًا ككل أهله وللشيخ سيدي محمد بن علي ولد يسمى إبراهيم عالم جليل وينسبون إليه فيما زعموا:

والله مـا نـدري إذا مـا فـاتـنـا ... طلب إليك من الذي نتطب
ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد ... أحدًا سواك إلى المكارم ينسب
فاصبر لعادتك التي عودتنا ... أولًا فارشدنا إلى من نذهب

والتحقيق أنه أنشدها لأن الأبيات قديمة بلا ريب، توفي في (إيكْلي) وهو في المقبرة هناك عليه بيت خرب، ثم حكى لي عن الفقيه أحمد اليزيدي الراسلوادي قال: أخذ عن محمد بن عبد الملك، ويسمى عند الطلبة بأوشن ـ الذيب ـ ثم شارط في (تولوا) من (أيت سمكْ) وتزوج هناك إلى أن نهبها الكنتافي 1316هـ فغادر البلد إلى تارودانت فأقام فيها ما شاء الله ثم أتى به القائد العربي إلى مدرسة وامسلخت إلى أن توفي بعد 1324هـ وكان الفقيه محمد بن مبارك النظيفي حيًّا سنة 1322هـ.

والفقيه محمد بن علي الوامسلاختي وسط في معلوماته إلا أنه كان يقضي كثيرًا، توفي نحو 1310هـ وكان يكتب من 1280هـ وله شهرة كبرى في إرحالن.

ثم حدثني عن عبد الله الزكري (بوكُجا) وقال إنه حاذق وكان يستند إلى جذع، فنسب إليه وكان يسكن أولًا في تاغولامت ثم جرح بأيدي سفهاء بخناجر. ثم انتقل إلى (أولوز) عند القائد عمر من (إدمالك) الأولوزي فسكن فيه 22 سنة ثم رجع إلى تاغولامت وهناك توفي، وله خط حسن، وهو محقق في النوازل، أخذ عن عبد الله اليوفتاركاوي، والجذع الذي يستند إليه كان في أولوز.

وذكر سيدي عليًّا المنابهي صهر سيدي عبد الله التيواضوئي وتلميذه وصهره على بنته، وخلفه في المدرسة، وكان نجيبًا مدرسًا خرج تلاميذ، وتوفي نحو 1320هـ وكان يقدم الطلبة، فيدور في (أيت واوزكيت).

وذكر سيدي محمد (فرت) اليزيدي، أخذ عن الحسن الإيرازاني وسكن في قرية (الشواظات) وكان رجلًا تقيًّا نبيلًا عالمًا محققًا ومفتيًّا مصيبًا، وكان يفتي ويقضي بين الناس ويتطاول على الخصوم ليستقيموا، وقد أنشد القاضي سيدي موسى بعد موته:

قل للذي رام الفتاوي بعده ... هيهات صرت فريسة الذؤبان

لم ينجب ولدًا يرضيه، فتصدق بأمواله على الزوايا والمسجد وكان أيضًا في (توشعا) من (أيت سمك) توفي ليلة الجمعة 26 رمضان 1339هـ وله قريب تاجر يسمى أحمد بن (فرت)، كان ناظرًا بـ(ردانة) حينًا وتوفي بمراكش يوم السبت 28 ذي القعدة 1338هـ.

وذكر سيدي سعيدًا اليزيدي قرأ من إيرازان حتى حصل وتفوق، ثم رجع تاجرًا، فمن لامه على ترك الهيئة العلمية يقول له قرأنا العلم لله وتركناه لله، وكان محافظًا على صلاته وسط السوق، وسكن في قرية أيت أيوب في تامازت، وكانت له خزانة حسنة، قال الحاكي: استعرت منه مرة ابن ظفر على المقامات الحريرية وكان كتب غالبها بنفسه، توفي 1327هـ، قال بعت شرح المحجوبي على الآجرومية لمولاي أحمد البنسعيدي الذي هو قاضي مراكش اليوم وكان فيه بتر وتصحيف، فحين عرفه، صار يصلح ما فيه تتبعًا إلى أن أكثر عليه الطلبة في أنه مغبون، فأراد أن يرده، قال: فقلت له إنك رضيت بالعيب

بعدما اطلعت عليه، فأبى ان ينقاد، فتداعينا إلى الأستاذ محمد بن عبد الملك فرفعنا إلى سيدي سعيد اليزيدي فقال إنه عالم وتاجر، ينظر هل العيب متفاحش أو لا، فقال ثم تصالحنا بعد ذلك.

وذكر أنه كان في إوزيون تلاميذ من تيمگّيدشت كإبراهيم أبو الكرش يزاول النوازل وكان يسكن في قرية إيدكل هناك، توفي نحو 1339هـ، وإبراهيم الإيلالني سكن في قرية إگّدز عند المرابطين، وهو نجيب، كان يختلف إلى القائد حمو، وتوفي نحو 1343هـ.

ومحمد بن علي أگّرام من أگّدز وكان يزاول النوازل، ولعله من الويساعديين توفي نحو العشرة الأولى من القرن، وله ولد يسمى عثمان حي إلى الآن.

والحاج عبد الرحمٰن الطلحي من أگّدز نوصغار قتل شهيدًا ظلمًا وكان رئيسًا وقاضيًا وكان محافظًا على الصف في الصلاة فقتل في سبيل ذلك صباحًا وقد خرج إلى صلاة الصبح وكانت قرينته عارضته فأبى أن يفوته أجر الجماعة وذلك نحو 1308هـ واشتهر باسم أوطلحة وكان أيضًا رئيس قبيلته.

ثم أبناء الفقيه أحمد الهشتوكي وهما اثنان أحدهما محمد أخذ عن والده وعن محمد فرت، وكذلك أخوه محمد فتحا أخذ عنهما وكانا عالمين حسنين، توفي محمد فتحا الصغير نحو 1345هـ والآخر 1351هـ وكان محمد يشارط في (تولوا) محل سكناه وسكنى أخيه، وفي (أيت ماعلا) هناك، وقد أخبرني الأستاذ هذا أن سيدي عمرو بن هارون أصله من (إماديدن) من (سكّتانة) ثم إلى (إيوزيون) فكان هناك جبار يسمى عليًّا، فكان ينهاه فثار عليه، فتحول إلى هذا المحل الذي يسمى قديمًا مدينة (أنسا) وقد دخلت قبته فوجدتها صغيرة، ويظهر أنها قديمة البنيان، وقد علق في كل جوانبها كشكولات فيها رسوم الناس، فلا يقدر أحد أن يمسها في كل وقت في أيام الفتن، والقبة لها باب يغلق، فتحته لنا امرأة، ولهذه العلة بني القائد الضارضوري ديارًا لخزن أمواله ورسومه في حرم هذا السيد، لأن الحروب كانت لا تنقطع ولكن كل ما في حرم الزاوية لا يمس بيد، وكان ذلك متوارثًا. وقد وجدت في جدران القبة ترجمة الشيخ من

(التشوف) للزيات، ومما ذكره له العبدري في رحلته وهو قوله فزرنا بموضع أنسا بأعلى بلاد سوس الأقصى قبر الشيخ الصالح أبي حفص عمرو بن هارون، وهو من كبار الأولياء، ومن عظماء الصالحين نفعنا الله بهم، ذكره صاحب كتاب التشوف وبالغ في الثناء عليه، وذكر الشيخ الفقيه الصالح أبو سعيد الحاحي المترازي[1] في كتابه (منار العلم) أنه كان يدخل عليهم في الدرس فيقول: لتهنكم عبادة القلوب والألسن والأيدي والأعين، يعني العلم، وهذا كلام من أيد بالتوفيق، وامد بالتحقيق، وحضر معنا زيارة قبره جماعة من الصالحين، ورأينا من حضور القلب عنده ما قوى الرجاء في نيل بركته، إلى أن قال: أما بلد أنسا جبره الله فهو بلد منفسخ في بسيط مليح طيب التربة يغل كثيرًا، وبه ماء جار كثير، وبساتين ونخل، وهو آخر بلاد السوس من أعلاه متصلًا بالجبل مشرفًا على أرض السوس وكان في أول الأمر مدينة فتوالت عليها الخطوب المجتاحة، ونزول الأقدار المتاحة، حتى صارت رؤيتها قذى في المقلتين، وعادت بغارة الزمان أثرًا بعد عين، فليس بها إلا رسوم بالية، وطلول ماثلة خلت من كل ماثل قارئ ومقروء عليه، وقاصد ومقصود إليه، بيد أن بها صبابة من أهل الدين، وفرقة بأخلاق أهل الخير تدين، على ما يتناولهم من أيدي المعتدين، ويتداولهم من الولاة المفسدين، كشف الله عنهم تلك البلوى، وحسم الداء الذي أذبل نضارتهم وأذوى، وقد قال في (التشوف) في ترجمة هذا السيد ما يأتي:

(أبو حفص عمرو بن هارون المديدي من أهل «أنسا» كان عبدًا صالحًا، انقطع في الجبل لعبادة الله تعالى فما أوى إلى أحد، ولا تزوج قط إلى أن مات في أعوام التسعين وخمسمائة، حدثوا عنه أن أكثر جلوسه في المقابر، فيأتيه الأسد فيمسح ظهره ويقول له، جعل الله رزقك حيث لا تضر أحدًا من المسلمين فينصرف عنه، حدثني عبد الواحد بن سالم المصمودي، حدثني عبد الرحمٰن بن إسماعيل المغاني قال: زرت أبا حفص عمرو بن هارون، وعنده

(1) المترازي هكذا بتاء وراء ثم ألف بعدها زاي وقد وقع في كتاب (سوس العالمة) المتازي وهو تصحيف.

مخلاة فيها موطأ الإمام مالك بن أنس رحمه الله، فقال لي أبو حفص: أنت ضيف. ولو كان لي خديم يقوم بك لبت عندي، ولكني منقطع هنا ليس عندي من يقوم بالضيف، ثم قال أحق ما قرئ بعد كتاب الله عز وجل، والكتاب الذي في مخلاتك، يعني الموطأ، وما رآه وما ولا أعلمته به، ثم قال لي أتعرف الشيخ أبا إبراهيم الركْراكْي من أهل (أدار) فقلت له نعم، فقال لي لم يبق من ينبغي أن يزار غير (أبي إبراهيم) ببلد المصامدة ولا غيرها ولا بالقبلة غير هذا، أبو موسى الباغيلي الجزولي، أقول، هكذا صدق الأستاذ المتقدم في نسبة سيدي عمرو إلى (إمدادين) وإن كان نسبه معزوًّا إلى إخوة سيدي مزال بن هارون دفين (هشتوكة)، ثم إن لهذه المدينة (أنسا) ذكرًا من أواسط القرن السادس، وقد نزل فيها عبد المؤمن الموحدي في جولته السوسية سنة 552هـ، كما ورد ذلك في رسالة أرسلها إذ ذاك إلى كثيرين من طلبة الموحدين، ونص المقصود منها:

وعندما انتهينا إلى مدينة «أنسا» وهي طرف من بلاد (السوس)، الفينا قبائل تينملل وهنتانة، ومن انضاف إليهم من قبائل تلك الجهة، حرسها الله قد انبسطت على بسيطها، وأحاطت بمحيطها فقضوا لباناتهم من التسليم والاجتماع، ورأوا أمنياتهم من مدارك الأفئدة والأبصار والأسماع، وأقام الموحدون هناك متعرفين من الخيرات التي أرسلت سماءها، وأوصلت نعماءها، ورأت بنمو البركة ريعها ونماءها، ما وسع الجميع، والزم الصنيع، وأمرى جنابهم المريع، ونظم بوفده الوهدة والمريع، وكانت النية أعزكم الله، على أن نعم بالتطوف قبائل القبلة من صنهاجة وسكورة وكافة من بتلك الجهة حرسها الله إكمال النعمة عليهم، وإقبال الرحمة إليهم، ولما رأينا أن فصل الشتاء قد أشرف، وفصل الخريف قد انقبض وانصرف، ووقت الاعتمال، فيما يستقبل من الاشتغال، قد أفد وأزف، وما كان توخى بالاجتماع بقبائل الموحدين أعزهم الله قد كمل، وأدرك ما أم وأمل، ورأينا أن الأحوال بعواقبها تكمل، وأن الأعمال بخواتمها الشريفة تتشرف وتجمل، رأينا أن نختم هذه السفرة التي أسفرت عن العجائب، وأظفرت بالرغائب الغرائب بما هو غاية الأعمال الحسنة، ونهاية الآمال الممكنة من زيارة قبر الإمام المهدي الخ.

وهذه الرسالة توجد في ضمن الرسائل الموحدية المطبوعة أخيرًا، فمدينة «أنسا» إذن من محطات الملوك.

وينسب لهذه المدينة الأديب إبراهيم السوسي تلميذ المرغتي ونزيل دمشق المترجم في خلاصة الأثر، وسيجده القارئ إن شاء الله في كتاب (مترعات الكؤوس).

خرجنا من هناك بعد الظهر فرجعنا إلى قرية (تيگمى نتالاغت) فحكى لنا من معنا أن عين (وامسلاخت) كانت غارت حينًا، فلم يرجع ماؤها إلا أخيرًا وقد كانت قبل خرارة تسقي كل البسيط تحت وامسلاخت إلا أنها غير كثيرة، ومكان وامسلاخت عال كموقع (زرهون)، فإننا تبينا منه كل أعالي (رأس الوادي) فبان لنا سواد زيتون (تاغلامت) في وسط البسيط الأفيح، كأنه بساط أخضر كبير، و(تاغلامت) من (إرحالن) وهي قرى كثيرة.

إلى المنابهة:

تلقينا بسيارة بعض الأحباء تحت زيتون (تاغلامت) فصمدنا بها إلى سوق ثلاثاء (المنابهة) وقد مررنا عن يسارنا بعين (أوگيدة) من (إرحالن) ثم جزنا مسيل الوادي الذي نزل من (أيت سمگ) لأن ماء تاغلامت وكل ما يسامتها لا يأتيها إلا من الأطلس الكبير. سواء من الأمطار أو ماء العيون، وقد تبينت ونحن في السيارة جبل الأطلس الكبير فرأيته سلسلات متوازية، فهذا الجبل الأصغر الذي يوالي (رأس الوادي) يسمى (بدرن) والثاني الذي أعلى منه يسمى (تازوگات). وهذا لم يبتدئ إلا فيما يسامت إرحالن وبعده الأطلس الكبير الشامخ، وبين الأول والثاني منازل (إرگ) من (أيت سمگ) في مسامتة إرحالن، وفي الأعالي قبيلة (إيوزيون) وبين (تازوگات) والأطلس الأكبر بسيط (أونين) قالوا إنه أفيح كثير المياه.

ثم مررنا (بتينزرت) عن اليسار، وكل هذه الجهات غابات الزياتين، ففي كل جهة غابة، ثم دخلنا في حدود (المنابهة) وهناك دار الحسن بن حماد ذات بروج، وقد صاهره القائد حيدة. فقد تزوج محمد بن الحسن بنت القائد حيدة وقد مات الحسن بعد 1350هـ. وولده محمد هذا امتد عمره به إلى الآن (ثم

توفي في هذه السنة التي ألحق فيها هذا وهي سنة 1371هـ) ودارهم هذه من الديار الكبار. وهي التي أوى إليها القائد العربي الضارضوري حين جلا عن بلده 1322هـ، فرجع 1324هـ ثم زدنا قليلًا، فإذا بمركز حكومي وإذا بمطار كبير تحلق فيه الطيارات وقد أحدث هذا المطار سنة 1343هـ ثم زيد فيه في أول هذه السنة 1362هـ بعد هجوم (امريكة) ثم نزلنا بالسوق فأتى إلينا الفقيه الشريف مولاي سعيد بن الحسن السعيدي، فأوى بنا إلى داره فوالى علينا كرمه الحاتمي وهو ابن أخي القاضي مولاي أحمد قاضي (الحمراء) وصهر السلطان على أخته وهم أسرة إسماعيلية سكنت في (أولوز) وهنا لهم أموال وأملاك وحرمة وجاه وقد كان بينهم وبين الشيخ الإلغي معرفة أكيدة، ومولاي الحسن والد مولاي سعيد من أصحابه في الطريقة كما كان بيني وبين مولاي سعيد صلات لا تنفصم عراها وقد كتبت له اليوم ونحن في داره هذه القطعة المرقعة:

سعيد يا نخبة الأمجاد والشرفا ... ومن له أي قدر في العلا عرفا
لله درك من فذ تفرد من ... بين اللدات الألى تدريهم بوفا
ما أنت إلا ربيب المجد هذبه ... علم يصادف منكم دره صدفا
أهل المكارم أنتم قد تسلسل في ... أهليكم الجود وهو الطبع في الشرفا
توارث المجد والعلياء أهلكم ... يوصي بذا سلف من أهلكم خلفا
فالحمد لله إذ أبقى مقامكم ... يعلو المقامات من جرائكم شرفا
من لا يؤسس على الأخلاق رفعته ... فليس يعرف أنى يأكل الكتفا
أهل السعيدي إنا شاكرون لما ... أوليتموه بشعر طيبه عرفا
دامت محبتنا في الله ما بقيت ... فيكم بحور تروي كل من غرفا
قد كان أسلافنا أسوا بنايتها ... وشيدوا في نواحي قصرها الغرفا
فكان فرضًا علينا أن نسير على ... تلك الطريقة لا نبدي لها جنفا
إن البقاء على ود الجدود لدى ... أبنائهم دائمًا من سيرة الحنفا
عليك مني سلام طيب أرج ... كما تنشقت وهنا روضة أنفا

ثم زرنا القاضي في محكمته وما كان قصدي إلا أن أسلم عليه وأبيت في

تارودانت فإذا به يقول: إنني لم أودعك يكرر ذلك وأنا أستسمح وما في نيتي المبيت هناك ولكني وجدت سيارة تارودانت التي كنا سنركب فيها قد غادرتنا ولم يتيسر غيرها وقد كان هناك ذو سيارة ينوي المرور إلى تارودانت فأوصاه بعض أودائنا أن يذهب بنا ولكنه يتردد في ذهابه اليوم ففهمت عن الله فنزلنا في دار القاضي بتامازت وهي قريبة، ذهبنا إليها سائرين وقد تركنا بغال مولاي سعيد لتأتي بمتاعنا، وقد تبدت لنا زياتين (أولاد برحيل) وهي غابة نستبين منها دار القائد حيدة، وصومعة مسجدها، وقد كان يملك غالب هذه الغابة، ثم بيع الكل بعد خلع ولده الباشا الحاج حماد من تارودانت في ديون كثيرة، فلعبت أيدي اليهود وأمثال اليهود في ذلك من المنتسبين للإسلام لعبهم المعتاد، ثم صار الكل إلى المعمرين وقد رأينا ضيعة معمر كبيرة إزاءنا ممتدة إلى تلك الناحية، ذكر لي أن كل زياتينها كانت لزوجة حيدة الشهيرة (ووزة بنت بيروك) وكانت ثرية، وقد مات الكل وذهبت الأموال (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) وقد كانت من أسرة (بهباز) الشهيرة وأملاكها لا يزال بعضها، لأنها أسرة رشيدة ومنها الآن العربي بن بيروك، أخو تلك المرأة لا يزال حيًّا إلى الآن وهو حاتم المنابهة، فليتق الله سائله، وقد سارت بأخبار مائدته التي تنصب دائمًا الركبان ولم نعرفه، وإنما ذكر لنا فأردنا أن نسطره للتاريخ، والكريم محبوب حتى إلى من لم ينتفع بكرمه.

وقد بات معي الفقيه مولاي سعيد، فأخبرني أن مدارس العلم في المنابهة أربع:

1 ـ مدرسة (تامازت) الشهيرة بابن عبد الملك اليزيدي الذي خرج زرافات من العلماء وقد تقدم ذكره، وذكر بعض من أخذوا عنه.

2 ـ مدرسة (أولاد برحيل) التي يدرس فيها الأستاذ بلقاسم اليزيدي إلى أن مات وشيكًا، وهو فقيه مشهور بالتخريج، ومن بين الآخذين عنه سيدي عبد الرحمٰن بن يحيى اليعقوبي.

3 ـ مدرسة (إيگْلي) الشهيرة بالأستاذ محمد الرسموكي، وهو علامة مخرج.

4 ـ مدرسة (أيت دحمان) الشهيرة بالأستاذ محمد المزوضي الشهير وقد تقدم

ذكره والأستاذ أحمد الإيشتي الفقيه الذي تخرج من تيمكُيدشت، وإيشت قرية في جهة تامانارت.

وأخبرني أن هناك مشهد سيدي الحسين الشوشاوي من علماء التاسع وهو مزارة كبيرة، ويقرب مكانه من دار حيدة بأولاد برحيل، وقد بنى عليه القائد الحاج حماد بن حيدة قبة.

وقد رأيت هناك في كتاب فتوى لعالم يسمى محمدًا المهدي الهوزالي يعيش إلى نيف وسبعين في القرن الماضي، وقد ذكر لي الشريف مولاي سعيد هؤلاء العلماء:

العلامة سيدي العويدي المنابهي من قرية (أولاد العويدات) تخرج من (فاس) وكانت له شهرة طنانة كبرى، ويحكى عنه أنه محظوظ، فكان يقول:

فمن أتى سوسًا بعلمه السديد   كمن أتى عبدًا بأقفال الحديد

وكان علامة مشاركًا أصوليًا متمكنًا، توفي نحو 1318هـ.

والفقيه عبد الرحمٰن بن عمر العلاكُي المنابهي من (أولاد علاكُ) أخذ من (إيرازان) عن الشيخ الحسن التملي، وكان عالمًا كبير القدر غير جامد، تلقى الكتب الحديثة بكلتا اليدين، وكان يغشى القائد الطيب الكنتافي والحاج حماد ابن حيدة.

وسيدي عبد السلام الناصري[1] وكان يفتي ويقضي وينوب عن قضاة تارودانت، توفي بداره في يوم الأحد 11 شوال 1339هـ.

والفقيه أحمد بن عمر الهوزالي، كان يسكن في تامازت وكان ينوب عن القضاة، تخرج في إيرازان عن الحسن التملي، وكان شارط في إيكُلي وفي توشعا بأيت سمكْ، توفي نحو 1350هـ كان نائبًا عن القضاة أولًا، فعزل وجزع جزعًا شديدًا، فقال بماذا أعيش؟ فقيل له برزقك، فهل تموت نفس قبل أن تستوفي أجلها.

والفقيه محمد بن مولود النظيفي من قرية تيفريكي من أندوينظيف أخذ عن

(1) ذكر الناصريون السوسيون في (الجزء العاشر).

الحسن التوگاني في (السراحنة) بأولاد يحيى، وكان يشارط في قريته ويفتي ويقضي، وشوور في القضايا، توفي 1360هـ وكان حينًا في مركز (إيغرم) بعد الاحتلال.

والفقيه المدني بن محمد من بني داوود التاسوولتي بلديه، أخذ عن الحسن ابن أحمد من تيمگيدشت يفتي ويعتمد القضاة على فتاويه، ودارهم دار رئاسة من قديم وكان يقضي بين الناس، توفي نحو 1346هـ ومن أسرته مبارك النظيفي الشهير وهما من فخذين متشعبين من أصل واحد، (أيت الطالب) آل هذا الأخير و(آيت داوود) آل الأول.

والفقيه إبراهيم أبو السدرة، تخرج من (فاس) تصدر للإفتاء والقضاء، وقد أحرز على شهرة كبرى لعلمه المتدفق ولدينه المتين وكانت له صحبة مع العلامة الحاج مبارك ابن المصلوت، وتوفي سنة 1322هـ وهو من أولاد يحيى، ويروي سيدي عبد العاطي السباعي عن أبي السدرة هذا.

والفقيه عمر بن سعيد بن أبو قسيم من أولاد يحيى عالم كبير ينوب عن قاضي تارودانت وله شهرة وقريته هي السراحنة حيث مدرسة التوگاني أخذ عن سيدي الحسن الإيرازاني واستتم بفاس، توفي أوائل ربيع الثاني 1335هـ وكان دينًا خيرًا تقيًا.

والفقيه علي بن أحمد السوگرادي الجراري الأصل سكن قرية (الغفيرية) من أولاد يحيى، عالم كبير عابد منقطع إلى الله مشهور بالخير، توفي 1361هـ[1].

والفقيه أحمد بن عبد القادر من (أگادير الطلبة) من أولاد يحيى كان كاتبًا عند القائد الحاج إدريس اليحياوي من (أيت كبور) وهم أضداد (آل ابن عيسى) وكان نجيبًا مستحضرًا مشاركًا، توفي نحو 1331هـ.

ومدارس أولاد يحيى اثنتان:

1 ـ مدرسة السراحنة التي ملأها الحسن التوگاني بالتدريس أزمانا.

2 ـ مدرسة (أولاد بوريس) وهذه هي التي مرّ فيها الفقيه عبد الرحمٰن السگتاني

(1) يذكر السوگراديون إن شاء الله في (الجزء الحادي عشر).

الملقب البراقز وهو ابن إبراهيم بن الحسن بن سعيد بن محمد من بني سعيد اليوسفي، تخرج بالحسن الإيرازاني وشارط بعد في هذه المدرسة ثم تولى الإفتاء ونيابة قاضي تارودانت بـ(أولوز)، وسكن هناك ما شاء الله، وهو الذي بقي يعد في نواب القاضي، هو وعبد الله المغارتي، وهذا القاضي محمد ابن الحاج علي، وقد توفي عبد الرحمٰن بـ(أماريك) ليلة السبت 12 أو13 رجب 1346هـ سقط عن بغلته فانكسرت رجله فبذلك مات، واعرف ولدًا له في (البيضاء) كريمًا يعلم في كتاب، وهو من أصحابنا، ثم انتقل إلى (مراكش).

ثم حكى له عن الفقيه محمد بن بلقاسم اليزيدي الرجل الصالح العالم الناسك وقد اشتهر بأولشگر، سكن في (أيت إيوب) بالمنابهة وقد ترفع عن مخاضات معاصريه، إلا أنه يتعاطى التوثيق احتسابًا، وعبارته سليمة لا لحن فيها توفي نحو 1310هـ.

وعن الفقيه عبد الملك الهوزالي، تولى قضاء تارودانت أواسط القرن الماضي تخرج بالأستاذ محمد بن أحمد الأدوزي شارح المرشد. وله شهرة كبرى، ولا يدرى متى توفي، وقد يقضي بين القضاة التمليين متى وقفوا عن القضاء، ولعله توفي 1270هـ وأخباره خافية، مع أن له شهرة بين تلاميذ الأدوزي المذكور.

وقد وقفت على مدرسة تامازت فوجدت فيها ساحتين إحداهما لا تزال صالحة والأخرى خربة، وفي المدرسة الآن الفقيه سيدي عمر[1] بن إبراهيم الساحلي من الآخذين عن الفقيه أحمد بن محمد المسراوي وعن أبي سالم بن عبد العزيز الأدوزي من مدرسة سيدي بوعبدلي ولم نصادفه هناك، والطلبة ثمانية فقط، وتلاميذ القرآن نحو عشرة وقد شاهدنا المجلس الذي يدرس فيه الأستاذ وهو كبير، ثم زرنا المصلى فوجدت فيه ثمانية صفوف في وسطها صحن حسن وهذا المسجد يشبه مسجد تاگرگوست إلا أنه دونه، وقبر الأستاذ محمد بن عبد الملك وابنه محمد في الركن الجنوبي الغربي من الصحن

(1) هو المدير الحالي لمعهد (تارودانت) بعد أن تأسس إلى الآن 1381هـ.

ويسامتهما في الصف المتأخر عن الصفوف الذي في غربي الصحن قبر الشريف العلامة علي بن محمد السعيدي وللمسجد صومعة بناها القائد المهدي من أهل القرن الماضي، وقد دفن بعد موته هناك.

ثم زرنا مشهد سيدي عياد الصوفي الشيخ الشهير وهو من أهل القرن العاشر وعليه قبة لها شبه بقبة سيدي عمرو بن هارون، نقش في جوانبها كلها بالجبص (الحمد لله الحمد لله) مستديرًا ومستطيلًا. وهذا السيد عمري النسبة مشهور الترجمة في التاريخ، توفي في ثامن رجب سنة 983هـ وهو من أصحاب الشيخ سيدي عبد الكريم الفلاح المتوكْي ثم المراكشي، عن الشيخ سيدي عبد العزيز التباع عن الجزولي الشهير، وقد كان عاصر الحلبة الكثيرة من الصوفية في ذلك العصر كأحمد بن موسى السملالي ومحمد ابن إبراهيم التامانارتي وسعيد بن عبد المنعم الحاحي ومحمد بن يعقوب التاتلتي، ومحمد بن ويساعدن الواورستي، ويذكر بينهم وكان له حال قوية، وابن يعقوب وابن ويساعدن أخواه في الشيخ، وكان يوصف بالكرم وبالتربية للفقراء، وبالكشوفات والكرامات وكان يسلف الناس مما فضل عن الفقراء في الزاوية، ثم يسامحهم، وهكذا أصحاب الفلاح كلهم كرماء فتح عليهم في هذا الباب.

وأبوه اسمه عبد الله، ويظهر أنه ليس بعالم، وأولاده كثيرون منتشرون يشتهرون الآن في تامازت وفي عين ازروال وفي أكْدال وفي تيمولا من أيت إيكّاس وفي غيرها.

وقرية تامازت كبيرة فيها الآن زهاء 300 كانونًا، ويحسب معها أيت إيوب قرية في جوارها، وقد كانوا يعدون قبل الاحتلال بـ 1600 بندقية، وهم اليوم دون ذلك، وفي القرية سويقة دائمة يوجد فيها دائمًا اللحم والبقول والضروريات وقد كان السكان حين امتلأت المدرسة بالطلبة يتسابقون بـ«الرتبيات» للطلبة والطلبة يختارون المستورين على الأغنياء، لأن مؤنتهم تكون دائمًا حسنة، ومن هناك يأخذ القاضي مولاي أحمد السعيدي أولًا حتى شدا، وقد كان حرطاني يسمى محمدًا بن الصديكْ هو الذي أعطى له الرتبية. وله امرأة حاجة تحب الخير وبهذه الرتبيات قامت المدرسة، وقد ضمت المدرسة

زهاء 100 من الطلبة الأفاقيين في عهد محمد اليزيدي، وأما أستاذ المدرسة كاليزيدي فإنما يدرس حسبة، ويزاول شؤون معاشه من حرث وما إليه، وكان الطلبة يأخذون عنه الدرس حتى في الفدادين والمعاصر، وفي كل مكان وقف فيه الأستاذ على شغله وقد كان من عادة كل رأس الوادي أن يعطي كل من طحن رحى من الزيت، وهو قدر معلوم عندهم صاعًا من الزيت المعصور لمطالعة الطلبة، يجمعها الطلبة ويفضل لهم عن زيت المطالعة كثير يستعينون به، وما انقطعت هذه العادة إلا في السنوات الأخيرة بعد 1314هـ، وقد كان الطلبة يتخيرون من الأطعمة «الرتبيات» ومن أتاهم بعصيدة لا يأكلونها.

حكى لي إنسان ثقة حي الآن أنه كان يعرف حفرة كبيرة إزاء مسجدهم تكون دائمًا مملوءة بالعصيدة التي يلقيها الطلبة هناك من رتبياتهم التي لا يرضون أكلها، وبمثل هذا الاعتناء من الناس زخرت القراءات السبع والعلوم إذ ذاك في هذه الناحية، فيرتحل إليها أهل الجبال لأخذها.

أما القاضي الذي نزلنا عليه الآن في تامازت وهو القاضي على إرحالن والمنابهة واندوزال وأيت إيگاس وتالگجونت، وهو محمد بن الحاج علي بن محمد بن إبراهيم، وأصل أهله من زاوية مولاي الحسن من (أيت زلضن) في (حاحة)، ووالده الحاج علي هو أول من انتقل من هناك، تخرج من (مراكش) وكانت له إذ ذاك مداخلة مع الوزير أحمد بن موسى حين كان حاجبًا لمولاي الحسن، ثم ورد إلى تامازت نحو 1302هـ، فشارط قليلًا في هذه المدرسة، وقد غادرها محمد بن عبد الملك إلى مدرسة أولاد برحيل لجفوة بينه وبين آل تامازت، وبعد ثلاثة أشهر رجع إلى مكانه فتعين المذكور عدلاً ثم تعين نائبًا عن القاضي سيدي محمود 1309هـ وكان يستنيبه في محكمته بتارودانت أن توجه إلى مراكش وقد كان تزوج في حاحة ثم انتقل بأولاده إلى سوس، ولم يزل على حالته في نيابة القضاة إلى أن توفي في 7 من شوال 1329هـ، وكان سيدي محمد ابن عبد الملك اليزيدي يرجع إليه مهمات النوازل التي تعرض له، وكان يحفظ حرف البصري زيادة على ورش، وكان يصاحب الأخيار كمحمد بن سعيد الشريف الإسماعيلي وأمثاله، وقد وفد على الشيخ سيدي محمد العربي المضغري من سوس إلى مضغرة وكان ملازمًا للطريقة المثلى إلى أن

درج، وبين يدي هذا الوالد نشأ ولده قاضينا الآن، وقد ولد نحو 1301هـ في حاحة قبل أن ينتقل والده وقد أخذ القرآن عن الأستاذ محمد الهشتوكي العمري، وقد اشتهر بـ(اينيو) في مسجد تامازت ثم افتتح 1318هـ المتون عند الأستاذ إبراهيم الحاحي في مدرسة سيدي حسا بن حسين من قبيلة إداكْيلول بحاحة وهو من تلاميذ سيدي محمد بن عبد المالك اليزيدي من قرية بومجي. توفي 1321هـ لازمه ثلاث سنوات ثم انتقل إلى مدرسة إيگْلي عند الأستاذ سيدي محمد بن محمد الرسموكي نزيل تامازت ممن تخرجوا بابن عبد الملك توفي ليلة الثلاثاء ثامن ذي الحجة 1351هـ فلازمه أربع سنوات أخذ عنه الألفية والمختصر والتحفة، وقد كان الرسموكي الأستاذ فرضيًّا ونحويًّا فائقًا متوسطًا في الفقه أخذها عن اليزيدي كما أخذ عنه الفرائض والحساب. ثم من عند اليزيدي إلى (وامسلاخت) عند الأستاذ أحمد الزدوتي المسمى تالمصحفت، فلازمه خمس سنوات، من 1305 إلى 1310هـ فهذا مأخذ الرسموكي، وقد كان المترجم شارط في مسجد إيغري بسكْتانة سنة 1324هـ وقد ذكر أن أهل تلك القرية يأتون بشعير المشارطة حتى لم يجدوا أين يضعونه، وإثر وفاة والده أرسل القائد حيدة إلى القاضي سيدي موسى فعينه نائبًا في محل والده وبعد وفاة سيدي محمد بن محمد بن عبد الملك اليزيدي شارط في مدرسة تامازت وكان تدريسه فيها قليلًا، ولا يزال فيها اسمًا إلى الآن وإنما كان الفقيه المذكور سيدي عمر نائبًا عنه، وفي 15 صفر 1361هـ توصل بظهير القضاء وقد كنت كتبت أمس هذه الأبيات بسرعة، اعتذر بها للقاضي عن النزول عنده، حين كنت لا أزال أنوي أن أسافر إلى تارودانت في الحين على تلك السيارة.

ألا أيها القاضي الذي شاع نبله وذاع لدى كل المسامع فضله
بودي لو أختار الزمان فبت في مقام لكم يرضى المسافر ظله
ولكن لي عذرًا بدا فاقبلنه فمثلك يدري عذر مثلي نبله
عليك سلام من مقاسمك الأخا محلك بالود الصحيح محله

وقد حكى القاضي أن والده أخبره في آخر يوم من أيام حياته انهم شرفاء قال ثم وقعت على ظهير حسني فيه تحرير أهلنا، وقد أتى به إليّ فقرأته فوجدته مؤرخًا بـ25 المحرم 1299هـ، قال وقد أخبرني بعض أهلينا أن تحت أيديهم

ظهائر أخرى في الموضوع.

وجدنا القاضي كما بنيت محكمته بيد الحكومة إزاء الطريق المعبدة فصار هو يبني دارًا له إزاءها، فوجدنا ساحتها وقبابها تامة، فقال القاضي اننا سنفتتح بكم الجلوس في الدار فرحًا بلقائكم، فدخلنا إليها وقت الغداء فرأيتها بهجة أنيقة بيضاء، فما ملكت أن قلت هذه الأبيات:

أجل العيون وأبهج الأفكارا في ساحة تستوقف الأنظارا
في صحن دار كالعروس تميس في حلل الدمقس فتخلب الأبصارا
أنى التفت رأيت حسنًا باهرًا تخذ البياض من الجمال دثارا
حسن على حسن ولون ناصع كالبدر حين استكمل الأبدارا
ذياك رونقها العجيب كدمية بيضاء بين وشاحها تتوارى
قبب وأحواض وأقواس بها يرتد كل الرامقين حيارى
قرمودها تاج يزين جبينها ويحل دون جمالها الأزرارا
ما تلك الأجنة قد فوفت جنبات كل قبابها ازهارا
بل تلك صرح شيدت أركانه بالمكرمات وأن تسم الدارا
قد أسست للجود يخفق بنده للضيف كل الدهر ليل نهارا
قد عبدت سبل إليها فليرد من مر عنها عذبها المدرارا
لله در مشيدها القاضي الأجل فقد رأى لجواده مضمارا
فلقد وفى للجود باني الدار في نهج فاحمد بالقرى إصدارا
فالله يبقيه ويبقى داره هذي لكل المكرمات منارا
وعليه خير تحية من معلن شكرا فنسق شكره أشعارا

وكان ذلك 11 من ذي القعدة (وقد توفي هذا القاضي نحو 1368هـ) وله ولد حسن الفهم، قرأت له رسالة أعجبني كلامه فيها.

تارودانت:

ركبنا في الطفل سيارة عمومية، فمررنا على بسيط تازاكنيت ثم تركنا إيكْلي

عن يسارنا وهو مدينة اندثرت الآن، وقد كانت كعاصمة سوس في الدولة الموحدية وفيه غابة كثيرة من الزيتون، فزاوية إفركان وفيها نخلات تتخلل الزيتون وتنسب إلى سيد اسمه (سليمان) ولا أعرف الآن من هو، ثم مررنا بدار العربي بهباز الذي كان صهر القائد حيدة بن مايس، وقد قلت ارتجالًا في تلك الدار بأبراجها المشعثة التي تبدو عليها آثار تخالف ما كانت عليه أولا وأهلها الآن من جملة دهماء الناس، ذهبت عنهم رئاستهم وثروتهم:

دار بهباز تلاعبها ... مذلة العجز وإعواز
لو كان بهباز يرى ما جرى ... ما شيد الأبراج بهباز

ثم لم نبطئ أن دخلنا زياتين تارودانت الكثيفة، فنزلنا من السيارة وقد زاحمتنا العشاء، فلم نكد نصلي في الجامع الكبير المغرب حتى أذن العشاء ثم أتى إلينا الأستاذ الكبير أخونا سيدي الرشيد المصلوتي فضيفنا في داره ضيافة رائقة، وفي الصباح قصدت القاضي فتلقانا أحسن ملاقاة، ثم قال في هذا الوقت يسر الله ملاقاة كنا إليها دائمًا في أشواق فرأيت أديبًا أعلى مما كنت أظنه، مستحضرًا نقادة ممتازًا في الذوق وقد اقتبس الأدب من أشياخه الذين منهم العلامة الأديب سيدي محمد بن الحاج الإفراني، وكان يختلف إليه في العواشر وفي غيرها، وله شعر يحلق به على كثيرين من الأدباء الرأسلواديين الآن، فكان مقامنا في داره إلى ان تغدينا، وقد استدعى إلينا بعض فقهاء الحضرة كالفقيه سيدي الحبيب السوكرادي، ومقصود القاضي اجتماع علماء تارودانت احتفالًا منه واحتفاء جزاه الله بكل خير، ومما يدل على صراحته وعلى ذوقه السليم، إنني حين تلوت عليه من القوافي ما صدر عني في هذه الرحلة انتقد بعضها من جهة المعنى، وبعضها من جهة التركيب، فلما تأملت وجدت الحق معه، فهكذا يكون الأدباء صراحة وفهمًا وانتقادًا صحيحًا.

وبعد الظهر زرت سيدي أحمد بن القاضي سيدي موسى المرحوم، ولم أكن رأيته بعد وفاة والده فعزيته في والده رحمه الله، وبعد العصر كنت في دار بعض الأكابر هناك، وقد كان القاضي أرسل إليه نهارًا بأن فلانًا هنا، فطلب أن نتغدى عنده، ولكن القاضي هيأ الغداء، فواعده بعد العصر، فرأيت ذلك

الكريم الضحوك الخفيف الروح، وإن لم يكن بخفيف فيما ترى العين، وقد أعجبت به فتناولنا عنده شرابًا منعنعًا ونحن في ذكر العلم والعلماء، ثم اقترح عليّ اقتراحًا ملحًّا أن نزور داره غدًا، فلبينا طلبه وإن كنا مستعجلين إلى السفر في الغد، ومقصودي إذا يسر الله أن أرجئ تتبع ما أريد حوالي (تارودانت) إلى سفرة نخصها لهذه الناحية، لأننا الآن أبطأنا عن دارنا فالله ييسر ولا يعسر.

وفي العشي انتدينا في دار القاضي الذي استدعانا إلى العشاء أيضًا فكانت جلسة أدبية استغرق غالبها تلاوة مقطعات كثيرة مما في هذه الرحلة، فقد نسخها القاضي بيده اعتناء بها وتواضعًا.

وهذا القاضي فيه تؤدة ومخالقة وملاينة وخضوع ومشي بالهوينى في كل ما يزاول، وكلامه هادئ ساكن النامة، وهي الأخلاق التي تمدح على كل لسان[1].

وقبل أن نفارق هذه المدينة التي تمدح على كل لسان، نكتب بيتين لأبي سالم الروداني هجا بهما هذه المدينة التي لا تستحق إلا كل إكبار وإجلال، ولعل للقائل سببًا خاصًّا قال:

(ردانة) أرض لا تليق بحالنا ... ولكن أمر الله يجري مع القضا
فكيف يحب الحر أرضًا يسوسها ... يهود وجهال ومن ليس يرتضى

ولله در من يقول الحق في هذه المدينة الماجدة، فاسمع لما يقول:

(ردانة) المجد لها بهجة ... فاقت بها مدائن القطر
انظر إلى ألفاف أغصانها ... تحت نسيم بينها يسرى
تبصر عروسًا تتهادى وقد ... جرت ذيول الحلل الخضر

تيبيوت:

لبينا دعوة (آل تيبيوت) وقد أرسلوا سيارتهم، فركبت أنا والقاضي، فاجتمعنا هناك مع الأديب الكبير داوود الرسموكي المدرس المخرج الذي شارك في هذه الحلبة القليلة الأفراد في ملازمة التدريس اليوم، ولم أكن رأيته إلا في يوم (بفاس) سنة 1345هـ، فمر المجلس بمذاكرة حسنة، وإنشادات ممتعة حتى

(1) في الجزء السادس عشر ترجمته بين أهله مبسوطة.

رب المثوى يشارك فيها، لأن له إلمامًا بالطلب، وقد افتتحنا النزول هناك بزيارة ضريح الاستاذ العلامة السني سيدي الحاج أحمد الجشتمي، وقد دفن في محل كان يجلس فيه أخريات إيامه، وقد أوى إلى هذه القرية قبل وفاته بزهاء سبع سنوات، وقد كان ولده سيدي سعيد اشترى هنا دارًا قبل ذلك الحين، وقد كان (أكْشتيم) يضيق بالشيخ وبزواره الكثيرين كل وقت، فوجد هنا متسعًا، وقد بنى عليه القائد اليوم قبة شامخة، ثم رمم الباشا الحاج حماد بن حيدة حيطانها، وعلى القبر دربوز غير كبير، وإزاءه قريبًا قبر ابنه سعيد وقبو، وأولاد الأستاذ يسكنون إزاءه كما يجلس الأحياء منهم اليوم في مشهده وفيهم كبيرهم الفقيه سيدي محمد بن سعيد، والقائد يريشهم ويعينهم فيتمتعون تحت كنفه بحياة طيبة، وقد قال القاضي أن الأستاذ كان مهتبلًا كثيرًا بالمصالحة بين المتحاربين، حتى عرف بذلك فلا يكاد يسمع إطلاق رصاصة حتى يطير إلى أهلها ليفرق ما بينهم، حتى صار ذلك مدعاة إلى سهولة انتشاب الحرب لكل من أراد أن يظهر قوة عن ضعف، لأنه يدري أنه سرعان ما يأتي الأستاذ فيجري في الصلح، فينال بعض ما يريده أو كله.

ويقرب من هذا المشهد وراء الوادي في المقبرة المستطيلة مع الجبل، مشهد العلامة الحسن بن عثمان الشهير، زرته في بيت صغير، فرأيت العظام كيف يخضعون للحمام توفي 933هـ، أخذ عن ابن غازي والونشريسي، وكان مدرسًا في كل حياته، أخذ عنه سيدي محمد بن إبراهيم الشيخ التامانارتي والتيزركيني أحمد بن عبد الرحمٰن، ومحمد الشيخ الملك السعدي، والغالب أنه كان يدرس هنا في (تيييوت).

والمحل الذي دفن فيه الجشتمي يسمى (القصبة) وهي مركز مخزني قديم، وجد في أساسه ذهب مسكوك فيه اسم عبد المؤمن الموحدي، قال القائد أنه يسمع من قبله يقولون إن هذا المحل المخزني كان يسكنه أناس ما بينهم وبين النبي ﷺ، إلا أربعمائة سنة، فقلت له فلعل هذا المركز إذن أسس في القرن الخامس عهد الدولة اللمتونية، ومراكز اللمتونيين كثيرة في (سوس) وقد كانت (القصبة) جددها أخيرًا بعض رؤساء (تيييوت)، ثم تداعت أيضًا الآن إلى الانهدام، وليس فيها محل يصلح للسكنى، وهناك مسجد كبير

بحسب مساجد البادية. ينسب إلى محمد الشيخ السعدي، وله صحن في وسطه ومتوضأ وحمام، ويظهر أن البانين بقي لهم تبليطه إلى إتمامه، ثم أعجلهم الدهر بحوادثه، فغادروه كما كان عليه الآن، وقد كانت الجمعة تقام فيه قبل.

خرجنا من هناك تلك العشية فمررنا بقرية (تازمورت) فرأينا بعض آثار مصانع السكر في عهد الذهبي، والذي رأيناه حائط كبير لا يزال بعضه قائمًا إلى الآن يجري الماء فوقه، ومجرى الساقية يبين للعيون من أعاليه، وهناك صهريج من الصهاريج المتعددة في هذا البسيط لهذا العمل، وقوالب السكر ومطاحنه وكل ما يتوقف عليه توجد بقايا منها، وبعد حفر قليل يكثر ذلك[1] ولم يكن عندنا متسع وقت لنرى كل هذه الآثار، فأرجأنا ذلك إلى أن نتفرغ لكل هذه الجهة في سفرة على حدة إن شاء الله تعالى، فإن في كل هذه النواحي من الرجال العلماء والرؤساء والأخيار والآثار ما يستحق أن لا يفرط فيه، والله ييسر ولا يعسر بمنه وكرمه.

إلى تزنيت:

خرجنا من تارودانت في الحادية عشرة ونصف عربية يوم السبت 14 من الشهر الجاري على سيارة بعض أحبائنا جزاه الله خيرًا، فسرعان ما وصلنا (إنزگّان) بعد نحو ساعة إلا ثلثا، فرأيت القاضي سيدي الحبيب السويري، ثم لم يزل بنا حتى بتنا عنده، وقد صادفت مكتبًا يتعلم فيه أولاده الأربعة نجيب وعبد الوهاب والمصطفى وعبد القادر أكبرهم فداعبتهم وكتبت لهم هذا الرجز:

أن نجيبًا كاسمه نجيب ... منه نبوغ واضح عجيب

فكلما سألته يجيب

والمصطفى بين اللدات مصطفى ... يرتع في العلوم روضا أنفا

فحاز مجدًا دائمًا وشرفا

أما الذي فضله الوهاب ... فأمره بينهم عجاب

قد مخضت من فهمه الأوطاب

(1) اعتنت الحكومة بعد الاستقلال باستخراج تلك الآثار حتى ظهرت للعيان.

حازوا جميعًا زبدة المآثر منذ اقتفوا آثار عبد القادر
الفائق الأقران في المفاخر
قرت بهم عين الممجد الحبيب قاضي العدالة المحبذ اللبيب
ونسل أمثاله حاشا أن يخيب

وقد وجدنا باشا (أڭادير) الفقيه سيدي الحسن بن إبراهيم كما أقام عرسًا كبيرًا لأولاده، فلم يمكن لي أن أصله للتهنئة لاستثقالي الوقوف أمام أمثاله الرؤساء إلا مرغمًا، فكتبت إليه:

اهنأ بما نلت من أعراس أولادك فعش إلى أن ترى أحفاد أحفادك
فسوس ترقص من أنس ومن فرح من بهجة خامرت من عرس أولادك
ان الأماني قد قطفت زهرتها بالجد يعرف عنك لا بأخلادك
أنت الجدير بأن تنقاد كل منى كما تحب وترضاه لمقوادك
تلك السيادة أفلاك وأنت لها قطب لإصدار ما تبغي وإيرادك
ما المجد إلا لبان نلت سولك من أطبائه نلته من وقت ميلادك
قد ارتديت بفضل قد خلقت له من قبل أن ترتدي أفواف أبرادك
علم ودين وأخلاق بها شرفت منك الرئاسة قد عزت عن أندادك
حزت اللباب كما تشهى يداك وما ألقيت غير قشور نحو أضدادك
ما أڭدير سوى رأس وأنت له تاج يرصعه ياقوت أسعادك
بل كان أفقًا وأنت الشمس فيه وقد ضاقت بأكنافه أنوار أولادك
دم للرئاسة مرموق النزاهة في مجد صميم مصونًا بين أعدائك
فأنت فذ بذذت الناس قاطبة بالخلق حزت علاه لا بأزرادك[1]
إن التهاني ألحان نوقعها مودة لك لا من أجل مزوادك
دامت محبتنا في الله نورثها قلوب أحفادنا تجاه أحفادك
عليك خير سلام من أخي سفر نظم ما سيلوح حول أجيادك

(1) الزرد محرك: درع الحرب.

وقد التقينا هناك بالفقيه سيدي الحنفي بن الهاشمي بن عبد الرحمٰن بن محمد بن الحسين من زاوية تانفزاط، من أولاد سيدي عبد الله بن داوود من قبيلة إيسافن (ولد في 3 ذي الحجة 1297هـ ومات بعد هذا الوقت في جمادى الأخيرة 1370هـ) وقد أخذ ما معه من العلم الوسط عن عمه محمد بن عبد الرحمٰن الفقيه المتخرج بسيدي محمد بن علي اليعقوبي وبأبي العباس الجشتمي وعمر التاسكْدلتي الأصادصي، وكان يشارط في مدرسة سيدي محمد بن عثمان من انداوزال وكان صوفيًا منقبضًا عن الناس فلا يفتي ولا يقضي وقد كان يدرس في تلك المدرسة، وفي مدرسة سيدي إبراهيم بن عمرو من (اداوزدوت) توفي في قرية (تيكْمى نتركْا) من (زدوتة) 1330هـ، كما أخذ أيضًا الحاكي من القرويين وقد أخذ حرف المكي عن سيدي عمر بن علي من القراء المتخرجين بـ(اخرباش) وهذا الحاكي تلقينا به الآن، وقد رجع من المستشفى بالرباط وقد شق الطبيب مثانته فاستخرجت له حصاة فيها 250 جرام، وفيها منخفضات، ثم عادت بعد يبسها إلى مائتي كْرام، رأيتها معه في قدر بيضة الدجاجة، وهذا من أغرب ما يرى ويسمع، ومن أعمام الحاكي أحمد بن عبد الرحمٰن الفقيه وكان يفتي وينقل وينسخ، وكان مشارطًا في مدرسة (تينزرت) قبل التيواضوئي مات قبل 1300هـ، وسنذكر علماء هذه الأسرة في «المعسول» إن شاء الله[1].

ولم يتيسر أن نروح ذلك النهار إلى تزنيت فبتنا في أكْادير، ثم بكرنا إلى تزنيت ومن هناك كتبت يوم الأربعاء 18 في الشهر الجاري إلى الأديب سيدي محمد بن عثمان الإيكْراري ارتجالًا:

ألا أيها البحاثة الحاذق الذي ... بأبحاثه قفل المشاكل ينحل
ومن أن بدا في أي أفق يضيئه ... فينجاب عن أفكار سكانه الجهل
عليك سلام مثل ما صافحت صبا ... حدائق ورد طاف من فوقها طل
فإنا لفي شوق فإن كنت مثلنا اشـ ... ـتياقا فطر توا لتزنيت من (أكْلو)
فأنا غدا يوم الخميس لرصد ... قدومك بين الظهر والعصر أو قبل

(1) في الجزء السادس عشر.

وسلم على المفضال عثمان من له ... مآثر لا تحصى ومن فضله الفضل

وفي العاشرة في يوم الخميس وافانا بكل أشواق، فبعد التحية ألقى عليّ هذه الأبيات، وقد ضمن فيها بيتين مشهورين لابن عثمان:

نعم إن بي شوقًا إليكم مبرحا ... ففي القلب منه وارد ليس يبرح
تزايد لما أن رأى منك قطعة ... من الشعر في يم البلاغة تسبح
معان وألفاظ تألف منهما ... عقود لآل ما لغيرك تسنح
ولله عهد قد تجدد بعدما ... غدا البين في عدل المودة يقدح
«وإذ جمعت شملي الليالي بقربكم ... تجمع غيلان ومي وصيدح»
«وإذ جمعت شملي الليالي بقربكم ... فإني عن الأيام أعفو وأصفح»
على أنني أشكو إليكم قساوة ... بحالي فهامتي بذا اليوم ترزح
عراني فتور في اقتناص شوارد الـــــعلوم فقلبي من عنا ذاك يكدح
ومثلك من أشكو إليه فارشدن ... عليلًا إلى حال به القلب يصلح
فهمتك العلياء في الفضل ارتجي ... بها مددًا يرجى به الحال ينجح
فأنت مجدد الزمان ومن به ... يقوم صلاح الناس طرا فتفلح
فحالك يغني عن شهود نقيمها ... عليه إذا خصم إلى الجحد يجنح
فديدنك العلم الشريف تبثه ... على مبتغيه حين تمسي وتصبح
فدم هكذا فالمجد حزت أصوله ... ودم بازيًا في مهمه العلم يسرح

إلى بوزاكارن:

مكثنا في تزنيت إلى عشية الجمعة 12 في الشهر الجاري، فوصلتنا سيارة المفضال الخليفة الحسين بن القائد المدني الأخصاصي، لأنه ألح إلحاحًا كثيرًا أن أمر به في إيابنا إلى البلد منذ رأيناه في (تامانارت) في أوائل هذا السفر، وفركبنا من هناك إلى مركز (بوزاكارن) فصلينا هناك المغرب،وبينهما نحو 75 كيلومترًا فبتنا في دار المذكور، وفي البكرة زارنا الفقيه سيدي محمد بن أحمد ابن إبراهيم بن محمد بن أحمد بن عبد الواسع، وهو الأستاذ بمدرسة بوزاكارن

وفقيه المركز، إليه يرجع النوازل الشرعية، وقد ولد 1311هـ في قريتهم، (تاكَانت) وهي مستقرهم وأصلهم الأصيل من قرية (إيكَورارن) من (أيت بيفولن) الاخصاصيين وقد تلقى القرآن عن والده في (فاصك) حين شارط هناك، ثم افتتح متون الابتدائيات عند الأستاذ النحرير سيدي محمد بن مبارك أوشن الأخصاصي الشهير وهو أستاذ كبير مشهور بالحفظ، يكتب زهاء مائة بيت فيحفظها بلا مشقة، وكان قليل النظير في ذلك أخذ عن الأستاذ سيدي أحمد ابن عبد الله أقاريض وعن الجشتمي وعن ببيس وغيرهم، وقد شارط في محلات قبل أن يسافر إلى مصر منها مدرسة تزكَيين برسموكة، أرسله إليها أستاذه أقاريض بطلب من أهل المدرسة وهناك يأخذ عنه المذكور، والطلبة إذ ذاك يناهزون العشرين، وبعد أن مكث ابن مبارك سنوات قليلة في بلده، التحق بالعلامة سيدي الحاج الحسين الإفراني في تزنيت وهو من أصحابه في الطريقة الأحمدية، فكتب له رسائل إلى مصر، فمنذ ذلك الحين بقي في مصر حتى اشتهر في الأزهر بالتفوق، فأدى الامتحان النهائي بتفوق كثير لفت إليه الأعين، وأطلق في الثناء عليه الألسن، ثم تصدر في الزاوية الأحمدية هناك وهو يشتغل بالتأليف، ويذكر له شرح التحفة بالحديث وغيره، ثم بدا له فدخل خلوة اشتغل فيها بالأسماء فخرج منها مختل العقل فجعل في مأوى المجانين، وهذا آخر خبره سنة 1356هـ وقد اشتهر في مصر بالشيخ محمد المغربي وأبوه علامة كبير معروف، وقد توفي ابن مبارك بمصر بعد 1356هـ بقليل.

ثم إن الفقيه سيدي محمد بن أحمد المذكور ذهب من مدرسة تيزكَين 1327 إلى مدرسة (أوخريب) بهشتوكة عند الأستاذ مبارك البعقيلي، فمكث هناك زهاء ست سنوات ثم إلى (أزاريف) عند الأستاذ سيدي محمد ابن الحسين سنة واحدة ثم إلى مدرسة (بوزاكارن) عند الأستاذ أحمد بن صالح الإفراني الشهير، فمكث عنده نحو ست سنوات، وفي 1340هـ استتم نهمته فشارط في مدرسة (بوتمزكَيدا) بادغزال بالاخصاص ثلاث سنوات، ثم إلى 1357هـ فشارط في مدرسة بوزاكارن حيث هو الآن.

وأما والده الفقيه أحمد بن إبراهيم فإنه من أكابر الفقهاء النوازليين فيولد نحو 1272هـ ثم أخذ القرآن عن الأستاذ أحمد بن هدا الايداغزالي في مسجد

اغبالو بافران، ثم افتتح عند الأستاذ بيبيس الحسين بن عمر حتى شدا عنده، ثم التحق بأدوز عند الأستاذ ابن العربي، فهذان شيخاه، وقد كان في أدوز بين طبقة الأستاذ محمد بن أحمد الإيڭراري في العشرة الأخيرة من القرن الماضي وبعد رجوعه من هناك سنوات شارط في مدرسة أداي الحربيلية نحو سنة، ثم اتصل بالكتابة عند القائد المدني الاخصاصي في عهد الڭيلولي وأنفلوس، ثم شارط في مسجد (فاصك) تسع سنوات، ثم في 1352 شارط في مسجد بوزاكارن وذلك هو أول عهد الاحتلال، فصار فقيه الشرعيات في مركز بوزاكارن، فسجن ما شاء الله في قضايا إلى 1357هـ فلازم داره لكبر سنه، وحرمة هذا الفقيه كبيرة دائمًا في عهد القائد المدني، وكان فقيهه الذي يفزع إليه في المهمات، وهو الآن شيخ هم حفظه الله، ونسبهم في غمار الاخصاصيين، ليس لهم نسب ظاهر يختصون به، وقد أخبرني الفقيه سيدي محمد بن أحمد المذكور عن فقيه كان قرأ في قرية تاڭانت يسمى عمر بن أحمد بن همو، وهو فقيه له شهرة في عصره يفض النوازل ويفتي ويقسم التركات، وقد شارط ما شاء الله في تيمولاي السفلى وهو متمكن في الفقه وله خط حسن، تخرج بأبي علي التيمڭيدشتي توفي سنة 1318هـ.

وعن الفقيه الحسن بن محمد بن علي البوزاكارني له شهرة علمية، كان يزاول النوازل والإفتاء ومخطوطاته في ذلك موجودة، ذهب إلى الحج فتوفي هناك قبل 1315 على ما يقال.

ثم اجتمعت هناك بسيدي ماء العينين بن محمد فاضل بن محمد نافع بن محمد بن أحمد، ولد في جمادى الثانية 1308هـ ثم نشأ بين يدي جده الشيخ ماء العينين وبين يدي أخواله، ووالده صالح عالم ناسك، توفي في الرحامنة في أربعاء الصخر كان سافر مع الشيخ ماء العينين إلى فاس فأخذته الحمى فمات هناك سنة 1324هـ ثم إن صاحبنا هذا كان سافر مع خاله أحمد الهيبة إلى مراكش ثم تارودانت ثم اسرسيف ثم أيت وادريم ثم في تيمڭر، وفي سنة 1335هـ التحق بالقائد المدني فقطن بوزاكارن إلى الآن، وكان عنده كاتب سره وموضع نجواه إلى أن مات القائد فاعتزل في داره، وقد مسته نكبة انقشعت عنه بسرعة، فاشتغل بنفسه، وقد حدثني أن الذين يعرفهم دفنوا في كردوس من

الصحراويين العلماء 1 ـ الهيبة 2 ـ النعمة 3 ـ شبهن 4 ـ مصطفى وكلهم أبناء الشيخ ماء العينين 5 ـ محمد بابة الشاعر 6 ـ محمد محمود البيضاوي عم باشا تارودانت، 7 ـ الشيخ الحضرمي والد صاحبنا المحفوظ الحافظ، وصلاة الجمعة في بوزاكارن ابتدأت 9 ذي الحجة سنة 1361هـ.

إلى إلغ:

ثم ذهبنا في سيارة الخليفة الحسين الكريم ابن الكريم بعد الغداء يوم السبت فبتنا في تيمولاي السفلى في دار الأمين سيدي حسون التاجر الكبير، وفي العشي ذهبت معه إلى عين جديدة يستخرجونها إزاء المقبرة وقد وصلوا منها ماء قليلًا، وذلك في صفحة من الجلمود الأصم، وكذلك المجرى الذي حفر للماء، فيلاقي الحافرون عنتًا شديدًا، وكانت الحكومة تعينهم أتم إعانة، وقد نووا مراجعة الحفر حتى يجمعوا الماء، وقد ذكرت لهم الأجر العظيم الذي ذكره الإسلام في استنباط المياه: عيونًا وآبارًا، وإنها من الأعمال التي تدوم لصاحبها بعد موته.

وفي البكرة يوم الأحد أصبح الجو مكفهرًا وصار يطش، فخفنا من اندلاع المطر فيعوقنا هناك فابتدرنا على السيارة فمررنا بوادي الأدباء وادي تانكرت والقلوب ترتمص شوقًا إلى أهاليها، خصوصًا شيخنا العلامة أبا محمد، ولكن للضرورات أحكام، فوصلنا (الغ) نحو التاسعة العربية فلاقانا أخونا الخليفة سيدي محمد مرحبا، فأخبرنا بأن في أهالينا مرضًا منذ أسابيع فدخلت الدار وقلبي يرتجف فوجدت الأهل كما أبلوا مما ألم بهم، فعانقت أولادي فشممت منهم ثانيًا مصداق ما قاله أبو العتاهية في أرجوزته الشهيرة:

«روائح الجنة في الشباب»

وقد وجدت علي بن الحبيب، بلغ به المرض الجهد الشديد وقد قطع منه اليأس وفي صبيحة يوم الثلاثاء لحق بربه وهو ابن ثلاث عشرة سنة وقد جمع القرآن تقبله الله وجعله فرطًا وأجرًا، وهذه المرضة قد لحقت غالب الناس في صفة زكام وسعالٍ، وأخذ بالحواس، إلا أن الله سلم غالب الناس، فبرئوا قريبًا، دفع الله كل بأس عنا وعن جيراننا وعن كل المسلمين أجمعين.

وقد سألت عن الأستاذ سيدي الطاهر بن علي فوجدته راجع المشارطة في المدرسة الإيغشانية منذ أيام، وقد فارقها الأستاذ سيدي أحمد البنائي الذي كان فيها منذ ثلاث سنوات، وفي الخميس وصلني من الأستاذ الطاهر بن علي المذكور هذه القصيدة والنثر الذي بعدها:

لله دهـــر قـــد ادال واســـعــدا[1] فلست له من بعد ذا اجحد اليدا
ادال بجمع الشمل مع سيدي محمـــــــــد شيخنا قطب المفاخر والهدى
إمـام لـه نـشـر الـمـكـارم عـادة (لكل امرئ من دهره ما تعودا)[2]
هو البحر بحر العلم والدين والتقى فقل للذي قد شك جرب لتشهدا
فأرجاء (إلغ) قد أضاءت بنوره كأن شمت من بين اليواقيت عسجدا
فأي حبور راجع برجوعكم وأي سرور لا يكيف جددا
فأهلا فإن القطر يشتاق أن يرى محياك يا من طاب فرعًا ومحتدا
وأهلا بما قد كان للدهر عينه وسهلا بمن أن أصدر الأمر أوردا
ومني على المختار خير ممجد سلام كثير ما لغايته مدى

العلامة الأشهر شيخنا سيدي محمد المختار إيابا مباركًا، وأهلًا وسهلًا، وآلافًا من التحيات بل ملايين.

هذا ثم إن كان يسرك «ولا أخاله يسرك»، أن تسمع شعرًا إلغيًّا فارع سمعك فها هو ذا لم يتغير على ما نعهده منه، من معطوفات تجول حول «بحر علومه وهداه» وإضاءة الأرجاء بنوره وتقواه، فهذا ما يروج في إلغ وهو ما يتعامل به في أدبنا، وما يتعامل به جل الناس هو المعتبر، وأما النادر فلا حكم له، وحين تكون في (الحمراء) أو غيرها، فطالبهم بما يتعاملون به فيما بينهم، فشتان ما بين السكتين المحمدية واليزيدية، بل شتى ما بين اليزيدين في الندى، ونحن نقول ويصدق كل عاقل ما نقول على رغم آداب بأذواقها تصول لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، ولا تجود يد إلا بما تجده وعلى قدر الأردية تمد الأرجل

(1) في الشطر الخرم الجائز في أول الطويل.
(2) مطلع قصيدة للمتنبي، وتمامه (وعادة سيف الدولة الطعن في العدا).

ومكلف الطباع ما فوق جهودها متطلب في الماء جذوة نار، على أن لسيدي أن ينزل على أذواقنا على رغم أنفه، أن لا يتطاول ما دام معنا فوق آفاقنا، وإنما هو وإن تحضر ذوقه فصاب ودقه واحد منا نسبًا وحسبًا، وأمًّا وأبًا، وهل هو إلا من غزية إن غوت أو إن رشدت، فلا بد له من أن يتبعها في غيها وفي رشدها.

فهل يمكن أن يتخذ وحده مسلكًا لا يكون فيه هو وقومه على سوية، وقديمًا قال المثل العربي: من دخل ظفار حمر، فنحن الآن على ما اتفقنا عليه والعتب كله على من خالف المتعارف فيزل بعينيه ولا يأكل الذيب إلا القاصية ومن شذ شذ في الهاوية، وهذان حديثان سيقا فقط للتمثيل، ولمولاي المثل الجميل والسلام، الجواب:

الا فاعللاني بالرحيق وأنشدا ... فقد غار قلبي في السرور وأنجدا
فذي (إلغ) قد بانت معالم أرضها ... عيانًا فيا بشراي سرت على هدى
فللّه (إلغ) مسقط الرأس أنه ... لكل الذي أشهاه في عمري مدى
فقد ضم اولادي وضم أقاربي ... وكل الألى هم لحمة المجد والسدى
فكم من أديب بينهم يملك النهى ... إذا صاغ في القول البليغ فقصدا
فآداب (إلغ) كالرياض تفتحت ... أزاهيرها تحت الصبا عقب الندى
فلست ـ وحاشا ـ أبتغي برياضها ... بديلًا ولا ألوي إلى غيرها يدا
فحسبي بيانًا ما رضعت بثديه ... غداة قضيبي لم يزل بعد أملدا
فيا طاهرًا مهلًا فإني مطهر ... من أن أتعدى ما هنا فأبلدا
فقد سرني والله ما قلته فهل ... على من قلى عنه حقه أن يفندا

الأستاذ الأديب الكبير سيدي الطاهر بن علي.

أتدري أنني اليوم أرتاح لسكنى (الغ) ارتياحًا يعجب منه كل من كان يعرف مني ما كنت أجيش به من قواف إثر نزولي فيه مفتتح 1356هـ، وها هو اليوم ذا الباب فتح لي على مصراعيه، وكل الطرق معبدة أمامي، وجميع الحواجز قد ارتفعت من بين يدي، وهناك قلوب ترفرف لي، وتنتظر بكل التياع أن أتحول

من هنا إلى تلك الديار، ولكن ما الذي يحول بيني وبين ذلك، ويجعلني أسوف وأحول المواعيد من شهر إلى شهر، ثم من هذه السنة الفارطة إلى السنة الآتية، إن شاء الله، وما الذي أثر في هذا التأثير العجيب، حتى صرت أختار البقاء هنا حيث لا ناقة لي فيه ولا جمل، ولا تلاميذ ولا أصحاب، أتريد أن أعرفك إحدى المؤثرات الكبرى، هي مؤانستك أيها الأديب الأريحي الفكه العلامة، الذي ظهر لي منه صفاء سريرة لا أجد له فيه ثانيًا في هذه الديار، فقد عرفت مغزى أفكاري ومجالات أذواقي، ومرمى أفهامي، فصرت عندي كلما جالستني أجد أولئك الذين أحن إليهم دائمًا ويحنون إليّ، وقد صرت اليوم أعدك بالخنصر كلما دخلت في تعداد النجباء الذين تزدان بهم (سوس) من شباب العلماء الكبار، فليهنك هذا المقام الذي هو لك وراثة عن والدك علامة سوس وأديبه، ومحور معارفه، فقد ضمت أفضل مطرف إلى أحسن متلد، فكنت عظاميًّا عصاميًّا.

وأما ما تناولته حول الأدبين: الأدب العصري الذي تفيض به علينا مصر والشام والعراق فيضًا غمر حواضرنا المغربية اليوم، والأدب العدملي الذي أدركناه يروج في المدرسة الإلغية، فأحب منك أن تسمع مني القول الفصل في ذلك، ثم اتخذه حكمًا مصمتًا دائمًا، فإن طول عمرك لا يزيدك فيه إلا تأكيدًا.

إن هذه الألوان العصرية في الأدب هي مثل الأصباغ الملونة الظريفة الجذابة لأعين كل مبصر فتبهر أنظاره بكل وهلة، ثم إن صاحبها إن كان درس الأدب العربي القديم الذي يستمد من كل ما يعرفه الإلغيون من الأدب الجاهلي والأموي والعباسي والأندلسي، فإنه سرعان ما يدرك من تلك الألوان تلك الروح الخلابة التي هي نفسية الأدب العربي، فتنقشع أمامه سحب تلك الألوان التي كانت تبهر بادئ ذي بدء فيلمس منه بيده مكان المتانة والأسلوب الرائع، ويستخرج من بين العبارات المنسجمة مكان البلاغة والفصاحة، فيكون الناقد البصير فيما يقبل ويرد ولا يكون مغرورًا بتلك الأصباغ ولا يندفع باندفاع التيار مع كثيرين من شبه المتأدبين الحضريين في استحسان كل ما قيل، فقد عادت عليه دراسته الفنية للأدب قديمًا وحديثًا بكل نفع، فيقبل عن علم وذوق ويرد عن علم وذوق، وأما إن لم يدرس الأدب حق الدراسة ولم يغربل المعاني التي

كانت العرب تستسيغها أذواقها حتى يعرف كيف الذوق العربي الحقيقي وكيف يسلك إلى المعاني في الحقيقة والمجاز والكناية والتلميح ولم يستحضر فقه اللغة ولا القدر الكافي من النحو ولا درس الأمثال النثرية والشعرية ولا اطلع على ما حوالي ذلك من الأخبار التي يحتاج إليها الأدب، ولا ألم بتاريخ الأدب العربي ولا بحياة كبار الشعراء فإن لم تكن له يد في كل هذه الأمور واتكل على ذوقه فقط فإنه يحسب نفسه من أصحاب الأذواق السليمة، ويحسبه كذلك من المثل العليا أمثاله من المغرورين المأخوذين بتلك الألوان التي تتلون بين أعينهم مباهجها وترف نصاعتها، مع أنه بعيد كل البعد عن المكانة التي يستوي فيها الأدباء أصحاب الفن الذين هم اليوم الذائدون عن حمى الأدب العربي حتى لا يجرفه الأدب الفرنجي بما له من قوة وحيوية وتموج، فقد رأينا الآن كثيرين من شبابنا المغاربة في الحواضر ممن اتكلوا على أذواقهم فقط من غير أن يدرسوا الأدب حق دراسته بكل شروطه التي لوحنا إليها، إنما يخبطون خبط عشواء، لا في أحكامهم ولا في أذواقهم فحسب، بل حتى في البرامج التي يحبون أن يسير عليها منهج الأدب المدرسي، وأنني لأرحم كثيرًا منهم ممن لهم بي صلة حين أرى لهم أهلية للنبوغ في الشعر أو للملكة التامة في الأدب، ولكنهم لا يسلكون إلى ذلك طريق الدراسة، وبحسبهم على زعمهم ذوقهم فقط، فأراهم يقبلون لا عن علم، ويردون لا عن علم، وكان في إمكانهم أن يملأوا هذا الفراغ الكبير في عالم الأدب العربي عندنا اليوم في المغرب، لو حظوا بمن يرشدهم ويثقفهم الثقافة المتينة التي تليق بالأديب الذي قيل فيه إنه من يعلم من كل شيء أحسنه.

وأما الأدباء الجزوليون الذين لا يزالون بعيدين عن هذه الأمواج ولم يعرفوا بعد ما في عالم الأدب الجديد اليوم، فإن عندهم ما ينقص غالب أدباء الحضر في مدن المغرب، فإنهم درسوا الفن واستحضروا منه كل ما يحتاج إليه فيه، ولا ينقصهم إلا شيء يسير جدًا، هو مداخلة أدب العصر مع تريث قليل، حتى يفهموا بعض إصلاحات أدخلتها الحاجة فيه اليوم، فإنهم بعد ذلك سيتلقونه بكلتا اليدين، وسيتفهمون منه ما يجهله بعض المتأدبين ممن يترامى على الأدب في مراكش وفاس والرباط، لأن هؤلاء نشأوا في بيئة لا تأخذ

الأدب إلا من الجرائد التي لا يملأ أعمدتها إلا المزيج من الرائج والزائف، فتكون لهم ذوق لم تدعمه دراسة الفن على أصحاب الفن، بخلاف الأدباء الجزوليين، فقد درسوا الفن على نسق الدراسة القديمة ولا ينقصهم إلا مطالعة أدب اليوم مطالعة فيها تريث حتى يفهموا ما يروج من كلمات عربية أحييت اليوم، ومن بعض اصطلاحات مازجت الأدب لضرورة العصر، فإنهم بعد ذلك سرعان ما يملكون منه الناصية، فإن فاتهم أن يحلقوا في سماواته صياغة، فلن يفوتهم تذوق حسن التعبير وروعة الأسلوب، ومتانة التركيب ولطف الانسجام، ويرى هذا متجليًّا في أقوال شوقي وحافظ والزهاوي والرصافي والزنكلوني والزركلي ومحمد العيد وأمثالهم ممن يجيدون أن قالوا ولا يرمون القوافي على عواهنها.

فأنا نفسي كنت درست الأدب في (جزولة) بقدر مستطاعي، فكنت أنثر وأشعر على ما أزعم، ثم لما اتصلت بشعر هؤلاء وأمثالهم ونثر أمثال حلبة المنفلوطي ومحمد عبده وهيكل عرفت حينئذٍ أين أنا وأين الناس، فلويت رأسي تحت طي جناحي ، على أنني والحمد لله لا أزال أقدر اليوم أن أجاري الأدباء الجزوليين على نمطهم الذي يعتادونه ويتخذونه ميادين حلباتهم، ولكنني قلما أقدر أن أجاري العصريين إلى حد بعيد لإعراضي عن صوغ الشعر أزمانًا على نمط ما يقبله ذوق اليوم، وآخر ما أقول وأنا أعرف ما أقول وأدرك مغزاه، أن الذي كان نفعني بعض النفع، هو المزاولة القديمة في الحداثة (بجزولة)، ولو تمكنت في الأدب القديم لما نقصت في الأدب الحديث.

هذه كلمة أسطرها لك هنا أيها الأديب ابن علي لتكون على بصيرة، فإنني رائدك الذي لا يكذب، فسر قدمًا وعاين الوصف وذكر خوالج القلوب، وبدل العبارات المعتادة جهدك في الأخوانيات، تر نفسك تتملص من القيود، فإذا بك تطير بأجنحة خفاقة كما تريد.

وبعد فبهذه المخاطبة بيني وبين هذا الأديب تتم هذه (الرحلة الثالثة) من سلسلة كتاب «خلال جزولة» فالله يوفقنا على إتمام هذه الرحلات الأخرى المنوية في جميع جوانب (سوس) بفضله وكرمه إنه سميع مجيب.

فالحمد لله الذي هدانا لنهتدا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين.

28 - 11 - 1362هـ محمد المختار السوسي لطف الله به

ثم بعد أن ختمت هذه (الرحلة) بدا لي أن ألحق بها ما كنت استفدته مما يتعلق بـ(سوس) في رحلتي إلى (الحواضر) سنة 1362هـ، وكانت من المحرم إلى عاشر رجب، وقد كنت اتصلت هناك برحلة المشرفي إلى (تمكًيدشت) فنقلت منها بعض أمور باختصار، وسأذكر هنا: الرجال الذين لم نستفدهم إلا من هناك:

1 ـ الطاهر بن الحاج الحسن بن محمد الميموني الهوزالي، كان لدة الأستاذ سيدي مبارك بن أحمد النظيفي في مدرسة تمكًيدشت عند الشيخ سيدي أحمد بن محمد فتباريا في التحصيل ثم التحق الطاهر (بمراكش) من غير إذن الشيخ، فساور مباركًا قلق كثير خوف أن يتفوق عليه قرينه، فإذا بسيدي أحمد ناداه فأمره بالمصابرة حتى يحصل، فإنه سيكون أعلى من قرينه، وأما قرينه فلا يكون منه شيء ما لم يتب، ثم يقول سيدي مبارك بعدما يحكى هذا: ها أنذا الآن أدرس كل ما يدرس بـ(فاس) والحمد لله، وأنا قاض من قضاة السلطان مولاي عبد الرحمٰن، يعني أنه تفوق على قرينه، وذكر أن مباركًا هذا يستحضر كل ما في (المدارك) لعياض، وقد أكب عليه حتى نقل كل ما فيه من التراجم إلى صدره.

2 ـ أبو بكر بن محمد الموضعي أخذ أيضًا من تيمكًيدشت وهو فقيه لغوي نحوي.

3 ـ الحسن بن محمد صنوه، أخذ أيضًا من هناك، ثم كان قاضيًا بين الناس ومفتيًا في كل ما يرجع فيه إليه.

4 ـ محمد بن علي التبني الموضعي أيضًا، علامة تولى القضاء والإفتاء بين الناس والإرشاد والتعليم على سنن أشياخه التيمكًيدشتيين.

5 ـ محمد عبد الله التبني الموضعي أيضًا، علامة تولى القضاء بين الناس وله ظهور بين أصحابه هؤلاء في كل ميادين أمثالهم.

6 ـ إبراهيم بن محمد بن أبي بكر الموضعي أيضًا.

7 ـ أحمد بن علي الموضعي أيضًا، فهؤلاء كلهم رضعوا من هناك فينفعون العباد بما رضعوه.

8 ـ محمد بن علي بن أبي بكر فقيه أيضًا كأهله هؤلاء.

9 ـ محمد بن أحمد بن الحسين العابد الملازم المسجد منذ تخرج، وقد انقبع ولزم خويصة نفسه.

10 ـ محمد بن محمد أوقهري، عالم لغوي نحوي صحيح الأسانيد والفهوم في العلوم، من أكابر المتخرجين من تلك المدرسة.

11 ـ محمد بن الحاج سعيد الفيدي، الفقيه المشارك العلامة الجليل كان أمارًا بالمعروف نهاء عن المنكر مسارعًا في الخيرات وقورًا مدرسًّا لسائر الفنون حيثما حل وكان نساخًا مقيدًا لكل فائدة وقع عليها ينعزل عن العامة إلا بالنصيحة ويتورع عن القضاء والفتوى ويقنع بما تيسر، توفي عام 1284هـ.

12 ـ محمد من (آل القاضي) بلدي المتقدم، عالم حسن مشتغل بتعليم القرآن لأولاد المسلمين، زاهدًا في الدنيا منقبض عن الناس.

13 ـ محمد بن عبد الله المرتني الإيسافني من (حصن آل الطالب) ويلقب بأمغار، فقيه مشارك صالح ذو دين متين، يرى المرائي الحسنة، يدرس حيثما حل، ويقصده الناس في حاجهم ويراعى حقوق إخوانه ويغلب عليه الانبساط، توفي 1280هـ.

14 ـ محمد بن عمر من (حصن بني الطالب) أيضًا، فقيه يلازم التعليم ويزهد في الوظائف، ويستعين بالله، ويقف عند حدوده وله ورع.

15 ـ محمد بن عبد الله المرتني الإيسافني من الربوة (تاوريرت) عالم صالح من القراء الكبار المتقنين للقراءات وللقواعد والرسم، وكان يعمل بعلمه، يغلب عليه الانقباض، لازم التعليم في عزلة عن العامة، ونسبه في (بني خالد) من فروع الأدارسة.

16 ـ أبو بكر بن محمد الإيكَّاوزي المرتني الإيسافني عالم عامل محافظ على الحدود وعلى اتباع السنة، كثير الذكر والصلاة على النبي ﷺ فيرى النبي ﷺ كثيرًا في الرؤيا كثير الزيارة للصالحين ولخدمة أهل الله ويكثر من مطالعة أخبارهم، وقع له مع شيخه التيمكّيدشتي كرامة في ضريح (سيدي عمرو بن هارون) توفي 1276هـ.

17 ـ الحسن بن محمد أخوه، علامة خير مدرس ذو دهاء وفطنة وله حكايات قتل بيد بعض الظلمة نحو 1270هـ.

18 ـ عبد الله بن محمد أخوهما فقيه لين الطبع ملازم للتدريس غالبًا يفتي ويقضي وله حالة مرضية.

19 ـ وابن عمهم ابن محمد الصالح القوي الأمين ملازم للشيخ سيدي أحمد ابن محمد التيمكّيدشتي بعده كبره يخدمه بالفراش وبالتغطية إلى أن توفي غسله مع سيدي سعيد الحاحي.

20 ـ علي بن محمد وعش الإيكّاوزي الإيسافني، فقيه حسن فصيح اللسان والقلم، ورع خاشع صدر وجيه.

21 ـ أحمد بن محمد، من الآخذين أيضًا من تلك المدرسة المباركة ـ ولعله أخو من قبله ـ.

22 ـ محمد ابن الحاج التورختي الإيسافني كان فقيهًا بارزًا يقضي بين الناس بالتحكيم.

23 ـ أحمد الملقب (أبا الخربيش) فقيه صالح مقدم تارك للفضول ملازم للعزلة يشتغل بما يعنيه دينًا ودنيا ينسخ كثيرًا ويدرس في الألفية والتحفة توفي 1264هـ.

24 ـ أحمد بن يعزى الأمزوري الإيلالني، علامة مشارك في سائر الفنون، ويدرس فيها، حبب إليه الجولان، فلاقى الأكابر وأخذ عن الأفاضل، حتى تبحر في العلوم، درس في تيمكّيدشت فكان ممن أخذ عنهم سيدي الحسن بن أحمد الفقه والفرائض، يكب على التحصيل والتقييد، لا يخلو من مطالعة أو انتساخ أو مذاكرة، مع الدين والعفاف وعلو الهمة وفصاحة

العبارة، يسحر الألباب بإلقائه في الدروس بفصاحته، وله ترتيب في إبداع أسلوب في الدراسة، وله صوت حسن، وسلامة من التصحيف والتحريف في سرد الحديث، كأنما تسمعه من النبي ﷺ، لازم العزوبة إلى أن مات بتيمكٌيدشت نحو 1257هـ.

25 ـ سعيد بن محمد ابن عمه فقيه صالح كيس، حافظ للأمهات، له في النحو دراية يلزم التدريس حيثما حل، وقد اعتبط شابًّا نحو 1285هـ.

26 ـ محمد بن علي الأمزوري بلديهما، طالب صالح بركة، مسكين دين عفيف حسن السيرة عظيم الصبر، له شغف بالعلم توفي 1259هـ.

27 ـ عبد الله بن الحاج أحمد التاسكاتي الإيلالني من (بني عبد الله) عالم خير جيد الحفظ، كثير المطالعة، يدرس في الفقه والنحو والحساب والفرائض والتنجيم وله خبرة بالسير والتواريخ، توفي 1285هـ وكان يقضي بين الناس، حتى عرف بالقاضي.

28 ـ محمد بن علي الجندلي الإيلالني من (بني عبد الله) فقيه ذاكرًا ملازم للتعليم، سأل شيخه التيمكٌيدشتي أن يلقنه الورد فقال له إنما ألقنك سنة النبي ﷺ، فعليك بها.

29 ـ أحمد بن مبارك الطالب الأرضى من الكٌلم من بني عبد الله.

30 ـ أحمد الومضرني الإيلالني من آيت علي، فقيه جليل علامة، عمر أوقاته بالمطالعة، وينسج الكتب، له مشاركة في جميع الفنون، واعتنى بالتسهيل، وعنه أخذ الشيخ سيدي الحسن بن أحمد، قرأ عليه النصف الأول قراءة بحث وإتقان، كما أخذ عنه أيضًا اللامية في التصريف.

31 ـ محمد بن محمد المحفوظي الإيلالني بأيت علي أيضًا عالم عامل صابر لأذى بعض أقاربه، يعتكف على التعليم، وله يقين وعزم كالجبل لا يتزعزع بالعواصف مع خمول وعزلة، توفي نحو 1279هـ له شهرة في الأدب.

32 ـ محمد من (فم أساول) بـ(أيت علي) أيضًا، فقيه يعمل بعلمه وله ورع وعكوف على العبادة وخمول وصحبة في أهل الخير، وأحواله كلها

مرضية توفي 1273هـ.

33 ـ محمد الإيلالني نزيل ردانة كان عالمًا جليلًا نوازليًّا يفض نوازل الناس خارج ردانة، وإن كان يسكن بردانة، ولذلك وصف بالقاضي ـ ولعله قاض رسمي.

34 ـ أحمد العبلاوي الإيلالني، فقيه وصف بالفصاحة.

35 ـ سيدي أحمد بن محمد الحصني الخندقي، هو مثل سابقه في الفقه والفصاحة.

36 ـ أبو المحامد سيدي محمد بن عبد الله الخندقي العابد.

37 ـ سيدي محمد بن عبد الله الربوي ـ لعله منسوب إلى الربوة في (إيلالن).

38 ـ محمد بن علي التصمصالي الإيلالني، فقيه صالح، عامل بعلمه، مدرس غلب عليه الانقباض، وله دين متين، وهمة عالية، ونصح انتفع به الناس، توفي عن سن عالية نحو 1280هـ.

39 ـ عبد الرحمٰن بن محمد الطاطائي القاضي المعروف بالأخفش.

40 ـ عبد الرحمٰن بن محمد بـ(حصن الهناء) بـ(طاطا) فقيه مدرس صالح مشارك في الفنون لازم التدريس إلى أن أقعد.

(أقول) هكذا ذكر المشرفي العالمين باسم عبد الرحمٰن، والغالب أن أولهما قصد به عبد الرحمٰن ابن الأستاذ سيدي محمد بن أحمد الإيزنكاضي المعتبط شابًا، وأن الثاني من أسرة آل حسين، أو أبو صهرهم محمد بن عبد الرحمٰن العالم المعروف عندنا.

41 ـ عبد الله من (آل ابن يوسف) (بحصن الهناء بطاطا) علامة مشارك يتولى الإفتاء في النوازل التي ترد عليه من الآفاق، ويعتني بالفقه الصريح، والنقل الصحيح، وله استحضار للنصوص بسبب حفظه الكثير.

42 ـ الهاشم بن أحمد بن محمد من آل حسين في حصن الهناء أيضًا نشأ من بيت علم، وله من الصلاح، وكان تاجرًا فيعين على نوائب الحق، وأحواله مرضية، توفي نحو 1276هـ.

(أقول) استوفينا الكلام في (آل حسين) في تراجم التيمكّيدشتيين في المعسول[1].

43 ـ محمد بن محمد بن أحمد ابن أخي العلامة سيدي محمد الإيزنكاضي الطاطائي فقيه صوفي مدرس في كل عمره، وأبوه سيدي محمد كذلك فقيه كأخيه سيدي محمد، وبيتهم بيت علم من (طاطا).

(أقول) تقدم ذكر أهل هذا البيت عندما نزلنا في طاطا بما نعرفه عن بعضهم.

44 ـ إبراهيم من قرية (تينتازارت) ـ ذات التين ـ الطاطائي علامة متفنن محدث فقيه كبير أستاذ في القراءات، منفرد فذ في ورعه وصيامه وقيامه، لازم الخلوة أخيرًا كان في تازالاغت إلى أن توفي عزبًا وصلى عليه شيخه أبو العباس وذلك قبل 1274هـ.

45 ـ محمد من (آل صالح) الطاطائي من حصن الهناء فقيه مشارك مدرس اعتبط شابًّا.

46 ـ عبد الله بن محمد الإيكّاوزي الياسيني ثم الطاطائي فقيه صالح كثير الرؤيا للنبي ﷺ، تولى القضاء رسميًّا من السلطان مولاي عبد الرحمٰن هناك توفي نحو 1218هـ[2].

47 ـ إبراهيم الزدوتي عالم حافظ مدرس عارف للأخبار وأحوال الأخيار زاهد ورع واعظ ناصح لم يزل يدرس، حتى توفي في جامع إيرازان ولم يتزوج قط.

48 ـ علي الزدوتي فقيه عالم لغوي.

49 ـ عبد الله أكّارحو عالم صالح نساخ للكتب جيد الفهم مستقيم العبارة يميل إلى الخمول.

50 ـ محمد بن مولاي الطيب المدرس الأستاذ في زاوية سيدي إبراهيم بن

(1) في (الجزء السادس).

(2) هكذا وجدته منقولًا عندي، وهذا التاريخ لا يوافق، ولعله (1258هـ) أو (1268هـ) أو 1178 أو (1288هـ).

عمرو وله متانة في دينه وكرم وإقبال للناس عليه لاعتنائه بقضاء حاجهم ملازم للتدريس.

51 ـ أحمد النظيفي من تازارت فقيه عالم عامل ينصح الناس ويسعى في الصلح بينهم.

52 ـ أخوه عبد الله دين خير لا يخاف في الله لومة لائم.

53 ـ محمد بن عبد الله السكوتي التسلوتي النظيفي فقيه سديد الرأي مقصود في حاجات الناس مات عن عمر غير طويل وله أخ اسمه إبراهيم أكبر منه مات تحت طلب العلم فوقع أجره على الله.

54 ـ عبد الله التسلوتي فقيه صالح يغلب عليه الانقباض صبور وقور ملازم للتعليم.

55 ـ عبد الرحمٰن بن محمد النظيفي من (فم أزام أنديم) عالم عاقل بارع في الفقه يقضي بين الناس وقد اتقن صناعة القضاء باستحضاره للنصوص ويحسن إن أفتى ويلزم المسكنة.

56 ـ الحسن النظيفي فقيه حسن الصوت لبيب ينشد أمام شيخه أبي العباس القصائد التي يعظ بها الناس ويزجر القضاة، لازم التعليم والفتوى، وقسمة أموال الناس، وله فطنة في ذلك، وهو من بيت علم قديمًا وحديثًا.

57 ـ عبد الرحمٰن الواوزكّيتي، فقيه أوتي من مزامر داوود يقول الشعر سجية مع أنه ما ألم بالعروض، له عارضة قوية وهمة عالية، أخذ عن أبي العباس وابنه أبي علي.

58 ـ مبارك الكّطيوي ـ وفي الأصل الجصوي، ولعله تصحيف ـ فقيه ينسخ للشيخين، وهو آية في سرعة اليد في النساخة وقد قرأ عليهما معًا.

59 ـ ياسين ابن الحاج إبراهيم من زكّيزن فقيه صوفي.

60 ـ محمد التامرووتي فقيه يراقب ربه في السر والنجوى وكان يروي كرامات شيخه.

61 ـ محمد فتحا التامرووتي فقيه راسخ في العلم من طبقات العارفين الكبار.

62 ـ محمد بن علي التيزي فقيه لا يفتر من قراءة القرآن.

63 ـ عبد الله بن محمد ـ لعله من (بني حسين) التيمكّيدشتي الكرسيفي فقيه ناسك.

64 ـ الحسن من فم أزل فقيه عابد.

65 ـ أحمد البعمراني.

66 ـ محمد البعمراني فقيهان فصيحان مشاركان.

67 ـ عبد الله البعقيلي فقيه ورع عفيف وجيه.

68 ـ عبد الله الأرغني فقيه أخذ عن الشيخين، وقد رأى من الشيخ أبي علي كرامة كبرى.

69 ـ أحمد عبد الرحمٰن التاهالي السوسي الإيسي الكادورتي من أصحاب أبي العباس، لازمه كثيرًا، وتهذب به، وأخذ عنه، وكان علامة نوازليًّا فرضيًّا موثقًا عارفًا بالسيرة النبوية متقنًا لها إتقانًا، يهتم بالنوازل كثيرًا فيناضل في ميادينها، له جودة خط، مع عبارة لطيفة بارعة وإتقان لرسم الكتابة، أخذ أولًا عن شيخ الجماعة التاودي بن سودة واستجازه بما نصبه:

(أحمد الله حمدًا يوافي نعمه ويكافئ مزيده، وأفضل صلاة وأزكى السلام على صفوة خلقه من بريته، سيدنا ومولانا محمد نبينا الهادي إلى سنن الهدى وأوضح الحقيقة، وعلى آله الأطهار وصحابته الأخيار وورثته الأبرار، من سائر علماء الأقطار، الذين عززوه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه، وبذلوا جهدهم في نصر أمته وأنفقوا مما رزقهم الله سرًّا وعلانية (وبعد) فلما من الله علينا بالأخذ عن واسطة عقدهم النفيسة، ووقفنا برهة من الزمان لملازمة أمثلهم الطريقة، وأحسنهم خليقة وألينهم عريكة سيدنا وشيخنا الإمام الهمام أبي عبد الله سيدي محمد التاودي أمد الله فيه الإسلام، وأفاض عليه من المنى ما لا يحصى ولا يرام، طلبت من فضل سيدنا أن يأذن لي في رواية ما سمعنا عنه من التفسير والموطأ ومن البخاري أزيد من ختمة، ومختصر أبي المودة خليل ختمة. والتحفة لابن عاصم مثله بأسانيده العالية نظمًا ونثرًا على حسب ما أمكنه، والدعاء لنا

بالانتفاع به وأن يجعله الله تعالى مفتاحًا لجميع الخيرات الظاهرة والباطنة وبالمواعظ الحسنة الجامعة جزاكم الله عنا وعن المسلمين أفضل الجزاء وأدام النفع بكم وباتباعكم إلى يوم الجزاء والسلام من عبيد الله تعالى أحمد بن عبد الرحمٰن بن عبد الله التهالي السوسي الركْراكْي نسبًا) انتهى.

فكتب الشيخ التاودي ما نصه:

(وبعد فيقول أفقر العبيد إلى مولاه، وأحوجهم إلى عفوه ومغفرته ورحماه، محمد التاودي بن سودة، كان الله له في دنياه وأخراه، فقد أجزت الفقيه سيدي أحمد المذكور إسعافًا لطلبته ورجاء لبركته وإبقاء لحديث الإسناد والاتصال بين مفيد ومفاد، وفيما ذكر وغيره من جميع ما تصح لي وعليّ روايته، بشرطه المعروف وطريقه المقرر المألوف، وهو الصدق والتحري، وأن يقول فيما لا يدريه لا أدري وأشياخنا الذين أخذنا عنهم الحديث والفقه وغيرهما قد ذكرنا جملة منهم في موضوع خاص بهم، فمن أرادهم فليقف عليه، وأوصي الأخ المجاز بما أوصى الله به الأولين والآخرين، إن اتقوا الله ويرفع الهمة عما لا يناسب قدر العلم وعلياه، وأن يخلص لنا من صالح دعواته في خلواته وجلواته، والله يوفقنا وإياه، ويمن علينا جميعًا برضوانه ورضاه، آمين، في الخميس ثاني صفر 1187هـ.

وعلى ظهر الإجازة روى كاتبه البخاري عن محمد التاودي المذكور عن جسوس عن محمد بن عبد القادر عن محمد بن أحمد الفاسي عن القصار عن التسولي عن الدقوق عن المواق عن المنثوري عن ابن جزى عن أبيه عن ابن الزبير عن أحمد بن واجب عن ابن سعادة عن عمه موسى بن سعادة عن الصدفي عن الباجي عن الهروي عن السرخسي والمستملي وابن زرع عن الفربري عن البخاري، كتبه أحمد بن عبد الرحمٰن نزيل «إيسي».

(أقول) إن هناك «في الجشتيميين» أحمد التهالي وصف بأوصاف عليا توفي 1214هـ.

وأخبرت أن أحمد بن عبد الرحمٰن صاحبنا هذا عاش إلى 1237هـ فعرفنا أن هذا الذي أخذ عن التاودي غير ذلك الذي أخذ عن أبي العباس

التيمڭيدشتي على ما يظهر، وهو يقطن في قرية (ڭادورت) ومحرراته لا تزال بكثرة هناك.

هؤلاء بعض أصحاب أبي العباس التيمڭيدشتي وقد حذفنا من بينهم من عرفناهم قبل وأما أصحاب ولده أبي علي سيدي الحسن فهم:

70 - محمد المدني المحفوظي الإيلالني عالم فصيح حديد الجنان أديب يقرض الشعر نحوي لغوي مقيد مستحضر للنصوص لا يزال حيًّا 1293هـ وكان يقف في قضاء حاجات الناس.

71 - إبراهيم بن محمد الإيڭلولي فقيه نحوي مدرس بليغ أولع بالمذاكرة في كل وقت ولم يطل موته، توفي قبل 1290هـ.

72 - محمد بن الحسن بن محمد الاخصاصي، له متانة في العلم والدين، وعلو الهمة، حج واعتمر مات قبل 1290هـ.

73 - محمد بن أحمد التييوتي فقيه حافظ نحوي بياني، مدرس يكثر المطالعة ليلًا ونهارًا، أول من يستيقظ وآخر من ينام، وله خشوع ومروءة وإكباب على العبادة، توفي بعد 1290هـ.

74 - محمد التورختي الإيسافني المعروف بالقاضي، لعلو همته، واستنارة فكرته، توفي بعد 1290هـ.

75 - عبد الله الواكريمي من (بني واكرم) الإيسافني فقيه وجيه حسن الصوت ذو نية صالحة وعبادة، توفي بعد 1290هـ.

76 - محمد بن أحمد لعله من (إيسافن) أيضًا فقيه صابر مرضي كثير الذكر.

77 - عبد الرحمٰن بن أحمد التيواضوئي الإيسي، كوكب الدين النير، والفقيه الصالح الأحوال.

78 - علي بن محمد بلديه، فقيه تقي مشفق عفيف.

79 - سعيد التناني، فقيه مؤيد مسدد محب للعلماء.

80 - محمد السملالي فقيه ذاكر مجد في خدمة شيخه أبي علي، ويكتب بعض أخباره.

81 ـ أحمد السوسي أبو حيان (كما عرف به) عند الطلبة لنقوله الغريبة في النكت النحوية.

82 ـ محمد بن أحمد الإيشتي فقيه طاهر الجيب ذو شهرة، حسن الصوت، له ملكة قوية في التدريس وتقرير المنطوق والمفهوم، ويعظ الناس ويصارح الولاة والجبابرة بما يردعهم فوقع به نفع كثير أجازه شيخه أبو علي بما نصه:

(أجزنا بحول الله وقوته حامله الفقيه سيدي محمد بن أحمد الإيشتاوي أن يروي عنا ما سمعه، وينقل عنا ما تحققه من سائر العلوم المتداولة بين الأقران فقهًا ونحوًا وحديثًا وفروعًا وأصولًا وبيانًا ومنطقًا وعروضًا وحسابًا وفرائض، وذلك بشرطه المعتبر عند أهل هذا الشأن، من تقوى الله، والتحري في النقل وقول لا أدري فيما لا يدري، والإخلاص لله تعالى في علمه وعمله، وأذنًا له في نشر العلم الشريف، والإرشاد والنصح، وإيصال الخير إلى قلوب المؤمنين، سدده الله ووفقه، وإيانا بمنه والسلام في 8 ذي الحجة الحرام، عام 1281هـ). الحسن بن أحمد.

وفي يده أيضًا مكتوب آخر من الشيخ يوصي فيه بتوقيره واحترامه ونصه:

(يعلم من هذا الكتاب الكريم، والخطاب المحتم الصميم، أن حامله الفقيه سيدي محمد بن أحمد الإيشتي، حررناه من تكاليف العامة «حركة وعسة» وغير ذلك لانخراطه في حزب أهل السنة، وخروجه بنفسه من الفتن اختيارًا للسلامة، ومجانبة لأسباب الملامة، فالواقف عليه من عامة أهل (إيشت) وخاصتهم يعلمه ويعمل به، ولا يحيد عن كريم مذهبه، فقد أسدلنا عليه أردية التوقير والاحترام، وحملناه على كاهل المبرة والإكرام، فمن وقره فالله يكافيه خيرًا وإحسانًا، ومن حام حول حماه فلا يلومن إلا نفسه، وحسب الواقف عليه الرضا والتسليم، وفقه الله وإيانا آمين، والسلام، في 8 ذي الحجة الحرام 1281هـ، الحسن بن أحمد الميموني بتيمكًيدشت لطف الله به آمين).

83 ـ أحمد بن محمد التصروختي، فقيه صاحب إتقان في الفهم والنظر والإمعان في تحقيق المعاني، ثم تزوج بإذن الشيخ، ثم رجع إلى القراءة أعوامًا متصلة.

84 ـ عبد الله بن أبي بكر الدرعي، أخذ عن الشيخين، وكان أبوه وليًّا كبيرًا يذكر أن سيدي أحمد بن محمد سلب سر أبي بكر هذا لولده أبي علي.

85 ـ عبد القادر المزوكي، فقيه مشتغل بعبادة ربه ليل نهار.

هؤلاء من لم نعرفهم من أصحاب الشيخ أبي علي لخصنا أخبارهم هنا، وهناك كثيرون من أصحاب الشيخين، لم يتعرض لهم المؤلف، مع أن بعضهم ذكره في أثناء كتابته، ثم لم يعدده من بين التلاميذ كالحسن بن محمد بن إبراهيم اليبوركي الاسغاركيسي من أصحاب الشيخ أبي علي، وأحمد بن إبراهيم الاكراري من أصحابه أيضًا في الآخرين.

ومما في الكتاب ان لإبراهيم النظيفي نزيل الحمراء العلامة الأديب الكاتب العروضي صاحب (الهدي الحسن) قصيدة رائية. في الشيخ أبي علي، ولم نعرف إبراهيم هذا إلا من هنا، ولعله توفي حوالي 1300هـ.

وقد فرغ المؤلف العربي ابن علي المشرفي الفاسي من كتابه هذا في 18 رجب 1290هـ، وهو مجلد ضخم يمكن تلخيص ما يقصد منه من أخبار وادي نفيس وسوس وأحوال (تمكيدشت) وشيخيها سيدي أحمد وسيدي الحسن في كراريس قليلة، وهذه النسخة التي رأيتها هي النسخة الأصلية بخط المؤلف وهي في (الخزانة الكتانية).

وقد فصلنا كل ما عندنا عن آل (تيمكيدشت) في (المعسول) (في الجزء السادس).

تذييل آخر:

في قرية (أيت عمرو) في وادي (تيمحيشت) إزاء (تازناغت) علماء كثيرون منهم أحمد بن عبد الله من (آل موسى) كان عالمًا صالحًا من أصحاب سيدي أحمد التيمكيدشتي كأهله كلهم، من أواسط القرن الماضي إلى أواخره، وكان قطب الإفتاء والأسئلة في الدين، إلا أنه لا يكتب في ذلك عنه إلا ابن أخيه أحمد بن محمد بن عبد الله، وقبره مشهور في (تيزي) من (أيت عمرو) وعلى قبره بيت يزار في المقبرة، وفي المقبرة عبد الرحمٰن الفقيه ابن أخيه، وعبد الرحمٰن بن محمد بن عبد الله تأخرت وفاته إلى ما بعد الاحتلال، ولا يزاول

أولاده من صلبه إحياء إلى هذه السنوات الأخيرة، وقد أسن أخيرًا، أخذ أولًا عن سيدي أحمد بن محمد، ثم سيدي الحسن التيمكَيدشتي، وكان حينًا في (تامانارت) ومنهم محمد ـ فتحا ـ بن محمد أخو أحمد وعبد الرحمٰن فقيه مذكور أيضًا، توفي نحو 1345هـ، وكان عبد الرحمٰن يدرس ما شاء الله، وأسرتهم تسمى (أيت موسى)، ومن (تيزي) فقيه آخر يسمى عبد الله من (أيت باها) أخذ أولًا من مدرسة، ثم تبرك من (تيمكَيدشت) ثم درس في (بودلال) إزاء (وارزازات)، وكان قاضيًا يحكم في القضايا، وهو من أهل أواسط القرن الماضي، وهناك محمد ابن أخيه عبد الله. درس في (أمغران) كثيرًا، وكان من القراء أصحاب السبع مات في (تيزي) ويعرف بسيدي محمد نيت باها، مات نحو 1353هـ.

الفهارس الثمانية

1 ــ في الأماكن المزورة.

2 ــ في محتويات الجزء إجمالًا وتفصيلًا على قدر المستطاع.

3 ــ في أسماء العلماء والصلحاء ومن إليهم.

4 ــ في أسماء الرؤساء ومن إليهم.

5 ــ في القوافي الموجودة في الجزء مما أحدث من السوسيين أخيرًا.

6 ــ في المنثورات من الرسائل والإجازات والمقيدات وأمثالها.

7 ــ في الأسر العلمية أو الرئاسية.

8 ــ في الخزائن العلمية أو مجموعة كتب.

الفهرس الأول في الأماكن المزورة

الفهرس الثاني في محتويات الرحلة
إجمالًا وتفصيلًا على قدر المستطاع

الفهرس الثالث
في أسماء العلماء والصالحين ومن إليهم

الهمزة

الباء

الحاء

الخاء

الدال

الراء

السين

الشين

الطاء

العين

الميم

النون

الهاء

الياء

الفهرس الرابع
في أسماء الرؤساء ومن إليهم

الفهرس الخامس
في القوافي للسوسيين خاصة المقولة حديثًا

العين

الفاء

القاف

اللام

الفهرس السادس في المنثورات
من الرسائل والإجازات والمقيدات وأمثالها

الفهرس السابع
في الأسر العلمية أو الرئيسية

الفهرس الثامن
في الخزائن العلمية أو في مجموعة كتب

مجموعة أعمال العلامة الأديب محمد المختار السوسي

خلال جزولة

للفقير إلى الله تعالى

العلامة الشيخ محمد المختار السوسي

الجزء الرابع

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الرحلة الرابعة من كتاب «خلال جزولة»

الذي أودعه مشاهداتي من الآثار ونوادر الكتب، ومؤلفات السوسيين مطلقاً وأسماء الرجال، في جولاتي التي أخوض فيها قبائل سوس كلما وجدت لذلك فسحة، وقد حرصت على أن أودعها كل ما يلفت نظر مثلي من المولعين بمعرفة الكتب، وبتراجم الرجال النابهين علماء كانوا أو رؤساء، مما أجد اسمه حديثاً، ومما أقع عليه من الآثار الأدبية من نشر ونظم، ما دام ذلك مقبولاً، وإن لم يدرك الشأو العالي من البلاغة، وبوصف المجالس الأدبية التي أراها، فأسوق ما يروق من الفوائد والإنشاءات والإنشادات، ولا قصد عندي إلا أن أنشر حسب ما في طاقتي من تاريخ هذه الجهة التي اصطلحت بأن أطلق عليها "جزولة" ما أؤدي به لعشاق التاريخ المغربي العام والخاص ما يقرّ به الطرف، ويبتهج بمعرفته الفؤاد.

وكل من لم يكن له هذا الولوع المؤسس على كل ما أعتني بذكره، فالأولى له أن لا يشغل نفسه بمراجعة هذا الكتاب، لأنه يراه تافهاً ساذجاً من فضول الأعمال، لأنه لا يكتب كتابة عصرية، ولا يذكر هذا العصر الحديث الذي يرفل في الحضارة الحديثة، ويرفع هامته بالفكر الجديد الشامخ بأنفه إلى السماء.

محمد المختار

السوسي

4

مقدّمة

كانت الأيام تواتينا قبل اليوم في متابعة مثل هذه الرحلات، فقد رأى القارئ الرحلات الثلاث قبل هذه، والآن تمثل هذه الرابعة بين يديه، وبذلك يمكن لكتاب "خلال جزولة" أن يتضمن بهذه الرحلات المتتابعة كل ما أمكن تقييده بالقلم بعد ما رأته العين وزارته القدم، وقد حرصنا على أن نحشر كل ما رأينا فيه فائدة لأي مطالع يستفيدها عن هذه الجهة السوسية، من زيارة البقاع ووصفها، وترتيب بعض التراجم التي وقعنا عليها جديداً أو استتمام بعضها عن رجالات كانوا يذكرون قبل اليوم، زيادة عن زيارات لما أمكن من الخزانات العلمية وتتبع بعض المخطوطات فيها، منبهين على كل ما أمكن وصفه من المؤلفات السوسية كيفما كانت، لأننا كنا في قسم ذكر المؤلفات في كتابنا السابق "سوس العالمة" إنما نذكر وجود ما نعلم منها أنه موجود من غير أن ننبه على محل وجوده، ولم نكن إذ ذاك نعلم محل وجوده، والآن نذكر محله ونصفه بقدر الإمكان، هذا فيما يتعلق بالمؤلفات السوسية وأما غيرها فنتخطى ما كان معهوداً من الكتب المتداولة، فلا نذكر إلا ما يلفت نظر الباحث من إحدى ناحيتين إما لندرته فنعلن وجوده حيث وجدناه، وإما لأن نثير العجب من بعض الباحثين حين يرى أنه يوجد مثل هذا الكتاب في مثل هذه البادية من أزمان، ثم لا نفلت وراء ذلك كل ما فيه فائدة لنا حتى ممن نسخ كتاباً أو نسخ له، زيادة على تقييد أنساب وأخبار وحوادث وقفنا عليها، وأفكار وعادات وما إلى ذلك، مما يستفيد منه الباحثون في الهيئة الاجتماعية.

ذلك هو البرنامج المتبع في هذه الرحلات حسبما تصدر به كل رحلة على حدة، ونطلب الله أن ييسر لنا حتى نكتب في مستقبل حياتنا ما يتم به الموضوع بزيارات أخرى لنواحي سوس، وإن كان يتراءى لنا - والله أعلم - أن مثل هذه الرحلات الهادئة التي يمشى فيها قدماً بقدم، ومن قرية إلى قرية على البغال الموكفة، والخيل المسرجة، أو على الأقدام المنتعلة في جو لا تزاحم فيه ولا

شواغل، ولا مقابلات شعبية، يكاد يكون مستحيلاً في العصر الحاضر، منذ أن ألبستنا يد مولانا الملك الصالح محمد الخامس من تشريفه ما ألبستنا، مما يخرجنا من باب النكرة إلى باب المعارف، والمستقبل بيد الله ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [غافر: 44].

رباط الفتح- رمضان 1377هـ

رضا الله

محمد المختار السوسي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

الحمد لله الذي يوفق العبد توفيقه، فيفعل أفعالاً تقرّ الأعين، وتطيب بالذكر الخالد الألسن، والصلاة والسلام على صفوة الخلق، وصحوة الحق وعلى آله الهادين، وعلى أصحابه الغر المحجلين، الذين ضربوا في الأرض لنشر الدين وردع المعتدين.

وبعد، فهذه إن شاء الله خطوة رابعة في كتابنا "خلال جزولة" افتتحتها يراعتي في مدرسة (سيدي بعبدلي) بأيت همان بقبيلة أيت برابيم بعد صلاة الظهر من يوم الاثنين خامس شوال 1363هـ وقد خرجت من داري في إلغ صبيحة السبت الماضي فبت في تزنيت ثم في قرية الأرجام ثم بكرت اليوم إلى هذا المكان الذي نستفتح به هذه الرحلة الرابعة والله يوفق للسداد ويهدي إلى الصواب.

في سيدي بوعبدلي:

تلقانا أستاذ المدرسة سيدي إبراهيم بن عبد العزيز بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن يعقوب الذي تسلسل من علماء كبار أدوزيين[1] فرأيته ذا سمت حسن ووقار ومنظر فله لحية وخطها الشيب أكثر مما كنت أظن، وهذه أول مرة نتلاقى فيها، مع أن المراسلات كانت جرت بيننا، وقد كان كتب إلي في حين قبل اليوم رسالة أضفى علي فيها من أوصافه، حتى أنه استجازني ولكن لست أنا هناك وقصدي اليوم تصفح خزانته، واستثمار فوائده وفوائد والده منها ولكونه مظنة الغرائب التي كنت إليها في أشواق، لعلها

(1) ترجموا كلهم في (الجزء الخامس) من (المعسول).

تفيدنا كما تفيدنا أمثالها، أعملت هذه الرحلة إلى جنوب تزنيت من أجلها، فالله يفتح الأبواب ويجعل مآبنا خير مآب.

فمما وجدته هناك في كتاب.

كتب سيدي أبو فارس الأدوزي إلى الأستاذ سيدي المحفوظ ما نصه:

"الفقيه سيدي المحفوظ بن عبد الرحمن الأدوزي، أمنكم الله ورعاكم، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

أمّا بعد، فحامله فلان بن فلان الفلاني طب له طبك لمن تحب، وفي الحديث انصر أخاك... الحديث، ونازلته إن أمكن تلافيها فافعل، وقد علمت وتحققت أن أخاك يعرب إعراب المقصور، وادع لنا بخير والسلام".

ومقصود أبي فارس بإعراب المقصور، تعذر حركاته، كما تتعذر الحركات ضمة وفتحة وكسرة من نحو الفتى الذي يسميه النحويون المقصور، ويقابله نحو الرامي الذي يسمونه المنقوص.

أما (سيدي بعبدلى) صاحب هذا المشهد الذي بنيت إزاءه هذه المدرسة، فقد كنت رأيت له ذكراً بين رجال[1] (آيت يعزى وهدى) في رسالة منسوبة إلى ابن سعيد المرغيتي، ثم أنبأنا الفقيه الأديب سيدي علي بن الحبيب الجراري بما يوجد في (الرحلة الأولى) من هذا الكتاب، ثم وقفت اليوم بخط أبي فارس على ما نصه:

(السائح سيدي عبد الله بن إبراهيم أشهد أن (إدهملا) ورثته، وأشهد بذلك سيدي مسعود بن عبد الملك، وسيدي إبراهيم بن عبد الله البونعمانيين، وتاريخ العقد عام 677 هـ والعقد عند أحمد بن محمد كيكوش الساكن في (القصبة) عند سيدي أبي الصدقات في (إفردا) أخبرني بذلك سيدي محمد بن علي أو حميدة الضرير من (إيسيل ندهملا) انتهى.

فبهذا نعلم أنه قديم، وأنه كان يسيح ثم سكن في داره التي لا تزال تجدد إزاء مشهده، ولا يخالف هذا كونه من (آيت يعزى وهدى)، بل يقويه، ولا

(1) يوجد ذكر هؤلاء في (الجزء العاشر) من (المعسول).

ورثة له من صلبه إن كان منهم حقيقة، والله أعلم.

ووجدت هناكِ أيضاً في طرف كتاب نص ظهير حسني لبعض فقهاء القبيلة، وهو هذا:

(يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره، وجعل فيما يرضاه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم طيه ونشره، إننا بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنته، سدلنا على حامله الطالب السيد أحمد بن محمد البرايمي البوخبزي، أردية التوقير والتعظيم والاحترام، وحملناه على كاهل المبرّة، وجميل الرعاية والإنعام، وحاشيناه عما يخاطب به غيره من العوام، من التكاليف المخزنية والوظائف، بحيث لا يوظف عليه وظيف، ولا تناله تبعة تكليف، عدا الزكاة والأعشار، وذلك رعاية لانتسابه للعلم الشريف، واستظلاله بظله الوريف، فعلى الواقف عليه من عمالنا وولاة أوامرنا الشريفة، أن يعلمه ويعمل به، ولا يحيد عن كريم مذهبه، صدر به أمرنا المعز بالله تعالى في خامس رمضان المعظم عام 1303هـ).

أخبرني الأستاذ سيدي إبراهيم بن عبد العزيز أن هذا الفقيه يسمى الحاج أحمد، ولم يكن له باع طويل في العلم، وإنما كانت له جرأة، ولذلك رفع رأسه فنال بهمته الرئاسة على إخوانه في عهد الحاحيين، ثم لما جلوا عن (سوس) قتله العامة، وهدموا داره، وقد وقفت هناك في كتاب آخر على سلسلة نسب الشرفاء المزواريين الرسموكيين والتمراويين[1]، ونصها:

(من الأنساب السنية الطاهرة الشريفة، ما وجد مكتوباً في بعض عقود المتقدمين من المائة العاشرة من الهجرة النبوية ما هذا نصه:

(أبو القاسم بن عبد الله بن أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله بن سليمان، وأخوة عبد الله بن سليمان، محمد، عيسى، عبد الله (كذا)، لعله (عبيد الله) أحمد موسى، وهو سليمان بن يحيى بن محمد بن عثمان بن داوود بن إبراهيم بن حركْيل بن زوزان بن يعلى بن سعيد بن أحمد بن يوسف بن حروش بن عبد

(1) يوجد علماء هؤلاء إن شاء الله في الجزء الثامن (من المعسول).

الرحمن بن أبي القاسم بن يحيى بن علي بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بن هاشم إلى آخر عدنان. انتهى بحمد الله، نقلته كما وجدته بخط قديم، وعليه علامات القضاة المتقدمين، وتصحيح الفقهاء المعتبرين، عبد العزيز بن عبد الله ابن سليمان بن يحيى إلى آخره، في أوائل ربيع النبوي المعظم من عام 1001هـ، ثم نسخه من سليمان بن يحيى من خطه المعروف له المعهود له أيام حياته، رحمه الله، في آخر ربيع النبوي عام 1041هـ انتهى المراد من أصله، مقابلاً به فلا شك ولا خلاف أن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن إدريس بن إدريس صاحب[1] (تامدولت أوقا)[2] التي كان يجلب عليها ابن عمه الحسن بن جعفر بن عبدالله بن إدريس ابن إدريس صاحب صنهاجة انتهى.

ولا يجحد صحة انتقال زوزان بن يعلى من بلدة تامدولت أوقا إلى بلده جزولة، وله أولاد ثلاثة منهم حركْيل بن زوزان، وتزاليت بن زوزان، وإدريس ابن زوزان، ثم اتخذ مسكنه تامراً بقبيلة رسموكة بتواتر الأخبار، وغلب عليه تسمية المزوارة، وبقيت التسمية في ذريته إلى الآن، وبلاده معروفة بجزولة، وخصوصيتها بصلاح وسيادة شيء لا ينكر، وبالتبجيل والإجلال معروفة، وعلى ما قررت علامات القضاة والفقهاء الأعلام المعتبرة في الأعصار والأمصار من الإثبات للأصل المنتسخ منه، وتصحيح تصحيحه على المنقول منه بلا ولا، قاله ناقله بواسطة في رمضان المعظم عام 1089هـ عبد ربه إبراهيم بن علي ابن محمد الواسلامي، تاب الله عليه آمين انتهى، وعبد ربه أحمد بن محمد بن علي المزواري الرسموكي لطف الله بن آمين، وعبد ربه مسعود بن إبراهيم الواسلامي تاب الله عليه آمين، ونسخه لطالبه مراراً، بتاريخ انسلاخ جمادى الأولى عام 1232هـ عبد الواحد بن محمد بن إبراهيم من تاروالتي التاهالى، لطف الله به آمين، وعبد ربه محمد بن أحمد بن محمد المزواري، وعبد ربه إبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمد المزواري، وعبد ربه أحمد بن محمد بن

(1) خبر إن على ما يظهر.

(2) مدينة بناها عبد الله بن إدريس مضى الكلام عليها في الرحلة الثالثة قبل هذه.

محمد بن علي المزواري، وعبد ربه مسعود بن أحمد بن محمد الشريف، الحمد لله أدى سيدي إبراهيم بن علي بن محمد، وسيدي إبراهيم بن محمد المذكوران[1] حوله برسم ما بمحوله أداء تاماً كتابة مثبتاً أداءهما عبيد الله بن علي بن محمد بن عبد الله اليعقوبي السملالي[2] تاب الله عليه.

الحمد لله الإعلام الأخير أعلاه لمن عزي له، اعلم به محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله اليعقوبي السملالي[3] تاب الله عليه ولطف به، وبه أتمّ عبد الواحد المقدم الذكر، ومعه في النقل إبراهيم بن محمد بن صالح بن مبارك، من شعبة المولود الرسموكي ومعه في النقل من علي عبد ربه علي بن محمد بن يعزى التيركتي الرسموكي تاب الله عليه.

الحمد لله أعلم بثبوت رسم النقل أعلاه بعد الأداء محمد بن إبراهيم السملالي لطف الله به. انتهى ونسخه لطالبه لينتفع به كما وجد في المنقول منه بلا زيادة ولا نقصان بعد المقابلة عام 1249هـ عبد ربه محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن يعقوب اليعقوبي السملالي الأدوزي[4] تاب الله.

الحمد لله اعلم بثبوت أعلام الفقيه سيدي محمد بن أحمد بن محمد المذكور من الأصل المنتسخ منه وكذا أعلام الجد سيدي عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الله عبد ربه تعالى العربي بن إبراهيم بن عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الله بن يعقوب السملالي ثم الأدوزي لطف الله به آمين وأسبغ عليه سوابغ نعمه ببركة أهل الله أجمعين. انتهى الجميع من الأصل المنتسخ منه بعد المقابلة وعرفان خط الواك وخط صهره الفقيه سيدي محمد الأدوزي ثم ماثله وبه يقول ناسخه لتعدد النفع به في ذي الحجة الحرام عام 1291هـ عبد ربه محمد بن العربي بن إبراهيم بن عبد الله الأدوزي لطف الله به آمين. وعبد

(1) كذا.
(2) هذا أحد علماء اليعقوبيين، ذكر مع أهله في الجزء الخامس من (المعسول).
(3) هذا هو شارح المرشد. ذكر هناك مع أهله أيضاً.
(4) هو والد سيدي عبد العزيز الأدوزي، والعربي الآتي هو العلامة الأدوزي الشهير.

ربه العزيز بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن يعقوب الأدوزي كان الله له آمين.

الحمد لله اعلم بثبوت المنسوخ منه أعلاه عبد ربه محمد بن علي بن سعيد اليعقوبي[1] بـ(تلعة الملخ) لطف الله به آمين. انتهى الجميع من أصل المنتسخ منه بعد عرفان خط ناسخه الفقيه سيدي محمد بن العربي الأدوزي لطف الله به آمين. وكذلك خط عاطفه شيخنا سيدي عبد العزيز بن محمد بن محمد الأدوزي وخط الأعلام للفقيه سيدي محمد بن علي ابن سعيد اليعقوبي قاله ناسخه لتعدد النفع به في صفر عام 1332هـ إبراهيم بن علي بن أحمد بن محمد بن محمد ابن علي بن أحمد بن سيدي إبراهيم بن سيدي محمد الفقيه بن سليمان رحم الله الجميع. الحمد لله أعلم بأعلام السادات المذكورين أعلاه وبصحة المنسوخ من أصل المنتسخ منه وعرفان خط ناسخه كالشمس. عبد ربه إبراهيم ابن محمد بن محمد التامراوي المزواري من فرع الفقيه الشريف سيدي محمد ابن سليمان رحمه الله آمين.

لنقف قليلاً إزاء هذه الوثيقة القيمة فكم فيها من علماء وقضاة لا نعرفهم ولا نقع لهم على تاريخ ولا نطمع في ذلك، ولنتأمل إزاء ذلك ما فيها من الاختلاف الذي اشتجر بين عبد الله بن محمد بن عبد الله بن إدريس رئيس تامدولت وبين ابن عمه الحسن بن جعفر بن عبد الله بن إدريس الذي جعله كاتب أصل ما تقدم صاحب صنهاجة فلا ريب أن هذين يعيشان بين أواخر القرن الثالث أوائل القرن الرابع فإن عرفنا هذا وعرفنا أيضاً أن الأقوال تتداول وراء طاطة والفائجة أن الذين هدموا مدينة تامدولت هم الصنهاجيون عكس أهل جزولة الذين ينسبون هدمها إلى الحربيليين أصحاب الرئيس محمد بن علي المنصاكي[2] ربما يخيل إلينا أن ما نراه من هذه العداوة بين تامدولت وصنهاجة قد امتدت إلى ما بعد هذا القرن الرابع بكثير فتسبب عن ذلك خراب تامدولت في نحو القرن السابع كما

(1) ترجمته بين أهله آل يعقوب من إيلالن في (الجزء السابع عشر) من (المعسول).

(2) هناك قصيدة شلحية متداولة فيها قصة تخريب المنصاكي لتامدولت وفي جنوبي إلغ محل يسمى سمون إيسان أي مجمع الخيل، يقال أن هناك اجتمع الحشد الذي خرب تامدولت.

نظن أو بعد هذا القرن بقليل، فإن ضممنا إلى ذلك ما يتداول حوالي مساكن صنهاجة أصناكْن فيما وراء طاطة متناسين قصة المنصاكْي فربما نتوهم أننا وقعنا على قبس مما نفتش عنه دائماً من سبب خراب تامدولت سبباً يستمد من التاريخ أو شبه التاريخ ولكن الواقع أن هذا كله إنما هو خطرة عرضت الآن قد تصيب إن وجدت ما يؤيدها وقد تطير أدراج الرياح إن لم تجد لها مؤيداً والله أعلم. وقد تقدم الكلام حول تامدولت في الرحلة قبل هذه.

وقد وجدنا في رحلة الوافد للزرهوني النفيسي أن خراب تامدولت كان بعد بناء اللمتونيين لمراكش واللمتونيون يعدون من صنهاجة والله أعلم.

ثم إننا وجدنا الخزانة الفارسية العامرة تحتاج إلى أسابيع إن أريد تصفحها كما ينبغي لأن ربها القيم عليها الأستاذ أبا سالم إنما يأتي بها شيئاً فشيئاً، فكلما مررت على عدة كتب من المخطوطات يأتي بغيرها وقد أوصيت أن لا يؤتى إلي إلا بالمخطوطات فظللت على ذلك كل يوم الثلاثاء وهذا الصباح من يوم الأربعاء فرأيت أن الأمر أعجل من هذا التتبع فلم أجد مناصاً من تأخير تتمتها إلى فرصة أخرى فهاك بعض ما استفدت مما مر أمامي مما هو على شرطنا:

1 - مؤلف صغير لأحمد بن سليمان الرسموكي جواباً في مسائل نحوية يوجد بعضه في مجلد ولم أقف على تمامه.

2 - مؤلف له آخر في مسائل فقهية في صفحات كبرى تخرج في ثماني ورقات صغار.

3 - شرح سيدي العربي الأدوزي على الاستعارات بخط أبي فارس في 65 في 24 سطراً.

4- مؤلف لأحمد بن عبد الله بن يعقوب في أحكام النجوم بخط أبي فارس في أزيد من 80 صفحة في ذلك القالب ألفه مؤلفه عام 1072هـ وهو بنسخ أحمد بن مسعود بن أحمد بن الحسن بن يعقوب الواسلامي من تلاميذ اليعقوبيين إذ ذاك ولا نعرفه إلا هنا والوسلاميون شرفاء منبثون في (إداوبعقيل) ورسموكة منهم بيوت علم ورياسة.

5- نوازل الأيدكلي التملي، رأيت النقل عنها ولعله سيدي سعيد من أهل الحادي عشر[1].

6- قصيدة تائية في علم التصريف لمحمد بن مبارك المحجوبي[2] الكدسي مع شرحها له، رأيت هذه النسخة وفيها زهاء: 46 صفحة في قالب وسط ونسخ الكتاب متعددة فقد رأيت إحداها في غير هذا المكان.

7- المبنيات لمحمد بن محمد البرجي[3] الرسموكي شرحها يبورك في نحو 46 صفحة ونسخ الكتاب أيضاً توجد.

8 - لامية أحمد بن عبد الرحمن المسكدادي[4] في بحر الطويل تسمى حصن النجاة وهي في التوحيد وفيها أزيد من مائة بيت.

9- نظم نخبة الفكر في مطلح الحديث لمحمد بن سعيد العباسي[5]وقد قرأت بعضه فوجدته حلواً على بحر الرجز فيه أزيد من 600 بيت جلد مع الشرح الصغير للعراقي على ألفيته.

10- مجموع حديثي حسن الخط فيه الخصائص الصغرى للسيوطي وشرح أحاديث القضاعي لأبي القاسم بن إبراهيم الوراق والأربعون حديثاً للودعاني وشرحها له وفهرست ابن جابر القيسي أجاب بها أبا البركات محمد بن الشيخ محمد بن عبد الله اللمتوني بمراكش عام 727هـ على ما في ظهر هذه النسخة المنقولة عن الأصل مباشرة بخط الحسن بن عيسى الكرامي[6] السملالي عام 981هـ وفهرست أبي بكر بن سلمون الكتاني[7] الغرناطي أجاز بها أبا القاسم ابن الوزير عبد الله بن أبي القاسم الغرناطي عام 793هـ وهي صغيرة في ورقات قليلة ومراسلات أدبية حسنة بل فيها ما

(1) ذكر علماء أيديكل التمليون في الجزء السابع عشر من المعسول.
(2) ذكر علماء المحجوبيين في الجزء الرابع عشر من (المعسول).
(3) ذكر علماء البرجيين في الخامس من (المعسول).
(4) ذكر علماء المسكّداديين في الثالث عشر منه.
(5) العباسيون إن شاء الله في الثامن عشر.
(6) الكراميون ذكروا في الجزء السابع من (المعسول).
(7) ولعله بالنون أي الكناني.

هو عالي المنزع بين الأديبين إبراهيم بن هلال السجلماسي وعبد الله بن محمد العناني البوني والكل في عشر صفحات وسطى وهي صفحة أدبية على هلهلة نسجها تمثل لنا أدب سجلماسة ودرعة في أواخر القرن التاسع وفي المراسلة نشر مرسل ونثر على غالبه روعة وقد رأيت هذه المراسلات كلها في كتاب الدرر المرصعة للمكي الناصري.

وفي المجموع من كتب الحديث غير ما تقدم وقد كان في ملك عبد الله بن يعقوب ثم في يد ولده إبراهيم ثم في يد أحمد بن إبراهيم ثم في يد محمد بن عبد الله بن يعقوب ثم استمر في الأسرة اليعقوبية إلى الآن.

11- معين الطالب النجيب على فهم ألفاظ تحفة اللبيب لمحمد بن أحمد الأدوزي شرح به نظم إبراهيم التاكوشتي(1) الذي اختصر فيه المغني وهذه النسخة هي مبيضة المصنف كما كان هناك أيضاً مبيضة نزهة الجلاس في أخبار أبي أحلاس، والمبيضة أيضاً من شرحه على اليوسفية وهو الذي يدرس إلى الآن عند الأدوزيين في الخطوة الأولى إلى الفقهيات.

12- مجموع فيه الإكليل في استنباط التنزيل للسيوطي ورجز فيما يتعلق بالميت في نحو 200 بيت والأوائل المختصرة من أوائل العسكري له وقد وجدت على بعض هذه المؤلفات ما نصه:

منة من الله تعالى على أقل عباده عبد الله بن علي بن الطاهر الحسني لطف الله به. وهو العلامة المشهور وكل ما في المجموع بخط قديم وبعض ما فيه كان في ملك عبد الله بن يعقوب السملالي ثم جلد مع غيره.

13- موازنة المنفرجة وشرحها لمصطفى بن كمال الدين الخلوتي، المشهور بمحمد الخليلي، وقد سمى الشرح (الفتح القدسي، والكشف الأنسي).

14- حاشية اللقاني على خليل نسخة قديمة، كما رأيت التتائي بخط عبد الله ابن يعقوب، والمعيار القديم في ملكه أيضاً، وكثير من الكتب الفقهية القديمة وكلها من منسوخات علماء سوسيين في القرن العاشر فما بعده.

(1) التاكوشتيون في الجزء السابع من (المعسول).

15- الخصائص النبوية للحافظ مغلطاي، مجلدة مع نسخة من الشفاء وهي صغيرة موجزة.

16- مجموع فيه شرح الشمسية للتفتازاني للعقائد النسفية، ومصطلح الحديث لابن الصلاح، وحاشية الشمني على الشفاء وبعض ما كان في المجموع كان في ملك عبد الله ابن يعقوب.

17- وجدت في دفة كتاب أن ليحيى بن سعيد المناني قصيدة لامية في التهنئة غالبها مجنس، كما أن له شرحها وقد سماه: (الهنية، من رسالة التهنية) كما له نظم في الشهداء وقد ذكر بين مؤلفات ييبورك ابن عبد الله أنه شرحه، كما ذكر حوله مؤلف كبير مشتمل على ما وقع بينه وبين أبي محلي ويسمى (التحلي، فيما وقع بين سيدي يحيى وبين أبي محلي) لسيدي أحمد بن الحسن بن عبد الله بن سعيد ابن أخي سيدي يحيى، وهو كتاب لم نقع عليه إلى الآن مع طول بحثنا عنه، وقد حدث الأستاذ سيدي الحاج أحمد الجراري أنه رآه ليلة وقد بات عند بعض أحفاد آل سيدي يحيى لكننا نحن لم نقع عليه إلى الآن.

18- كتاب نسخ لسيدي عبد الرحمن بن أبي القاسم بن يوسف بن عمرو البعقيلي الفقيه النبيه المرابط الخير الدين النقي التقي التازروالتي أصلاً، التمازتي سكنا، وأرخ النسخة بـ1152هـ ولا أعرف هذا الفقيه إلا هنا، وقوله التمازتي لعله (تامازت) في المنابهة إزاء (تارودانت) والله أعلم أو يقصد التوماناري فتصحف وهو على كل حال من أسرة آل عمرو العلماء[1] البعقيليين.

19- على ظهر نسخة من المختصر ما يدل على أنها كانت في ملك عبد القادر ابن محمد التاساكاتي ابن أخي الفقيه سيدي محمد بن أحمد التاساكاتي الإيلالني نزيل زاوية الصوابي فعرفنا أن له فروعاً داموا على العلم بعده.

20- كتاب نسخة أحمد بن علي البعقيلي كتبه لشيخه عبد الله بن يعقوب توفي

(1) يذكرون إن شاء الله في الجزء الثامن من (المعسول).

عام 1055هـ فلا ريب أن أحمد بن علي هذا غير ذلك المعروف المتقدم في الرحلة الثانية وهو الذي أثنى عليه شيخه لأنه توفي قبل شيخه عام 1052هـ فإن هذا متأخر الوفاة حتى عن وقت وفاة شيخه كما ترى فيكون فقيهاً آخر أو وقع الغلط في الوفاة فلا تعدد حينئذ.

21- فتوى للفقيه الحسن بن علي الإيلالني ولا نعرفه إلا هنا وأخرى للفقيه علي بن عبد الرحمن الكْرسيفي وعلماء اكْرسيف مر بنا من يسمى هذا الاسم منهم. ولعله هذا[1].

22- توفي الفقيه أحمد بن القاسم التيواركْاني آخر شعبان عام 1153هـ وقد وقفت أيضاً على منسوخ لأحمد بن محمد العباسي بخط حسن بيد الفقيه الحسن بن بلقاسم ابن عبد الله التيواركْاني وقال أنه كان ينسخه لشيخه من عهد حياته حتى أتمّه عام 1153هـ بعد وفاته وأحمد العباسي توفي 1152هـ.

ثم وقفت أيضاً على الفقيه محمد بن عبد الله بن أبي القاسم التيواركْاني فيكون ابن أخي هذين والثلاثة كلهم علماء كما ترى (وتيواركْان) قرية من بعقيلة وأخت محمد المتقدم هي زوجة أحمد بن إبراهيم بن محمد الأدوزي وأم أولاده بن عبد الله وهو أيضاً تلميذ أحمد العباسي، وعلي الحسن مشهد يزار إلى الآن في (تيواركْان)، فقد مات بعد 1153هـ وهم بيت علم ويقال أنهم ركْراكْيون فلا يمكن أن يكون عبد الرحمن بن أبي القاسم بن يوسف بن عمرو أخا هذين الحسن وأحمد لأن نسب آل عمرو مشهور، وهم بيت علم متسلسل بأفذاذ العلماء والصالحين.

23- ذكر في فتوى فقيه يسمى محمد بن أحمد الصخري الأمزالي، وهو من أهل أواسط القرن الماضي لأنه نقل عن فتوى لعمر الكْرسيفي المتوفى 1214هـ ولا نعرف الأمزالي هذا إلا هنا، ويمكن أن يمت إلى آل أوجمل العلماء الأمزاليين المشهورين من أواسط القرن الماضي.

(1) يذكر الكْرسيفيون في السابع عشر من المعسول.

24- فتوى لعبد الرحمن بن أحمد بن محمد الإيلالني فيها نقل عن أحمد بن سليمان الرسموكي لا نعرفه إلا هنا أيضاً، وما أكثر علماء إيلالن ولكنهم درجوا في غفلة التاريخ.

25- فتوى لعبد الرحمان بن يعزى بن ييبورك الإيلالني الإيسفاسي - كذا - وأيده أبو بكر بن أحمد، ومحمد بن أحمد بن محمد، والحسين بن محمد بن أبي القاسم الفيدي وهؤلاء كلهم لا أعرفهم الآن إلا هنا وكلهم من جهة إيلالن.

26- مسعود بن أبي القاسم بن محمد بن محمد - فتحا فيهما - بن أحمد بن داوود بن يحيى الغزالي الرسموكي نسخ كتاباً عام 1189 هـ وهو فقيه لا نعرفه إلا هنا.

27 - منشدات العباسي الفقهية من كل باب من أبواب المختصر ينظمها جمعها تلميذه أحمد بن إبراهيم المذكور آنفاً من غير ترتيب ثم رتب بعضها تلميذه محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد السملالي الدفلاوي وصل بها إلى باب الأضحية ثم رتب ما بعد ذلك إلى باب الرهن عبد الواحد ابن محمد بن أحمد الحجري الرسموكي والنسخة هذه هي الأصلية والفقيهان اللذان رتبا ذلك لم أعرفهما، وعبارتهما تدل على فهم وسمو في المدارك.

28 - عبد القادر بن أحمد بن أحمد الييبوركي عالم صالح متبوع ناصح للناس عابد كما يظهر كل هذا من كلام له في منسوخ وخطه حسن وقد عاش إلى أوائل القرن الماضي وهو من الأسغاركيسيين[1] وأحمد بن أحمد من مشاهيرهم.

29 - النسخة المبيضة من شرح المرشد للأدوزي وعليها تقريظ التاسكاتي وتقريظ الحبيب ابن عبد القادر السجلماسي.

30 - ذكر في كتب مختلفة أسماء علماء لا أعرفهم محمد بن أحمد الخراز

(1) يذكر الأسغاركيسيون في (الرابع عشر) من (المعسول) إن شاء الله.

الرسموكي سالم المحجوبي، محمد بن محمد الكُرسيفي من الآخذين عن المرغيتي كما ذكر أحمد بن أحمد الكنسوسي، محمد بن إبراهيم العروسي[1] السملالي، مبارك بن أحمد البهاوي القاضي وأمزاركُو السندالي.

31 - شرح معلقة امرئ القيس لأبي فارس الأدوزي والد رب مثوانا في هذه المدرسة في 46 صفحة في 24 سطراً وهي المبيضة وهو جيد غير مخل ولا طويل جداً، أتمه في 22-5-عام 1322هـ.

32 - شرحه للرسالة الهزلية لابن زيدون، اختصره من شرح ابن نباتة ويزيد عليه في 36 في ذلك القالب، أتمه في 14 جمادى الأولى عام 1322هـ.

33- شرحه للاسماء الإدريسية المشهورة في الذكر المعلوم (سبحانك لا إله إلا أنت يا رب كل شيء ووارثه ورازقه وراحمه) الخ في 26 صفحة بذلك القالب وهي المبيضة.

34 - مؤلفه في لو استوفى حوله الكلام في ثلاثة فصول في زهاء 20 صفحة.

35 - شرحه للشمقمقية أتمه في 27 شوال عام 1315 هـ، وهو في 220 صفحة، وهذه النسخة هي الأصلية وفي طررها زيادات نحو سدس الكتاب، ولم يكن اطلع على شرح القصيدة للناصري قبل وإنما استعان بما تيسر لمثله من الكتب.

36 - مؤلفه في كل ما يفعل يوم عيد الفطر من صلاة وزكاة ومصافحة وغيرها في أزيد من 26 صفحة وفي هذه النسخة الأصلية بياض يظهر منه أنه لم يتم، ألفه أبو فارس عام 1297هـ في شرح شبابه بإذن أستاذه ابن العربي.

37 - مؤلف له في أل صغير، ذكر لي أن فيه نحو كراسين وهو موجود لم يضع وإن لم أره بعيني.

(1) هناك علماء عروسيون سملاليون مذكورون في (الخامس) من (المعسول).

38 - شرح له على التنقيح للقرافي غير تام وفي الموجود منه 120 صفحة وهو شرح وسط بخط المؤلف. جمعه حين كان مكباً على تدريس الكتاب للتلاميذ.

39 - رجز يضم دعاء لأحمد بن عبد الله بن يعقوب في نحو 50 بيتاً.

40 - شرحه لغرامي صحيح في المصطلح في ثماني صفحات أو عشر أتمه في 29-4- عام 1329هـ وقد تعددت نسخه.

41 - كتاب فيه رسالة من الشيخ أحمد الصوابي إلى الفقيه عبد الله بن بلقاسم ابن عبد الله البعقيلي مضمنها أنه يندد عليه في كونه سمع عنه ما يدل على شكه في إعجاز القرآن، فذكر له أن سبب عدم إدراكه لإعجازه كونه يجهل ما تنبني عليه البلاغة التي هي منبع الإعجاز وذكر أن الإعجاز من القرآن مجمع عليه من أهل السنة وغيرهم، ونقل عن التفتازاني أن تعلم علم المعاني مما يتوقف عليه تمام الإيمان ليدرك به إعجاز القرآن وذكر له أن الباقلاني ذكر أن إعجازه كان بأسلوبه وفصاحته وجزالته إلخ... وهي رسالة حسنة إلا أنها غير تامة، ولو تمت لنقلتها هنا، وأما عبد الله ابن بلقاسم فلم أعرفه أو لعله والد محمد بن عبد الله بن بلقاسم التيواركْاني المتقدم فيكون حينئذ بلقاسم بن عبد الله وأولاده كلهم علماء. الحسن وعبد الله وأحمد، وربما كان ذلك قريباً والصوابي يعاصرهم لأنه توفي عام 1152هـ.

42 - إرشاد السالك، إلى أشرف المسالك، على مذهب الإمام مالك لشهاب الدين عبد الرحمن بن محمد بن عسكر البغدادي، نسخة قيمة مخطوطة خطاً بيناً، تم نسخها في رابع صفر عام 985هـ بيد سعيد بن إبراهيم (لعله السملالي جد العباسيين) وهو جزء وسط في قالب كبير ومعه تخميسات لقصائد لأبي مدين الغوث مطلع أولاها:

أستغفر الله مجري الفلك في الظلم ... على عباب من التيار ملتطم

ومطلع الثانية وقد نسب تخميسها إلى من يسمى أحمد بن الحاج:

أيا من تعالى مجده فتكبرا ... وجل جلالا قدره أن يقدرا

في قصائد أخرى لعلها كلها لأبي مدين، معتنى بخطها غاية الاعتناء، ومعها رجز لمحمد بن عيسى بن محمد بن اصبغ نظمه في تونس عام 594هـ إجابة لسؤال بعضهم أوله:

الحمد لله تعالى منعما علم من جهل وجلى من عمي

وهي قصيدة الحلى والشيات التي تسمى (المذهبة) توجد هناك مع ذيل لها في نحو 1200 بيت على ما حزرته بتتبع فيها أسماء الألوان والصفات من جميع الحيوانات، وهي من كتب اللغة النادرة، وهي نسخة حسنة لولا تصحيف فيها، نسخها سعيد بن إبراهيم المذكور عام 984 هـ ومحمد بن عيسى المذكور توفي بمراكش إماماً في الكتبية عام 640 هـ، وله ترجمة وافية في الجزء الثالث صفحة 95 من تاريخ (الأعلام) لشيخنا القاضي سيدي العباس المراكشي.

43 - السفر الأول من التوضيح لخليل نسخ عام 939 هـ بيد الفقيه يحيى بن إبراهيم بن يحيى بن محمد بن أبي بكر ثم ابتاعه عبد الواسع بن أبي القاسم عام 1029 هـ وهو فقيه لا نعرفه الآن ثم اشتراه الفقيه عبد الله ابن أبي بكر المرابط البعقيلي، من أحمد بن إبراهيم البعقيلي المناري، 1101 هـ كتب هذا الشراء بخط رفيع عال الفقيه داوود بن علي بن علي التيواركَاني البعقيلي الواسلامي، وعطف عليه محمد ابن علي بن محمد ابن عبد العزيز المرابط الأغرابوي ثم تملكه الإمام أحمد الصوابي 1116هـ والسفر في مجلدة صغيرة.

44 - مات الفقيه محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله أوبلوش الرسموكي أصلاً البعمراني داراً وتربية ليلة الخميس 23 - 2-1281 هـ كتبه أحمد ولده بخط ضعيف.

45 - كتاب لا أول له ولا آخر في اللغة العربية ويفسر ما أمكن بالشلحة، ومؤلفه ماهر في اللغتين، إلا أن لهجته ليست من لهجات سوس القريبة العهد فيفسر مثلاً النعجة تادابغت، والظلف بقوله تفنجكَط، ومن عباراته ألوان الخيل، الورد أورس، والأنثى وردة، والجمع فيهما وارد، وقد يجمع الورد على ورود، والأشقر أتلاع، والأنثى شقراء، والجمع فيهما

شقر، والكميت أورس إنوان، أسود وذنبه، والأنثى كميتة الخ، وقال أيضاً والفرس يقع على الذكر والأنثى وجمعه أفراس، وجمعه من غير لفظه الخيل، وتجمع الخيل على الخيول والحصان الفرس الذكر وجمعه حصن، قال الشاعر:

معهم ضوار من سلوق كأنها   حصن تجول تجرر الأرسانا

والحجر الرمكة، وجمع الرمكة الرمك والرماك، والمهر: أوج، والجمع أمهار ومهار، والمهرة تاووج، والجمع المهرات والمهر، والأدهم: أبركان سطفن، والأنثى دهماء، والجمع فيها دهم، وكل فرس على لون واحد لا يخالطه لون آخر فهو بهيم،والأنثى بهيم على لفظ الذكر، واستبعد بعض أهل العلم من المتأخرين أن يطلق على الأبيض بهيم، والذي جاء عن المتقدمين إطلاقه على اللون الواحد - المضمة - كذا، ورأيت لبعض كتاب الأندلس أن البهيم للأدهم والأخضر إذا كانت على لون واحد واقتصر به على هؤلاء الثلاثة، فلا أدري هل رآه لغيره من متقدمي أهل العلم، أو قاله من عند نفسه، والمعتمد ما ذكرته أولاً، وهو الذي ذكره ابن قتيبة في الأدب، وله حجة في الاشتقاق الخ، والأبواب الموجودة هنا هي هذه:

باب في الخيل، ألوان الخيل

باب في البغال

باب في الوحوش والسباع

فصل في السباع

باب في الحيات وسائر الحشرات والهوام

باب في الطير صغارها أو كبارها

فصل في مواضع بيض الطير وفراخها

باب في خدود الناس وألوانهم

باب في أمراض بني آدم

باب في السلاح والآلات والمساكن والثياب

فصل في الراكبين

فصل في الآلات والأدوات

فصل في الدور والبيوت

فصل في الثياب وهو: إيفووا

باب في الطعام، فصل في الأشجار والنبات، ذكر كلام الوحوش

فصل في الحلى

فصل في المعادن

فصل في الصناع

فصل في السماء والنجوم والأزمان والرياح

وفي الكتاب 38 صفحة صغيرة فيها 18 سطراً وخطه حسن إلا أن فيه تصحيفاً، والكتاب ألفه ماهر في اللغة ممن كانوا في عهد ازدهار الأندلس أو في عهد استسلامها لما رأيته يستشهد بكتاب الأندلس وقد تتبعت غالب الورقات ولم أجد فيها ما يدل على وقت المؤلف فضلاً عن اسمه إلا أنه شلحي يريد تقريب فهم العربية لأبناء لسنه وقد كنت رأيت مثل هذا الكتاب أو هذا بعينه عند عميد المدرسة اليوسفية في الرباط مسيو "روكس"المستشلح، ومن قابل به ما هنا يعرف أهو هذا الكتاب أم غيره كما أنني ذكرت في الرحلة الثالثة مثل هذا الكتاب منسوباً إلى ابن تونرت بالنون لا بالميم وكيفما كان الحال فإن هذا على كل ما رأيته من هذا النوع على ما أخاله الآن.

46 - كتاب عادي قيد فيه ما نصه:

توفي الصالح الناسك العابد سيدي محمد التنميطي **أواخر صفر 1306هـ** قيده عبد الكريم بن أحمد بن عبد الله فلا نعرف الآن كليهما.

47 - فتوى بلقاسم الفقيه الهماني، فأفادني رب المثوى أنه كان عالماً من أواخر الثاني عشر ويشارط في هذه المدرسة ثم بنى داره إزاءها حيث أحفاده الآن، وهو من (أدعيسى) توفي بعد 1214هـ.

48 - شرح ابن السيد البطليوسي على (سقط الزند) بخط أبي فارس، ذكر لي

ولده أنه نسخه من خزانة (تامرا) فيكون لهذا الشرح هاتان النسختان مع الإزاريفية التي ذكرناها في (الرحلة الثانية) وهو كتاب نادر في (سوس) وإن كان موجوداً في غيرها، بل لعله مطبوع.

49 – طرف من (الإفادات والإنشادات) للشاطبي بخط قديم مدمج وهو طرفه الأخير وهو كتاب صغير عارضه كثيرون في بابه.

50 – كتاب عادي فيه ذكر الفقيه الفرضي الحيسوبي محمد بن مرزوق المنتاكي السوسي ولا أعرفه إلا هناك.

51 – شرح عقيدة سعيد بن عبد النعيم في نحو 70 صفحة متوسطة لييبورك أتمه[1] 1077 هـ نسخه أحمد بن سعيد بن محمد بن أحمد بن سعيد التيركتي الرسموكي لنفسه. وهو فقيه لا نعرفه إلا هنا، وقد جلد معه في مجلدة صغيرة مدمجة الخط، كتاب تتبع فيه تفسير غريب القرآن مرتباً على حروف المعجم وهو كتاب حسن مختصر في بابه كتبه المذكور أيضاً وكان لا يزال في الحياة 1200 هـ.

52 – نسخة من شرح سعيد الكرامي على ألفية ابن مالك ختمه 875 هـ بخط الفقيه سيدي محمد بن علي الرسموكي المزواري نسخة 1198 هـ فهذا عالم آخر من علماء الأسرة المزوارية أسرة العلامة إكّيك الرسموكي الشهير.

53 – كتاب عادي فيه ما كتبه ييبورك على شرح الأجرومية لمعاصره أحمد بن علي البعقيلي، وقد أثنوا على هذا الشرح ثناءً طويلاً فقالوا:

ومن طلب النحو العزيز فقل له ... مقدمة الجروم خذها وحصلا
معانيها في شرح ذا الشيخ إنه ... حوى كل ما تريد زره مؤملا
علوماً من المولى الكريم فإنه ... يباهى به بل قد يزيد التبجلا

أبيات مهلهلة ولكن سقناها كشاهد لما يقال عن ذلك الشرح وقد قيدت

(1) كذا، مع أن ييبورك مات قبل 1060 هـ و الغالب أن ما هنا تاريخ النسخ لا تاريخ التأليف.

الأبيات إزاء شرح وسط على الجرومية، فإن كان هو المقصود فإنه دون ما يقولونه عنه.

54 - تلخيص المقال في بيوع الآجال للأستاذ المثني عليه من سيدي عبد الله ابن يعقوب أحمد بن علي البعقيلي في نحو 13 صفحة في 25 سطراً كان في وسط مجموعة نسخها الفقيه الحسن بن أحمد الإبراهيمي التانوتي البعقيلي الوجاني، ولم يؤرخ وقت النسخ، وهذا الناسخ لم نعرفه إلا هنا، وخطه حسن، وهو من الدغوغيين[1] التانوتيين، ولا ندري في أي عصر كان بعد الحادي عشر.

55 - مؤلف لموسى بن يعزي بن موسى الإيلالني من أعلى وادي أملن قال فيه: لما وقفت على تقييد لوامع التعريف، ومطالع التصريف، لمحمد بن محمد المرجاني بذلت جهدي في فهمه، وتطلبت في هذا الفن شيخاً فأعوزني. ثم رأيت مناماً من أفادني ما أريده، ففهمت كل ما أريده، فبادرت إلى تقييد ذلك خوف النسيان، والكتاب في 10 صفحات مدمجة الخط، وموضوعه التصريف في الأكوان بالجداول المركبة على أسرار الحروف و(مطالع النجوم) وهذا المؤلف لا أحسبني أعرفه قبل، وهو مملوء بالجداول والأوفاق، وهذا علم يقل جداً أربابه اليوم، حتى ليحسبه الجاهل به إفكاً وزوراً وتضليلاً، ومن جهل شيئاً عاداه، والمجموع الذي فيه هذا المؤلف جميع مؤلفاته في الأوفاق والجداول وما يتعلق بعلم التوقيت والفلك، وموسى بن يعزى هذا لا أعرفه قبل اليوم.

56- شرح متن لا أعرفه فيه طول أوله: الحمد لله معناه المدح بكل كمال لله الخ، نسب في الأصل لعلي بن أحمد الرسموكي فكتب عليه الفقيه عبد الملك بن عبد الكريم السوسي الهوازلي أنه لسيدي ييبورك لا لعلي، ثم تعقبه بعضهم بأن أوله لعلي، وآخره لييبورك، فصح لهما معاً

(1) يذكرون إن شاء الله في الثامن عشر من (المعسول).

وموضوع الكتاب التوحيد، وليس بالسنوسية الصغرى، وقد انبتر أخيراً، وفي الموجود منه 72 صفحة في 23 سطراً بخط رفيع ثمين مدمج ومن هو عبد الملك الهوزالي؟ مر بي اسمه قبل اليوم، بل مذكور في الرحلة الثانية.

57 - كتاب يوجد في مجلد ضم كتباً مجموعة من الطب، وجملة وافرة من تفسير أمراض وأعشاب وأودية بالشلحة بقلم أبي فارس، وفي ذلك فوائد كثيرة، وكأنه يريد جعل ذلك مؤلفاً خاصاً إن لم يكن ينسخ في ذلك كتاباً على تلك الكيفية، ثم إنني وقفت بعد كتب كل ما تقدم على قوله، انتهى من (كشف الرموز) للفقيه عبد العزيز الرسموكي، التقطنا منه ما نحتاج إليه في الوقت انتهى من خط سيدي محمد بن عبد الله بن يعقوب فعرفنا أن هناك مؤلفاً يسمى (كشف الرموز) لعبد العزيز الرسموكي القاضي المتوفى 1065 هـ، وقد وقفت هنا على أن محمد بن عبد السميح الفقيه والد الأديب أحمد توفي الأحد 19 شوال 1041هـ بتارودانت وذكر أن في مدرسة أدوز نسخة من السمرقندي بخط أحمد الأديب ولده، وتوفيت زوجته فاطمة بنت محمد التييوتي ضحوة الأربعاء 22 - 4 - 1035 هـ أي زوجة محمد لا زوجة أحمد.

هذا ما ظفرت به هناك زيادة على فوائد أخرى تتعلق برجال نذكر ما يفيد منها: الفقيه سيدي الحسن بن هموش البعمراني ممن تخرج بالشيخ سيدي مسعود المعدري ثم لازم الجولان النوازلي (ببعمرانة)كل عمره، مات أوائل هذه السنة 1363 هـ.

الفقيه سيدي الحسن بن إبراهيم الماسي الجعفري من أبناء سيدي علي بن موسى جد آل عبد الله بن بلقاسم رؤساء[1] (تاسيلا) وهو من المتخرجين بأبي فارس كان يجول في النوازل أولاً، ثم غلبه انقباض وزهد وتصوف، لأنه ممن كرع من تصوف أستاذه المذكور، وإنما كان يشارط ويعلم القرآن في مسجد

(1) ذكروا في الرحلة الثانية.

أيت مريبط، وكان يزور غالباً الفقيه الصوفي السيد مبارك بن مسعود نزيل أوخريب، وكان يحب الخمول حتى أن الناس استسقوا به إماماً في صلاة الاستسقاء فأمطروا قريبا فبكى كثيراً خوف أن يشتهر بمثل ذلك، ولم يزل على حاله حتى توفي في السبت 25 رمضان 1342 هـ.

الفقيه أحمد بن محمد بن عبد الله الهماني التيمجاطي نوازلي حسن، له جولان في الحكم بين الناس طوال حياته، أخذ عن سيدي مسعود، وكان يفتي أيضاً مع المفتين في تلك الناحية، توفي نحو1340 هـ وجده عبد الله هو عبد الله بن بلقاسم الفقيه المدرس الذي ذكر في أوائل القرن الماضي أو أواخره.

الفقيه سيدي محمد بن أحمد أبو النية ممن تخرج أيضاً بسيدي مسعود المعدري وهو النوازلي المشهور، كان يعاصر من قبله ويفتي معه أو ضده، مات قبل 1330 هـ وقد وجدت بخطه ما يدل على أنه كان يأخذ عن سيدي مسعود 1298 هـ مختصر خليل.

الفقيه مبارك بن صالح، وجدته يفتي مع الأستاذ العلامة أحمد بن إبراهيم السملالي، وعلي بن صالح أخي سيدي الزبير، فلم أعرف عنه غير هذا لعله توفي في أول هذا القرن لأن أحمد بن إبراهيم قرينه توفي 1303 هـ.

الفقيه سيدي محمد بن باحمان الأنزييي البعقيلي تخرج بسيدي العربي، وقد كان له تفوق في الفرائض فأخذها عنه الأستاذ أبو فارس وأجازه، ولم يتوصل من أحد أشياخه بإجازة سواه[1].

تلك هي فوائد سيدي بعبدلي، وياليت الزمان يساعد فنطيل المقام حتى نستكشف كل ما هناك، فإنا لم نر إلا بعض الكتب، لأن الكثير منها لم يكن بالمدرسة، فإن في دار الأستاذ بأدوز طائفة، كما أن في دار له بإيغير نبونعمان طائفة أخرى، فللفقيه ثلاث زوجات، إحداهن معه في المدرسة، واثنتان هناك في تلك الدار التي في إيغير نبونعمان، فقد تزوج في هذه السنة بنت سيدي

(1) ذكر في مشيخة سيدي عبد العزيز الأدوزي في الخامس من (المعسول).

مسعود بن محمد بن مسعود المعدري.

وقد كتبت للأستاذ حين رأيت من أخلاقه اللطيفة ما خلب لبي أكثر مما أسمع:

اسمع ما أسمع مذ زمن عن أي خلق ذاع عنك سني
فإذ رأيت ما رأيت غدت نواظري تغبطها أذني

وهذا المعنى مطروق من قديم عند متنبي الشرق ابن الحسين ومتنبي الغرب ابن هانئ كما يعرفه كل أديب يستحضر الأدبيات.

ثم لما أزمعت الرحلة كتبت إلى الأستاذ هذه القصيدة، شكراً له على ما قام به نحوي من حسن الضيافة، والصبر حتى نلت بعض ما أريد.

لمثلك أيضاع المطهمة الجرد إذا كنت ذا مثل بعصرك أو ند
رقيت مقامات تقاعس دونها لدات وإن كانوا ذوي العزم والجد
يقودك حظ قد ورثت سعوده فكم لك من أب سعيد ومن جد
فمن رضع العرفان من ثدي أمه يكون خضماً ليس ينفك عن مد
لكل بني قوم فخار وإنما فخار الأدوزي التفوق في المجد
شبابهم كالشيب فهما ودرية أتشبه أشبال الأسود سوى الأسد؟
سلاسل نضر مذ قرون تتابعت بسوس فكم شكر يحق وكم حمد
توالت شموس مشرقات فمن ترى تراه الهمام الفذ كالجوهر الفرد
عقود علوم فصلت جنباتها بتقوى، وهل علم بغير تقى يجدي
فكلهم أعلام فضل وسؤدد وأبحر كل الخير والجود والرشد
أطباء في التدريس بالمرهم الذي يزيح غشاوات عن الأعين الرمد
فكل فتى يجثو أمام دروسهم فأجدر به أن يلمس النجم بالايدي
فإن لهم بكل بحث مهارة مقطرة لابن الهمام أو السعد
وأما إذا قالوا القريض فإن ما يشورون في الأشعار أحلى من الشهد
فسبحان من أبقى أدوز مثابة لأشتات كل العلم والشرف العد

أبـا سـالـم لـلـه مـا أنـتـم عـلـى محجته منذ القيام من المهد
تلقون علماً صافياً من حجور من يربونكم تحت العناية والسعد
فلا تدركون الرشد حتى يضوع عن صبيكم في العلم أذكى من الند
فيستبق الجهال كي يكرعوا لدى معارفه من كل وهد ومن نجد
فكم منن قلدتمو كل من أتى نظيري يريغ العلم منكم ويستجدي
فهاأناذا ريان من علم كتبكم فأرجع بالشكر المردد والحمد
وقد شمت في مثواكم كل منفس وشاهدت كيف الجود ينهل كالجود
فتستودعون الله من نجل أختكم محباً شكوراً لن يزال على العهد

هذه المدرسة (البوعبدلية) من كبريات مدارس سوس، فقد كان مر فيها الأستاذ سيدي محمد بن محمد بن أحمد الأدوزي جد رب مثوانا اليوم، كما مر فيها العلامة سيدي الحاج الحسين الإفراني، وسيدي المحفوظ الأدوزي، وسيدي عبد العزيز أبو فارس والد رب مثوانا الآن، ثم الأستاذ سيدي عمر ابنه، ثم هذا الأستاذ أبو سالم، والذين يشارطون المدرسة ويعينونها يصلون أحياناً إلى ألف كانون، وقد ينقصون إلى ما تحت ذلك في المساغب، والعادة أن يأتوا بثلث أعشارهم إلى المدرسة لمئونة من فيها على العرف في كل المدارس السوسية، ثم يدفعون من عندهم لشرط الأستاذ صاعاً لكل كانون وهي ثلاثة آصع نبوية سنوياً، مع إدام بإناء معلوم يكون فيه لتر وربع، إلا أنهم اليوم ردوه إلى لتر، فيكون من السمن إن كان، وإلا فمن الهرجان، فهذا الذي يشارط به أستاذ هذه المدرسة أجرة وافية.زيادة على أن الأستاذ يكون في يده جميع حبوب المدرسة من الأعشار يمون بها الطلبة ونفسه ثم لا يراقب عمله، ولهذا ترى هؤلاء الأساتذة متمولين في الجملة. ونحن إن نظرنا إلى أجرة المشارطة حبوباً وإداماً، وقدرنا للزرع 200 عبرة فقط، وقدرنا للإدام 400 لتر من السمن ومثلها من الهرجان، وجعلنا ثمن العبرة ثمن اليوم[1] 300 فرنك، وللسمن 150 فرنك. وللهرجان 100 فرنك، نجد من ذلك مالية معتبرة في

(1) سنة 1363 هـ.

أمثال هذه الأزمنة، وفي مثل هذا الصقع الفقير زيادة على أن فتوحات مشهد سيد بوعبدلي تكون خالصة للطلبة والأستاذ كالذبائح فيكون ربعها للطلبة والنصف للأستاذ، والربع للأضياف الذين أتوا بالذبيحة، هذا خلاف الدجاج، فإنه يكون للطلبة خاصة، وقد يوجد عندهم اليوم، مع أن الناس لا يجدونه حتى في الأسواق وقد أدرك ثمنه 80 فرنك أو أكثر في هذا الوقت.

ويقام موسم كبير على هذا المشهد سنوياً وفي اليوم الذي يماثله يقام مثله للنساء خاصة، على العادة في مواسم كثيرة من اتباع مواسم النساء الخاصة بمواسم الرجال الخاصة كموسم سيدي أحمد بن موسى وموسم إيسك وموسم تاديغت وأمثالها وهناك في تاماشت يوم في السنة يقام فيه موسم للنساء خاص، والغاية قديماً في مثل تلك المواسم الزيارة للأضرحة والعبادة وإحياء الليالي بالصلاة على النبي ﷺ، وقد عرفنا نساء عجائز كن يأتين من بعيد إلى (تاماشت) (إداوبعقيل) وكن صالحات يحضرن وعظ النساء الواعظات المرشدات وما أكثرهن إذ ذاك، ثم استدار الزمن إلى أن كن لا يجئن إلا للبيع والشراء والتبرج فقط، وقد كان ذلك الموسم في تاماشت وما يقع فيه من المناكر سبباً لسيدي محمد ابن أحمد التاسكاتي حتى خرج من عند شيخه سيدي علي بن إبراهيم الأدوزي جيران تاماشت وذلك في أواخر القرن الثاني عشر حين رأى بعض المنكرات التي لا يقدر أحد أن يغيرها، فليعرف التاريخ هذه المواسم للنساء خاصة لتعلم الدين والإرشاد.

وعدد الطلبة اليوم في المدرسة البوعبدلية 26 يجتهد معهم الأستاذ في تدريس المختصر والتحفة والألفية والمقامات الحريرية والفرائض، وقد سمعته يتأسف على عدم تأهل الطلبة ليشتغل معهم بالعلوم التي هي المقاصد من تفسير وحديث، ويحكى عن أبيه أبي فارس أنه يقول: إنما نحن حمر الأمهات الصغرى، فلا نكاد نتجاوزها فنفرح بالطلبة إذا هم طاروا عنا فيأتي آخرون فيبتدئون، فنحتاج إلى أن نفتتح معهم ثانياً، وهكذا دواليك فلا نتفرغ قط للعلوم العليا التي هي المقصود بمتون الوسائل.

وذكر أيضاً أن حال أهل البادية هذه لا تذرهم والتقدم، فصار يثني على ما

تهيأ لعلماء الحاضرة، وكان يظن أن علماء الحاضرة توفر لهم كل شيء، فتفرغوا للعلم مع أن الواقع أن غالب من ظهرت منهم الفائدة من علماء الحضر في عالم التأليف والتدريس مدقعون فقراء وإنما صابروا ورابطوا، يتبلغون بما تيسر، ويقتنعون بما سنح فأين منهم من يكون مثل هذا الأستاذ الذي لا يكون له شغل شاغل إلا في وقتين في السنة، وقت الحرث، ووقت الحصاد، وفيما سوى ذلك يتفرغ للعلم مع كونه مكفي المؤونة في مدرسته، زيادة على الجاه الذي يلازم أمثاله من أساتذة المدارس الكبار، نعم إن الفرق الظاهر بين أستاذ الحضر وبين أستاذ البادية هو مجال الدراسة، فإن من يتعالى إلى الآفاق العليا في التدريس، قد يجد في الحضر ما لا يجده في هذه البادية، لتوفر طبقات من كل نوع في مراكش وفي فاس على الآن 1363 هـ.

هذا وقد أعجبني حال الطلبة في المدرسة البوعبدلية في ملازمتهم للصف وتبكيرهم قبل الفجر بنحو ساعتين، فتسمع للمدرسة دوياً كدوي النحل في السحر من قراءة القرآن وتكرير المتون المحفوظة، وكذلك في الأصبحة عند الأسفار، تراهم يحفظون الأمهات في الألواح، وأين هذا الحال مما عرفناه في الحواضر، حيث يغلب النعاس على غالب الطلبة إلى الأسفار فما بعده، فقد جال في ذهني أن الواجب في المستقبل يوم يفكر السوسيون في تعليم أولادهم التعليم العالي المجدي، وأن الأولى لهم استيراد الأساتيذ إلى مدارسهم، محافظة على هذه الهمم وعلى هذه الأخلاق، فإنها إذا اندثرت أحوالهم المتينة الأخلاق بأحوال الحاضرة كما نعرفها اليوم، فما أبعد إحياءها من جديد[1] إلا أن يشاء الله، اللهم إذا أريد اختتام الدراسة النهائية فإن المحتم اختتامها في مثل فاس حيث الذهن الثاقب، والفكر الصقيل، والفهم والذكاء، والنباهة والحذق التام، فإن مجموع ذلك مفقود اليوم في سوس بلا ريب، ولا يجهل هذا من السوسيين إلا من لازم حفش أمه طوال حياته، فلم يعرف البلاد ولا مزايا البلاد.

---

(1) كتب هذا 1363 هـ ثم لما تيسر فتح المعهد الرداتي تأسس على هذا المبدء، فقد حافظ المشرفون على إدارته على المعهود من أخلاف السوسيين الدينية فيلزم التلاميذ حضور الصلوات في الصف جماعة ونطلب الله أن يحفظ تلك الأخلاق من الانهيار.

دخلنا المدرسة البوعبدلية ظهر يوم الاثنين فبقينا هناك إلى ظهر يوم الخميس ثامن ذي القعدة 1363هـ فودعنا الأستاذ بعد ما شيعنا وقد ناولني هذه الأبيات:

حـبـوتـنـي بـلـئـال فـقـوي بـهـن غـنـاء
لـيـس جـزاءك عـنـدي مـيـم ودال وحـاء
إن جـزاءك عـنـدي راء وواو وحـاء

بونعمان:

كنا مررنا بالمدرسة البونعمانية مذهبنا إلى تلك المدرسة ولكننا ما عدونا أن جلسنا فيها قليلاً عند أستاذ المدرسة الشاب سيدي البشير ين أحمد بن مسعود المعدري، ثم ألممنا بها الآن عند الرجوع فدخلناها والأذان للعصر يملأ المسامع، فزرت مشهد سيدي علي بن مسعود وهو صالح قديم لم يعرف له تاريخ ولعله من (آل يعزى وهدى) المشهورين هناك بكثرة القباب، وقد استدار به بناء يحتوي على بيت يقفل وأمامه قبر المذكور، تعلو جدرانه قليلاً، وقد التصق بالجدار الشرقي للقبر، قبل لدتي وحبيبي ورفيقي زمن انقطاعي على المدرسة البونعمانية 1332 هـ الشاب النجيب الذكي اللبق العلامة الدراكة سيدي أحمد بن محمد بن مسعود، فترحمت عليه الترحم الوارد على المقابير ثم مررت بالعين بالونعمانية المسامتة للسوق التي تقام كل يوم جمعة فوجدتها مبنية أحسن بناء، فقد جعل سياج بجدار يحفظها، وبنيت فيها مراق عصرية فنزلت فيها إلى الماء فرأيت مغسل الثياب ومخرجين للماء أحدهما أوسع من الآخر، فتناولت من الماء الصافي السلسبيل بيدي شربة حلوة، لأننا ما كنا نشرب في المدرسة البوعبدلية إلا ماءً عكرا أحمر من مياه الغدران والنطفيات وهو بعد لم يصف كما هو العادة من مياه النطفيات، فما كنت أستسيغه إلا بمشقة، فليت شعري كيف يصنع هنا من أولع بتصفية ماء الشرب من هؤلاء المولعين بالتحفظ من الجراثيم في كل شيء لو وقف مثل موقفي هذا، فلا ريب أنه يراه ماءً ملوثاً بما تراه العيون، وبما تلمسه حتى الأيدي، بله ما لا تراه العيون من الحشرات الرقيقة - المكروبات - فنعوذ بالله من الوسواس الخناس

الذي يوسوس في صدور الناس، فالحمد لله حيث قرر الأطباء أن من الجراثم ما هو الضار والنافع فيدفع هذا ضرر ذلك، فقد رأينا أولئك الذين يشربون ذلك الماء العكر لهم قوة تذيب الفولاذ.

أما المدرسة البونعمانية فهي من أكابر المدارس السوسية في البناء وإن كان بناء غالبها ساذجاً، فبيوتها تناهز 100 على ما قيل لي، مع أن بيوت البوعبدلية لا تتجاوز 30، على أن عمارتها كان في عهد الأستاذين الأدوزيين أبي فارس والمحفوظ وقد يبلغ من فيها المائة من الطلبة، وهواء بونعمان وطيبها أحلى في القلوب من جارتها بمراحل.

كانت المدرسة البونعمانية قرآنية أولاً، ثم مر فيها فيما نعلم في أوائل القرن الماضي وأواسطه الفقيه محمد الماسي، وابن حسين الأݣلويي، ومحمد ابن أحمد الأدوزي، وأحمد اضارضور الإيكْراري ثم ألقى فيها الأستاذ سيدي مسعود جرانه من 1279 هـ فدامت في يده وفي يد أولاده إلى الآن 1363 هـ بعد مرضه بسبب قرحة خبيثة تحت كتفه الأيسر من ظهره، بقي تحت شدتها 15 يوماً فداوته امرأة جاهلة متطببة، فصادف ذلك أجله المحتوم، ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعرَاف: 34].

غلط الطبيب علي غلطة جاهل ... عجزت موارده عن الإصدار
والناس يلحون الطبيب وإنما ... غلط الطبيب إصابة الأقدار

حكى ولده سيدي البشير أنه لم يزل مثابراً على الذكر، فقد جعله هجيراه في أخريات مرضه حتى لقي ربه، وصلى عليه جم غفير من كل من وصلهم الخبر، فكان إمام الصلاة الأستاذ سيدي إبراهيم بن عبد العزيز الأدوزي، فدفن في براح من الشرقي الشمالي للمدرسة، وقد نووا أن يديروا به بناء، ثم بعد نحو شهر اجتمع زهاء 1300 من أتباعه من الفقراء المنبثين في (أزغار) من كل القبائل، فأقاموا موسماً كبيراً جمعوا فيه من العجول الشيء الكثير وخيراً من كل شيء، وقامت القبيلة بالضيافة بوقوف الرئيس الشيخ مومو، ثم اتفقت القبيلة على الأستاذ سيدي البشير فأقاموه مقام أبيه في المدرسة، وقد كان هذا المقام أدركه اصحاب الفراسة فيه في حياة والده، ثم صدقت فيه

الفراسة[1] والحمد لله.

جلت في المدرسة وتعهدت مكان الدراسة أمام المصلى وسطحه، وذكر لي الأستاذ سيدي البشير أن أبا مهدي صاحب قبة صغيرة ملاصقة بالجدار الشرقي للمسجد، كان من أيت يعزى ويهدى وهو رئيسهم، وكان والده الأستاذ سيدي أحمد يقول ذلك وهناك مقبرة قديمة جداً عدملية ومثلها أخرى فيها قبة الرجل الصالح سيدي محمد بن عبد الله الذي يقرب عقده من هذا الوقت، وللناس فيه اعتقاده، ولا يزال أحفاده أحياء.

وقد كان هذا المكان معروفاً بزوايا بني بونعمان من آل يعزى وهدى وقد جرى ذكر لذلك في كلام ابن خلدون في تاريخه حين ذكر ماسة وإفران وذكر بينهما هذه الزوايا، وأضافها إلى بني نعمان ونحن نعلم أنهم من هؤلاء البكريين آل يعزى وهدى الشهير والمقصود به من كانوا من أهله في القرن الثالث والرابع على ما يظهر، لأن ذلك الوقت هو وقع فتح هذه البلاد، أعني إتمام فتحها الذي ابتدأه عقبة سنة 62هـ. ثم صار فيه الأدارسة أشواطاً، ويظن أن المجاهدين الذين يذكرون من أسلاف آل يعزى وهدى كانوا في أوائل الدولة الإدريسية، وأما يعزى وهدى نفسه فإنه يعيش في آخر القرن السابع إلى أوائل الثامن، ولد سنة 646 هـ وتوفي سنة 726 هـ وقد أقام في زاويته في أسا، والنعمانيون هؤلاء كانوا قبل الثامن، وقد رأيت فيما تقدم أن ابن خلدون ذكرهم نحو 765 هـ في تاريخه، بل تقدم في الرسم الذي ذكر فيه (سيدي بو عبدلي) أن الشاهدين فيه منهم، وذلك مؤرخ 677 هـ فهؤلاء يوجدون في القرن السابع، إن لم يكونوا ابتدأوا قبل ذلك ولا يزال أحفادهم في بونعمان إلى الآن ولهم قرى خاصة من جملتها قرية انتقل إليها بعضهم تسمى أدوار إكْرامن إزاء قرية (الأرجام) ولم تبعد عن بونعمان إلا بنحو ست كيلومترات فقط ولا يزالون يحافظون على أنسابهم إلى الآن وبعضهم يدّعي الشرف لجهله بأنهم بكريون ولا غير. والذين يسمون (آل

(1) ثم إن ضعفا أدركه فتسلم ابن أخيه الأستاذ أحمد بن محمد المدرسة فقام بها خير قيام، فعمرها بالمعارف بجد واجتهاد وملازمة، وفي آل مسعود كلهم خير، ضعيفهم وقويهم.

الدقيق) في (أكال ملولين) انتقلوا من هذه القرية وفيهم علماء[1].

والمدرسة البونعمانية مدرسة كبرى في جرمها وفي مشارطيها فإن عددهم 1500 كانونا أو أكثر، وكلهم يدفعون أعشارهم إليها كما يدفعون أجرة الأستاذ على غرار ما ذكرنا في سيدي بعبدلي وفيها الآن من الطلبة زهاء عشرين.

كانت المكتبة (المسعودية) أمدتني قبل اليوم بغالب فوائدها، وقد أمررت بصري اليوم على بعض كتبها المخطوطة وهي التي في حوزة الأستاذ سيدي البشير بعجلة، فكان مما رأيت فيها ملفقات الأستاذ إبراهيم بن محمد الكّادرتي في 76 صفحة نسخت 1311 هـ وقد تتبع فيها أبواب ألفية ابن مالك فيجمع الأبيات التي من العادة أن يحفظها الطالب في كل باب، ونسخ الكتاب موجودة، كما رأيت هناك فتاوى كثيرة للأدوزيين وابن مسعود ومعاصريهم المتأخرين وأخريات لداوود بن علي التودماوي.

ولا أزال أتأسف حين لم يمكن لي أن يتهيأ لي ما أريد من جمع فتاوى المتأخرين بعدما جمعت بعضها في مجلدتين، وذلك من قلة المعين. وقد كنت ندبت على جمعها الفقيه العلامة سيدي محمد بن عثمان الإيكّراري فجمع منها ثلاثة مجلدات.

العوينة:

غادرنا (بونعمان) بين العشائين من يوم الجمعة فوصلنا قرية (الأرجام) فنزلنا في الزاوية التي هي في دار صهرنا[2] الصوفي الزاهد المنبسط الكريم سيدي إبراهيم بن محمد بن اليزيد التازاروالتي الأصل، وقد كنا بتنا عنده يوم الأحد الماضي مخرجنا من تزنيت، وقد مررنا ذلك النهار بقرية (إيغبولا) التي هي ضيعة خاصة لآل إيليغ التازاروالتيين وفيها حقول كثيرة وأشجار الزيتون، كما أن هناك أراضي بورية لهم، فزرنا مشهد أم هدوز السيدة فاطمة الشريفة الصالحة التي لها من الكرامات والقوة الروحانية العجب العجاب وقبرها في

(1) ذكر من تيسروا من آيت يعزى وهدى في العاشر من (المعسول).

(2) توفي صهرنا هذا حوالي 1370 هـ.

بويت مبني على قبرها إزاء قبة الشيخ أبي زيد المجهول التاريخ، ولا عقب له، وتوفيت هذه الشريفة من أبناء سيدي أحمد بن موسى نحو 1321 هـ وهي ممن كرعن من بحر الشيخ سيدي سعيد بن محمد المعدري رضي الله عنه، ويعيش الآن أحفادها فقد حضرت امرأة مسكينة منهم حين رأتنا عند قبر جدتها، وأخبار هذه السيدة الشريفة ذكرناها في كتاب (من أفواه الرجال) وربما نلم بها في الثاني عشر من (المعسول) إن شاء الله.

صلينا العشاء في دار صهرنا المذكور أنا والفقيه نائب القاضي في هذه الجهة وهو سيدي عبد الله بن محمد العويني الأدوزي[1] الأصل. وقد كان جاء فوصلني في بونعمان هو والرئيس الشيخ مومو، ثم صاحبني إلى مبيتنا هنا، فبتنا خير بيات عند ذلك الشريف المسن الذي يبلغ 83 سنة في عمره، ولكنه شاب الأريحية والانبساط. فاسترجعنا منه قوة ونشاطاً، وهمة وعزيمة، وقد رأيت له كرامة. فقد أيقظني ذكر الجهر من نومي وقد تحققته، ففتحت باب منامي فانقطع فقلت له: أحتى الجن تربيهم في زاويتك، فقال لي بالبسط، وأي شيء يفلتهم من يدي.

وقرية (الأرجام) يقطنها الآن جالية من (رسموكة) مثل قرية (قصبة البودراريين) وقد كنت أعرف سنوات 1332 هـ رئيساً هنا يعرف بمحمد بن العربي وهو شجاع مقدام يحب العلماء ويعد نفسه من أتباع الأشياخ المسعوديين، وهو الذي وقف حتى بنى السور على هذه القرية، ولكنه لم يبطئ، فهدمه القائد الطيب الكنتافي حين كان في (تزنيت) 1335 هـ - 1339 هـ وهدم دار الرئيس المذكور، لأنهم حاربوه ثم لم يقدروا على مقاومته.

وعند زوال يوم الجمعة توجهت مع الفقيه المذكور على داره بـ(العوينة) فاخترقنا بساتين قرية (قصبة البودراريين) فرأيتها أشبة الأشجار، ملتفة الأغصان مخضرة بالبقول وبالذرة التي كادت تدرك ولا تسقى هذه البساتين إلا بالسواني، ويستعملون البقر في رفع المياه بجلود البقر المدبوغة - المكْروض -، وقد

(1) ذكر بين أهله في الخامس من (المعسول).

استنبتوا من شجر النخيل ما يفتلون من أوراقه الحبال فتكفيهم، ولرطوبة هذه النواحي من هنا إلى (كْسيمة) تصبر هذه الحبال، فلا تنقطع بسهولة، وبهذه الكيفية قامت البساتين من هذا المحل وفي هشتوكة وكْسيمة، فقلما تلقى داراً لا بستان فيها في كل الأمكنة التي تتوفر فيها الآبار ويقرب منها الماء ليستنبط، وتكاد هذه البساتين في بسيط هشتوكة تتصل في غالب قبائلها، ولو تكونت جمعية فلاحية تراقب هذه البساتين وتمد الإعانة والإرشادات إلى أهلها وتدلهم على الطريقة القريبة التي يمكن فيها نيل الثمرات المجدية، لكان غالب هذا البسيط الممتد من جبل أيت برايم إلى جبل ماسكْينة سواداً واحداً يقوم بآلاف من الأسر، فيزداد عمران هذا البسيط وتكثر فيه الأشجار، وتتنوع الخيرات، وتكمل ما ينقص من رفاهية السكان واتساع معيشتهم، والمياه الجارية من العيون تقل جداً في طول هذا البسيط وعرضه، وإنما توجد في بونعمان وفي أمكنة شتى من أرض قبيلة أيت جرار، وفي وجان، وفي العوينة، وفي أكْلو، وفي تزنيت، ثم في وادي ماسة، حيث يسيل وادي ألغاس، وإن كان غالب أعاليه إنما ينتفع فيه بالآبار على الكيفية المتقدمة، ثم تتخطى كل بسيط هشتوكة إلى أن تصل وادي سوس، ثم تطلع إلى أعاليه وأطرافه في المكان الطويل الذي نسميه الآن رأس الوادي في عرفنا وقد قدرت كل هذه الأراضي المنبسطة بـ 500,000 هكتاراً، وقدر ما يمكن أن يسقى منها بالمياه 100,000 هكتار لا غير، فإذا نظرنا بنظرتنا نحن التي تعتبر أيضاً الآبار، وتعطيها نصيبها من الاعتناء، فإن العدد يزداد كثيراً وربما لا يبقى من كل تلك الأراضي المنبسطة إلا نحو خمسها وهو ما لا يتأتى فيه استنباط المياه ما لم تستنبط على الطريقة الأرتوازية أو على طريقة السدود كما فعلته الحكومة أخيراً في وادي الغاس إن نجحت في إتمام عملها فيه، وأمكن له هو أن يؤدي المهمة، وأياً كان فإن هذه الأراضي المنبسطة الغنية السهلة منجم عظيم لسوس لو كان من يستنهض الأهالي ويعلمهم علم الفلاحة والغراسة والزراعة تعليماً عصرياً، ثم يفتح لهم الأسواق التي تعود عليهم بالنفع وتشجعهم للعمل، فمتى توفر كل هذا فإن الحياة ستدب في هذه البسائط

وتسكن جوانبها وتكتظ بالعمران، وليس ذلك بخيال، فإن همم الرجال فعالة إن شحذت بالعلم والتشجيع، ومقصودنا بالعلم هنا علم الفلاحة الذي يعلم الإنسان ما تصلح له كل أرض، وأوقات الزراعة، وكيف ترقية المزروعات، وكيف يتسابق فيها وكيف تعالج الفواكه ليتأتى إصدارها مصونة إلى أسواقها التي تدر بما تفعوعم به الجيوب ويفتر له ثغر الفلاح، وكيف يطيب له استبدال آلة السقي التي يعتادها الآن بآلة عصرية رخيصة ما لم يكن ذلك علم من الفلاح وعن معونة وتوجيه من الحكومة[1].

مررنا بدار تبين عن يسارنا قبل أن نصل إلى مقصدنا وهي تقرب إلى سفح الجبل لها سور كبير وأبراج فأخبرني رفيقي أنها لعبد الله بن عشا وكان غنياً مثرياً من الفلاحين من سكان قرية أݣادير الأسفل وكان من كبار أهله في عهد الحاحيين وقد بنى داره هذه بعد 1320 هـ فسكن فيها بأهله وأخويه وفي الداخل ثلاث ديار لهم ثم استدار بها السور وهناك آبار يستقون منها وقد نهبت داره فيما نهب أيام اندفاع الأعراب أيام كفاح الهيبة إلى هذه الجهة 1331 هـ فنهبوا أيت برابيم قبل نهبهم لأݣلو بعد ذلك بنحو سنة، فذهب كل ما يملكه ابن عشا من مطامير الزرع، ولم تبق إلا واحدة، وقد كان التزنيتيون وأهل (العوينة) عمروا داره بخيلهم إذ ذاك فأبى أن يدفع لهم الشعير لخيلهم فنفروا عنه فذهب كل ما هناك، فإذ ذاك أصبح فقيراً لم يبق بيده إلا قليل، فلم يتوف نحو 1339هـ حتى قل ما بيده، وقد خلفه أخوه الحسن في داره فعاش إلى 1355هـ فأصبح أولادهم فقراء الآن، فصاروا عبرة لمن يعتبر.

نزلنا الظهر في دار رفيقي الفقيه سيدي عبد الله فقابلني من الأنس والانبساط وانشراح الصدر ما كنت عاينته في هذا المكان في رحلتي الأولى إليه - كما في الجزء الأول من هذا الكتاب - وفي العشي جلنا بين الأشجار والبساتين والحقول مع رب مثوانا ومع أخيه الفقيه الساكن النامة سيدي

(1) كنا كتبنا هذا سنة 1363 هـ والبلاد تستعمر، أفليس يجب أن ينفذ كل ما قلناه الآن والاستقلال يظلنا بأجنحته سنة 1379 هـ هذا وقد صارت الآلات الرافعة للمياه من الآبار تحل محل العمل القديم من رفع المياه بالبهائم والمكْروض.

إبراهيم[1] حتى وقفنا على قرية (تيكّيوت) الخربة حيث مقتل بوحلاس عام 1207 هـ، فوقفنا بين أطلال القرية الكثيرة إزاء مجرى العين العميق على مكان نبتت منه شجرة الهرجان - وهي صغيرة جداً - فقيل لنا أن بوحلاس[2] كان لما قتل بعد ما حوصر في دار رمي في مطمورة موقدة ثم ردموها عليه، فمنها نبتت تلك الشجيرة، وقد كان يسكن هذه القرية من يسمون (أيت بو نوح) فخذ من أيت بونوح المشهورين إزاء (أمانوز) انتقلوا من هناك فيما يذكرن وقد كان عشرة من الفرسان منهم ذهبوا على تامانارت لغرض لهم، فصادفوا أمامهم أخبار بوحلاس الساحر الذي يجول في جيوشه لعلهم لاقوه في (إفران) فعاينوا من سحره ما خلبهم فقدموه إلى بلدهم، فأتى به ظلفه إلى حتفه، وهناك فريق آخر من أهل العوينة يسمون (أيت تلمشت) هم أهل الشيخ موسى الرئيس الحالي كانوا لا يزالون يقاتلون الفريق المتقدم، ويخالفونهم في كل شيء ولذلك لم يقبلوا بوحلاس حين أتى به (لآل بونوح) فحاربوه فجاء التاسكاتي والهشتوكيون والولتيتيون فأعانوهم حتى خربوا قريتهم (تيكيوت) تخريباً، فلم تعمر من ذلك الوقت، وأطلالها متسعة ولا يزال غالب جدرانها قائماً مع أطلال مسجدهم وبعد ذلك سكنوا مع الفريق الآخر في قرية واحدة، هذا ما حكي لنا، وقد أدير سور له خمسة أبواب بغالب قرية (العوينة) وقد مر واد بين الديار وهو وادي أدودو والزيتون فيه نحو 4000 شجرة.

وقد سألنا عن أحوال هذه القرية فذكر أن عدد ديار أهلها الآن 250 وهم شتى في الأنساب فمنهم الشرفاء أولاد سيدي أحمد بن موسى التازروالتي وأبناء سيدي عبد الله بن محمد بن أحمد المرابط الأدوزي الذي عليه قبة، وقد توفي 1282هـ وأهل (تلمشت) الذين منهم الرئاسة في الأعصر الأخيرة وإداوبلال الذين تضاف إليهم العوينة فيقال لها عوينة بني بلال من قديم،

(1) تعين في زمن الاستقلال ناظر الأحباس في تزنيت ثم أحيل على المعاش ثم توفي.

(2) هو ثائر سنة 1207 هـ باسم مولاي اليزيد بن محمد بن عبد الله، فاجتمع عليه العلماء والصالحون فحاربوه حتى قتل بعد حروب، وفي أخباره كتاب للأدوزي محمد بن أحمد المرابط وقد لخصنا هذا المؤلف في ترجمة سيدي علي بن إبراهيم الأدوزي في الخامس من (المعسول).

والبونوحيون من آل أيت بونوح المانوزيين، وآيت البيك وأصلهم من تيواركَّان من بعقيلة الذين يقولون إن صح أنهم واسلاميون وقد مر بنا بعض فقهائهم وإد علي بن إبراهيم الذين أصلهم من تامانارت الذين قتلوا الفقيه سيدي أحمد أضارضور[1] رحمه الله، فلا يزالون يتشتتون من ذلك الوقت إلى الآن، والشيخ موسى الرئيس الآن يولد نحو 1308 هـ وكان عمه العربي بن طيفور المتوفى 1307 هـ قتيلاً في حرب بينهم وبين البرايميين، وقد كان في الرئاسة مسعود ابن محمد بن علي بن إبراهيم التاماناتي المتقدم، عاصر الكنتافي هو ومحمد ابن بوجمعة، وكان العربي المذكور رجلاً مذكوراً اتصل بالملك مولاي الحسن ووفد عليه بمراكش وكان الطيفور الجد مؤسس الرئاسة في الأسرة، وهو ابن إبراهيم ابن داوود بن أحمد بن داوود بن موسى بن يسار، وموسى بن يسار هذا شيخ مزور المشهد بـ(أنسيس) وأحمد بن داوود المذكور فقيه لا يزال يذكر، أتانا رب المثوى سيدي عبد الله بن محمد بما عنده من كتب قديمة فكان مما استفدته منها ما يأتي:

1) كتاب عادي رأيت في إحدى دفتيه ذكراً للعالم العلامة النحوي سيدي محمد بن سعيد المحمودي نسبة إلى إدوا محمود في قمة جبل درن.

2) معاني الحروف لأبي القاسم عبد الرحمن الزجاجي النحوي المعلوم، ورقات قليلة، لم يتم فيها الكلام، وكلامه في الكلمات مختصر وهو كتاب نفيس.

3) كتاب عادي فيه هذه الإجازة لسيدي الحسين بن أحمد بن محمد الإزاريفي – ومن هنا نعرف أشياخه –.

وبعد فإن الأخ في الله والأحب لأجله الفقيه سيدي إبراهيم بن محمد بن محمد التيمجاضي البرايبمي أدام الله توفيقه طلب مني الإجازة لظنه الجميل أن الهزيل سمين فأسعفته رغبة في أدعياته فأقول:

أجزته جميع مروياتي ومسموعاتي كما أجازني أشياخي الأجلة الذين هم

(1) ذكر بين أهله الإيكْراريين في الثالث عشر من (المعسول).

بدور الملة، منهم منبع حكمتي وشجرة ثمرتي ومعظم استفادتي، أبو سالم ابن محمد الولياضي الهشتوكي صوفي زمانه، ومنهم الفقيه سيدي محمد بن إبراهيم الأيبوركي الإسغاركيسي ومنهم الفقيه الشهير سيدي أبو العباس نجل أبي عبد الله التيمكيدشتي، ومنهم الفقيه سيدي علي بن سعيد في زاوية سيدي يعقوب الهلالي عن شيخه السيد أحمد النظيفي من تيزركان - ذات الأرحاء - عن أبي عبد الله محمد بن الحسن البناني الفاسي عن أبي عبد الله محمد بن عبد السلام البناني، عن أبي العباس ابن الحاج عن شيخ الشيوخ عبد القادر الفاسي عن أبي زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسي عن الشيخ القصار، عن الشيخ التسولي عن الشيخ الدقون، عن المواق عن المنثور، عن السراج عن أبي البركات ابن الحاج على أبي إسحاق إبراهيم الغافقي عن أبي عبد الله ابن حوجر - كذا - عن القاضي أبي الخطاب أحمد عن الخطيب محمد بن يوسف ابن سعادة. عن الصدفي عن الباجي عن أبي ذر الهروي عن المستملي عن الفربري عن البخاري عن الحميدي، عن سفيان، عن يحيى بن سعيد الأنصاري، عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن علقمة بن وقاص الليثي عن عمر ابن الخطاب القرشي عن النبي ﷺ ورضي عنهم أجمعين إجازة مطلقة، بشرطها المعتبر من التثبت وتقوى الله واتباع السنة والتحلي بالدين، فلا يبيعه بعرض دنوي، والتحصن بجنة لا أدري، وليدع لنا بالمغفرة والستر، فالله يوفقنا وإياه لما يرقينا ويجعلنا من ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ [فُصِّلَت: 30] الآية، وكتبها من ليس أهلاً لأن يجاز فضلاً عن أن يجيز، وكتبه عن إذن المجيز الشيخ الفقيه أبي علي نجل سيدي أحمد بن محمد الشبي، أدام الله وجوده بعض تلامذته في صدر جمادى الثانية سنة ألف وثلاثمائة وثلاثة عشر، أصلح الله الجميع وختم علينا بمنه آمين.

هذا الفقيه التيمجاضي المجاز له هنا، سألنا عنه سيدي عبد الله بن محمد العويني فلم يعرفه، فكأنه توفي إثر تخرجه فلم تكن له شهرة، ثم أخبرني أخونا سيدي مسعود بن محمد المعدري أنه كان يعرف حق المعرفة حاله، وأن أولاده لا يزالون أحياء إلى الآن، منهم السيد الأمين ابن إبراهيم العدل، وهو الآن مشارط في مسجد (تاسامارت) في (تيمجاض) ووالده يسمع عنه كثيراً، وقد

توفي صدر هذا القرن بكثير.

4) منسوخ بيد الفقيه عبد الله بن أحمد الثوري 1113 هـ وخطه جميل ولا نعرفه إلا هنا، والثوريون هؤلاء بيت علم ويسمون (أوغا) أي الثيران بالشلحة، وينسبونهم إلى المفرد، فيقولون الثوري بعد تعريب الكلمة، ومسكنهم (تافراوت المولود) بجبل (رسموكة) والثور يقال له بالشلحة (أغى)[1] عند بعض الشلحيين، ومن الثوريين الحسن بن إبراهيم رأيناه منسوباً هكذا: البرجي الثوري، فلعله أيضاً من البرجيين توفي 1264 هـ وإبراهيم بن أحمد الثوري كان من الذين يفتون ويقضون بين الناس، والأستاذ العلامة محمد بن إبراهيم العلامة المفتي المتأخر من أهل أواسط القرن الماضي وبيت الثوريين الرسموكيين بيت علم كبير ولم نكن الآن على علم تام منهم، ويجب أن يبحث عنهم وعن أسمائهم وتراجمهم التامة غاية البحث.

5) مؤلف خطي سماه مؤلفه الوافي في التدبير الكافي قرأت منه قليلاً فظهر أنه في علم الإكسير وهو مخطوط خطاً جيداً قال مؤلفه: تأملت الكتب المؤلفة في هذه الصناعة وقرأتها[2] على عمر الفيومي 882 هـ إلخ، ثم ذكر كتباً كثيرة تتعلق بالفن، وهو كتاب نفيس رأيت فيه ما يدل على أن مؤلفه له يد طولى في هذا الفن الذي كان أول من اعتنى به خالد بن يزيد بن معاوية ثم تداولته الأيدي، ثم تضاربت فيه الأقوال بين مصدق ومكذب، والحق في ذلك أنه علم لا يشك فيه إلا من يشك في أمثال علوم هذا العصر العجيب من الذين يجهلون الأشياء فيعيبونها، وإن كنا لا ننكر أن هذا العلم عاد لعبة للبطالين، كعلم فتح الكنوز الذي يقول فيه المرغيتي أبياتاً معروفة يندد فيها بالمولعين بذلك العلم الذي هو علم البطالين، وعلم الإكسير ونحوه مما كان للسوسيين فيه جولات حقاً وباطلاً كما كان لهم ذلك في علم الجداول، وقد تبين أخيراً أن الإكسير حق، وقد توصل إليه الألمانيون كما

(1) بإشمام كسر الغين إلى الضم.
(2) أظن أن الكلمة هكذا.

سمعناه بطريقة التحليل المدقق.

6) رسالة لابن العربي الأدوزي نصها:

من محمد بن العربي الأدوزي إلى كافة الأحبة من العلماء والمرابطين والفقراء ورؤوس القبائل، السلام عليكم ورحمة الله والبركة، وبعد، فأوصيكم بتقوى الله العظيم ونصرة دينه ومتابعة أوامره والذب عن الشريعة وذوي الأمر منا قدر الاستطاعة من الكل، وقد علمتم أن الله تعالى أرسل نبيه الكريم ﷺ يبين لنا ما أنزله، فمما بين لنا أنه لم يكن نبي إلا أنذر قومه بالدجال، وأنهم كثيرون وعلى ذلك فاحذركم مما حذركم الله على لسان أنبيائه، فإن الأنبياء ما أنذروكم إلا لتخافوا وتنذروا غيركم، وإذا أشكل عليكم أمر فزنوه بالقسطاس المستقيم، فالمتابعة هي الميزان، ولا يعرف كيف توزن الأشياء إلا الحذاق المهرة، وإنما على العامة ومن التحق بهم أن يحذروا كل من ادعى شيئاً ولا يداخلوه ولا يسارعوا إليه قبل استفتاء العلماء بالله، ومن بيده كتاب الله كيف يضل ولكل شيء علامة ثم برهان، فمن ذكركم بالله فاستمعوا له، ومن أتاكم بالأراجيف التي تفرق الأمور، وتوقع بالشكوك والخذلان، فقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا، فإن هذه الأعوام القليلة العلم، كل آن وكل وقت له نبأ، فمن أبقى الأمور لأهلها المدبرين لها، يسلم ديناً ودنيا وعرضاً ومن أعان من أراد فساداً يلقى حسرة وندامة، وكونوا أصلحكم الله على عبادة ربكم مواظبين، ولنصرة سلطانكم ناصرين، ولايمتكم ملازمين ولما لا يعنيكم تاركين وللدجاجلة كارهين، وعمن أراد هدم إمامة السلطان نازحين، ولا يشوشكم ما تسمعون فإنه الزبد يذهب جفاء، والسلام.

انتهت الرسالة وما أكثر أمثالها من علماء سوس الناصحين للأمة، وقد رأيت لأحمد ابن عبد الرحمن التزركيني ولآل ابن ناصر وحسين الشرحبيلي وأحمد الصوابي محمد بن أحمد التاساكاتي وللحضيكي ولأحمد والحسن التيمكدشتيين ولآل أدوز وآل أسغركيس وللمتأخرين منهم الشيخ الوالد، عشرات فعشرات من أمثال هذه الرسالة لو جمعت لكانت مجلداً ضخماً.

7) كتاب فيه بعض كتاب الهدى في أخبار أيت يعزى ويهدى مثل النسخة التي

عندنا في البتر، وهو كتاب ينسب على فقيه يسمى محمد بن عمرو اللمطي من علماء ما بعد القرن الثامن، وليس بمحمد بن عمرو اللمطي الإسريري الشهير من أهل ما قبل 600 هـ المذكور في كتاب التشوف لابن الزيات وقد وقفت على ما يدل على هذه التفرقة وهذا الأخير ربما كان من أحفاد الأول، والله أعلم، ومع هذا الكتاب ورقات فيها أخبار زائفة مزخرفة، ليست بنبع إذا عدت ولا غرب، من أكاذيب آل يعزى ويهدى وما ظنك بما فيه أنهم هم الذين أسسوا مراكش وأن لهم دولة في المغرب بعدما فتحوه.

إن عـقـلـي لـفـي عـقـال إذا مـا   أنـا صـدقـت بـافـتـراء عـظـيـم

وكثيراً ما يقال عنهم أنهم جاهدوا وفتحوا البلدان للإسلام، فإن كان ذلك من أسلافهم في القرن الثاني وما يقاربه فممكن، وأما بعد ذلك فقد استقر الإسلام ولم يبق إلا الفتن والمحاربة على الثريد الأعفر بين الذين يتطاولون إلى الملك.

8) قصيدة قيلت في محمد الشيخ السعدي يعسوب السعديين ومؤسس دولتهم، وقد وقفت من القصيدة على نسخ مصحفة، ثم ظفرنا هنا بالقصيدة مع شرح ألفاظها اللغوية ويظهر أنها لبعض السوسيين، وقد عرفنا لسعيد الحامدي وأمثاله مدائح في ذلك السلطان، ومطلع القصيدة:

تـأوه مـن عـض الـزمـان فـؤادي   وأسـحـت من بعـد الـنـمـاء تـلادي

وتوجد كلها في (المترعات) بين ما نسب لسعيد الحامدي.

والقصيدة هذه كنت وقفت عليها قبل سنتين في خزانة العلماء الأدوزيين القاطنين بـ(ماسة) ولكن النسخة ممسوخة، ثم ذكرها لي أيضاً الفقيه سيدي إبراهيم العويني أخو رب مثوانا اليوم، فقد انتسخها من نسخة أخرى، ثم لما وقفت على هذه النسخة المشروحة المصححة حرصت عليها ونسختها بيدي.

تغدينا في ظهر السبت عند الرئيس في القرية على مأدبة حافلة ضمنت أطعمة متنوعة حضرية حقيقة لا مجازاً في قبة مراكشية مسقفة بسقف السماء مفروشة بالحشايا اللينة والوثائر والمخدات العالية الفاخرة في دار أنيقة يستوقف جمالها الأبصار، ويخلب الأفكار.

كنا نوينا أن نخرج إثر الغداء، فألح رب المثوى على البيات عنده إلحاحاً شديداً، وكان زينة المجلس وقطب بركة الفقيه الصالح المسن سيدي عثمان بن أحمد الإيكْراري رضي الله عنه، فقد تكلف رغم 83 سنة المجيء إلينا راكباً من مسكنه على نحو سبعة كيلومترات، وقد كنت كتبت إليه وإلى ولده العلامة سيدي محمد بن عثمان هذه الأبيات باقتراح من الفقيه سيدي عبد الله العويني:

أسيدنا عثمان من كان يخفق ... عليه فخار بالمعالي محقق
وتاج العلوم نجله المرتضى الذي ... تزين منه بالمعارف مفرق
أجيبا نداء من محب دعاكما ... لقصد اللقا لا عن صبوح يرقق
مقامكما العالي تضوع رياضه ... بأذكى سلام نشره الدهر يعبق
من الشيق المختار من تعرفونه ... إلى كل ندب مثلكم يتشوق

زرنا المسجد فوجدنا في مصلاه ثمانية صفوف، تقام فيه الجمعة، وفي المسجد اليوم أستاذ يسمى علياً الهماني فقيه فاهم تخرج بالأستاذ سيدي المحفوظ الأدوزي، ولكنه لا يقوم إلا بتعليم القرآن لا غير مع أن المسجد كان يعرف فيه تدريس العلم قبل، ثم انقطع، وإمام المصلى براح استدارت به الحنايا، وعلى كل المسجد رونق وبهاء، وقد جدد بناؤه نحو 1320 هـ بوقوف الرئيس أحمد بن عمر الذي كان رجلاً ديناً سياسياً مذكوراً شجاعاً مقداماً هيناً ليناً مائلاً إلى الخير وإلى الدين، يصاحب أمثال ابن العربي الأدوزي وينزل عنده، وقد كان رئيساً من رؤساء القرية أيام الحاحيين، وبقي بعدهم إلى أن قتل في حرب 1326 هـ وتسمى هذه الحرب حرب إيشناض وبعدها حروب في بونعمان وأيت جرار وماسة ثم دهم أمر الهيبة ومعارك الجهاد والدفاع عن الكيان فالاحتلال فانطواء تلك الصحيفة.

عاينت القرية الممتدة على هضبة، فرأيت بعضها في الجوانب خارج السور، وليس هناك إلا عين واحدة فقط، وقد زادت هذا العام كما ازدادت عين أكْلو بعد سقوط المطر يوم 17 رمضان 1363 هـ وكان مطراً عجيباً أحيا الله به الأرض، فاخضرت وازينت في هذا الشهر أكتوبر، وقد كان الفصل فصل الربيع، فيمخض الناس، ودرت الغنم والبقر، ووجد الدلاع ثانياً والتين

والفواكه والشهد الكثير، فكانت إحدى العجائب التي تؤرخ، فقد قال مسن عاش مائة لم يعرف قط مثل هذا الخصب وازدهار الأرض في مثل هذا الوقت من السنة، وكذلك وقعت غريبة ذلك النهار في تزنيت فقد انسد مخرج الوادي، فتراجع الماء نحو الديار مرتفعاً، حتى هدم 75 داراً، وقد فسد كل ما فيها من الأثاث والحبوب، ولكن الله حفظ السكان لوقوع ذلك وسط النهار فتجارى الناس، فأخرجوا صبيانهم خوضاً في المياه، والناس الآن في هرج ومرج من بناء دورهم وترميمها، وهذا أيضاً شيء لم يقع قط في تزنيت ولا أثر عن عهودها المتقدمة، وقد وقفت في العوينة على كتب استفدت منها أن الفقيه سعيداً الإيلاليني، وهو الذي سأل القاضي الحميدي عن الفقهيات[1] المشهورة كان نزل في (تينزرت) من قبيلة المنابهة بـ(راس الوادي) وأن محمد بن محمد ابن عبد الله بن بلقاسم المعدري السملالي من (إيغبا) لا يزال حياً 1291 هـ وقد ولد له ولد مفتتح رجب في تلك السنة، وأن محمد بن الشيخ أحمد بن بلقاسم الكُرسيفي كان فقيهاً مدرساً مخرجاً لا يزال حياً 1185 هـ ينسخ له الفقيه أحمد بن إبراهيم بن يحيى الأكْموتي المانوزي (ثم علمت أن محمدا[2] هذا ترجم في كتاب (الحضيكْيين) للجشتيمي).

نادرة:

أخبرت أن أستاذاً برايبمياً يشارط في مسجد (الجحيفة) على الساحل بـ(أكْلو) خطب امرأة أيما من رجل مات عنها وعن ضرة لها، وكان هذا الرجل ديناً درقاوياً يعظهما حتى مازج الدين قلوبهما. فتحابتا محبة شديدة على عكس ما تكون عليه الضرات، ثم خطبت الصغرة منهما بعد موته، فأبت أن تتزوج إلا مع ضرتها فتكونان معاً تحت رجل واحد يجمع بينهما لئلا تفترقا، فكان ذلك الفقيه هو الذي تزوجهما على هذا الشرط العجيب، ولا ريب أن التدين العظيم وملاطفة الزوج الأول، هما اللذان قطعا جذور الغيرة من نفسيهما فلو اتبع العدل الحق من أزواج الضرات لالتأم ما بين الضرات غالباً.

---

(1) راجع القصة في "نزهة الحادي" وفي "الفوائد الجمة" وفي "درة الحجال".

(2) ترجم له بعدما كتب هذا في السابع عشر من (المعسول) بين أهله الكرسيفيين.

إلى حمى الصوابي بماسة:

وصلنا تزنيت صبيحة يوم الأحد، ثم وصلنا المعدر عند العاشرة في يوم الاثنين فزرنا مشهد الشيخ المعدري في زاويته، وسيدي مسعوداً وولده النابغة[1] سيدي محمد بن مسعود في القبة التي تظهر إزاء المقبرة العليا، وقد دفن فيها معهما الأديب سيدي إبراهيم بن مسعود زيادة على السيدة عائشة بنت صالح قرينة سيدي مسعود المتوفاة 1306 هـ وهي التي بنيت عليها القبة أولاً، ثم أقبر عندها الآخرون وقبر الفقيه سيدي علي بن مسعود منهم المتوفى 1357هـ يوجد في وسط المقبرة ولم يدفن لديهم، وفي داخل بيت إزاء القبة وهو من بناء المدرسة، قبر السيد الصالح الزاهد العابد سيدي إبراهيم الإيبلاغني المتوفى نحو 1332 هـ وهو من أصحاب سيدي مسعود المعدري.

التقينا هناك بالعلامة سيدي علي بن الطاهر المحجوبي فمضى لنا أفضل يوم، ثم في صبيحة يوم الأربعاء صمدنا إلى (حمى الصوابي) بماسة، فقد كنت أتشوق دائماً إلى زيارته لأشاهد ذلك المنبع الفياض بالعلوم حين رابط هناك الشيخ الصوابي، ثم التاسكاتي ثم المرزكونيون العلماء، وهو زاوية لها شهرة كبيرة منذ أزيد من قرنين، وأول ما رأيناه بعدما وصلنا، مقبرة متسعة ذكر لنا أنها على ثلاثة أقسام، قسم منها مختص بالمتوفين من الطلبة الذين سقطوا دون المدى، فالتحقوا بالرفيق الأعلى قبل أن يرجعوا إلى بلادهم، وهم الشهداء شهداء المعارف، وقسم للمرابطين سكان الزاوية ورؤسائها، وقسم لعامة السكان من غيرهم، وهناك قبر السيدة رقية بنت أحمد الصوابي، زرناه أولاً ثم نزلنا أمام المسجد، فإذا بناء يدل على أنه بناء غير عادي، وأنه مبني باعتناء، أبواب عالية، ومتوضأ مجصص، ومسجد حسن وسط، ومدرسة وسطى غير صغيرة ولا كبيرة، والكل يتهدم الآن، فما لم ينهدم فهو متداع، هامة اليوم أو الغد، فبعد أن جلت هناك وطلعت على السطح، أرسلت زفرة طويلة على كون مآثرنا تتداعى هكذا إلى الاندثار، في الوقت الذي تسترد فيه الأمم حياتها،

(1) ذكر آل مسعود في الثالث عشر من (المعسول).

وتستجم نشاطها، وتخطو خطوات واسعة إلى الأمام، فيا ويح أمة مآثرها أطلال، ثم لا تحفزها الآمال إلى استئناف الأعمال، أتغيض منابع العلم في سوس ثم تطيب لأي سوسي غيور بعد حياته، فأين الهمم، وأين العزائم، وأين أنتم يا أهل سوس(1) المقاديم.

أخبرنا مقدم الزاوية السيد إبراهيم أن جده السيد محمد بن أحمد المرزكْوني كانت بينه وبين القائد الشهير الحاج عبد الله الحاحي وصلة، فقد كان هذا يوم حج أسر إليه بعض أهل المشرق ما عرف به قدر هذه الزاوية، وزعم المخبر أنه بمجرد ما رجع من حجته قدم بنفسه إلى الزاوية هذه زائراً، ثم جدد ما رآه قد انهدم من أبنيتها، قال: إن بناء المسجد والمتوضأ والباب الخارجي على هذه الكيفية كان على يد أمين هذا القائد، كما بنى غرفة عليها لها نوافذ حسنة وسقف مزوق، والدار التي فيها الآن لمقدم الزاوية إذ ذاك الفقيه محمد بن أحمد المرزكْوني قال: أما البناء القديم في كل ذلك فقد زال، والحاج عبد الله الحاحي توفي 1284 هـ بمراكش بعد أن اعتقله الملك سيدي محمد بن عبد الرحمن.

إن شهرة هذه الزاوية قامت أولاً بأحمد الصوابي ثم بالشيخ التاسكاتي ثم بالمرزكْونيين فلنذكرهم هكذا بالترتيب.

أما الصوابي فإنه أحمد بن عبد الله من قبيلة أيت صواب في قمة جبل الأطلس الصغير كان شيخاً كبيراً، ومدرساً مخرجاً، وإماماً مرشداً، وقيوما بالحق نصوحاً، وقد كنت أتتبع ما يسقط إلي عنه حتى تيسر لي ما أجمعه الآن هنا، فيكون له ترجمة، إن لم تف عنه بكل المراد، فإنها على كل حال جمعت منتهى ما توصلت به عنه إلى هذا الوقت.

---

(1) كانت مقالة طويلة تتضمن حكاية خيالية في استرجاع مدارس سوس حياتها العلمية بعد الاستقلال، كتبت سنة 1358 هـ ثم لما هيأ الله ما هيأ من (المعهد) في تارودانت قلت هذه البداية إن شاء الله في تمام الأمنية، فقد أظهر به السوسيون ما هو معروف منهم، فحياهم الله وبياهم، ووفقهم على رفع الراية العلمية الخلقية الدينية إلى الأمام بكل إقدام وحماسة وتضحية، وإننا لفخر بهؤلاء الذين قاموا بهذا العمل الجليل، ويسهرون عليه ليل نهار مديراً وأساتذة وكل معاونين.

يقول الناس أنه كان أولاً نازلاً في تيبيوت في أحواز تارودانت بعد رجوعه متخرجاً من (تامگروت) ثم في مدرسة سيدي مزال بهشتوكة، ثم في قرية بوكورة برسموكة، ثم في مدرسة ابن جرار بهشتوكة أيضاً، ثم وقع له هناك ما حفزه حتى أجفل عن رسموكة ثم نزل في رباط[1] ماسة إزاء البحر، ثم لم يبطئ هناك فجاء إلى أعالي وادي ماسة فنزل تحت شجرة أرگان حتى هيأ له أهل البلد في حماه محلاً ألقى فيه عصاه وبنى مسكناً له ساذجاً لا يزال فيه بيت ضيق صغير كان وراء باب الدار، كان محله الخاص لمناجاة ربه، ولمراجعة كتبه، هذا ما عند الناس المتداول على ألسنتهم، ولكن إذا شئنا أن نستمد حياته من التاريخ، فهاك ما عندنا:

قال تلميذه الحضيگي في رحلته الحجازية حين تعرض لذكر مشيخته:

شيخنا الرباني، العارف بالله تعالى، النحوي اللغوي العروضي الفقيه، ذو كرامات ظاهرة ومقامات فاخرة وأسرار زاهرة، وبصائر باهرة وأحوال قدسية، ومناظر بهية وإشارات نورانية ونفحات روحانية، وأسرار ملكوتية، وأنفاس صادقة، سيدي ووسيلتي وسندي أبو العباس أحمد ابن عبد الله الصوابي نسبة إلى قبيلة صوابة من قبائل سوس الأقصى، ذو المعارج والمعالي والقدم الراسخ في الفنون والعلوم، واليد البيضاء والمنهاج الأسنى، والباع الطويل والفتح الجليل، ذو مجاهدات باهرة وهمم عالية وهو ممن أظهرهم الله للوجود وأبرزهم للخلق رحمة، وأوقع لهم القبول عند الخاص والعام، وصدقه في العالم وأرشد به إلى الدين خلقاً كثيراً، وأخمد به بدعاً شائعة ونشر به علوماً شتى، ونفع به نفعاً عاماً، وصيته واشتهاره رحمه الله تعالى في أقطار الأرض تغني عن عد مناقبه، وقد شاعت وذاعت مناقبه ومحاسنه، وناهيك في ذلك خروجه عن بلده فراراً من الفتن، وهجر أوطانه لله تعالى ولإرشاد عباده وتعليمهم، ورمى بالدنيا وزينتها وراء ظهره وقام بأوامر الله تعالى ووظائف دينه وصبر على طاعة ربه عن معصيته، فلا يخاف في الله لومة لائم، فهو سالك

(1) اقرأ ما يتعلق بهذا الرباط في (الرحلة الثانية).

المحجة البيضاء حتى وصل إلى ذروة التقوى (إلى أن قال) أخذ الطريقة الشاذلية عن الشيخ سيدي أحمد بن ناصر، فكان على ساق الجد في تدريس العلوم، يعلم الناس دين الله صغارهم وكبارهم وليس عنده أشهى وألذ من تعلمها وتعليمها للصغار، ولا يحب تعليم أحكام المعاملات إلا للتقي الأمين، ويحذر من القضاء بين الناس ويتعوذ بالله من أن يكون من قضاة زمانه، لكثرة فسادهم، وندور السلامة ممن تولاه، وكان رحمه الله تعالى كثير الصيام والقيام، وكان ديدنه ترتيل القرآن ويربي الصبيان ويعلمهم ترتيله، وينهاهم عن الهذر المخل بالواجب، ويروم رحمه الله أن يحمل أهل عصره على تلك القراءة ويحاوله، ولم يقدر بعد المعالجة والمراودة والمعاودة أعواماً ذوات العدد ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [الأنعام: 35] وكان رحمه الله شديد الحرص على السنة، كثير الذب عن الإسلام والحزم والقصد والغيرة في دين الله، وكان على ذلك عازماً مشمراً غاية، حتى كل ومل مسابقه ومسارعه عنه، ورجع وانقطع أماني الناس دونه وهو في معاليه وأماليه آية وعبرة بتوفيق الله فكان زاهداً لا يميل على الدنيا أصلاً، ديناً ذا سمت حسن، لا يحابي أحداً، نصب مجلساً بين العشاءين دائماً للرجال وللنساء وراء الحجاب، يعلمهم فيه أحكام دينهم من الفرائض والسنن والفضائل وما يجب عليهم تركه ويحرضهم فيه على الحرص والأخذ بالحظ الوافر من الدين والتخلق بأخلاق أهل السنة والحق، من مواساة الفقير وإغاثة الملهوف، وإقراء الضيف[1] ومجاهدة النفس وترك الشح والمداهنة، وإظهار الجزع والانضمام لأرباب الدنيا، وعما يشغل عن ذكر الله، أقمنا عنده ثلاث سنوات أو أربعاً، أسدى إلينا فيها من الخير والنصح عظيماً جزيلاً، وله علي يد طولى، إذ على يده فتح علينا، ونحن أطفال فأدبنا وأحسن تأديبنا حتى ودعنا وشيعنا وهو عنا راض، وقد وعدنا أن يقرئنا مختصر خليل في أشهر لما رآني أحبه، ثم لم ينشب أن توفي وهو في سرد البخاري وله لهج بالحديث حتى خرجت روحه 20 رمضان 1149 هـ.

(1) هكذا إقراء الضيف من أقرى الرباعي، والمعروف قرى الضيف من قرى يقري الثلاثي كرمى يرمي، وأما أقراه واستقراه فهو إذا طلب قراه.

انتهى باختصار في بعض كلامه، وأما ما ترجمه به في طبقاته فنقتبس منه ما ليس هنا.

خاتمة محدثي سوس، وآخر من أقرأ تسهيل ابن مالك فيه[1] وآخر أهل الجد في السنة وإقامتها، نهاء للمنكر، أمار بالمعروف، كبير الهمة، عظيم الشأن، يلبس لباس السنة، ويمشي على قدم الشيخ الناصري، وابن أبي جمرة والمرجاني وابن الحاج، متواضع خاشع رؤوف بالخلق، ويغلب عليه تقرير عقائد الإيمان في كتب السنوسي، وقد أولع بها يفتتح بدراسة البخاري صباحاً، وحضرنا عنده مدة خمس[2] سنين كما حضرنا تفسير ابن جزي والجلالين، وابن عباد على الحكم، وألفية ابن مالك والسلم ومنظومة ابن زكري. يسرد عليها شرح التامانارتي، ويفضله على شرح المنجور، إلا أنه لم يتم، يملأ زمانه بالمجاهدة في التعليم والتلاوة والوعظ، ولا يفتر ولا يمل، ولا يتخلف من يسكن في زاويته عن درس التذكير بين العشاءين من الرجال والنساء إلا لعذر واضح، ولا يختلط الجنسان، وعلى كل منهما نقيب مراقب دائماً، فمن لم يسلك الصراط وأبى من الإقلاع، أخرجه من البلد، ولا يدع أحداً هناك في بطالة، إما تعلم وإما ذكر إلا ما ألجأت إليه الضرورة من الشغل، ينتبه لدسائس النفوس ومكر إبليس، كان سيدي موسى الواسكري أول من جاء إلى سوس بوقف الهبطي فذاع عنه، فقاومه الصوابي بقلمه ولسانه، فيكتب الرسائل في النهي عن ذلك فقال: إنه ينافي الترتيل المطلوب وقد اتبعه في هذا أحمد بن عبد العزيز الهلالي، ولكن لم يسمع الناس منهما وقد حافظ على الحريم وبالغ في صونه فلا يرى ولا يسمع كلامه في زاويته، وقد قامت زاويته بالله، يأكل فيها الوارد والصادر، ولا ساعي يرى فيها من عبد أو خادم، وعنايات الله وكراماته وبركاته عليه ظاهرة، وولادته 1095 هـ وبهذا كتب إلينا أخوه سيدي

---

(1) يعني في زمنه، وإلا فإن التسهيل لم يزل يقرأ في سوس في أدوز وفي تيمگيدشت وغيرهما، وهناك من حفظ التسهيل كله أو بعضه، ولا يزال أحياء الآن من درسه كالعلامة سيدي داود الرسموكي، وكان كبار المدرسين قلما يتركونه، نعم انقطع ذلك في الحواضر منذ أزمان على ما في علمنا.

(2) تقدم في كلامه أنه كان عنده ثلاثاً أو أربعاً، وهنا قال خمسا.

سعيد بن عبد الله، كان يخرج[1] بين الرجلين لدرس البخاري ويغمى عليه أحياناً في المجلس إلى أن توفي، ودفن في (إسغاركيس) أخذ عن جماعة منهم الشيوخ التامگروتيون أبو العباس ابن ناصر وأجازه سيدي عبد الله الواوگدمتي وغيرهما انتهى.

أقول، سترى قريباً بين الإجازات له من أشياخه إجازة سيدي الحسين الشرحبيلي فعلمنا أيضاً أنه من أشياخه، والغالب أن يأخذ ايضاً عن الهشتوكي وإن لم نر نصاً في ذلك لأنه يدركه في تامگروت بلا ريب، وقد توفي 1127 هـ.

ثم هاك رسالة ظفرنا بها أيضاً كتبها المترجم إلى شيخه أبي العباس الناصري قبل أن يستقر به قرار ونصها:

(شيخنا أبو العباس السلام عليكم ورحمته وبركاته، فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو أما بعد، فقد صدتنا عن حضرتكم العلية ومشاهدتكم الهنية، أمواج الذنوب وتراكم العيوب والروح إلى ذلك المقام في غاية الاشتياق، ولم يساعده الشبح على ما يروق من الاتفاق، وها أناذا متزوج، داخل من باب الدنيا على أهلها، خائف فتنتها، مستغنم دعاءكم أن يجيرني الله من نوائب الدهر وشر من رامني بالخسف من الناس، فإنه كثير، وبتوفيق الله إياي على ملازمة اتباعكم فإنني خفت الانسلال من تلكم الرفقة الشريفة من حيث أشعر أو لا اشعر، وقد كنت الآن ساكناً في (بوكورا) - برسموكة - ومنهم تزوجت، وأستأذن سيدي ليأمرني بالبناء إن رآه لي أصلح، وإن غيره فكذلك، ويبعث لي نحواً من أربعة أحجار أجعلها في الأركان تبركاً، وقد خرجت من زاوية سيدي مزال من مضرة لحقتني ممن تولى أمرها متواطئين على أن ينسبوا إليَّ ما أنا منه بريء في علم الله، ولما رأيت الرئاسة مطلوبة، وشغلوا فكري بمغالطة يعلم الله كذبها، غنمت السلامة بالبعد منهم ولم يزالوا يرومونني بالخسف والإذلال، ولم نزل مشتغلين بما تيسر من التعليم، عالمين بما قاسيتم مما يزيد الله به رفع الدرجات من الأمراض وبمعافاتكم منها فلله الحمد، وبالغ لنا في

(1) يعني في مرضه الذي مات فيه.

الدعاء وسامحنا سيدي فيما وجب لكم من الحقوق، قال ذلك وكتبه الصوابي أحمد بن عبد الله لا حرمه الله من ملاقاتكم، واكتب لي بما رأيت، فأجابه بما يأتي:

الحمد لله وعليكم السلام (أما بعد) فشد روحك في دينك، وإياك والفضول، واغتنم العلم تعلماً وتعليماً فلا أفضل من ذلك إن صلحت النية وإياك والقيل والقال ومصاولة من لا خلاق له من الرجال، فإنك لم تخلق سدى واسع في مرضات الله واعلم ما لله عليك من الفرض في جميع يومك فاسع لتحصيله ولا يجدنك الله فيما عنه نهاك، ولا يفقدنك فيما إليه أغراك، ولا تبهرج فإن الأمر أشد من ذلك، وإياك وقرناء السوء، فإن الناس كالأحجار فما أخطأك منها خير مما أصابك وكإبل مائة لا تجد فيها راحلة، ولا تصطف إلا من تزداد به يقيناً، ولا تصحب إلا من ينهضك حاله ويدلك على الله مقاله، وأستودعك الله وأبناء الوقت يأخذون من دينكم ولا تنالون من دنياهم فنكبهم غاية جهدك، وقل يا سلام والسلام.

وكتبه عن إذن سيدنا نفعنا الله به حسين بن محمد لعطف الله به آمين).

نعرف الآن من كل ما تقدم أن الصوابي رحل عن بلده (أيت صواب) بعد سكناه فيه فراراً من الفتن ثم كان في قرية (ابن جرار) من قبيلة (أيت عميرة) وقد كانت هناك مدرسة قبله فافتتح فيها دراسة المعارف فلم يرتض بذلك أهل البلد فطلبوا منه أن يرتحل عنهم فارتحل ثم كان مشارطاً في مدرسة (سيدي مزال) بهشتوكة، ثم ناهضه هناك أيضاً من لا يتقي الله في مثله، فغادر المدرسة ثم نزل في (بو كورا) برسموكة في محل يسمى (أيت سليمان) ولا تزال فيه أطلال داره معروفة إلى الآن ثم إلى حماه (بماسة) حيث اشتهرت زاويته وقد ظفرنا برسم كتب إثر وفاته. يتضمن كيف نزل (ماسة) وكيف قابله الماسيون، ونصه:

(لما أتى الفقيه الزاهد الورع السيد أحمد بن عبد الله الصوابي بلاد ماسة يطلب أهلها بالنزول معهم فيها. فتلقاه أهلها كلهم بالعز والقبول والفرح، أجابوه، أي موضع شئت فانزل فيه، فمرحباً وسهلاً، وأتى إليه الأجلة الأعلام

الفقهاء في الوقت، الفقيه المفتي سيدي أحمد العباسي، وسيدي محمد بن يحيى الشبي، وسيدي محمد التاكوشتي، وسيدي علي بن إبراهيم الجلوي الأكْلوي[1] وتشاور معهم ومع أهل ماسة فاتفقوا جميعاً على موضع بأعلى وادي ماسة يقال له بومروت فقدم معه المذكورون جميعاً، فمن أهل ماسة كاتبه وأولاده والشيخ محمد ألواح وإخوته بنو إلياس، والفقيه سيدي إبراهيم[2] القاضي مع سيدي عبد الله بن مبارك وغيرهما من أعيانهم وطلبتهم ومن أهل تيكوت السيد عبد العزيز منصور وإخوته، ومن (بني ولون) أحمد بن بكريم وإخوته، الفقير بلقاسم، والسيد محمد بن علي. ومن أهل (تاسنولت) السعيد بن بلقاسم، وأحمد بن عيبب، ومن أولاد عمرو المرابطون الخنابيب كلهم أولاد فارس جملة، وأولاد الغازي ابن حمدون بن زيدان وأولاد جلول، وولد خنوس، فلما وصلنا على ذلك الموضع وأمعن النظر فيهم، اختار موضعاً وهو بين الربوتين؛ الربوة اليمانية، وهي المسماة ربوة برمروت على رأسها أثر البنيان الداثر، وما زال رسم الأحجار باقياً فيه، والربوة اليسارية هي التي على أعلاها شجرة الهرجان العالية، وطالت على غيرها من الأشجار، ويمتد إلى ذلك الوادي وجوف ذلك محدود بالغابة إلى أقصى المراد، والقبلة إلى موضع يغطيه الوادي في وقت السيول، وتبرع له أولاد عمرو المذكورون بالطريق في أي موضع شاء، إلى الوادي وقدره خمس وعشرون ذراعاً، فلما انتهى الأمر إلى هنا، قبل منهم سيدي أحمد ودعا لهم بالدعاء الصالح، وأجاز لهم فعلهم والحمد لله، وكتب عنهم بذي قعدة عام سبع وأربعين ومائة وألف عبد ربه . . .).

(فكتب اسماً مخرمشاً لا يقرأ) وفي محوله شهوده أسماؤهم، (حضر كاتبه عفا الله عنه لجماعة أعيان أولاد عمرو وجميع أولاد سيدي عبد الرحمن الخنبوبي سيدي عبد الكريم بن أحمد، وسيدي عبد الرحمن بن فارس، وسيدي العربي، وسيدي محيمد، وسيدي الحسن وغيرهم من المرابطين وكافة أعيان

---

(1) هؤلاء الأربعة مترجمون كلهم عندنا، فالشبيون في (الثامن) والعباسيون في (الثامن عشر) والتاكوشتيون في الثامن والأكْلوئيون الإيكْراريون في (الثالث عشر) من (المعسول).

(2) هذا لا نعرفه.

بني مطوة، وأهل (الفيض) واتفقوا جميعاً وتصدقوا على العلامة قطب بلادنا ماسة سيدي أحمد بن عبد الله الصوابي بجميع ما عمره هو بالبنيان والزرائب والبحائر بوليجة بومروت وهو بين الربوتين للغابة لحافة الوادي من القبلة ويميناً بقية الوليجة ويساره في الوليجة كذلك، صدقة صحيحة بتة بتلة قصدوا بذلك وجه الله العظيم وثواب الآخرة فالله لا يضيع أجر من أحسن عملاً وكتبه عن الشهود جميعاً اسم الكاتب).

أقول: إن هذا التاريخ 1147 هـ إنما هو تاريخ الكتب، وأما تاريخ النزول فقبل ذلك بما شاء الله ولا نعرفه بالضبط، إلا أن الأستاذ كان يدرس من قبل 1126 هـ وقد كان يملك الكتب من قبل 1120 هـ.

إجازاته من مشيخته:

وقفت في مجموع في خزانة الأستاذ سيدي إبراهيم بن عبد العزيز على إجازات أشياخه له، فهاك إجازة سيدي أحمد بن محمد بن ناصر:

(الحمد لله الذي من استند إليه وصل، ومن انقطع إليه اتصل، ومن تمسك بحبله المتين اعتصم، ومنم لاذ بغيره انفصم، أحمده حمداً يصح به ضعيف إيماننا، ويحسن به منكر أعمالنا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نعمة الله الكاملة، ورحمته العامة الشاملة، (أما بعد) فإن الأخ في الله والأحب في جانبه سيدي أحمد بن عبد الله الصوابي التمس مني أن أجيزه، وان أتلفظ له في الإجازة، جرياً على عادة أئمتنا في طلب الإجازة فأجبته على ذلك تحقيقاً لطلبته فأقول: أجزت الأخ المذكور بصحيح البخاري بسندنا عن الإمام الجامع بين الشريعة والحقيقة في مدارج الطريقة، أبي عبد الله الوالد القطب، سيدي محمد بن ناصر، عن البابلي عن السنهوري عن النجم الغيطي، عن شيخ الإسلام زكرياء، عن الحافظ ابن حجر عن ابن سليمان، عن أبي بكر الطبري، عن ابن أبي حزم المكي عبد الرحمن، عن أبي عمار الكرابلي، عن ابن أبي ذر عن أبي ذر، عن السرخسي، عن الفربري عن الإمام أبي عبد الله محمد ابن إسماعيل البخاري رضي الله تعالى عنهم ونفعنا بهم آمين.

وأذنت له في التحديث عني به بشرطه المعتبر عند أهل الأثر من التثبت

والتيقظ وتقوى الله في السر والإعلان، وزيادة الدعاء لي بحسن الختام، والله المسؤول أن ينفع الجميع على الدوام، وكتب عليه من ربيع النبوي عام 1125 هـ عبيد الله أحمد بن محمد بن ناصر كان الله له.

نص إجازة الشيخ الشرحبيلي:

(الحمد لله الذي من استند إليه وصل، ومن انقطع إليه اتصل، ومن تمسك بحبله المتين استعصم، ومن لاذ بغيره انفصم، جعل هذه الأمة المحمدية وسطاً، شهداء على من اهتدى ومن اعتدى وسطاً، حمداً يصح به ضعيف إيماننا، ويحسن به منكر أعمالنا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نعمة الله الكاملة، ورحمة الله الشاملة، أما بعد فقد أجزت الأحب الأود سيدي أحمد ابن عبد الله الصوابي بالبخاري والكتب الحديثية المتداولة بين الأئمة، وأذنت له في التحديث بذلك عني بشرطه المعتبر عند أئمة الأثر، وعليه بتقوى الله والتثبت والدعاء لي بحسن الخاتمة، وكتب به أوائل شوال عام 1127 هـ عن إذن الشيخ الإمام القطب الهمام سيدي أحمد بن ناصر، أصلح منا ببركته الباطن والظاهر، عبيده وخويدمه حسين بن محمد بن علي بن شرحبيل البوسعيدي لطف الله وأخذ بيده آمين) وقد يظهر أن هذه إجازة ثانية لأحمد بن ناصر، لا إجازة الشرحبيلي، وإن كتب عليها ذلك.

إجازة الأستاذ الواوكْدمتي:

(الحمد لله حق حمده والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف من اتصف برسوله وعبده وعلى آله وأصحابه وجنده الكريم وحزبه أما بعد فإن الفقيه النجيب الفاضل الأريب أبا العباس سيدي أحمد بن عبد الله الصوابي قبيلة السوسي إقليما كتب إلي مستدعيا مني ما لست له أهلاً ولا مستحقاً له أصلاً من إجازة له في الرواية تشبثاً منه بمن سلف في الأخذ عن ذوي الدين والإتقان والدراية ومن لي بالتشبه بهم وأنى لمثلي الوصول لعلي مرتبتهم، اللهم إلا أن يجود علي مولاي بالدخول في حزبهم بمحض فضله ثم بمقتضى حبهم فإن المرء مع من صدق نيته، وحسن طويته وصفاء مودته وطيب سريرته ورجاء أن يدعو لي ببلوغ أملي ابتدرت لإجابة رغبته وإسعافه بطلبته وإن لم أكن من

أهل ذلك ولا ممن يسلك هذه المسالك فأقول وبالله التوفيق، وهو الهادي إلى سواء الطريق، أجزت المستدعي الفقيه أبا العباس المذكور في كل ما تصح لي روايته من مقروء ومجاز ومسموع وأصول وفروع ومعقول ومنقول، وفي جميع كتب الحديث والسير والتفسير، والتصوف والأصلين والفقه والعربية، نحواً وصرفاً وإعراباً وبياناً ولغة، وكتب المنطق والأدب وجميع الفنون النقلية والعقلية، حسبنا أجازني في جميع ذلك في عموم الإجازة جمع من أشياخي كالعالمين الورعين أبوي العباس السيد أحمد بن الحاج العربي الفاسي الدار، وسيدي أحمد بن إبراهيم العطار الأندلسي، وكالعالم الصالح الولي الأفخم أبي العباس سيدي أحمد بن محمد بن ناصر والعلامة سيدي محمد ابن شيخنا أعجوبة الدهر علماً وعملاً، سيدي الحسن بن مسعود اليوسي وغيرهم رحمهم الله ورضي عنهم آمين.

وكل ذلك بأسانيدهم، المسطرة في فهارسهم وفهارس مشايخهم، كفهرسة شيخنا أبي العباس سيدي أحمد بن الحاج المذكور وفهرسة شيخ المشايخ أبي محمد سيدي عبد القادر بن علي الفاسي، ويكفي ويشفي في ذلك ما اشتملت عليه إجازة لنا مكاتبة لسيدي أحمد بن محمد بن ناصر رحمه الله ورضي عنه، وفي زاويته المباركة نسخة منها بأمره لمن احتاج إليها أمرنا بانتساخ ما فيها بعد بعثة الإجازة إلينا، ففعلنا والحمدلله، وبالجملة فالأسانيد مقررة في الفهارس المشار إليها وفي غيرها كفهرسة سيدي عبد الله العياشي الراوي عن سيدي عبد القادر الفاسي وغيره من المشايخ، مشارقة ومغاربة، من طلب ذلك وجده، وأشير إلى بعض طرف ذلك في الصحيحين والموطأ والشفا والترمذي تبركاً وإسعافاً للمستدعي ببعض ذلك على وجه الاختصار، لضيق الوقت والحال عن الاستيعاب والإطناب، أما الصحيحان فيرويهما شيخاي الأولان عن سيدي عبد القادر بن علي الفاسي، والثالث بواسطة إجازة سيدي عبد الله العياشي له، ويرويهما سيدي عبد القادر المذكور عن عمه أبي زيد عبد الرحمن الفاسي عن شيخه سيدي القصار، وللقصار فيهما طرق متعددة، منها طريقة نظمها في أبيات ضمنها شيخنا أبو العباس سيدي أحمد بن الحاج المذكور في أبيات، ثم ساق رجزاً فيه أسماء رجال السند.

وأما الموطأ فبالسند السابق إلى القصار، عن سيدي رضوان عن سقين، عن شيخ الإسلام زكرياء الأنصاري، عن أبي الفرات عن ابن جماعة، عن ابن الزبير، عن ابن خليل، عن ابن زرقون عن الخولاني، عن الطلمنكي، عن أبي عيسى عن عبد الله بن يحيى، عن أبيه، عن مالك رضي الله عنه، وأما الشمائل فمن طرق منها طريقة العياشي، عن شيخه سيدي أبي بكر السكْتاني وسيدي عبد القادر الفاسي بسندهما المعروف، وأما الشفاء فمن طرق أيضاً كطريقة سيدي عبد الله العياشي، عن إبراهيم الميموني، عن والده، عن القيضر عن عبد الحق السنباطي، عن قطب الدين الجوجري، عن أبي الفراثر عن الدلامي، عن ابن تامتيت، عن أبي الصابغ عن مؤلفه الإمام أبي الفضل رحمه الله ورضي عنه آمين.

أجزت المستدعي المذكور فيما ذكر بشرطه المعتبر عند أهل الأثر، وأوصيه ونفسي بتقوى الله العظيم وأن يثبت في العلم ونقله ولا يقتصر على الرواية دون الدراية، ولا عليهما دون الرعاية، وأطلب منه أن لا ينساني بدعائه الصالح، والله يوفق جميعنا لمرضاته بمنه وكرمه، قاله وكتبه في التاسع والعشرين من ذي الحجة 1129 هـ عبد الله بن محمد بن الحسن السكْتاني الووكْدمتي كان الله له).

أولاده:

لم يرزق فيما نعلم الشيخ الصوابي من الأولاد إلا ذكراً وأنثى، فأما الذكر فاسمه محمد الطاهر، قال فيه والده: (مات ولدنا الناشئ أحسن نشأة، البار لوالديه الحسن الأخلاق مع الناس عموماً، الحافظ لمختصر خليل والرسالة وألفية ابن مالك، وتآليف أخرى يقرأ عددها عشرين بعد كتاب الله عز وجل، مات غرقاً في بير سقط فيها بغير حضور أحد ولا رؤيته، رحمة الله عليه ورضي عنه، وألحق روحه بالرفيق الأعلى من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين، وكان ميلاده في الجمعة 14 من صفر - 1129 هـ، ومات على ثماني عشرة سنة، وكان رحمه الله حسن الفهم والإدراك عرافاً بسرد الكتب كلها، ويسرد البخاري سرداً جيداً وقد أصابتني به مصيبة إنا لله وإنا إليه

راجعون اللهم أجرني في مصيبتي وأعقبني خيراً منها، وكان قرأ توضيح الخلاصة لابن هشام باللوحة، وسرد المكودي والمراد عليها حتى كان يقبض القسطلاني ويعزل منه المتن، ويجيد قراءته من غير توقف ممزوجاً بالشرح بالخط المشرقي، وقرأت معه شرح السنوسي على صغراه مرتين، وسرد عليها حاشية سيدي عيسى السكتاني، وسيدي عبد الرحمن الفاسي، وإيضاح القرويين على علم المعاني والبيان إلى آخر مبحث الاستعارة، وافته منيته في السبت - 21 - ربيع الأول 1147 هـ انتهى ببعض اختصار تأمل في ذلك لتعلم كيف دراسة الشيخ الصوابي، والبئر التي تردى فيها المذكور ذكر لي مقدم الزاوية الصوابية، إنها هي الموجودة في متوضإ المسجد الآن.

وأما البنت فهي السيدة رقية المشهورة عند الماسيين إلى الآن بالخير والبركة، وهي التي بقيت وحدها بعد أبيها، وقد تزوجها أولاً فقيه سملالي يسمى عمر من (إعجلين) كذا ذكر لي ثم خلفه عليها الفقيه سيدي محمد بن عبد الله المرزكوني السملالي، فولدت معه أحمد بن محمد كما سترى قريباً، وتوفيت رقية ليلة عيد المولد النبوي 1185 هـ وصلى عليها كثيرون، يؤم بهم الفقيه التودماوي، وولادتها بين الظهرين في الثلاثاء 11 - 3 - 1137 هـ، ولا يزال الماسيون يذبحون عند قبرها كلما أرادوا من ماء الوادي فتح ساقيتهم كما ذكر لنا، ومشهدها شهير في ماسة، وكانت صالحة عابدة حازت إرث والدها، وبسببها عمرت زاويته بعده كما ستراه، ومما يحسن ذكره وإن كان استطراداً ما وجد أيضاً مقيداً بقلم الصوابي ونصه:

(توفي صاحبنا الوفي الصوفي الحسن الفهم الزاهد الورع النحوي اللغوي الجيد الإدراك في كل فن منقول ومعقول، المخصوصي في وقتنا وفي قطرنا بفهم مقامات الحريري ومعرفتها، سيدي عبد الله بن إبراهيم الرسموكي السملالي ليلة الثلاثاء 13-3-1147 هـ أقول قد ذكره الحضيكي في رحلته، وذكر أنه لازم زاوية الصوابي بأولاده، وهو من أصحابه إلى أن مات فعلمنا أنه من المدرسين بالزاوية.

ومن أصحاب الصوابي أيضاً الفقيه أحمد بن عبد الله الماسي الفنتوري،

وقد وصف كيف توفي الصوابي فقال: شرعنا في تغميضه وتليين مفاصله وصب الماء برفق بفيه إلى أن مات، فنوينا نقله إلى داره بماسة فمنع الأيبوركيون الإسغاركيسيون، وقامت خصومة بيننا وبينهم ولم ندفنه إلا في العشاء، وصلى عليه جم غفير) انتهى باختصار، نقل ذلك حفيد الصوابي عبد الله بن محمد، أو حفيد المقيد لا ندري.

أحمد الورزازي

بين أيدينا هذه الرسالة من الصوابي إلى أحمد العباسي نصها:

(شيخنا معشر المسلمين، وسيدنا أبو العباس سيدي أحمد بن محمد العباسي، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ورضوان الله وتحياته، وبعد فهاكم ما أشرتم إليه من الإجازة، أحسن الله لكم العاقبة في الأمور كلها، والكتاب الذي بعثتموه ليقف عليه الورزازي، دفعته إليه بعد أن كان مشغول البال، واهتم بالارتحال، وأنذر بالانتقال، وذلك من أجل أن من الناس من أنذره مني بالإفلاس، وتكرر عليه ذلك بتكرر المنذرين حتى أطاره، وكان يعجبني من اتساع حفظه، وحسن فهمه، إلا أنه يكثر من الرد على الأئمة، من غير تأدب معهم، ولم يرجع إلي منه ذلكم المكتوب، ولا أمكنني مشافهته حينئذ من أجل نفرة ما، فأخشى الزيادة، وأتلطف في وجه انصرافه دون عيب لما يبدي من بعض الوقاحة، ثم تلكم الكتب التي بعثتموها لم أزل أريد نسخ شيء من كل منها إلى آخر ما في الرسالة، وهي في مجموعة أحمد بن إبراهيم الأدوزي، وإنما أردنا أن نعرف من يدرسون في الزاوية فكان من بينهم العلامة أحمد الورزازي، فقد قال تلميذه الحضيكي أنه ورد من فاس إلى الزاوية فختمنا عليه (الورقات) وجمع الجوامع لابن السبكي، وبعض خليل ثم رجع إلى فاس وقد ذكر ذلك في (طبقاته) وقد علمنا الآن كيف يتأدب الصوابي مع الكبار، ولا يريد من يتجرأ عليهم، ولا عجب أن ورد الورزازي إلى سوس فإنه شلحي، أخذ أيضاً من (تامكْروت) كالصوابي، وقد وصفه المذكور بالعزم وبالإشادة بالحق، وذكر أنه وقع له مع الفاسيين أكثر مما رأيت أنه وقع له مع الصوابي، وقد نزل تطوان إلى أن مات فيها 1179 هـ وقبره معلوم عن يسار الداخل إلى

المقبرة المباركة التي دفن فيها مؤسس تطوان وقد وقفت على قبره، وبيته بيت علم في ورزازات، فقد توفي محمد المعروف بالورزازي الكبير بمكة 1166 هـ، وابن عمهما محمد الصغير وهو شيخهما توفي بمصر 1137 هـ، وهم أصهار الناصريين وتلاميذهم، وقد وقع لأحمد الورزازي مع الملك سيدي محمد بن عبد الملك أن واجهه بما لا يواجهه به أحد في خطبة جمعة.

وللشيخ الصوابي رسائل كثيرة في إرشاد العباد نراها منتشرة، وقد قرأت بعضها في مجموعة سيدي أحمد بن إبراهيم الأدوزي، كما قرأنا أخريات في كتاب لسيدي مسعود المعدري وهي عشرات وكلها تنبعث عن إخلاص فياض، فهناك في ترجمته، في طبقات الحضيكي رسالة منه إلى العباسي في شأن ما يريد من إصلاح قراءة الناس للقرآن، ويوجد مثلها في المجموعة المتقدمة، وسأحرص على كتابة ما تيسر عند سيدي مسعود ليلتئم ما وجدناه من رسائله في التاريخ، ولنسق هنا نماذج منها، كتب إلى أهل داره بزاويته في إحدى غيباته.

(من أحمد بن عبد الله الصوابي كان الله له إلى أهل داره من النساء، سلام عليكن ورحمة الله وبركاته، وبعد فعليكن بتقوى الله العظيم فتحرزن من نفوسكن، فلا تباغضن ولا تحاسدن ولا تطلقن الألسنة بالسوء، وأوصيكن بالصلوات جميعاً في أوقاتها وملازمة ذكر الله والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم، وخدمة المسلمين والسعي في نفعهم بالطحن وما قدرتن عليه من غيره، ولترجون من ذلك أجراً عظيماً عند الله، (فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً).

وكتب إلى تلميذه وصهره سيدي محمد بن الحسن ما يقرأه على أهل الزاوية (أصلحك الله وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فأدخل هذه الرسالة إلى الدار واقرأها على من فيها من النساء، وقل لهن سلام عليكن سلاماً كثيراً ولا ينغص بعضكن بعضاً ولا ينهره ولا يؤذيه بلسان ولا يد ولا عين، بنظر الاحتقار وغيره، وقل لهن يسمعن الكبرى ويطعنها، وأوصيهن أن يطعن أم البنين رضي الله عنها في سرهن وعلانيتهن ويقصدن بعملهن وخدمتهن الأضياف والطلبة وجه الله).

وكتب أيضاً إلى أهل رباط ماسة.

(من أحمد بن عبد الله الصوابي كان الله له، إلى إخواننا وجماعتنا الفاضلة. أهل (رباط[1] الفتح) فتح الله بصائر الجميع سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فسيدي عبد الله بن إبراهيم، وسيدي محمد بن الحسن، يؤكدان المعلمين أعني معلمي الصبيان في رعايتهم وحفظهم من كل ما لا يعني، بعد فراغهم من القراءة ولا يهملوهم، وجدّوا في الصف في تأديب من تخلف عنه ولو بالعتاب في الملأ أو دونه، وفي تأديب النساء على ملازمتهن لبيوتهن، ولو بأن يبعثن صبيان المكاتب أحياناً لتلام من استهانت منهن بالستر وترخصت في الكشف لقلة مروءتها، وضعف دينها، وخلو قلبها من تقوى الله عز وجل وقساوته وحقارته وسوء صنعها، وخبث كسبها، ثم عليكم بمراعاة أول الوقت ولا يتأخر الظهر أزيد من ربع القامة، ونحن في جد لنقضي أرب الزيارة فادعوا لنا، وأستودعكم الله الذي لا تضيع ودیعته والسلام).

وهناك رسائل أخريات منه إلى أهل رباط ماسة الذي يطلق عليه رباط الفتح يظهر من الجميع أنها كانت مكتوبة حين كان الصوابي يقطن هناك، فصح لنا ما تقدم عن بعضهم أنه كان في الرباط أسفل ماسة قبل أن يطلع إلى مكان زاويته في أعلى الوادي، وكأن المكان ضاق بطلبته، فارتاد موضعاً متسعاً ينزل فيه فاختار مكان زاويته.

وكتب أيضاً رسالة إلى أهله في الجبل بايت صواب فسمى فيها (تكشطررت) و(دو واوجو) و(تاجكّالت) و(تاكّاديرت) و(تيزي) و(تكّزن) وذكر فيها عمه الطالب سعيداً، يوصيهم بالدين، وينهاهم عن معاونة أهل الفتن، وعن فرض المغارم على الناس، وقد كان يمنع في زاويته من كل ما يؤدي إلى الخصام، حتى كان منعهم من التبايع بالدين، وهناك رسالة منه إلى الشيخ سيدي واساي[2] وقد بعث تلاميذه إلى مشهده يقول فيها:

(من العبد الضعيف الغريق في الذنوب والسيئات، إلى الولي الجليل سيدنا

---

(1) يعني رباط ماسة الذي يقال أن مبدأ تأسيس مسجده كان على يد عقبة فاتح المغرب.

(2) سيد صالح قديم، يوجد ما نعرفه عنه وعن أعقابه في السادس عشر من (المعسول).

عبد الرحمن الرندي المشهور على ألسنة الناس بوساي. . . إلى أن قال بعد نثر يتضمن السلام، وبعد فإني باعث إليك ولداناً وصبياناً يطلبون أن تمدهم من فضلك الرباني:

عليك أبا زيد تحية شيق ... يروم ارتواء من زلالك مملق
وبعد فإني مرسل لك ولدة ... أحب لهم فهماً إلى حسن منطق
فقد لاح لي فيهم عضال بلادة ... أعوذ برب العرش من سعي مخفق
إليك بها شكوى فأنت طبيبها ... وجاهك عند الله جاه محلق

إلى آخر القصيدة الموجودة في تلك المجموعة، وقد دلت على متانة محبته للخير في هذا الباب وقد صدرت من قلب خاشع يستغرق الأوقات في نفع العباد رضي الله عنه.

وممن أخذ عن الصوابي سيدي أحمد[1] بن إبراهيم بن محمد الأدوزي المتخرج بالعباسي والجامع لفتاوية، وقد ذكر أن الصوابي كثيراً ما ينشد لتلاميذه:

لا تعجلن بأمر إن بليت به ... إن العثار على العجلان مرتقب
واصبر ودبر وقس وأثبت على مهل ... حتى يقول الورى ذا أمره عجب

وممن أخذ عنه أيضاً فيما نظنه سيدي يحيى الإنكضائي شارح الزواوي وهو الذي نسب إليه تلك الأبيات المتقدمة.

ذلك هو الشيخ الصوابي العظيم الشأن، المنفرد بالهمة العالية في نصح العباد وإقامة الدين، وقد وقفت له على ما يدل على أنه حاول من أهل (أساكا أو بلاغ) إقامة الجمعة، فكتب إلى سيدي إبراهيم بن محمد اليعقوبي يطلب منه أن يكتب إليهم في ذلك، وقد علمت أنها أقيمت الجمعة هناك بعد ثم انقطعت، فحاول شيخنا سيدي أحمد بن مسعود المعدري منهم إقامتها ثانياً، فلم يخلوا أيضاً من أعذار تشبه ما اعتذر به أسلافهم، وما أشبه الليلة بالبارحة،

(1) ترجم بين الأدوزيين في الخامس من (المعسول) وهو ابن إبراهيم الذي سيذكر قريباً.

ولعل القارئ لا يخرج من كل ما هنا حتى يتصور هذا الشيخ العلامة المدرس المولع بنسخ الكتب، وبإقامة الدين وإعلاء شرائع الإسلام بكل ما أوتيه من قوة، وحتى يعرفه حق المعرفة، ولعله لم يخلفه أحد في الأجيال بعده، في مثل همته في إقامة الدين بالوعظ الذي يصك الآذان، حتى جاء التاسكاتي والحضيگي، ثم ابن زكري ثم أبو سالم الولياضي أبو العباس التيمگيدشتي ثم الشيخ الإلغي الذين أبدأوا وأعادوا في ذلك.

الشيخ التاسگاتي:

من الشيوخ الكبار المتصدرين للتدريس ولإرشاد العباد، فكان خير مثال أعلى ينبغي أن يكون على غراره علماء الملة، قال فيه أبو زيد الجشتمي في كتابه الحضيگيين:

(ومنهم سيدي محمد بن أحمد التاسكاتي الإيلالني الماسي، كان رحمه الله عالماً عاملاً ناسكاً، من أكابر أصحاب الشيخ الحضيگي علماً وديناً وعملاً ونسكاً. ولياً صالحاً زاهداً راجحاً مؤثر التصوف، فائقاً فيه، حج بيت الله الحرام، وزار قبر نبينا محمد ﷺ مرافقاً لوالدنا - يعني سنة 1196 هـ - رحمه الله، سكن في حمى الشيخ الصوابي، حتى طار صيته في الآفاق، وجاءته من كل جهة الرفاق، له مكاشفات صادقة، وكرامات ظاهرة فائقة، منها إنذاره بأبي أحلاس، وقيامه بنفسه وجمع الجيوش على مدافعته حتى قتل الزنديق وهزم جيشه، ومن أعظمها مرائيه للنبي ﷺ، وتبشيره له بشفاعته فيمن علمه شيئاً أو صلى وراءه)[1].

أقول أن وفاته بالضبط كانت صبيحة الثلاثاء بعد الفجر 26 من ربيع الأول 1214 هـ مرض ثمانية أيام ودفن في مشهد سيدي وساي بوصية منه، ومسقط رأسه من تاسكات من قبيلة إيلالن ثم لازم الحضيگي حتى ألحت عليه السيدة رقية بنت الصوابي فيمن يعمر الزاوية فارسله إليها الحضيگي، ولا ندري وقت حلوله بالزاوية بالتعيين، ووقت اقترانه بالسيدة فاطمة بنت محمد البوكورائية،

(1) وذلك معلوم في رسالات متداولة في البلدان، رأيناها طافحة بالبشريات.

كان في عاشر رجب 1185 هـ والصداق ثلاثون مثقالاً، وقد رأيت عقد النكاح بين إضبارات أوراق عند مقدم الزاوية، ويؤتى لي أن أم رقية المذكورة كان الصوابي اقترن بها في (بوكورا) وأنها من هناك، فتقف هذه السيدة حتى يتمهد تزوج التاسكاتي من هناك إن صح مجيئه إلى الزاوية قبل وفاتها، وليلاحظ أن رقية توفيت في ربيع الأول، وفي رجب بعده كان تزوج التاسكاتي، وقد وجدت من قيد وفاته وصفه بالشريف، ولم نتصل الآن بما نعلم به آله من (إيلالن) لنكون على يقين من ذلك.

وأخبرت بأن للتاسكاتي أخوين أحدهما يسمى عبد الله في أيت حامد، والثاني عبد الملك يسكن في (تمسيا) من جهة قبيلة كْسيمة وهناك أخ له يسمى محمدا له ولد فقيه يسمى عبد القادر تخرج بعمه، وقد مر بنا عبد القادر التاسكاتي الكبير، فأما الموقف المحمود الذي اشتهر به التاسكاتي فهو مقاومته لثائر يزعم أنه السلطان اليزيد بن سيدي محمد بن عبد الله ثار في بعمرانة ثم لم ينشب أن انتشر أمره فاتبعته القبائل طوعاً أو كرهاً، ثم تكون له جيش زحف به على إفران حيث نهب قبائل إفران التي تدفع عن الأستاذ الذي قام ضده أيضاً في (أمسرا) سيدي أحمد بن سعيد، فنهب هناك ما نهب بعد انهزام الناس أمام جيشه الكثير، وفي وقت نزوله في تيمولاي السفلى وصله رسول من عند التاسكاتي يعلن له به العداوة ففتك به، وقد كان التاسكاتي قال لتلاميذه من الذي يذهب بهذه الرسالة إلى أبي أحلاس ممن له رجاء في الخير، فأجابه السيد الذي يطلق عليه أبو الرجاء إلى الآن وهو في ضريح عليه قبة في تيمولاي.

ثم صار التاسكاتي يستحث العلماء والفقراء الناصريين إلى مدافعة هذا الصائل الذي يفتن الناس في دينهم، فأجابه الولتيتيون بجيش عدته اثنا عشر ألفاً، رابط في تازاروالت ثم إن بحلاس استدار من إفران إلى الإخصاص فنزل إلى أزغار، وقد كان الجراريون وبعض أهل العوينة من شيعته، لما رأوه منه من المخارق التي تخالف العادة، فاضطرب جيش الناس في تيزنيت، وقد توافرت قبائل هشتوكة وولتيتة، ثم صمدوا إليه بالعوينة فألقي في مطمورة أحرق فيها - كما تقدم - ولا يزال المكان معلوماً بين أطلال قرية كبيرة اندثرت منذ ذلك اليوم، واسم الذي تولى قتله برصاصة من الفضة من مسدس، محمد بن أبكْو

التازروالتي وقتله في ظهر الثلاثاء في يوم من أيام شعبان الأبرك 1207 ولم أستحضر الآن اليوم من الشهر، وقد ذكرنا بعض ما يتعلق بهذه الواقعة عند كلامنا حول العوينة كما فصلنا أخباره في غير هذا الكتاب.

وقد كان في بالي أن المولى سليمان الذي افتتحت سلطنته في ذلك العهد زار سوس وكان ذلك ليشرف على أمثال المخلصين الذين يقاومون الثوار من عند أنفسهم، فيمهدون للدولة ولجمع الكلمة، وكأنني سمعت أنه وصل إلى ماسة فلاقى التاسكاتي وقد ألم المؤرخ الضعيف بهذه السفرة، ولكن لا أدري كيف كانت وإلى أين انتهت.

كان التاسكاتي مكباً على التدريس ملازماً لدرس الحديث خاشعاً مخبتاً منيباً، كثير الأدعية، ومن دعواته عندما ينتصب لدرس الحديث بعد الصلاة على النبي ﷺ: (اللهم إني أسألك من خير ما سألك سيدنا محمد ﷺ ونسألك من الجنة وما يقربنا إليها من قول وعمل، ونستعيذ بك من كل شر عاجله وآجله، ما علمنا منه وما لم نعلم وأنت المستعان وعليك التكلان) ويزيد على ذلك بعد انتهاء الدرس (سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت) ثلاث مرات، (اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، اللهم متعنا بأبصارنا وأسماعنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا غاية رغبتنا، ولا إلى الناس مصيرنا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا يا أرحم الراحمين)، وقوله (سبحانك) قد أدركنا كثيرين يذكرونه مع أشياء أخرى جماعة في دبر كل صلاة في المساجد، ومما يذكر أيضاً عن التاسكاتي أنه يذكر عقب التراويح في الجماعة ما لا يزال مشتهراً عند الناس في ذلك الوقت إلى الآن، وهو "سبوح سبوح قدوس رب الملائكة والروح، جللت السموات بالعزة والجبروت، وتعززت بالقدرة وقهرت العباد بالموت، اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك لا أحصي ثناء عليك، أنت

كما أثنيت على نفسك، أستغفرك وأتوب إليك) ثلاث مرات، ثم (اللهم صل على سيدنا محمد وآله عدد نعم الله العظيم وأفضاله) عشر مرات، ثم (اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما) مائة مرة، ولا يزال هذا يتلى في مساجد سوس الجزولية إثر التراويح.

فلا ريب أن القلب الذي يولع بكل هذه الدعوات، لا يكون إلا متنوراً، فإنه لا يعرف كيف النور إلا أهل البصائر، وقد توفي ودفن إزاء قبر سيدي وساي، فقبراهما متلاصقان معروفان، ولا نعلم له عقباً، ولا يزال أهل الزاوية يحافظون على فردة من نعله الصحراوية يتبرك بها الناس.

ومن آثاره إجازته الآتية:

(الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين وعلى آله وأصحابه الكرام أجمعين، وبعد فإن أخانا الفقيه الصالح السيد عبد الله بن أحمد - بل ابن محمد - الهلالي - الإيلالني - ثم الألوسي طلب مني أن أجيزه بعدما لزم مجلسنا مرات، رجاء لما يناله منه، فلا حرم الله سعينا وسعيه. آمين فأقول:

أجزت الفقيه المذكور أن يروي عني جميع ما صحت لنا روايته من سائر الكتب فقهية أو حديثية أو نحوية وغيرها من المتداولة وغيرها إجازة مطلقة عامة شاملة من مقرو ومسموع، ومفرق ومجموع، وذلك على شرطها المعتبر عند أهل الأثر من التثبت في الفتوى والصبر والتقوى وأسانيد أشياخنا مذكورة في فهارسهم، وعليه لنا بالدعاء بالخير في كل حال وكتب محمد بن أحمد آخر شهر شوال سنة 1195 هـ) وأما ما ذكره الجشتمي فيما بشر به المترجم في شفاعته فيمن إليه، وإن ذلك في رسائل متداولة في البلدان، فقد رأيت نسخة منها ولم تحضرني الآن، فرحمه الله من إمام نصوح اقتفى آثار الصوابي شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، ويوجد تقريظ له لشرح المرشد للأدوزي معاصره.

وأما المرزكونيون فبيت علم كبير، وهم من إمرزكان بسملالة وقد كان معروفاً منهم الفقيه مسعود الآخذ من تامكروت وقد درس وخرج ويحكم بين الناس توفي نحو 1160 هـ.

ومنهم الفقيه عمر من إعجلين زوج السيدة رقية بنت أحمد الصوابي أولاً، وكان ممن تخرج به، وقد ذكر لنا أنه من هذه الأسرة، ونظن أنه لو كان منهم لما نسب إلى إعجلين والله أعلم.

ومنهم محمد بن عبد الله المرزكْوني من المتخرجين بالصوابي كان يسكن في قرية (الفيض) برسموكة، تزوج هناك امرأة تسمى مماس ولد معها أولاده الأولين، ثم لما ماتت تزوج رقية بنت الصوابي فولد معها أحمد بن محمد، وقد نال ابن عبد الله شهرة كبرى، وأظنه كان يدرس في حمى الصوابي إلى أن توفي بعد 1180 هـ وقد رأيت ما يدل على أنه غير موجود في رمضان 1189 هـ تحقيقاً وأرى أن التاسكاتي ما ورد إلى حمى الصوابي حتى توفي هذا الفقيه والله أعلم.

ومنهم أحمد بن محمد بن محمد وأمه رقية المذكورة، وقد نال شهرة كبيرة بعد التاسكاتي، وقد رأيت ما يدل على أنه كان كبير القدر 1216 هـ ويظهر أنه تخرج بالتاسكاتي ولا نعرف متى توفي، وإخوته هم عبد الله ويحيى وعلي ومحمد سوى البنات، ولعل عبد الله عالم فيكون هو الذي نقلنا عنه ما يتعلق بوفاة الصوابي عن الفنتوري.

ومنهم ابنه سيدي محمد بن أحمد علامة كبير لا يقعقع له بالشنان، أدرك شأناً عظيماً في زمنه، فقد كان له اتصال بالقائد الحاج عبد الله بن عبد الملك الحاحي، وهو الذي بنى أبنية الزاوية بعد ما تشعثت كما تقدم، ثم اتصل بسلطان ذلك العهد مولاي عبد الرحمن، وهاك نص ظهير أصدره إليه:

"يعلم من كتابنا أعلى الله قدره، واطلع في سماء المعالي شمسه المنيرة وبدره، أننا جددنا بحول الله وقوته، وبشامل يمنه وبركته للمتمسك بالله ثم به المرابط الأرضي، السيد محمد ابن أحمد المرزكْوني ما في يده من ظهائر أسلافنا الكرام، قدس الله أرواحهم في دار السلام المتضمنة توقيرهم واحترامهم وحملهم على كاهل المبرة والإكرام، ومعاملتهم بالإجلال والإعظام، فلا يسأمون بتكليف ولا يوظف عليهم بوظيف، وجعلنا زاوية الشيخ سيدي أحمد الصوابي بماسة من جملة الزوايا المحترمة، وأنعما على المرابط المذكور بزكاة

وأعشار جماعة أيت مريبط وجماعة (أيت إزويكا) النازلين حول زاويته، إعانة له علة القيام بأمور زاوية سلفه من إقامة الدين وإكرام الوافدين، فالواقف عليه من خدامنا وولاة أمرنا يأتمر بمقتضاه ولا يتعداه، صدر به أمرنا المعتز بالله في 23 من المحرم عام 1260 هـ" وفوقه الطابع الكبير الرحماني.

وقد كان أسلافه اتصلوا بالملوك قبله، ولهم منه ظهائر - كما رأيت من هذا الظهير ولا أدري متى توفي سيدي محمد بن أحمد وأخاله نحو 1280 هـ وله ستة أولاد، أحمد ويوسف والحسين وإبراهيم والحسن ومحمد.

وقد رأيت أيضاً ظهيراً محمدياً مؤرخاً بـ26 جمادى الأولى 1290 هـ وفيه من اسمه الحسين ولد آل المرابط محمد بن أحمد على غرار ما تقدم، فيه تحريره وتعظيمه هو وزاويته، توفي بعد 1314 هـ.

ومنهم ابنه محمد بن محمد فقيه يذكر بين علماء أهله في مزاولة النوازل، وأظن أنه مع إخوته عن الشريف الكثيري، توفي إما في أواخر القرن الماضي وإما في صدر هذا القرن.

ومنهم أخوه يوسف عالم محكم، له شهرة ومقام، رأيته في ظهير حسني مؤرخ بـ22 - 1293 هـ وآخر عزيزي مؤرخ بـ 12 - 1 - 1314 هـ، وقد أخذ عن سيدي أحمد أوجمل، وتوفي بعد 1315 هـ.

ومنهم محمد بن الحسين المرزكوني أخذ عن الأستاذ المحفوظ الأدوزي وأجازه بإجازة رأيناها وهو وسط في معلوماته، وكان ديناً يذكر بكل خير، توفي أوائل ربيع الأول سنة 1333 هـ.

هؤلاء علماء هذه الأسرة العالمة وقد عرفناهم الآن ببعض أشياء تلقي ضوءاً على تراجمهم، وقد انقضى اليوم العلم فيهم فغربت شمس الزاوية، وقد كان عمل هؤلاء المتأخرين الجولان في النوازل فقط، وقد تركوا التدريس في الزاوية منذ أزمان، ومال الزاوية بيع كله، فدخلت الزاوية وآثارها في خبر كان.

مشهد سيدي وساي:

لم يكن يتيسر لنا أن نزور مشهد سيدي وساي في الرحلة الثانية، ولذلك

ذهبنا اليوم يوم الأربعاء على سيارة على تاسيلا إلى أغبالو والمسافة قريبة، ثم ركبنا البغال فجزنا الوادي الكثير الماء. ثم خضنا كثبان رمال، وفي نحو ساعة وصلنا المشهد، وهو في زاوية فيها سكان غير كثيرين، وعلى المشهد قبة جددت 1297 هـ، ومسجد كبير في الجملة إزاء المدخل من الباب الخارجي على اليمين، وعلى اليسار مراق إلى مسجد تنحدر إليه وهو صغير، وأمامه بير ومتوضأ، وعلى كل تلك الأبنية روعة، والمشهد قريب من أمواج البحر، وقد يغمر البحر ما حواليه أحياناً إذا امتد فوق العادة، وقد كان الزوار يكثرون هناك جداً قبل هذا العهد، والذبائح لا تزال موجودة إلى الآن، والعادة أن يكون نصفها وأسقاطها لمقدم الضريح، وكذلك ما كان في صندوقه، وذلك هو الذي تولته الأحباس الآن، وباعته هذه السنة بنحو ثلاثة آلاف ريال، وبيع أيضاً بمثل ذلك ما له من الأملاك في ماسة وقد كانت الزاوية هناك قائمة قبل، فتوجد الحصر والضيافة، ثم طوى ذلك اليوم، ويقام هناك موسم عام للبيع والشراء في الخميس الأول من غشت كل سنة، ويحتفل به الماسيون وآبار تلك الناحية غير أجاج وفيها حلاوة ما.

وترجمة الشيخ سيدي وساي، واسمه عبد الرحمن الزندي، بسطناها على حسب ما عندنا في غير هذا الكتاب[1] وقد رجعنا من هناك عند الظهر، فوصلنا (تاسيلا) فوجدنا رياضاً نزلنا فيه كان يستتم بناءه على كيفية تستوقف الأبصار رونقاً واتساعاً، وقد كنت في ذلك الصباح جالست سيدي المحفوظ بن الحضرمي الأديب الصحراوي، فقلت له أن هذا لملعب الخيل لا رياض الجلوس اتساعاً، وليس في (سوس) الآن ما يشبهه من الرياضات الأنيقة، وقد ظهرت فيه يد الصناع السوسية فقلت إذ ذاك وأنا مع سيدي المحفوظ:

روض أريض مونق معجب ... متسع كأنه ملعب
يرفل فيه الحسن في حلة ... باهرة منظرها يخلب
كما ترى العروس مجلوة ... أذيالها من خلفها تسحب

(1) في السادس عشر من (المعسول).

أو طلعت الوجه الجميل إذا — يفتر منه مبسم أشنب
فأينما ألتفت أبصرت ما — تقول فيه أنه أعجب
تشابهت ألوانه روعة — فكلها في الذوق تستعذب
بياضه وافق حمرته — كأنه مفضض مذهب
آية سوس في الرياضات لا — يشبهه سواه أو يقرب
فإن تكن صدوره رحبة — فصدر من شيده أرحب
دام لأهل العلم والدين في — فيض من الإقبال لا ينضب

فكتب على تلك أبيات سيدي المحفوظ الأديب أبياتاً منها:

تصوغ بديع الشعر وهو جميل — وباعك في كل العلوم طويل
فقد حزت تحقيق العلوم بأسرها — وأنت إمام عالم وجليل
وآباؤك الأعلام قد زدت فخرهم — بعزم إلى كل المعالي يطول
فأنت الدليل في المعارف كلها — ووالدك الشيخ الجليل دليل

والقائد على ماسة اليوم هو مبارك من آل عبد الله بن بلقاسم، وهو الذي بنى هذا الرياض فدل ذلك على حسن ذوقه وفقه الله لكل خير فإنه شاب طموح من أبناء هذا العصر.

في هشتوكة:

خرجنا قرب عصر يوم الخميس - 15 من ذي القعدة من (تاسيلا) وتسمى أيضاً (أݣادير نترݣا) على البغال بعدما ودعنا علماء ماسة الأفاضل، سيدي أحمد[1] بن محمد الإلياسي، وسيدي عبد[2] الرحمن الأدوزي الساكن في قرية (تاسنولت) كما ودعنا أيضاً الفقيه سيدي الطاهر[3] السماهري نزيل زاوية (أݣلو) في جوار سيدي (وݣاݣ) والفقيه سيدي عبد الله بن محمد العويني

(1) ترجم بين أهله في (الثامن عشر).
(2) ترجم أيضاً بين أهله الأدوزيين في (الخامس).
(3) ترجم في (الثالث عشر).

المتقدم، وقد وفدا على رب مثوانا القائد مبارك الماسي، فوصلنا دار الأديب العلامة سيدي الحسن بن مبارك البعقيلي نزيل أو خريب بأيت بلفاع، وقد كان في انتظارنا العشية بعدما أعلمناه بالمجيء فأجابنا بهذين البيتين المشهورين القديمين:

قد بشرت بقدومكم ريح الصبا   أهلا بكم يا زائرون ومرحبا
واستنشقت أرواحنا أرج اللقا   يا حبذا قرب الزيارة أطربا

هذا الأديب من فطاحل العلماء بسوس اليوم، وفي طليعة شبابها العالم المتطلع إلى المعالي، وله مشاركة تامة ويد مكينة في العلوم التي درسها من فقه وأدب وتاريخ وأخبار الناس ونوادرهم، وله من الاطلاع على تراجم رجال سوس مقام يتذبذب دونه سواه، وقد كنت على ملاقاته متعطشاً منذ ثماني سنوات، فلم يتيسر لي ذلك إلى الآن، لأنني أتيقن أنني أجد عنده ما لا أجد عند غيره.

زرنا معه في صبيحة الجمعة المدرسة، فرأيناها مقفرة من الأستاذ، فضلاً عن التلاميذ فقد درنا في أقسامها فرأينا البيوت تتهدم، والباقية منها خاوية على عروشها، فلا أقفال عليها، وأغلاقها تتحطم شيئاً فشيئاً، وقد أراني بيوتاً كان فيها أمثال الأديب داوود الرسموكي، والعلامة علي بن الطاهر المحجوبي، والفقيه أبي زيد التاسنولتي، ومكان الأديب الشاعر البونعماني، حين كانوا يأخذون عن والده، وهي مدرسة وسطى، إلا أن فيها أقساماً يظهر بها كبرها، ووراءها قبة مبنية على من يدعى سيدي محمداً الركْراكْي ولا يعرف له تاريخ، والأستاذ سيدي مبارك[1] البعقيلي والد صاحبنا، مدفون في الصف الأخير في المسجد، فذاكرت الأستاذ ولده سيدي الحسن في ذلك، فقال: إن الحامل على ذلك هو العوام الذين لا يراعون السنة فيمن يعظمونهم، وقد توفي - 28 - 7 - 1350 هـ.

وقفت هناك على هذه الفوائد:

1) فتاوي المتأخرين، مؤلف ليببورك السملالي، رأينا النقل عنه في كتاب "منع الثنيا" للتاموديزتي.

(1) ترجم بين رجالات تيفرميت الوسلاميين في (الرابع عشر) من (المعسول).

2) منظومة صغيرة للأستاذ إكّيك، في كيفية قسمة التركة، كما حررها عن أستاذه ابن بحمان البعقيلي، وكان ابن بحمان هذا من الفرضيين الكبار، وكان سيداً صالحاً قنوعاً عزوفاً عن أموال الناس حين يقسم لهم، أخذ عنه الفرائض إكّيك وأبو فارس، وتخرج بالعربي الأدوزي وهو الذي نادى في الناس نحو 1314 هـ بأن الثنيا حرام فألف ضد ذلك ابن العربي الأدوزي فرد عليه التاموديزتي - وقد تقدم له ذكر - وله رياسة في مقاومة الكّيلوليين، وكان يقول أن المتعامل بالثنيا شيطان وإن ظن أنه ولي.

3) منظومة في الجداول نحو 100 بيت في 72 صفحة معها الجداول لعبد الله بن سعيد ابن يحيى الحامدي التكّضيشتي الزكراوي الشيخ العلامة النحوي اللغوي - كما وصف به - ولا أعرفه، ولعله هو عبد الله بن يحيى مترجم البردة إلى الشلحة ولعل تلك المنظومة هي التي شرحها الحسن بن الطيفور[1].

4) وثائق محمد بن الحسن التوغزيفتي السملالي الكّرسيفي في 17 صفحة بين فيها كيف التوثيق في أبواب من الفقه بكلام غير مسهب.

5) مؤلف لمحمد بن إبراهيم بن أحمد الأنيلي التملي في الجداول، نظمه ثم شرحه له، وسماه "درة الغواص" في 25 صفحة.

6) آخر له وهو نظم ثم شرح في الجدول المربع المخصوص بأحوج زبده في 5 صفحات والمؤلف مجهول عندي الآن.

وقد استفدنا من كتب مختلفة وفتاو أسماء هؤلاء العلماء.

إبراهيم بن أحمد الثوري المفتي، لعله والد الأستاذ محمد بن إبراهيم الثوري، من فم التلعة (إيمى نتالات) السملالي، وقد مر بنا آنفاً بعض الثوريين، فليضم إليهم هذا.

ومحمد بن إبراهيم بن محمد التملي من الآخذين عن الفقيه محمد بن الحاج محمد الإثمدي الشهير المتوفى 1259 هـ.

---

(1) وأول المنظومة والبيت هكذا:

هاك تعمير جدول مثلث ... بإخلاص النية دون العبث

والحسين بن أحمد بن إبراهيم بن محمد أبو الذئب - بووشن - به عرف الإكماري المفتي من بني داوود بن عبد الله لا يزال حياً 1301 هـ.

وعبد الله بن القاسم حي 1144 هـ، نقل عنه من قبله في فتوى.

ومحمد بن أحمد بن بلقاسم الأنكضائي البعقيلي المفتي لا ريب أنه من علماء الأسرة الوسلامية من (تيفرميت)، وأحمد بن محمد الإيديكلي التملي، نقل عنه أبو حفص الكرسيفي وأحمد بن إبراهيم الأكماري المفتي، والإيديكليون ذكرناهم في (المعسول).

ومحمد بن عبد الله الأكماري المفتي، وهو معاصر لأحمد بن سعيد الأكماري.

وأحمد بن محمد بن سعيد الجزار حي 1250 هـ، ومحمد بن يوسف التلبرجتي السملالي كتب له كتاب 1255 هـ.

ومحمد بن الطيب الشواري من تلاميذ الحضيكي.

وصالح بن محمد الأمسادكتي السندالي فقيه يفتي.

وأحمد بن سعيد الياسيني المفتي.

وأحمد بن محمد (الزورك) يفتي مع مشاهير آخر القرن الماضي.

هؤلاء كلهم لا أعرف غالبهم الآن، وقد ذكرناهم هنا ليفتش عنهم بعد، وما أكثر العلماء المفتين في كل عصر من أعصار سوس، ففي كل يوم نقف على مئات يظهر من غالبهم الشفوف، وأنهم كانوا من المتمكنين في النوازل غالباً أو في التآليف أحياناً.

سألت رب المثوى أن يفضي لي بكل من يعرفهم في هشتوكة من العلماء الذين يقربون في هذه الأجيال، وكذلك من الكبار المقرئين، فحكى لي ما يأتي:

الحسين بن محمد بن إبراهيم الإسغاركيسي، تخرج بالأستاذ العربي الأدوزي، وهو عمدته في كل علومه التي أتقنها، ويظن أنه أخذ أولاً عن الأستاذ ابن عمه المشهور بابن القاضي، شارط حيناً في مدرسة (أوخريب)

وعادته الإمعان في المطالعة، له شرح على (الدريدية) و(الوتريات البغدادية)، ولم يعرف عنه تدريس نافع، يرد أخيراً إلى المدرسة المذكورة، فينزل على أستاذها سيدي مبارك البعقيلي، وكان يحب الأتاي ولا يرتاح إلا بشربه، وكان مقلاً معمراً، وتوفي نحو 1320 هـ، والإسغاركيسيون مذكورون في (المعسول)[1].

ومنهم ولده محمد بن الحسين أخذ أولاً عن الحاج عابد ما حفظ القرآن على يدي الأستاذ سيدي أحمد من آل الأمين العيسي الهشتوكي المدرس في المدرسة (العمرية) وكان من المخرجين لعشرات في القراءات، توفي نحو 1354 هـ، ثم أخذ المترجم بعد الحاج عابد عن الاستاذ مبارك البعقيلي في مدرسة (أوخريب) وكان نجيباً مشاركاً، ثم صار يشارط في مدرسة بجهة بلده، ثم كان قاضياً عند الوزير القائد عدي الكردوسي في تارودانت أيام الهيبة، ثم راجع مدرسة أيضاً في أحواز (أيت باها) ولا يزال حياً إلى الآن، وقد كان معيناً على يد الحكومة الحالية، وكان لطيف الأخلاق، هيناً ليناً، ويناهز الآن نحو 60 سنة وكان ينسخ الكتب في أولياته، وقد ذكر مع أهله في (المعسول).

ومنهم مبارك الولياضي الشهير بابن عبو الصغير، ويعرف بالسفائري، أخ عن العلامة أعبو الكبير، وكان من نجباء تلاميذه، ثم إنه صار يتردد إلى أكادير ثم اتصل بالقاضي المراكشي في أكادير أحمد بن الغزواني، وقد ألف هناك فتزوج، وملك الأملاك مع القاضي، لأنه يتوقف عليه في مسائل الشرع، ويستنيبه استنابة غير رسمية حتى توفي نحو 1350 هـ[2].

ومنهم الأستاذ علي البلفاعي، كان حمزاوياً مجداً في تعليم القرآن، والروايات في مدرسة (أخريب) وقد كان فيها مع الأستاذ الحسين المذكور، فكان الأول موروداً والثاني منبوذاً لا تلاميذ علم معه فكتب عليه الثاني جدولاً فتشتت أمره وأمر طلبته، فكان ذلك هو السبب حتى انتقل إلى (أيت برحيل) فلازم التعليم هناك وقطن حتى توفي نحو 1320 هـ، والغالب أنه كان أخذ عن

---

(1) في (الرابع عشر).

(2) ذكر الفقيه محمد أوعبو وكل ما إليه في الثامن من (المعسول).

أحمد النجار، أو كان من الراحلين إلى جبالة في أخذ الروايات.

ومنهم سيدي سعيد بن سعيد الحمزاوي البوطيبى أخذ الروايات عن الأستاذ محمد بن العربي المقرئ الشهير، وله يد في العلوم أخذها عن محمد ابن إبراهيم من أهل (تاوريرت وانو) في مدرسة سيدي إبراهيم بن علي من قبيلة (أيت ودريم) وقد تزوج بنت شيخه ابن العربي المذكور وكان يشارط ويعلم كثيراً في مدرسة (سيدي أبي البركات) بحاحة، فأبقى هناك ذكراً وآثاراً ثم راجع سوس فصار يدور في مساجد وكان يتعالى إلى الخوض في العلوم، ولكن ليس هناك وإنما كان متقناً للسبع غاية الإتقان توفي نحو - 1353 هـ.

ومنهم سيدي إبراهيم ابن الحاج من أهل تاوريرت وانو له بعض إلمام بالروايات وكان معروفاً بالجد وهو الذي جدد مدرسة سيدي محمد الشيشاوي وهي قديمة ويكثر عنده الطلبة، فكان يخدم بالطلبة ويبني بهم المدارس التي يشارط فيها وقد شارط حيناً في مدرسة سيدي بيبي وفي المدرسة اليعزاوية ويكثر به الانتفاع وهو من أشياخ الأديب المانوزي في قراءة القرآن وكان من أعلام القراءات الروائية في هشتوكة وقد تقدم في الرحلة الثالثة[1].

ومنهم محمد بن إبراهيم الإزاريفي الإسرسيفي الميلكي المقدام الجريء أمضى عمره في الأحكام ويزاول التدريس وكان من أهل القرن الماضي، شارط في مدرسة أوخريب ويكون عنده من 70 إلى 80 من الطلبة وديدنه مزاولة الفصل بين الناس بالتحكيم، توفي نحو 1290 هـ وله ولد فقيه يسمى أبا القاسم، تخرج بالفيتركَاوي، وقد شارط أيضاً قليلاً في مدرسة أوخريب ولم يبطئ فيها، وهو يكب على النوازل طوال حياته، لا يتجاوزها إلى أن اغتاله إنسان حكم عليه فأقعصه بخنجر ظلماً بعد 1320 هـ.

ومنهم الفقيه سيدي أحمد عمي من الولتيتيين من (أداي) برسموكة، تخرج بالعربي الأدوزي وكان شارط حيناً بمدرسة أوخريب وفي مدرسة أيت بكو بسيدي محمد الشيشاوي كان لا يزال يزاول الأحكام، ومحررات يده موجودة،

---

(1) أهل تاوريرت وانو. مذكورون في الخامس.

وكان يستخرج السرقات على كيفية خاصة، يأتي بصبي صغير فيكتب على بيضة فيقبضها الصبي في يده فيعزم الأستاذ عليها حتى يرى الصبي السارق بنفسه، يتدلى له من البيضة، وكل سرقة وقعت إذ ذاك كان يقصد حتى يرى الصبي السارق بنفسه، يتجلى له من البيضة،وكل سرقة وقعت إذ ذاك كان يقصد من أجلها فيفتضح السارق بنفسه[1] وقد ضرب به الشيخ التاموديزتي المثل حين يذكر السحر في كتاب شلحي له وكان متديناً متقشفاً غاية، توفي بعد 1314 هـ في بلده رحمه الله.

ومنهم أبو الطبل من الولتيتيين المشارط في (إنشادن) حيناً فقيه حسن يزاول الفصل بين الناس، وكان مقدوراً عليه دائماً في رزقه توفي نحو 1316 هـ.

ومنهم سيدي محمد بن القرشي الناصري، والد سيدي أحمد القاضي عالم مشهور كعلماء أسرته ولم يكن مبتلى بالقضاء كإبنه أحمد، وقد تخرج هذا الولد بمحمد بن علي بن سعيد اليعقوبي وكان قليل البضاعة إلا في النوازل، حتى القسمة والحساب يقزل فيهما، وكان يصاحب القواعد الدليميين، وكان مبكراً إلى مزاولة النوازل من صغره، فكانت ديدنه من ذلك العهد ولم يكن أبوه بهذه المثابة، توفي أبوه نحو 1290 هـ[2].

ومنهم محمد فتحا المرابطي المعدري، أستاذ في الروايات، ماهر فيها، ومشارك في العلوم، ذو يد في النوازل، وكان يشارط في (سيدي بيبي) وفي (سيدي مزال)، وكان يزاول الأحكام، وتوجد محرراته، توفي نحو 1310 هـ.

ومنهم سيدي محمد أبو الشبوك الحمزاوي يلازمه عشرات من طلبة الروايات وكان ماهراً فخرج كثيرين في مدرسة سيدي بيبي ومدرسة ابن جرار توفي نحو 1320 هـ.

---

(1) هذا شائع ذائع متواتر، وهو نوع خاص من الروحانيات، وليس كل ما لم يألفه الإنسان كذب، فقد حدثني من أثق بهم أنهم حضروا لذلك في سرقات خاصة وقعت لهم، وهم الآن أحياء، وما علي من إن أراد أن يرى ذلك إلا أن يستعد لنفقة من نعرفه منهم ذهاباً وإياباً، فيشاهد بعينه، وإن كان الصدق قليلاً.

(2) ذكر مع أهل الناصريين السوسيين في العاشر.

ومنهم الفقيه سعيد بن أحمد من (إيزويكا) على وادي ألغاس تخرج باليفتركْاوي، يشارك في ابن جرار وكان يزاول القضاء بين الناس، توجد أحكامه توفي نحو 1328هـ.

ومنهم الفقيه الطاهر الولياضي، من فرقة غير الولياضيين المشهورين في الجبل والجميع إخوة، كان أولاً يأخذ عن أوعبو، ويشتغل إذ ذاك بالفصل بين الخصوم، فنقض له أوعبو حكماً فثار ثائره، فقال والله لأذهبن إلى التحصيل، حتى أعرف من يكون الأعلى والأقعد فهماً فلازم (مراكش) فأخذ عن ابن إبراهيم التكروري وأمثاله حتى صدر ريان، فشارط في مدرسة (أيت يعزى) ما شاء الله فدرس وزاول النوازل، ثم لما مات أوعبو شارط في مدرسة (إداومحمد) وهو على حاله، وقد كان ساكناً هناك، وكان له جولان في قضية الهيبة وقد وقفت له على هذه الرسالة كتبها إلى الأستاذ أبي فارس إذ ذاك، ونص الرسالة:

"سيدنا الفقيه العلامة النزيه اللوذعي العبقري السري حامل لواء المذهب المالكي ونخبة العصر الفلكي، نادرة الزمان ويتيمة الأوان، أبا فارس سيدي عبد العزيز بن محمد بن الفقيه العلامة ضوء الإسلام سيدي محمد المرابطي الأدوزي الشريف الأصيل والمجيد الأثيل سلام على سيادتكم ورحمة الله تعالى وبركاته، ما دام الملوان متعاقبين والسهيل والسها متقابلين، وما لمع آل وملع رال[1] بوجود سيدنا الإمام، دام علاه للأنام، بالنبي ﷺ، والبخاري ورجاله، وبعد فنعلم سيادتكم أدام الله عزها، وأطال في المكرمات عمرها، إن أول واجب على كل مسلم بعد الأركان الخمسة أن ينصح لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم وخاصتهم كما في الحديث، وإن أهم المهمات أن ينظر إلى المسلمين بما ينفعهم وما يضرهم، فيستجلب الأول، ويتجنب الثاني، وأن ينفع ما ينفعهم، السعي في اجتماع كلمة المسلمين، وطرد الكفار الملاعين في بلادهم، وهذا أمر بديهي عندكم لا يحتاج إلى التقرير، وإذا تقرر هذا، فإن أولى المسلمين دخولاً في هذا الأمر أنت وأمثالك، إذ أنت كهف الإسلام،

(1) الال: السراب، والرال: ولد النعام. وملح...

وضوء الأنام، ويجب عليكم أن تدخلوا في هذا الأمر قبلنا وقبل غيرنا، ولو تجيء زحفاً على الركب، إذ قد أدركتم ما دهى بلاد المسلمين حضرهم وبدوهم وخصوصاً مدينة فاس، فقد عمها البلاء وطمها، وغير خفي عليكم ما وقع بالعلماء[1] والاشراف فيها ولرؤسائها وكاد جميع المغرب يتبعها في هذه المهالك، فأين بلاد الشاوية ودكالة، ولولا أن جاء الله للإسلام بهذا الطود العاصم من طوفان الكفار سيدنا ومولانا أمير المؤمنين بين أهل الظاهر والباطن، سيدي أحمد الهيبة نصره الله، لكاد الإسلام ينقرض لا محالة، فيجب على سيدنا أن يعجل بالقدوم والسلام".

وهي رسالة سقناها للتاريخ، لنرى كيف قلم كاتبها، وكيف كانت غيرته لو وجد هو وأمثاله إذ ذاك معينين، لكن الأمر لله وحده، يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء وكان سيدي الطاهر متخلقاً بأخلاق الحضارة ترفها وعدم مبالاة بأمور يراها أهل صقعه عين الديانة، وكان ذا صنعة في القضاء ويد طولى في الفقه وملك خزانة تامة وقد استحوذ عليها الكنتافي يوم مات أواسط ربيع الأول 1338 هـ وليس من الجامدين لكثرة مطالعته، وبالجملة إنه فقيه بارز، قليل النظراء.

ومنهم الفقيه إبراهيم بن محمد المسفيوي يشارط في مدرسة إداومنو، وكان أبوه من الممنون عليهم بالحنيفية السمحة، وكان جيداً في الحساب، يقضي بين الناس وتوجد أحكامه في إداومنو، توفي في حدود 1320 هـ أخذ عن الحسن التاسكدلتي.

ومنهم سيدي عبد بن الحاج محمد - لعل - من أهل تاوريرت وانو أستاذ مدرسة أبي السحاب، من القراء الكبار المخرجين، انتفع به كثيرون قيوم على حرف المكي ويرفع رأسه بذلك، ومما وقع له مع بعض أهل بلده، رحل إلى جبالة فأتقن السبع، فتلاقيا فتذاكرا على إنصاف، فسأل المترجم صاحبه عن الفرق بين (عم يتساءلون) وبين (عما يعملون) فكانت الألف في هذه، ولم تكن

(1) لا ريب أنه يشير إلى مذبحة فاس في فجر الاحتلال.

في تلك، ولم يكن لهما من العربية شيء فرجع ذلك الرجل إلى القراءة ثانياً إلى جبالة وإنما سقنا الحكاية ليعرف كيف تأخر أمثال هؤلاء القراء الكبار في أمثال هذه الأمور السهلة لو كانوا يعتنون ولو قليلاً بالعربية، فيفرقون بين الميم الموصولية والاستفهامية، توفي المترجم نحو 1323 هـ وكان ديناً خائفاً من ربه يؤثر عنه كل خير، وقد تلاه ولده محمد بن عبد في تلك المدرسة، وكان على غرار أبيه، إلا أنه قليل النفع وأهل تاوريرت وانو مذكورون في (المعسول)[1].

ومنهم الفقيه علي اللحياني الومهالي، واللحيانيون أصهار الشريف الكثيري، وتخرج بالكثيري، وكان نوازلياً محكماً ويذكر بكل خير، ممتع المجالسة، دمث الأخلاق، منبسطاً لين الجانب، ذا نوادر وحكايات مستملحة، وكان مسناً مقدوراً عليه توفي بعد 1340 هـ والومهاليون مذكورون أيضاً في المعسول.

ومنهم محمد ابن أخيه ممن تخرج باليوفترݣاوي ورحل إلى مراكش فأخذ عن التكروري ويعرف بتيفعرار، وله أحوال يتعجب منها الناس لأنهم لا يألفونها فكان يستفتح الصلاة بأعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، فهذا وإن كان صحيحاً حديثاً ثابتاً صحيحاً، ما كان ليقبل إذ ذاك. والناس أعداء ما جهلوه، وربما يتكلم بكلام جزافاً، ولا يزال حياً إلى الآن[2] وقد كان ألف في أيام الهيبة، تأليفاً في جمع كلمة المسلمين.

ومنهم الفقيه محمد بن أحمد الكُطيويي، علامة ماهر شارط في مدرسة أيت عمرو بعد أحمد أوجمل، وكان نوازلياً كبيراً محررات أحكامه موجودة، وكانت منافسة كبيرة بينه وبين الحاج المحفوظ البعقيلي التفرميتي حين كان ساكناً في (أسغاركيس) يتنازعان هناك على المدرسة (العمرية) وعلى الأحكام، ولكن كعب الكُطيوي أعلى من كعب هذا، لعله توفي 1320 هـ، وكان عالماً جليلاً مدرساً[3].

---

(1) في السابع عشر.

(2) توفي نحو 1370 هـ.

(3) علمت فيما بعد أنه يمت إلى آل الريش الكطيويين المذكورين في السادس عشر.

وقد تبعه التناني سيدي أحمد في تلك المدرسة، وقد أخذ هذا التناني عن أوعبو، توفي 1348 هـ، وكان عالماً جليلاً مدرساً خيراً يصاحب أهل الخير.

وممن مر في المدرسة العمرية سيدي محمد بن محمد الأدوزي والد سيدي عبد العزيز.

ومنهم الفقيه سيدي محمد بن عبد الله التمجاضي الأصل الكُسيمي الدار والمولد، أخذ عن أبي العباس الكشطي، تخرج حديثاً بعد - 1353 هـ، وهو الآن مشارط في مدرسة (ايت يعزى) يدرس هناك ولا يزال حياً.

ومنهم القاضي سيدي إبراهيم الولياضي ولا يزال قاضياً الآن، أخذ عن أوعبو وعن علماء الجامع اليوسفي بمراكش، وقد تخرج من هناك نحو مفتتح 1338 هـ.

ومما أنشده لنا هذا العلامة الأديب المتفنن مفخرة سوس وفقيهه الفائق، أعجوبة زماننا وتاج شبابنا السوسي رب مثوانا حفظه الله:

إذا أنت فضلت امرءا ذا نباهة على ناقص كان المديح على النقص

ومثله قوله أبي الطيب - فيما قال -:

خلت الديار فسدت غير مسود ومن العناء تفردي بالسودد

وأنشد أيضاً:

من يأخذ العلم عن شيخ مشافهة يكن من الزيغ والتصحيف في حرم
ومن يكن آخذاً له على صحف فعلمه عند أهل العلم كالعدم

وأنشد أيضاً:

عاب العناقيد جهلاً من لم يصل للدوالي

وأنشد أيضاً للزمخشري:

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه
فمن لم يعرف الشر من الخير يقع فيه

وأنشد أيضاً لأبي الطيب:

إن السلاح جميع الناس تحمله وليس كل ذوات المخلب السبع

وحكي أن ممن أخذ عن أبيه سيدي محمد بن محمد المعدري أخذ عنه في مدرسة (بوزاكارن) لازمه حتى نجب، ثم اشتغل بخويصة نفسه، فتك به ضرباً أعوان الكنتافي حتى أهلكوه 1338 هـ، وكان يزاول النوازل قليلاً، وكان أسرع الناس حفظاً.

ومنهم محمد بن الحسن الإغبالؤي الحافظ للقراءات السبع وقد كان نجيباً ذا حافظة قوية ثم شارك حتى تفوق، ثم لما رجع إلى أهله أعرض عن العلم، إلا أنه تلاء للقراءات بالروايات حتى توفي نحو 1357 هـ، وكان لا يشارط ولم يتزوج إلا أخيراً.

ومنهم سعيد الخنبوبي الحمزاوي ممن أخذ السبع عن عبد الله الركْراكْي، ثم أخذ العلم عن سيدي مبارك فكان فيه متوسطاً، وكانت له كتب، ثم بعد أن تخرج فرط فيما أخذه، واشتغل بخلايا النحل حتى توفي 1342 هـ.

ومنهم السيد محمد البعمراني الخلفي من آل الشيخ همو، كان وسطاً في معلوماته إلا أنه مقدام، ولذلك جال في النوازل يقبل فيها ويدبر، وهو الآن في مدرسة (أبي البرجاء) بناحية إفني وربما قرض منظومات، وهو من الفقراء الدرقاويين[1].

والعلم في هشتوكة والاعتناء بالقراءات متسلسل عدة قرون، وناهيك بما كان هناك من مدارس متعددة تنيف على ثلاثين في الهشتوكيين سهلاً وجبلاً، وقد كانت هذه البسائط قليلة السكان قبل، وقد امتلأت بالغابات من أركْان وغيره، ثم تساقط إليها سكان من الجبال والصحاري ومن القبائل الأزغارية الأخرى، فاعتنوا باستعمار الأرض وتهيئتها للفلاحة، فأدى ذلك إلى تقلص تلك الغابات السوداء، الواسعة الفيحاء، فكان في محلها بساتين كثيرة، تفيض على أهاليها بالخيرات، وغالب تلك الأرض مليئة بالفلاحة. إلا أن الأرض الطيبة لم تبعد عن وجه الأرض، وقلما تبقى أسرة من الهشتوكيين بدون بستان

(1) هو من الطلبة البعمرانيين الذين امتحنهم المولى الحسن السلطان حين زار القطر البعمراني، سئل عن قوله تعالى: ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ [صٓ: 15] فأجاب بحرف حمزة (فواق بضم القاف).

خاص يستدير به سور، وفي وسطه بير، يزرعون الذرة كثيراً والخضر، وتزدهر هناك الأشجار خصوصاً أشجار الفواكه الصيفية، من تين وما إليه.

وقد مررنا بأرض (أيت بلفاع) (وأيت بو الطيب) (وأيت بكو)، فرأينا هناك من البساتين الكثيرة المتصلة في الغالب سواداً كثيراً يعلن عن عمارة عظيمة.

ويقولون: إن هناك لكل أسرة بستاناً تكون به في مأمن من الإقلال. والماء قريب في غالب ذلك البسيط، والسقي من الآبار يكون بالنواضح من الخيل أو الإبل أو البغال، إلا أن الأكثر أن يكون بالبقر، وكثيراً ما تقوم البقرة الحلوب في كل دار بذلك المجهود بلا مشقة، وأمر السقي سهل تقوم به المرأة أو صبية مراهقة، والحبال التي تسقى بها تصنع من أوراق النخيل، وتصلح عندهم هذه الحبال لرطوبة الجو لكونه قريباً من البحر، ولهذا يستنبتون كثيراً من النخيل ولا يراد إلا للحبال فقط، ولا ترجى منه ثمار، ويكون شجره سامقاً يستلفت الأبصار، وقد نزلنا في قرية أوخريب فرأيت من البساتين هناك سعة وازدهاراً، ونمو تمر أعجبني غاية وكذلك ما رأيت أحسن وأجمل من ذلك في بساتين أيت علي في أيت بكو ولولا بعض الرمال التي قد تتراكم أحياناً في بعض الجهات، فتفسد الغلال لكانت هذه الأرض أحسن ما يشتاق للسكنى من أمثالنا نحن سكان الجبال.

كان للهشتوكيين صولة عظيمة قبل سنة 1330 هـ فكانت هذه البسائط تموج بالخيل وتزدحم بقوافل الإبل، وتعج بالثروة، إلا أن ذلك تناقص كثيراً بعد وقعات الجهاد أيام الهيبة وقد عركتهم معارك القائد الناجم ومغارم حيدة وابن دحان والكنتافي وهو آخر من قبض منهم المغارم الباهظة وأذل عظماءهم، ثم لم يزل فيهم ذلك الضعف إلى الآن، وإضعاف الأهالي هو غاية المستعمرين دائماً ولذلك كانوا يسلطون عليهم القواد الجبابرة النهمين أولاً، حتى يفتقروا أو يسلموا في الأراضي، ثم يأتون بدورهم كأنهم رسل الرحمة، سياسة عجيبة مرنة ولكن كان أمر الله دائماً هو الذي يغلب أخيراً.

ساحر عجيب:

هناك في قرية (تيمنصور) إزاء القرية التي نحن فيها ساحر يستخدم الجن،

يسمى عيسى، ويزعم أن أصله من قبيلة (الركائبات) وينكر عارفوه هذه النسبة، فأردت أن أراه لأنني لم أر قط هذا النوع، فبعث إليه الفقيه رب مثوانا، فجاءنا فسألته عمن تعلم منه سحره، فذكر رجلاً ماسياً من تاسيلا معروفاً لا يزال ذكره منتشراً في الناس، قال: ساقته الأقدار إلى قريتنا، فضيفته فكان ذلك هو السبب، حتى علمني هذا العلم، وقد بدأني أولاً بأن أتمرن على تلطيخ يدي بمرارة القنفذ، وأن أفعل أموراً أخرى - ذكرها لي ولم أستوعبها - وقال لي متى ترى إنساناً يقف أمامك، فارجع لي، وبعد أيام رأيت إنساناً يقف علي، فذكرت له ذلك، فأمرني بفعل أمور أخرى، فوقف علي الخادم، فلم أزل به حتى أطاعني، وقد أمرني أن أعمد إلى المصطكي ومسلاخ الأفعى والخفاش والهدهد، ودم الحجامة فأجمعها كلها في نحو بطة بعدما أعجنها كلها، فأحكم سدها إحكاماً، ثم أدفنها في مزبلة، حتى يمضي عليها أكثر من 20 يوماً، ثم أفتحها فأجد فيها دودتين فأتناولهما، فأعجنهما ثانياً، ثم أضعهما في الشمس ثلاثة أيام، ثم أدق ما يبس منهما فأضع الدقيق في حق فأتناول منه متى أردت أن أنادي صاحبي قال هذا عملي، بدأ أمامي في العمل فتناول أولاً من حق شيئاً أبيض ولا ريب أنه ذلك المسحوق الذي ذكره - فصار يزمزم بألفاظ ثم صار ينادي صاحبه، وهو واقف تأخذه رعشة غير عادية ويقول: أجلب الآن من مال الذين لا يزكون ولا يزاولون إلا الحرام يكرر ذلك بصوت صهصلق بعزم وجد ثم استلقى على حائط أمامي وأنا أنظر بعيني مستحضراً لعقلي، فإذا به يتناول براداً سباعياً قديماً من حائط أمامنا ثم أعاد عمله وهو ينظر إلي فإذا به تلقف ثانياً منظاراً للعينين في غلاف قديم، ثم ناولته ورقة 100 فرنك، فرماها في الحائط أمامي فغابت عن الأبصار، وهو يقول إلى داري في (تيمنصور) ثم قال أنها ستسقط أمام امرأتي الآن، ثم استجلب لنا بخوراً عادياً وكان معي رجل فقيه صار يلعن الشيطان جهرة، إنكاراً لسحره فيتناول سكراً فقال له اجعل هذا تحت لسانك وبعد لحظة قال له أعطني ذلك السكر فإذا به جعل فقام الرجل متقايئاً ثم قال لصاحب لي هل تريد أن أرسلك الآن إلى إلغ لتأتي للفقيه - يعنيني - بما يريده من داره، فقال له لا لا لا خوفاً على نفسه، ثم سألته أيصلي؟ فقال: لا ولكنه زعم أنه سيتوب من اليوم، وقال أن صاحبي لا يمنعني من الصلاة لأنه مؤمن، وقد قال لنا الفقيه رب المثوى أن كل ما يجلبه يبقى في يد من أعطاه له، وحكى عنه

وقائع كثيرة منها أنه يرجم ديار من يريد رجمهم، فيبيت الحجر يساقط عليهم وأنه جلب أمامه حوائج من دار إنسان ثم ردها إليها وهم في طريق إلى سوق، وأنه أحضر للملك سيدي محمد بن يوسف، فقال للملك أثبت أنت يا سيدي في محلك ثم التفت إلى الأعوان، وهم وقوف سماطين على سيف البحر في أكَادير فإذا بموجة من الأفاعي فأجفل الأعوان وتزاحموا فتساقطت الشواشي، ثم بعد حين انعدمت الأفاعي ثم التفت إلى عبد على رأس الملك هذا أمة لا عبد فليفتش عنه، فإذا به استحال إلى امرأة - ثم ذكر حكايات أخرى له في ذلك منها أن حرطانياً طلب منه بهيمة لحمل الزبل فأمره أن يهيئ الجوالق خارج الدار، فقلب أمه حمارة فظل يحمل عليها الزبل طوال النهار من غير أن يعرف أنها أمه، لكنه لما دخل إلى الدار أخبرته أنها مغمى عليها النهار كله وأنها أحست بشدة تعب في جسمها - وأخباره كلها صحيحة محققة، وقد تعجبت منه حين لزم تلك الفاقة التي ظهرت عليه مع أنه لو خرج على الحواضر لاستغنى من سحره، (وقد مات سنة 1380 هـ).

إلى ماسكَينة:

خرجنا يوم الأحد من دار الفقيه سيدي الحسن رب مثوانا بعدما أفادنا فوائد كثيرة لا توجد عند غيره فبتنا في قرية (تيمنصور) وهي قريبة، ثم في يوم الاثنين في إفريان حيث كنت في صغري أتعلم القرآن، فهكذا رجعت إليها زائراً بعد 35 سنة، وقد اجتمع كثيرون من معاريفنا هناك، وفي يوم الثلاثاء ظللنا في تاكاض ثم بتنا في (المزار) في قبيلة كسيمة وهناك بين كثبان الرمال قبة على رجل يسمى سيدي صالحاً لا نعرفه والغالب أنه من أهل القرون قبل العاشر، ولا ورثة له، ومسجده مردوم بالرمل ويقال أنه ركَراكَي.

ثم تتبعت كتباً عند أستاذ المسجد سيدي محمد بن عبد الله الركَراكَي فرأيت منها شرح الشوشاوي على مورد (الظمآن) ووجدت بكتاب هناك أيضاً هذا السؤال والجواب ونص ما هنالك:

(حبنا الأوفى، وخلنا الأصفى، العلامة سيدي محمد بن العربي عليكم السلام ورحمة الله وبركاته، عن خير مولانا أيده الله ونصره، هذا فالغرض الأكيد الأهم من سيدي إرسال الكتاب لحامله أولاً، وثانياً، جوابكم الشافي،

ونصحكم الكافي، عن مسألة الإمالة أفيدونا يا ساداتنا في ذلك مما يشفي الغليل ويبرئ العليل، بارك الله للمسلمين في بقائكم ونستسمحكم أولاً وآخراً لأن هذا الأمر طالما أشكل علي، وقد كان أبي رحمه الله ينهاني ويزجرني ويغلظ علي القول في إبدال الألف بالياء في سورة سبح ﴿فَسَوَّىٰ﴾ [الأعلى: 2]، ﴿فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: 3] وما أشبه ذلك وسبب ذلك الإشكال أن المعنى يتغير بذلك في قوله تعالى: ﴿مُّسَمًّى﴾ [البَقَرَة: 282] ﴿وَٱلنَّارُ﴾ [محَمَّد: 12] ﴿وَٱلْجَارِ﴾ [النِّسَاء: 36] وقد استفدنا من جوابكم أن الأمالة متعذرة وأن القراءة جائزة بها، فإذا تعذرت وجب الرجوع للأصل، وهو الألف واحتجنا إذن إلى دليل يدل على أن الألف الممالة في مسمى يكون الكلمة بها اسم الفاعل، ومتى تعذرت الإمالة فكيف يجوز إبدالها ياء، فإذا وجدتم على ذلك دليلاً واضحاً ونصاً لائحاً، فأعلمنا بذلك، نعم وتغير المعنى وجهه في مسمى أنه اسم مفعول، وإذا كسر يكون اسم الفاعل، وأن (النير) مثلاً هو آلة الحرث و(الجير) ما يبيض به الجدار (وأبى) في قوله تعالى: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾ إن قرئ بالياء يكون للأب المضاف للياء والسلام من قصير الباع ركيك الفهم، الضعيف السائل للإفادة والتعليم، لا للجدال عبد الرحمن من (تيفيراسين).

أقول: إن هذا السائل هو المعروف بسيدي الحاج عابد المتوفى نحو 1350 هـ وإزاء هذه الرسالة هذه الأبيات لأبي العباس الجشتمي:

أمعشر من يقرأ القرآن ومن يقرى ... فديتكم راعوا الذي حق للذكر
من إجلاله في حسن ترتيله مع ... الخضوع له والفكر في آية الغر
وإياكم قصراً لممدوده وإن ... تمدوا الذي قد كان أنزل بالقصر
ولا تكسروا الحرف الممال بل الزموا ... له الفتح إذ علم الإمالة في القبر
فقد كان في القرآن مختار فتحه ... ولم يكن من يقرأ بالإخلاص للكسر
ولا تكسروا الحرف الممال تعمداً ... فقد عده القاضي عياض من الكفر
نسأل إله العرش توفيقنا وإن ... يمن بجبر الكسر والغفر للوزر
بجاه رسول الله صلى وسلما ... عليه وأصحاب وآل له طهر

وله أيضاً في ذلك:

ألاحي إخوان الصفا السالمي الصدر من العجب والإنكار للحق والكبر
وقل لهم نفسي فداكم تنبهوا لمذموم لحن واحذروا عنه في الذكر
فقد عمت البلوى به أو تكاد أن تعم وقانا ربنا كل ما شر
ولا تحقروا منه قليلاً فإنه يعد عظيماً من مخالفة الأمر
وحق كتاب الله إجلاله وإن يرتل والتفكير في آية الزهر
فمن ذاك تسكين لحا الحمد أو لرا ءرب ورا الرحمان قد شاع في القطر
وتسكين نوني نستعين ونعبد ونون من أنعمت الذي جاء في الأثر
ومن ذاك مد الهاء من لا إله مثـل ما كان في اللامين منه من القصر
فكلمة توحيد من أفضل ذكر ربنـا حقها الإجلال في حالة الذكر
فإن كان عمداً في الصلاة فإنها تصير هباء بالذي فيه من وزر
وقد جاء عن بعض المشايخ إن عمـد تغيير حرف منه كان من الكفر
كذلك إخلاص لكسر الممال من حروف كتاب الله عد من الكفر
فما كان في القراء من كان قارئاً بإخلاصه فيها يميلون للكسر
وإخلاص فتح في الممال هو الذي يحق على من بالإمالة لا يدري
إذ إخلاص فتح كان فيه رواية لبعض الشيوخ السادة النبها الغر
نسأل إله العرش توفيقنا معا لما يرتضي في حالي السر والجهر
بجاه أجل الخلق صلى وسلما عليه وآل خولوا أيما طهر
وأصحابه أسد الوغا والنجوم في الدنـا بسناهم يهتدي كل من يسري

راح علينا الأستاذ الروائي الذي يتقن السبع إتقاناً، سيدي عبد الله البلفاعي وهو من أصحاب والدنا رحمه الله، فلاقيته بكل شوق، لأن بيني وبينه إعصاراً وهو من عدول المحكمة الشرعية بهشتوكة، فحررت عنه ما أريد، كما أن الأستاذ سيدي الحسن بن مبارك البعقيلي المتقدم أولاً راح علينا أيضاً، فراجعنا مباحثتنا كما هو ديدننا كلما التقينا، فبتنا كذلك ليلة الخميس، وفي

الصباح سرنا معاً على أرجلنا صوب (إنز كّان) والركائب تقاد، إلا أننا استطبنا المشي فمررنا إزاء مشهد (سيدي ميمون) المبنية إزاءه مدرسة ليس فيها الآن درس واحد وقد كنا زرنا المشهد عشية أمس فوجدنا على القبر قبة غير كبيرة، وهذا السيد شريف معروف وأولاده الآن في القرية التي يسمي أهلها أيت ميمون بهشتوكة ومنهم (آل تيمكّيدشت)[1] أهل الشيخ سيدي أحمد بن محمد التيمكّيدشتي الشهير، ولم أتصل إلى الآن بمشجر نسبهم، لأحرر منه عصر سيدي ميمون، ولعلنا نتصل به قريباً، فقد ذكر لنا عند أيت ميمون المتقدمين.

وأستاذ المدرسة اليوم سيدي أحمد الفقيه الفاضل ابن عم الأديب الشهير سيدي الحسن التناني رحمه الله من شرفاء (آل سيدي إبراهيم بن علي) التناني.

هذا وقد وقفت على كتب في تاكاض عند أستاذ المسجد وهو من التامراويين البعقليين على ما يأتي:

1) فتوى لمحمد بن سعيد بن عبد الجبار التملي نقلها الفقيه محمد بن عبد الله الساموكني ثم الملكي، وهذا العلامة من أسرة علمية انتقل والدها من ساموكّن إلى أيت ميلك، وقد ذكرت طائفة من علماء ساموكن في المعسول[2].

2) أحمد بن محمد بن علي الإفراوي الولولتي الطاطائي كان عالماً نسخ لنفسه بخط حسن كتباً رأينا منها هناك.

3) علي بن أحمد الكّرسيفي يفتي مع محمد بن محمد التملي لعله الرمالي الدويملالني[3].

4) أحمد بن محمد الإيدكلي التملي المفتي، وكذلك محمد بن أحمد التزختي التملي وهما عالمان، والإيديكليون جمعناهم في القسم الرابع من المعسول[4].

(1) ذكر هؤلاء ونسبهم في الجزء السادس من المعسول.
(2) في الجزء التاسع في ترجمة سيدي محمد بن عبد الرحمن.
(3) ذكر الكّرسيفيون في (الجزء السابع عشر).
(4) ذكر الإيديكليون هناك أيضاً.

5) محمد بن محمد بن حسين البعقيلي، فقيه من أهل الحادي عشر، نسخ لعبد الله ابن يعقوب 1024 هـ كتاباً، وهناك ما يدل على مكانته في العلوم.

بكرنا يوم الأحد 25 ذي القعدة إلى إغيلالن بقبيلة ماسكّينة، حيث الأستاذ العلامة مفخرة سوس اليوم في التدريس، سيدي الحاج مسعود الوفقاوي فركبنا على البغال، تطوي بسيطاً يمتد نحو 7 كيلومترات، وقد مررنا على بعض ضياع للمعمرين استفحل فيها العمران الخدمة الذين تدفعهم القبائل لهم رسمياً بأجور قليلة تعج بهم حقولهم، وأجرتهم 20 فرنكاً لا غير، وذلك لتنشيط الفلاح المعمر، والعملة العاديون نهاراً بنحو 50 فرنكاً إن وجدوا، وقلما يوجدون اليوم في هذه البلاد إلا نادراً ثم دخلنا بعد ذلك البسيط في شعاب تكتسي وهادها وهضابها بأشجار أركّان الكثيرة، وقد صادفنا أمامها نطفية كبيرة تبنى أمام قرية المعصر، وقد أمرت بها الحكومة إعانة للسكان الذين يعوزهم الماء في الصيف، ثم لم نزل نجوب الشعاب ومنعطفات الهضاب بما يقرب من مقدار البسيط المتقدم حتى ظهرت لنا المدرسة فوق هضبة عليا فتسلقنا إليها كما كنا تسلقنا قبل اليوم إلى المدرسة الإزاريفية، وكأن القدر أراد أن يظهر عياناً مقدار المدارس فيهيئ بنيانها في قمم الهضاب ليعلم أنها في قمم المجد.

وصلنا المدرسة فتسايل الطلبة الكثيرون للترحيب، فإذا الأستاذ قابلنا بكل ما يقابل به الكرماء ضيوفهم، فقدمنا إلى ثوي الأضياف، وبعد حين أعلن للطلبة أن يجتمعوا في المصلى فنصب لهم ما تدار به الكؤوس لتستتم ابتهاجها النفوس، وقد أخرج السكر من عنده على عادته في وقت بلغ فيه الكيلو من السكر 500 فرنكاً فأزيد، فهكذا هكذا يكون الكرام وهكذا هكذا تعلن الأفراح للضيوف، فمن لي ببعض البخلاء المتحجري القلوب، لا يجد الفرح بالضيوف إلى قلوبهم مستسرباً ولا يجدون لهذا الشراب الحاتمي مذاقاً، صنع من لا يشعرون ونعوذ بالله من قوم لا يشعرون، وقد فتح الأستاذ كذلك مخزن الحبوب يفرق للطلبة منها، إتماماً للفرح الفياض وإشعاراً للجميع بمنتهى ما خامر الأستاذ من الانبساط، وفتح الأستاذ باب مباسطة الأساتيذ للتلاميذ، والمضيفين للأضياف.

أخبرني الأستاذ بأمور أسطرها هنا كيفما تيسر، ومن ذلك أساتذة مدرسة إغلالن قبله، كانوا مروا فيها مشارطة.

منهم الأستاذ سيدي مبارك البوزوكي الملولي الكسيمي أخذ عن المحدث صاحبنا هذا ثم لما انتقل هو الذي إكونكا 1340 شارط بعده في المدرسة، ثم بعد عامين رجع الأستاذ صاحبنا هذا على محله، وذهب المذكور إلى مسجد أيت ملول فعاد به المسجد مدرسة يدرس فيه إلى أن توفي 1355 هـ[1].

وكذلك مر بها الفقيه سيدي الحاج سعيد الهشتوكي من أيت باها نائب قاضي اكادير اليوم في قبيلته، وقد أخذ عن أوعبو وعن الحاج علي التوفلعرتي، سبق عن هذا وتأخر عند ذلك، وقد توفي نحو 1379 هـ.

ثم مر بها الأستاذ أحمد الكشطي أستاذ مدرسة (ألمى) الآن، وقد كان أخذ أولاً في الريف ثم استتم في فاس، وهو اليوم مدرس كبير، ثم هذا الأستاذ الذي لا يزال فيها الآن سيدي الحاج[2] مسعود حفظه الله (ثم توفي في أول 1366 هـ).

ثم حدثني عن هؤلاء الفقهاء:

محمد بن يعزى الواوركاوي ملازم مدرسة (ألمى) الماسكينية سنين كثيرة، وقد تخرج بالعربي الأدوزي، وهو عالم جليل وفقيه متمكن، قليل التدريس معلن لراية الإفتاء والقضاء بين الناس، معروف بين المحكمين في النوازل، ومقصود بذلك، طال عمره إلى أن توفي قبل 1330 هـ بقليل.

ولده أحمد أخذ عن مسعود المعدري وولده محمد، وكان نجيباً رجع من (بونعمان) 1318 هـ وكان مسكيناً ملازماً للخمول، يشارط في ألمى في مساجد صغيرة، توفي بعد أبيه بقليل.

محمد بن يحيى (الواوركاوي) المدرس في أكفاي (بماسكينة) أخذ عن الشريف الكثيري، فلازم التدرس كل عمره، وتوفي قبل 1320 وسمعته كبيرة.

(1) آل بووزوك يذكرون في الجزء الثامن إن شاء الله.

(2) ترجم في الجزء الثالث من المعسول.

محمد بن يحيى من قرية (أزرراكْ) من ماسگينة، تخرج بمحمد بن إبراهيم التكروري السباعي (بمراكش) أمضى هناك زمناً طويلاً حتى تمكن وكان يتولى القضاء في عهد الحاج أحمد الجشتيمي وكان يلازم داره دائماً، وتوفي كما يظهر قبل 1320 هـ، ولم يترك إلا بنتاً وهو من العباسيين الذين يرفعون نسبهم إلى قريش، وليس بمحمد بن يحيى الساكن في (إبن سرگاو) بگسيمة، فإن ذاك تخرج بالكثيري.

إبراهيم بن عبد الله الگسيمي القاضي بأگادير رسمياً، أبطأ هناك كثيراً تخرج بمحمد الأمغاري التاغماوي عالم مستحضر في التوقيت، ذو يد في علم الاسطرلاب، وكان جاور بمراكش سنة، فأخذ هذا العلم هناك ثم وجد إسرائيلياً بأگادير له باع في هذا الفن أيضاً فأخذه عنه أخذاً، وبعد 1330 هـ انقطع إلى داره فيفتي فقط وله وجاهة وشهرة، توفي 1353 هـ.

علي بن أحمد بن مبارك بن عمر العباسي الماسگيني فقيه كان يذكر 1290 هـ، قال ولم أقف له على جلية خبر.

محمد بن الحبيب الفقيه الماسگيني، كذا ذكره القاضي سيدي موسى الروداني وذكر أنه توفي 15 ربيع الأول 1354هـ، بسبب أن رمته بغلة يوماً فهلك.

ثم إن ما عند الأستاذ من الكتب مر بين يدي فوجدت فيها ما يستحق الذكر منها :

1) كتاب نسخة محمد بن عبد المنعم بن أحمد بن محمد بن عثمان بن علي بن عمر بن الحسن الإفراني أصلاً المتوطن (إيلالن) في صفر 1165 هـ وهو فقيه له خط وسط.

2) مؤلف لعبد الغافر في الجبر والجذر، وفي مسائل أخرى مع شرح عليه لبعضهم، وقد تتبعت الكتاب لأعرف من هو عبد الغافر الذي ذكر في أوله أنه له، فلم أقف منه إلا على أن المؤلف ينقل كثيراً عن قاسم بن أصبغ وأمثاله، ويكثر عن المتقدمين، والكتاب جليل في الفرائض، يستقصي ويأتي بأقوال الصحابة والتابعين، وهو وإن كان في مذهب مالك خاصة إلا

أنه يتكلم بكلام عال، ولو اتسع الوقت لتأتى وصفه كثيراً، وهو تام في مجلد وسط ضخم حسن الخط، ويظهر أنه تام، والكتاب على كل حال ذخيرة في علم الفرائض، ينبغي أن لا يغفل عنه.

3) كتاب فيه فتوى علي بن سعيد التالاتي اليعقوبي فيها أنه أخذ عن أحمد بن سعيد النطيفي كما هو معلوم، يقول ذلك الفقيه سعيد بن الحسن وهو علي ابن سعيد بن يعقوب الإيلالني المعروف عندنا، ثم في جواب ابن سعيد هذا، أنه حضر للفقيه محمد بن إبراهيم أوتهرا، في سوق الأربعاء بـ(مزداكْن) وفيها أيضاً أن عبد الله بن إبراهيم الإيسافني صاحب الأجوبة المشهورة، كان في تاسكْدلت مشارطاً، وفيها أن من أشياخه أعني سعيداً المذكور الحافظ المتقن محمد بن الطاهر الفلالي ومحمد بن أحمد العبادي مفتي مراكش وقاضيها، وفيها أيضاً أنه رأى صالحاً المسداكْتي السندالي حكم بشيء في قضية سماها.

4) كتاب فيه ذكر للفقيه إبراهيم بن أحمد الياسيني حي عام 1185 هـ وهو في وادي أملن.

5) فتوى لعبد الرحمن بن أبي القاسم الكرسيفي[1].

6) تقييد سكك لعبد الواسع بن أبي القاسم بن أحمد التملي ثم قيد ذلك عنده بعده 1260 هـ محمد بن أحمد الكرسيفي فعبد الواسع من تيزخت حي عام 1144 هـ.

7) من كتاب توفي السبت - 17 - 4 - 1282 هـ الشيخ علي بن محمد اليربوعي قيده ابنه محمد بن علي فمن هو؟

8) نسخة للبخاري نسخها الحسن بن محمد بن يحيى بن محمد من ذرية سيدي يحيى ابن موسى بخط جيد في ذي القعدة عام 1283 هـ للفقيه الحسن بن محمد ابن الحاج القلوشي المعدري السملالي، فمن هو المنسوخ له؟

9) الشرح الكبير على البردة لابن مرزوق في مجلد ضخم، وهناك الصغير

(1) الكرسيفيون في (السابع عشر).

أيضاً يوجد في خزانة الصالحيين الإلغيين، وهذه النسخة التي بين أيدينا الآن نسخت لعبد الله بن عمر ابن عبد الله بن عمر البيكّي - نسبة إلى (اسيف بيكْ) نسخ 1291هـ فعبد الله هذا: هو من آل سيدي إبراهيم بن علي التناني فالحفيد أخذ عن سيدي عبد الله بن عمر البوشواري وأما الجد فإنه عاصر الملك سيدي محمد بن عبد الله وربما طال عمره في أوائل القرن الثالث عشر(1).

10) مجلد من المواق على المختصر كتبه محمد بن عبد الله بن يوسف بن عثمان الجشتمي التملي لصاحبه الفقيه محمد بن أحمد بن محمد التازولتي التيملي في شعبان 994 هـ بخط عال والتازولتيون بيت علم يذكر من نعرفه منهم في المعسول(2).

11) كتاب نسخة محمد بن محمد بن علي بن علي بن المبارك بن عمر أو ابن عمران او ابن عسرا الذراعي 18 - 6 - 1199 هـ.

وهناك اسم أحمد بن الحسن بن علي السكتاني أصلاً الروداني مولداً ومنشأ، المراكشي داراً ومسكناً هو الجامع لأجوبة عيسى السكتاني وهذه الأجوبة موجودة.

12) منظوم رجز لأحمد بن يوسف التملي في بيع المضغوط وإزاءه ما كتبه أحمد أحوزي التملي الهشتوكي ثانياً في ذلك كتبه أحمد بن عبد الله بن أحمد من أيت كين وهو عالم عاش إلى صفر 1114 هـ.

13) المفيد في الفقه لابن هشام بخط عال في مجلد إلا أن الكتاب مبتور أولاً وآخراً.

14) محمد بن سعيد الوعرابي عالم له خط حسن كتب 1214 هـ رهن كتاباً لمحمد بن محمد- الإسغاركيسي، ولم أعرف ابن سعيد هذا.

طاب لنا المقام في المدرسة منذ أن دخلناها وقد أظهر رب المثوى حقيقة

(1) يذكر آل سيدي إبراهيم بن علي التيغانيميني في (الجزء الخامس عشر) إن شاء الله.
(2) في (الجزء الثامن) إن شاء الله.

ما قال الشاعر:

يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا نحن الضيوف وأنت رب المنزل

وفي عشية اليوم انحدرت معه لزيارة الصالحين المدفونين هنالك: - يحيى ابن سعيد، وسعيد بن علي، وهما قريبان من شمالي المدرسة، فصار يحكى لي عن ترجمتهما، فأما يحيى فإنه من تلاميذ الحضيكي له أطراف من علوم إلا أن شهرته إنما هي بالتعليم للقرآن وبالصلاح والكرامات وأصله من قبيلة إيلالن وإنما نزل في هذا المحل بإذن شيخه وقد ذكره الجشتمي في كتابه "الحضيكيون" وأثنى عليه وقد أخبرني الأستاذ أنه رأى رسالة بخط يده، وهو خط رديء قلما يقرأ، كتبها إلى قائد عصره عبد الملك بن بيهى الحاحي يشفع عنده في مساجين من أهل ماسكينة لم يوفوا بما عليهم من الجير للقائد فأجابه القائد على ظهر الرسالة وعظمه واحترمه، وقال له: إن كل من أدركهم عندنا ظهر اليوم الذي وصلت فيه رسالتك مسجونين في حاحة والصويرة قد سرحناهم لك وهذا أعظم دليل على ما بلغه مقامه في عصره كما لا يزال عليه الآن بذلك بكثرة الذبائح التي ترد عليه، وقد كان وقف على سقي العباسيين على الوادي، حتى سويت وأجرى لها الماء فيكون له العشر من كل ما يحرث هناك إلى الآن من كل المزروعات حبوباً وبقولاً، وقد جرب عند الناس أن كل من تخلف عنده شيء من ذلك يصاب في الحين وحول ذلك عشرات من الحكايات متوالية نسأل الله السلامة والعافية، وقد كان مشارطاً أول مجيئه في مسجد قرية (تيغجدن) قرب إيغيلالن وقد خربت القرية الآن ومنه إلى هذه المدرسة وهو عزب طول حياته، فلا زوجة ولا عقب، وإنما يكون كل ماله للمدرسة وبذلك قامت المدرسة إلى الآن، توفي ثاني شوال 1205 هـ وعلى قبره مسجد صغير بمحراب وعليه دربوز صغير، وتقام فيه حفلة للطلبة حافلة على رأس أسبوع من موسم سيدي بيبي وباتصاله مع القائد عبد الملك قبل 1205 هـ نعلم أن يد القائد عبد الملك كانت ممدودة إلى سوس في عهد سيدي محمد بن عبد الله الذي توفي 1204 هـ فليعلم هذا من هنا.

وأما سعيد بن علي فإنه قريب العهد جداً، فلا تزال بنته حية إلى الآن

وكذلك الآخذون عنه وقد كان أمضى عمره في هذه المدرسة فخرج فيها طبقاً عن طبق في حفظ القرآن وله كرامات وكشوفات علا بها شأنه وقد أسن حتى عجز عن الحركة وعليه بيت أوسع من بيت سيدي يحيى ودربوز كذلك ومشهداهما متلاصقان رحمهما الله ورضي عنهما، وأصل آل سعيد من طاطة ومسقط رأسه قرية امتضي عند مشهد سيدي هارون والد سيدي مزال وسيدي عمرو المشهورين ولا يزال في قريته تلك أهله إلى الآن وداره والتداول بين الناس في أخباره وما وقع له ذائع، هذا ما قيل لنا.

وهناك ولد له أولاد حيث لا تزال بنته إلى الآن وله ابن أخ عالم يسمى علي بن الحاج عبد السلام أخذ عن محمد بن يحيى الكسيمي حين كان يدرس في مدرسة سيدي ميمون بكْسيمة وهو آخر من درس فيها بجد وقد تخرج من تمكيدشت وكان علي يشارط في مسجد قريته حتى توفي 1342 هـ وهو عالم حسن مشارك أسن قبل أن يموت.

أما سيدي هارون هذا فقد كنا نوينا أن نزور قبره ولكن رجعنا عن ذلك أخيراً حين ذكر إلينا أن الطريق إليه وعر، وفيه وعثاء شديدة، فاخترنا الراحة والعافية، ونحن نشد الرحال للعلم بالأمكنة لا للمساجد ولا للمقابر وإننا لنزور الزيارة السنية إن وقفنا على المشاهد ولا نزكي على الله أحداً: ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الأحقاف: 9]. وعلى مشهد سيدي هارون بيت غير مسقوف على ما حكي لنا ومدرسته لا تزال إلى الآن، وقد ذاع وشاع أن هارون هذا من أعقاب سيدي وكّاكْ ولذلك سيجري ذكره بين الوكاكيين إن شاء الله في المعسول [1].

وفي هذه القبيلة مشهد إبراهيم بن يحيى المشهور بأبي السحاب من أهل أوائل القرن السادس، وقد كان معاصراً لابن تومرت، وقد كان يكاتبه ولم نعرف عنه الآن ما نزيده على ما في طبقات الحضيكي إلا أن عليه مشهداً بقبة حافلة، ومدرسة كبيرة يتداولها كبار العلماء المدرسين والقراء أصحاب

---

(1) يذكرون إن شاء الله في الجزء الحادي عشر.

الروايات السبع، وهناك أبو السحاب الآخر في هشتوكة ذكر بين آل يعزى ويهدى في المعسول[1].

فممن مر بها الأستاذ الكبير سيدي علي التناني القارئ الشهير وأمثاله، وذلك المشهد عامر بكثرة الواردين والفتوحات يستقل بها من يكونون في المدرسة لأنه لا عقب لأبي الأسحاب معروفاً الآن.

والعباسيون في هذه القبيلة كما قال رب مثوانا قليلون لا يتجاوزون 20 كانوناً، وهي التي انتقلت أصولها من (سملالة) فيما قيل، أو من تلمسان فيما قيل أيضاً، والله أعلم ما هو الصحيح من ذلك، وإن كان من يسمون العباسيين كثيرين في ماسكْينة، إلا أنهم إنما يحملون هذه النسبة بالمجاورة فقط، ويكونون نحو 400 كانوناً، وقد قيل عن الذين انتقلوا من سملالة لا يزالون يحافظون على رسوم أملاكهم في بلدهم سملالة فلئن صح هذا فإنه مرجح قوي لأحد هذين القولين، وقد كنا عرفنا اسم القاضي يوسف العباسي من قضاة عصر (بودميعة) في القرن الحادي عشر وكان قاضياً على ماسكْينة ولعل ذلك القاضي هو السبب حتى تتابع بعض أهله بالنقلة عن سملالة أو كانوا هنا قبله، لا تحقيق عندنا الآن والله أعلم، واعلم أن العباسيين السملاليين[2] لا يدعون الشرف وإنما رأيت بعضهم انتسب إلى القاضي ابن زرب المشهور في (قرطبة)، ويرى هؤلاء العباسيون الماسكْينيون أنهم شرفاء، وأنهم ليسوا بإخوان العباسيين العلماء المشاهير في سملالة.

ومن الأمكنة المشهورة في ماسكْينة زاوية الدراركْة حيث مسكن السيد الصالح الحاج سعيد الدراركي المتوفى نحو 1286 هـ، وهو من رجالات القرن الماضي ديناً وتصوفاً وإرشاداً وقد استوفى ثمانين في عمره، وهو من العباسيين المشهورين في ماسكْينة المذكورين قريباً ووالده أحمد كان فيما يقال من العلماء ولا نعرف عنه شيئاً، ثم نشأ ابنه هذا عالماً، وقد أخذ ما عنده من المعارف عن بعض علماء سملالة، إلا أنه لا يعرف من يحكي لنا اسمه، ثم أنه

---

(1) ذكروا في الجزء العاشر.

(2) سيذكر إن شاء الله العباسيون السملاليون في (الجزء الثامن عشر).

شارط في مدرسة (إفرض أوطاها) في (إمڭراد) ثم في مدرسة أخرى في تلك الناحية ثم إنه بعدما مكث في الطريقة الناصرية 20 سنة، اعتنق التيجانية على يد الأديب العلامة أكنسوس المراكشي الشهير، ثم صار يكاتبه بعد ذلك برسائل ذكر لي أنها لا تزال مصونة تحت يد أهله إلى الآن، وقد علا شأن سيدي الحاج سعيد في هذه الطريقة فكان أحد الذين أسسوا لها في سوس بادئ ذي بدء هو وسيدي عبد الله بن محمد بن أحمد الأدوزي، ثم العويني، والعلامة سيدي الحسن بن الطيفور السامولڭني ثم التزنيتي في آخرين وقد كان الحاج سعيد في أول أمره يسكن في قرية معلومة إلى الآن في مقابلة مدرسة إيغيلالن، في ديار أهله قبله، ثم أمره شيخه أكنسوس بأن ينزل من الجبل إلى البسيط، فذلك هو سبب نزوله إلى قرية الدراركة، حيث زاويته ومثوى أولاده الآن، وهي قريبة من (إنزڭان)، لا يحول بينهما إلا نحو 5 كيلو مترات فقط، وكان حج مرات حتى انتشر له في الحرمين ذكر، ثم في حجته الأخيرة اقترح عليه القائد الكبير على كل تلك الجهات إذ ذاك الحاج عبد الله الحاحي الشهير الصحبة فقال له سيدي الحاج سعيد: إنك لا تقدر على أدب الصحبة لأنك في واد، ونحن في واد، ولكنه ألح عليه إلحاحاً لا يجد معه مناصاً من مرافقته فكانا يتراءيان من غير أن يتصلا في كل حين منذ كانا في الباخرة، وقد كان القائد وحاشيته على الطريقة الناصرية، وهذا السيد على هذه الطريقة الجديدة التي تعد إذ ذاك حديثة، فكان أصحاب القائد يتغامزون على سيدي الحاج سعيد، ويزنونه بما هو منه براء على عادة الطرق الصوفية بينهم أمس واليوم في قطرنا هذا، إذ جعلوا الدين عضين والإسلام طرائق قددا يكاد يكفر بعضهم بعضاً نسأل الله السلامة والعافية. اللهم أشهد إننا لا نتعصب لأي مسلم على مسلم آخر ولا لطريقة على أخرى إلا طريقة السنة.

ثم لما وصلوا طنجة تحير القائد أيمر بالسلطان فيسلم عليه، أم يسير تواً إلى طيته، فأشار عليه أصحابه بالمضي في طريقه وأشار عليه السيد بالتعريج على السلطان، وإن ذلك هو المتعين، وقد كان أصابه الهدام - وهي دوخة البحر - وراء طنجة فأرجف به عند القائد ولكن الله عافاه مما عراه على رغم أنوفهم ثم لما فعل القائد ما فعل في الحرمين من البناءات في المساجد

والملاجئ الخيرية قال له سيدي الحاج سعيد: "يا ليتها لم تزن ولم تتصدق" يعني أنه إنما فعل ذلك بمظالم العباد ثم إن القائد لم يزل به من معه بالوسوسة حتى أساء ظنه برفيقه هذا فكتب إلى السلطان ينهي إليه عنه أحوالاً افتراها، فقال سيدي الحاج سعيد أنا لا أخاف إلا الله لا السلطان ولكنك أنت سيتسلط السلطان عليك، فصدق الله قوله، فلم ينشب أن اعتقل السلطان القائد، ثم هلك في سجنه وشيكاً سنة 1284 هـ، هكذا حكى لي أحد أهله والعهدة عليه.

ومجمل أخبار هذا السيد أنه وتد من أوتاد هذه الطريقة في مبدئها بسوس، وقد نشرها عنه وارثه المجاهد في حاحة سيدي محمد التيلضييي الحاحي شيخ الطريقة الأحمدية في حاحة الموطوء العقب وقد نال مقاماً عظيماً بين الناس فلم يزل في استقامة رضي الله عنه حتى مات بعد 1332 هـ وزاويته لا تزال قائمة وأهله لا يزالون يزورون الدراركة بعد شيخهم وقد بنيت قبة كبيرة على قبر شيخهم وإمامها براح استدار به بناء أبيض، عليه رونق، وقد زرت المحل متبركاً به وقد خلفه من أولاده سيدي محمداً المدني، ثم مولاي صاحب الزاوية المقصود وقد زرته في زاويتهم وسألت عن ترجمة الشيخ ولاقيت هذا السيد حفظهم الله من كل ما يصم أو يصمى الأديان والأعراض.

ومن مدارس ماسكينة المدرسة الموجودة حذاء مشهد سيدي سعيد بن علي وليس بالمتقدم وهذا السيد مجهول عند الأستاذ الذي يحكي لنا إلا أنه قديم ومدرسته صغيرة لا شأن لها كبيراً، فلم يعرف عنها عهد يذكر في التدريس، وإن كان الفقهاء يشارطون فيها وعلى المذكور قبة، ويسمى الذين يشارطون المدرسة أهل إيفرخس.

ومن ماسڭينة الشريف الشهير سيدي أحمد بن محمد من قرية تيلضى وهو جد شرفاء في تارايست من قبيلة كسيمة وعليه قبة كبيرة، وهو مزارة تقصد بالذبائح وقد اشتهر وصح بالعقود أنه هو الذي اشترى في عصره كل الأراضي التي يسكنها الآن الكسيميون، وايت عميرة، وفي أيدي أحفاده رسوم تتعلق بذلك أخبر بذلك من رأى الرسوم القديمة.

وأحمد بن محمد المذكور الذي قلنا عليه قبة كبيرة في تيلضي إزاء أكادير

هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن محمد بن يعقوب بن علي بن سليمان بن ياسين بن يوسف بن زكرياء بن عبد الله بن عبد الجبار بن رشد، وابن رشد هذا هو الذي يوجد في سلسلة نسب الأغرابوئيين، وكثيراً ما يظن أنه الوليد ابن رشد الفقيه الشهير، ولكن ليس به قطعاً، وإنما وقع الحافر على الحافر لأن نسب ابن رشد ليس بشريف كما هو معلوم هكذا في ترجمته وهؤلاء يرفعون نسبهم إلى علي بن أبي طالب فيقولون في ذلك ما سيجده القارئ في ترجمتهم في (المعسول)[1] إن شاء الله، وقد سرى لهم الغلط من الاسم فقط، وهذا الغلط رأينا آثاره في عهد الرسموكي صحب كتاب (الوفيات) وهو أول من أعلن ذلك فيما علمنا، وهذا المشجر الذي في يدي ذكر فيهِ فروع هذه السلسلة، وقيل فيها أن هناك رسماً يتعلق بحقول أصول هذه الأسرة مؤرخاً 794 هـ، وقد نقله الفقيه يحيى بن أحمد بن محمد، وأبوه هو صاحب القبة في (تيلضي) ثم نقل ثانياً 1108 هـ، ثم ثالثاً 1139 هـ، وقد سمي هناك ياسين: أبا الأعلام وهو المتقدم في سلسلة النسب، وقد أرخ ما ذكر عام 1024 هـ ودل ذلك على أنه كان قبل ذلك العهد، وذلك المشجر طويل لم يحرره من يعرف كيف يضع الأشياء مواضعها، وفي آخره اسم شريف تاجر يسكن الآن في قرية إنزكّان، رفع نسبه إلى أحمد بن محمد المتقدم وهو مبارك بن سعيد بن علي بن حمو بن مومن بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن أحمد ابن محمد دفين (تيلضي)، فبين هذا الحي وبين أحمد ثمانية، فيكون عصر أحمد ابن محمد تقديراً في آخر الحادي عشر إلى أوائل ما بعده، وقد تفرغ شرفاء (تارايست) هؤلاء، ففي(تزكّين) و(كّدميوة) شعبة منهم يسمون أيت واكّنا، نعرفهم وعندهم مشجر نسبهم، ولجدهم الذين ينتسبون إليه هنالك مشهد، وهو الذي انتقل من سوس، ولقبيلة ماسكّينة ذكر من قديم، وطالما مر بنا في كتب التاريخ نهبها لجيوش السلطان ومحاربتها للقبائل التي تجاورها، وعدد كوانينها الآن زهاء 3000.

وقع إلي مقيد فيه ذكر واقعة وقعت فيها 1273 هـ ونصها باختصار:

---

(1) يذكر الأغرابوئيون في (الجزء الحادي عشر) إن شاء الله.

في الأربعاء غرة رجب 1273هـ اجتمعت (هوارة) كلها لمحاربة ماسكْينة جيران ولي الله سيدي يحيى، ورئيس هوارة يسمى (بوكْرين) وهو رجل شجاع، لا يزال ذكره وذكر ولد له إلى الآن، زحفوا عند طلوع الشمس ولهم جلبة، وفي نيتهم أن يفتكوا بماسكينة وأن يشتوها وعند الزوال تبحبحوا القبيلة، ثم هبت عليهم رياح عواصف قواصف يعلوها غبار كثيف حتى كأن لون الأرض لون السماء، فكانت بركة عجيبة، وكرامة غريبة من الشيخ سيدي يحيى، شاهدها كل أحد فلما قاومتهم العواصف انهزموا فانقطع ذلك الغضب في الحين، ثم مزق الله شمل هوارة من ذلك النهار انتهى وقد انتهب جند مولاي الحسن ماسكينة لما انتهبوا هوارة سنة 1303 هـ مع أن الماسكينيين لم يجترحوا ذنبا، وإنما غمرهم سيل الجيوش فاكتسحهم عن غير قصد.

استفدت من الاستاذ الطيب الخلق الموطأ الجانب فوائد كثيرة غير ما تقدم وإنشادات شتى منها:

إذا حججت بمال أصله سحت — فما حججت ولكن حجت العير
لا يقبل الله إلا كل طيبة — ما كل من حج بيت الله مبرور

ومنها لأبي الفتح البستي:

أقفر يباب تشتريه سفاهة — وسخطاً برضوان وناراً بجنة

ومنها:

لكل شيء إذا فارقته عوض — وليس لله إن فارقت من عوض

ومنها لكثير:

وسعى إلي بعيب عزة نسوة — جعل الإله خدودهن نعالها
ولو أن عزة حاكمت شمس الضحى — في الحسن عند موفق لقضى لها

ومنها بيت في القصيدة المشهورة لابن عبد السميح التاغاتيني:

كيف يعيش متبلى "بتازنين" — إلا بكد وبحرث "توزنين"

و"تازنين "الصبيان الصغار" وتوزونين" الأحواض الصغار من الحقول ومنها للمعري:

لو اختصرتم من الإحسان زرتكم والعذب يهجر للإفراط في الخصر

ومنها:

ما كل ما ورد امرؤ يدركه والشاهد المقبول لا نتركه

ومنها:

ورابع الكؤوس عند الكرما جرت به العادة دون اللؤما

ومنها لأبي العباس الجشتمي وقد ورد عليه الحاج ياسين، والفقيه هموش يخاطب الأول منهما فقط:

أتيت ومقصور الحيا لك تابع[1] وممدودة في غر خلقك طابع

فبوركتما من واصلين كلاكما تبل به مما تغل المرابع

قال: والخطاب في بوركتما للحاج ياسين والمطر.

ومنها لعبد القادر بن شقرون من قصيدة توجد في أوائل كتاب الطب له:

اسقياني كؤوس بنت الدوالي إن عراني السقام فهو الدوا لي

بنت كرم ربت عناقيدها السود بمهد الغصون تحت الظلال

ومنها:

من لم تطب نفسه بأن تكون لكم فدا من السوء لا كان ولا عاشا

ومنها:

هوى ناقتي خلفي وقدامي الهوى وإنى وإياها لمختلفان

ومنها:

ثوب الرياء يشف عما تحته فإذا كسيت به فإنك عار

ومنها:

إذا نحن أبدينا إليكم فضيلة فمنكم سمعناها وعنكم رويناها

ومنها لابن العربي الأدوزي من قصيدة يخاطب بها السلطان مولاي عبد العزيز:

ماذا أقول إذا رجعت لصبية ألفوا من السلطان خير لباس

---

(1) هذا الشطر وقفت على أنه قديم.

ومنها أيضاً من قصيدة يخاطب بها الوزير أحمد بن موسى وأصل البيت لبشار:

(ولا بد من شكوى إلى ذي مروءة
يواسي) وباقي البيت[1] في غيركم يقال

ومنها وهو اعتذار عجيب مما يجب أن يحفظه كل بخيل:

أجلك أن تواجه بالقليل ولم أقدر على الشيء الجليل
تركت لحيرتي هذا وهذا ومنك قبول ذا العذر الجميل

ومنها:

وإنا لنرجو عاجلاً منك مثل ما رجوناه قدماً من ذويك الأفاضل

ومنها:

العلم صيد والكتابة قيده قيد صيودك بالقيود الموثقة
فمن الجهالة أن تصيد حمامة فتردها بين الأوانس مطلقة

ومنها:

كالشمس في وسط السماء ونورها يغشى البلاد مشارقاً ومغاربا

ومنها:

قد كنت أحسب أن الشمس واحدة حتى رأيت لها أختاً من البشر

ومنها:

إن العدول الآلي جاد الزمان بهم عن العدالة والتوفيق قد عدلوا
أحداث سن وألباب كسنهم تالله لو شهدوا في الكلب ما قبلوا

ومنها قد أنشده صباح اليوم الذي نبكر فيه إلى طيتنا:

صباح الله لا صبح انطلاق وصبح الوصل لا صبح الفراق

وقد كتبت لطلبة المدرسة هذه القطعة التي تكلفتها:

عند مسعود كل نجح ويمن فهنيئاً لكم بني (إغلالن)

(1) أصل الشطر يواسيك أو يسليك أو يتوجع.

قد ظفرتم بما ظفرتم فأنتم - واشكروا - في ظلال جنة عدن
تقطفون الثمار دانية من كل غصن غصن بكلتا اليدين
فجميع الأقران هيم وأنتم تردون الزلال من خير عين
هل علمتم أن قد ظفرتم بكنز لا ترى اليوم مثله أي عين

ومن فوائد الأستاذ ما ذكره في بيت ابن الفارض الشهير:

ونهج سبيلي واضح لمن اهتدى ولكنها الأهواء عمت فأعمت

فقد ألف الناس أن ينشدوه برفع الأهواء على أنه خبر فقال الأستاذ أن المعنى لا يتم إلا بجملة عمت ولذلك يفتح الأهواء على أنه بدل من هاء لكنها، والهاء ضمير الشأن وهو يعود إلى ما بعده لفظاً ورتبة ولعل ما ذكره الأستاذ ظاهر فتأمل.

ومن نوادره عن العدول أنه قيل لعدل ما حقيقة العدول فقال: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ﴾ [المائدة: 42].

ومنها ما حكاه عن أستاذه (إيكيك) أي الرعد حين كان يأخذ عنه حوالي 1313 هـ فقد زلقت رجله خارج باب المدرسة ليلة فسقط، ولم يقدر أن يقوم بنفسه، فجاءه الطلبة فأهووا ليحملوه فقال أحدهم يا سيدي أحمد بن موسى، فثار في وجه القائل ونهره حين نسي الاستغاثة بالشيخ التيجاني - لأن إيكْيكْ تيجاني لا يستغيث إلا بشيخه - ثم خاصمه وثرب عليه فذهب عنه الحاضرون، وبقي على حالته تلك كل الليلة إلى الصباح فبلغ به الحال مبلغاً عظيماً فلازم الفراش زمناً طويلاً (أقول) إن سيدي الحاج مسعود مع أنه أحمدي الطريقة لم يكن في هذا المسلاخ.

وقد حكى لي عن حياة شيخنا أبي شعيب الدكالي حين كان يأخذ عنه بمكة ففتح لنا صفحة كانت مستورة عنا تكتبها إن شاء الله في ترجمته في كتاب (مشيخة الإلغيين من الحضريين).

في (تاماعيت):

ظللنا يوم الاثنين في المدرسة وبتنا ثانياً، ونحن في ضيافة من نأخذ من

ماله ومن علمه، ومن يضيف بفوائده وموائده.

نــنقــل أقــدامــنــا إلــى نــدس   نــأخــذ مــن مــالــه ومــن أدبــه

وفي المدرسة الآن 65 طالباً من مختلف الآفاق وبينهم طبقة على أبواب التخرج وقد طفحت هذه النواحي سهلاً وجبلاً بالمتخرجين من بين يدي هذا الأستاذ المسعود المحظوظ المجدود، وقد أغاث الله به هذه النواحي وأبقى على رمق العلم الديني بسببه، ولولاه لاضمحل ما تراه الآن منذ أزمان، وبيوت المدرسة تناهز 60 بيتاً، وقد وجدنا بيوتاً جديدة كما بنيت، ويهتم رؤساء هذه الناحية أن يطلعوا الماء في القوادس من عين في جبل شمالي (المدرسة) غير بعيد إلى مكان المدرسة ولعل ذلك يتم ليتم انتفاع الغرباء المجاورين لأخذ العلم فهكذا تخرج هذه المدرسة الساذجة، وتؤدي ما تفوق به كثيراً من المدارس الحضرية الدينية التي تخلب الأبصار بهندامها الأخاذ، ورونقها الجذاب.

ركبنا بعد الشروق يوم الثلاثاء 27 من ذي القعدة إلى (تاماعيت) العليا فسرنا في طريق مكنوسة نجوب غابات أركان التي تكتظ بها هذه الجهات حتى وصلنا بعد نحو ساعات إلى قرى (تاماعيت) العليا، فتبدى لنا منزل للرئيس الشيخ الحسن التاماعيتي، على قمة هضبة قائمة فوجدنا حقولاً غير كثيرة تسقى بعين تشارك فيها (آل تاماعيت) هؤلاء (وآل ابن يحيى) وهم آل قرية جوار (تاماعيت) فيكون لآل (تاماعيت) الليل وللآخرين النهار ويقولون أن الذي وقف لهم حتى فرقوا الماء بينهم هكذا الشيخ سيدي إبراهيم بن علي التناني المتوفى سنة 989 هـ وقد منحوه من مائهم نصيباً لا يزال تحت نظر أولاده إلى الآن وقد اجتهدت الحكومة اليوم في حفر أصل مادة العين ليزداد فيها الماء، ولا يزال العمل جارياً ولعل ذلك يفي بحاجة السكان، لأنهم إن قلت الأمطار يعوزهم من عينهم الماء الكافي وقد ذكر لي أن كل آل (ماسكينة) كانوا يخدمون مشهد سيدي إبراهيم بن علي المذكور من قديم إلى أن تضاءل ذلك أخيراً فقد كان القائد محمد بن الحاج الحسن الكسيمي ينتهب أمثال كل هذا فيما ينهب في إيالته، وقد هم بمثل ذلك فيما ليحيى بن سعيد المتقدم إلا أنه رأى برهاناً فنكص على عقبه، ولم ينج منه غيره مرغماً.

وسكان (تاماعيت) العليا متفرقون في أربع قرى صغيرة والأصليون منهم سود أو سمر سمرة تدل على أن الأصل هو السواد عينه وقد قالوا أن آل تاماعيت العليا والسفلى الذين كانوا كلهم على هذا اللون معدودون من خدام الحكومة منذ أول زمن الدولة العلوية، وكان من العادة المتبعة إلى ما بعد الاحتلال، أن يخدم منهم رجال دائماً في مزاولة الاصطبلات المخزنية في تارودانت في محلات الخيل وآخر من خدموا معه القائد حيدة، وولده الحاج حماد، وكان أهل تاماعيت وإن عدوا من ماسكينة يخدمون مع تارودانت ولديهم - فيما يقولون - تحريرات مخزنية حرروا بها من كل شيء إلا ما كان من الاصطبلات في تارودانت وذكروا أنهم كانوا يستخدمون في وظائف مخزنية في الحواضر منذ قديم وما ذكروه يظهر أنه صحيح وذلك شرف لهم لأن الانتماء للحكومة والتحرر من الكلف مما يتسابق إليه الناس إذ ذاك فقد مر بنا في كتب التاريخ قائد مخزني من عبيد البخاري منسوب إلى (ماسكينة) يوم البيعة للسلطان مولاي سليمان الشهير، وكذلك مر بنا نحوه في بعض محاولات نحو (أكادير) ولعل هؤلاء أصلهم من تاماعيت وقد وقعت في بعض رسومهم على ما يؤيد كل ما قالوه لنا في هذا ولا شك أن العمل الدائم هو الشرف الدائم.

ثم بعد أن تغدينا هناك وصلينا الظهر، توجهنا إلى تاماعيت السفلى فمررنا بغابات يذكر أنها كانت مجالات اللصوص قبل هذا العهد، فبتنا في جار الرئيس الشيخ الحسن ابن سعيد، ولم نصادفه في الدار، فتلقانا إخوانه الكرام بالفرح لأنهم أحباء وأبناء أحباء من آبائهم وأبنائهم وعهدهم بالرئاسة قريب، وقد كان رئيس القرية قبلهم محمد ابن الطالب، وحين تولى الباشا حمو بتارودانت 1313 هـ وشى واش إليه بسعيد المذكور وأخويه حماد وبوجمعة، وزنهم بأنهم لصوص يشوشون الأمن في تلك القرية فاعتقلوا جميعاً وزجوا في سجن (تارودانت) ثم سرح أبو جمعة ثم سعيد، فتوصل في الحين إلى رئاسة أهله وزج محمد بن الطالب في السجن بدوره ثم سرح حماد بعد وكان باسلاً فاتكا وكان له بالشيخ الإلغي صحبه، بل كان يعد من أتباعه ثم مات قتيلاً في حرب مع هوارة فأخرج له الفقراء الفدية على عادتهم، وذلك في نحو 1325 هـ بقي سعيد رئيساً فخدم مع الباشا حمو ثم حيدة ثم ولده الحاج حماد إلى أن مات

سنة 1336 هـ ثم تولى أخوة الشيخ علي مع ولد حيدة حتى عزل فردت الحكومة آل تاماعيت إلى إيالة باشا أكادير سنة 1342 هـ وقد تولى إذ ذاك الباشا الحسن بن إبراهيم التامري فلم يزل معه حتى مات 1353 هـ ثم تولى الشيخ الحسن الرئيس الحالي، وقد ازداد مقامه في هذه الشهور الأخيرة، منذ عزل الشيخ حمو رئيس أزرو وما إليه عن الرئاسة لأن قرية أزرو زيدت له، فازداد مكانة وقوة ونفوذاً.

وأما الشيخ حمو المذكور فإنه كان لجد أبيه مكانة في أواسط القرن الماضي في عصر آل بيهي الحاحيين، وهناك في أزرو دار قديمة البناء بناها آل بيهي المذكورون وقد كان بينه وبينهم مصاهرة، ثم اندثر ذلك المجد إلى أن انبعث الشيخ حمو في العهود الأخيرة رجلاً عصامياً مقداماً غنياً كريماً فعاد رئيساً رسمياً على إخوانه من بعد أن كان لا يذكر قبل ظهوره بالرئاسة ثم أكب على جمع المال إكباباً كثيراً، فلم يدع بابا من أبواب كسبه إلا طرقه بعزيمة وكياسة فيفلح ويتجر ويتعامل كل المعاملات الدارة للأرباح فاستغنى وأثرى وهكذا كان منذ عهد الاحتلال ويذكر عنه غنى مفرط، بحسب بيئته ثم لما مضى غوشت الموافق لرمضان – 1363 هـ اتهم من طرف الحكومة اتهاماً عسكرياً، فسجن ووكل على داره ثم نفي إلى مركز (تانالت) ثم أعيد أخيراً إلى أنزكان مسجوناً، ولا يزال تحت البحث إلى الآن وقد وضعت الحكومة اليد على كل أمواله في الدار ونقلت حبوباً كثيرة منها إثر ما وقعت له على 20 خنشة من السكر، وعلى كثير من المواد الممنوعة الرواج في هذه الحرب الثانية والناس في أمره مختلفون إلا أنهم اتفقوا على أنه (مكر مفر مقبل مدبر معاً) وقد بنى داراً كبرى تظهر من بعيد، مررنا بمسامتها اليوم في طريقنا إلى انزگان[1].

وأما أرض (تاماعيت) فقد أقام أولاد سيدي سعيد بن عبد النعيم دعوى على أهلها بأنها لهم فاستحقوها بعد مخاصمات، سمعت بذلك ولم أتحقق الآن كيف انتهت القضية، وأهل (تاماعيت) محترفون فيهم الخير والدين وحب

(1) أطلق حمو من هذا الاعتقال وبقي إلى أن أعلن الاستقلال فاحتوش أيضاً مع من احتوشوا فذهب به وبهم إلى حيث أمضى ما أمضى ثم رجع إلى داره ولا يزال حياً إلى الآن 1380 هـ

أهلهما اشتهروا بذلك مع كرم وأدب وحسن معاملة.

إلى أكادير:

توجهنا إلى (تالبرجت) صبيحة الخميس على حافلة فذكر لنا بعدما مررنا بقرية (ابن ساركو) وبسيط كان منزل السلطان مولاي الحسن 1299 هـ فقيل أن هناك مولد مولاي عبد العزيز فقلت للحاكي أن هذا ليس بصحيح فإن مسقط رأسه مكناسة بلا ريب سنة 1298 هـ وقد زعم أهل (ماسة) مثل هذا الزعم ولكنه افتراء لا غير (وما آفة الأخبار إلا رواتها) فماذا بعد الحق إلا الضلال.

وقد لاقيت هناك في (تالبرجت) أحد أحفاد الصالح الشهير سيدي عبد الرحمن دفين (ايت امر) بحاحة الذي عليه المدرسة، فقرأت في مشجر نسبه ما نصه:

(عبد الرحمان بن عبد العلي بن أحمد بن محمد بن علي بن عبد الله بن منصور، دفين المكان المسمى (تحت النخلة) بتلمسان، بن عبد الله بن إسحاق ابن أحمد بن محمد بن عبد الله بن بن محمد بن سليمان بن عبد الله الكامل بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه) وذكر هناك أن سيدي عبد الرحمن كان قدم من (عين الحوت) مع ابنيه محمد وصفية فنزل بـ(درعة) قليلاً، ثم بـ(مراكش) ثم إلى (حاحة) 1079 هـ فتلقى بالقبول، وظهرت له خوارق احترمه الناس بسببها فعاش هناك إلى أن توفي 1159 هـ فخلفه ولده محمد، وأولاده منتشرون الآن، يقطن بعضهم إزاء قبة جدهم في (أيت أمر) وهناك مدرسة علمية، وبعضهم في نواح من (حاحة)، وبعضهم بـ(مراكش) منهم مولاي أحمد النور من أدباء الشباب المراكشي النابغين الذي رزئه الأدب المراكشي أخيراً وهو من أصحابنا الذين كانوا يحضرون معنا في الدروس ما شاء الله، وله فصاحة وذلاقة وإدراك وتحصيل من النجباء الذين نغتبط بهم، وله شعر رقيق، وتمكن في اللغة.

كما وقفت أيضاً هناك على سلسلة نسب آخر من يد الشريف الحاج عبد السلام مقدم (الزاوية الناصرية) هناك، وهو من الأخيار المحبين للخير وأهله، ونص ما وجدت من ذلك النسب باختصار:

(عبد السلام بن محمد بن أحمد ابن الفقيه سعيد بن عبد الله بن أحمد بن يحيى بن أبي زيد بن الحسن بن الحسن بن ابي زيد بن الحسن بن محمد بن الحسن بن يحيى بن داوود بن واعلا بن يدر بن عمر بن ناصر بن هارون بن إسماعيل بن صالح بن يوسف بن أحمد بن الحسن بن صالح بن عبد الله بن جعفر بن (يعزى بن يهدى)[1] بن يزيد بن حسن بن علي بن سليمان بن كثير بن سعيد بن عباس بن محمد بن شعيب بن يحيى بن مولاي بن علي بن محمد بن يعقوب بن داوود بن عباس بن الحسن بن أحمد بن أبي القاسم بن مولاي إبراهيم بن مالك بن عبد الله بن مولاي يحيى بن مبارك بن حنيف بن حسن بن صالح بن موسى بن محمد فتحا بن محمد بن إدريس بن علي بن عبد الله بن جعفر بن الحسين بن داوود بن صادق بن عباس بن إسماعيل بن يحيى بن يحيى ابن أحمد ابن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه) انتهى بخط الفقيه محمد بن أحمد ابن سعيد التناني الواوركْاوي سنة 1310 هـ.

ولم أقف على أصول هذا النسب ولو جعل صاحبه مكان إدريس آدام لكان أليق وأنسب لأن سلسلة هذا النسب أطول من سلسلة الإسلام نفسه وكل من يزاول مشجرات الأنساب يدرك هذا بديهة.

أما قاضي أكادير الحالي فهو صاحبنا السيد الحبيب السويري، وهو من أودائنا وقد كتبت عنه ترجمة حياته:

(الحبيب ابن الحاج المكي ابن الحاج حمو (مثقال) ابن محمد الزمراني وهذا الجد هو الوارد من زمران إلى السويرة توفي الحاج حمو نحو 1300 هـ بعدما أسن وكان من عدول الديوانة - الجمرك - بالمرسى هناك، والحاج المكي عالم تاجر توفي نحو 1305 هـ وله أخ يسمى محمداً كان أيضاً عدلاً في الديوانة بمرسى الجديدة ثم كاتباً عند الباشا الركْراكْي الدوبلالي وله خط بارع كغالب أهل بيته توفي 1326 هـ وأما الحبيب القاضي فإنه ولد نحو

(1) ليس هذا بالشيخ يعزى ويهدى دفن (اسا) لأن نسب ذلك غير هذا النسب.

1290 هـ فحضر دروساً كثيرة عند سيدي محمد أوشالا التامري الحاحي، وسيدي حمو بن بكريم وسيدي عبد الرحمن بن أبي زيد ومولاي الهادي القادري ومحمد بن الطالب الفاسي كما أنه بصفته عدلاً لا يغب دروس القضاة الذين كانوا يلمون بالسويرة كمحمد بن التهامي الوزاني والبلغيثي الذي تقضى هناك مرتين - وعبد السلام الهواري مرتين أيضاً والحاج العربي الرحماني - مرتين أيضاً، ومحمد الزويتين وغيرهم استخدم أولاً مقيداً للسلع في الديوانة 1309 هـ ثم كاتباً عربياً في قنصلية إنكلترا ثم العدالة 1331 هـ ثم ناب بعد عن قاضي السويرة إدريس بن خضراء في تمانار بحاجة نيابة رسمية ثم استقل بولاية خطة أبي المواريث مع تلك النيابة 1349 هـ ثم انتقل إلى قضاء أگادير 1357 هـ بعد ما بقي في حاحة ثماني سنوات ولا يزال في هذا المركز قاضياً على إيالة باشا أگادير مع إيالة القائد بوشعيب بهوارة مع قبيلة أيت باها بأعلى هشتوكة وهذه إيالة غير قليلة وهو الآن يطلب قضاء السويرة ليرجع إلى بلده، ومن عادته الإنفاق على سعة أهله في المآكل كما هي عادة الذين تربوا في النعمة من أهل الحواضر وحيث يقطن الآن مع أنصاف المتحضرين صاروا يتعجبون منه وهو من أوادئنا الذين عرفناهم قبل ويعرف كيف يرتب مسطرة المحكمة معرفة تامة هذا وقد كان قاضياً رسمياً على أكادير سيدي أحمد بن الغزواني المراكشي المتوفى يوم الثلاثاء ثامن رمضان عام 1352 هـ ثم وليه القاضي الطالب بن سودة الفاسي إلى أن عزل يوم الخميس 25 من رجب 1354 هـ وهذان كانا قبل سيدي أحمد بن المصلوت المنقول بعد إلى تامانار فهو القاضي الحالي الآن فيها[1].

وأما الباشا (بأگادير) الآن بعدما توفي الباشا السابق الحسن بن إبراهيم التامري فهو إبراهيم بن الحاج عبد الله بن محمد بن أحمد بن الحسن، من آل أحمد بن الحسن، من (آل يدير) من قبيلة (إداويسارن) أحدى قبائل (حاحة) الشمالية، ولد في - 1310 هـ، ووالده عبد الله تاجر كريم حسن السمعة متدين

---

(1) توفي هذا القاضي الجليل النزيه قاضياً بتزنيت نحو عام 1375 هـ كما توفي قبله القاضي سيدي الحبيب بأكادير رحم الله الجميع.

حج على قدميه، وكان صالحاً تؤثر عنه خوارق، وكان يقارض الناس، ويتجر في السلع التي يصدرها المغرب، توفي عام 1330 هـ، كان السلطان عبد الحفيظ وظف الجند على القبائل عام 1326، فدفعت (حاحة) - 400 من بينهم مترجمنا الآن وهو إذ ذاك كما بلغ، قوى جلد، فانخرط في الجند الحفيظي المنظم في طابور يشمل الحاحيين والمسفيويين وأهل الحوز، وفيه 800 واسم قائدهم القائد مبارك البعمراني، فكان أول زحف شهده مترجمنا هذا وقعة (الريبعة) فانهزموا أمام بني مطير، عند دار (عقا) البودماني، ثم حاربوا في (الحاجب) حتى احتلوه، ثم حاربوا (أبا حمارة) حتى اعتقلوه، وقد حكي أنه كان قريباً من الموقف الذي اعتقله فيه أصحاب القائد الناجم، وكان يشاهد جنديين ينزعان منه مسدسه وخاتمه، فتسلمهما القائد الناجم الذي أتى بأسيره حتى سلمه إلى الملك[1] ثم حضروا وقعة المدافعة - عن فاس يوم حاصرتها قبائل البربر العسكري والجبليون ثم بعد الحماية خيروا بين تتبع التمرين مع التعليم العصري للترقي على قانون جديد وبين الخدمة الساذجة مع رفع المقام والاعتبار، فأنف من التعليم الأوربي فبقي دائماً أمياً ثم لم يزل في الجند المخزني إلى أن خاض الحرب الكبرى الأولى فتشرب منه الدخان السام ثم دووي منه بمهارة، ثم ولى قيادة قبائل السهول وسكن في سلا فبقي هناك 16 سنة ثم باشوية وجدة سنوات ثم اختاره السلطان لأكادير أول سنة 1363 هـ وحاله كحال أصحاب الغيرة الإسلامية، يدافع عن المساكين بلسانه وقلما يقبل أن يحكم على أهلي إلا إذا لم يجد مدفعاً لأن يقبل أو يرد أمام المراقبين، يحافظ على صلواته، وفيه كرم وصراحة، وهو من المقربين عند ملكنا المحبوب حفظه الله، وبينه الآن وبين المراقبة ما يكون دائماً بين من لا يريدون أن يتخطوا أوامر الملك إلى أوامر الاستعمار[2].

(1) في الجزء العشرين من المعسول حياة القائد الناجم كما هي، ولا يزال حياً الآن أواسط جمادى الثانية 1381 هـ.

(2) ولهذا عزل بعد هذا الوقت، فحفظه الله من كل ما وقع فيه من داموا على أمثال تلك الرياسات إلى أن جاء الاستقلال وهو الآن في سلا يبني مسجداً ومدرسة نفعه الله بنيته ثم توفي بعد مرض أوائل 1381 هـ، رحمه الله وغفر له.

إلى إدواتنان:

أقلتنا سيارة نقل عادية كبيرة صوب مركز إيموزار - وهو في قمة جبل إداوتنان - قبل زوال يوم الجمعة، فحين وصلنا أورير وتجاوزنا قبة سيدي عمرو بن سعيد - ضريح هناك - وقفت السيارة لخلل بها، فبعد أن حاول السائق ومعينه إصلاحها وتعذر عليهما، رجع المعين إلى أكَادير فدخلنا المسجد هناك فإذا فيه السيد إبراهيم بن الحبيب السكَرادي، وقد هيأ غداءه في طاجن طيب، فقدمه إلينا فجلنا بين زور دجاجة محمرة وأفخاذها اللذيذة، فكان خير رزق ساقتنا إليه الأقدار وقد فرح بنا رب المثوى فرحاً كثيراً استفزني حتى كتبت له هذه القطعة الساذجة، ولكنها عنده من المعلقات لحسن نيته:

إن آل الحبيب آل المعالي ... هكذا هكذا يرى خير آل
أينما تلق واحداً منهم تلـ ... ـق كريماً يجود قبل السؤال
سمط علم وسودد وفخار ... ومعال لاسمط نظم اللآلي
قد لقينا منهم أبا سالم في ... ربع (أورير) حيث أفق المعالي
فسقانا كأس النوال دهاقاً ... فأرى الناس كيف كأس النوال
إن من يألفون أن يكرموا لن ... يتركوا إلفهم على كل حال

ولوالده العلامة الأديب الحبيب الشهير أولاد عدة منهم الأديب المؤرخ علي بن الحبيب الذي لا يجهله سوس اليوم وهو من أخصاء أحبائنا.

وقد رأيت هناك في مجموعة منسوخاً بخط القاضي يوسف بن يعزى التيركتي القاضي الرسموكي ونسخة من عقيدة عبد الله بن سعيد الحاحي المناني في 4 صفحات وهي مشهورة توجد كثيراً.

ثم سارت بنا السيارة في طلوع وهبوط، وخرق طرق ضيقة كسم الخياط والتسلق في منعطفات ذات تعارج ملتوية تطل منهم على أوداء عميقة فبينما أنت في الأعماق إذا أنت في قمم الجبال فمتى أرسلت نظرك إلى ما تحتك يكاد الميد والغشاوة يغشيانك ويستوليان عليك، ولا ترى في كثير من الممرات إلا القدر الذي يحمل جسم السيارة ولا يبقى بينها وبين الهاوية إلا قليل وربما

يكون شبراً أو دونه وكذلك لا ترى في الأعماق إلا طريقاً كالخيال تحت جرف طويل، ينقطع دونه الطرف، وقد سرنا ما شاء الله في وادي أنكريم وإزاءنا ماء سائل وبعض أشجار من النخيل والزيتون وأصناف أخرى من الأشجار، وهو واد مستطيل ثم طلعنا منه فوجدنا سقي أنسري إزاء دار أحمد بن سعيد وهو مكان مرتفع بهيج المنظر فيه انبساط فرأينا فيه حقولاً متسعة وأشجاراً كثيرة ومياهاً متدفقة وغالب هذه الحقول لأحمد المذكور وفيهم رياسة قبل اليوم أبقت لهم ثروة كانت مجموعة قبل الاحتلال وقد كان مر هناك أحد آل أحمد بن سعيد كان يخوض مع الخائضين إذا الناس أبناء القوة من عز بز ومن غلب سلب فإذ ذاك بنيت تلك الدار العلية المطلة على ذلك الوادي العميق وقد ظهر لنا منها بنيان حسن مبهج.

وقد وصلنا إلى (أيموزار) بعدما قطعنا 67 من الكيلومترات وهي قريبة إلا أنها في غاية الصعوبة، لا يسلكها من السائقين فيسلم إلا من كان حاذقاً ماهراً مرنا في قيادة السيارة في أمثال هذه الأمكنة الضيقة الوعرة، إن كان لهذا المكان مثل في الوعورة والضيق، وقد تعجبت كيف يتسنى للسيارة المرور جنباً لجنب عند الملاقاة إن لم يتحين موضع يكون فيه اتساع، وما أقل الأمكنة المتسعة في هذه الطريق[1] وكل هذه الجبال مكتسية بأشجار أركان حتى يصل علوها إلى الأفق البارد، فتختص بأشجار (أزوكا) كما يسمى بالشلحة ويسمى - كما أظن - بالعرعار، وينتفع الأهالي بالعلك الذي يستخرج منه وعادتهم أن يكشطوا القشر عن أعواده في محلات مختلفة من الشجرة ثم يرجعون إليه بعد أزمان، فيجدون العلك قد تجمع في المحلات المكشوطة ويدر ذلك على الأهالي أموالاً، كما ينتفعون وراء ذلك بحطبه وفحمه وقد كان العلك مورداً عظيماً للأهالي قبل الاحتلال، ولكن إدارة الغابات منعت الناس منه وإن كانت المكان ملكاً خاصاً لصاحبه وذلك بحجة الإبقاء على الأشجار.

وأما أركان فكله منفعة لأنه مرعى الغنم - المعز - وثمره يوقد بقشره الأدنى وتأكل البهائم قشره الأعلى، ويستخرج منه ثمر على قدر اللوزة إن

(1) أصلحت هذه الطريق بعد، ووسعت في غالبها.

شققتها نصفين وهو أبيض يقلى ويطحن طحناً خاصاً ثم لا يزال المطحون يعجن باليد حتى ينعزل إدامه المعروف إلى جهة ويبقى ثفله إلى جهة أخرى فيستطيب البقر هذا الثفل ويباع أقراصاً صغيرة في الأسواق، ولمشقة استخراج الزيت منه حكم فيه من قالوا فيه بالزكاة بنصف العشر، وهو الظاهر ولا يخرجه عن طريق القياس على الزيت إلا من يألف الجمود على ما عرفه الأولون من مؤسسي أحكام المذاهب، ثم لا يستأنس بطرق النظر وإدخال الجزئيات تحت الكليات والله أعلم. وما قيل فيه بنصف العشر إلا للمشقة التي فيه قياساً على ما يسقى بالسواقي وهذه الشجرة غير مذكورة في غير سوس إلا ما كان من الأرض التي تسامته في أمريكا الجنوبية - على ما قيل - ولك أدل دليل على ما يقوله أصحاب علم الجيولوجية - علم طبقات الأرض - من أن قارة (أفريقية) كانت متصلة قبل بأمريكة ثم حدث البحر بينهما وذلك منذ آلاف من السنين.

وصلنا مركز (أموزار) بعدما غربت الشمس بكثير فنزلنا والرذاذ يبل أردانا في دار التاجر الكبير صاحبنا محمد بن بلعيد من أهل قرية (تيشكجي) وهي قريبة من هذا المحل، فوجدناه قد هيأ لنا كل ما طاب وما حلا، منزل أنيق معجب في قمة هذه الجبال البادية، وزرابي مبثوثة وأوان مصقولة وطعام حضري وبشاشة فياضة وفرح طافح يكاد يقطر من وجهه وقد كانت نيتنا أن نزور من هناك مشهد الشيخ سيدي إبراهيم بن علي في (تيغانيمين) حيث قبره، فإذا بالمسافة بين هذا المحل تمتد إلى زهاء أربع ساعات على البغال فاستخرت الله في ذلك فظهر لي إرجاء تلك الزيارة إلى فرصة أخرى[1] وفي اليوم الثاني بتنا في (تاماروت) في أسفل من (إيموزار) وليس بينهما إلا قليل، وقد رأينا العين التي تقوم بها هذه القرية، تنزل من حرف كشلال صغير، له دوي في الأذان وعلى منبع هذه العين بنت الحكومة مركز (إيموزار) وقد كان ذلك المكان قبل زاوية لسيدي محمد بن بلقاسم الصالح المدفون إزاء مسجد (تاماروت) وهو ما بين أهل آخر القرن العاشر وما بعده وهو بكري النسب، وهو من أسلاف البكريين أهل تاماروت كالفقيه سيدي أحمد

(1) فزت بذلك سنة 1379 هـ

ابن محمد الذي نزلنا عليه وقد كان جاء إلينا واستدعانا إليه فلبينا دعوته، وقرية تاماروت في واد متسع ملتف الأشجار والحقول وأسفل منها بقليل قرية (تيديلي) وحوالي القريتين حقول متصلة مخضرة أنيقة وقد تباعد ما بين الجبال التي تحيط بها وهناك زياتين كثيرة والجوز واللوز وأنواع الفواكه ويسقى الجميع بعيون متعددة انبعثت قرب الحقول وهذا المكان يقع في أعالي جبال أداوتنان ولكن يشتد فيه البرد إلا أنه مع ذلك أبهج مكان رأيته في هذه الجهات إذا استثنينا (أنسري) المتقدم، فإن ذلك المحل يفوق هذا المكان. وقد خرجنا نمشي على أرجلنا في الطريق المكنوسة التي تسلكها السيارة، وقد نزلت من (أيموزار) قاصدة إلى حاحة فتخللت أودية كثيرة في هذه الجهة تتلوى بها في الأودية تلوي الأفاعي حتى وصلت (سوق الثلاثاء) فمرت إلى (تامانار).

مشينا للرياضة من قرية (تاماروت) فجبنا ما بين الأشجار أصيل يوم الأحد، فأحسست ببهجة وانشراح لا يحس بمثلها الذين أتوا هذه النعمة، وقد كان عجباً عند أهل البلدان أن رأوني أختار المشي على الركوب وقد غاب عنهم ما أنا فيه من الاغتباط بالمشي، ثم سرعان ما وصلنا (تيديلي) فدخلنا إلى الجامع الذي تقام فيه الجمعة وهو مسجد عتيق مثل مسجد تاماروت وقد تخطى أكثر من ثلاثة قرون فاستحضر أهل القرون الوسطى كيف كانوا في حرارة دينية صارت تبرد اليوم شيئاً فشيئاً في هذه الأجيال الأخيرة وقد اعتنوا كما ترى ببناء المساجد هكذا في قمم الجبال وفي أعماق الشعاب على كيفية هي أعلى ما يعرفونه إذ ذاك في فن معمارهم ثم كسا القدم هذا الفن حلة أخاذة في نظر أمثالي.

وجدت في الجامع أربعة صفوف مرفوع سقفها على سوار من العود الصلب وفي سطح المسجد مسجد آخر لأوقات الصيف. فيه محراب أيضاً وقد سقف الصف الأول منه وعلى هذا الطراز مسجد تاماروت أيضاً وإن كان أصغر بقليل من هذا وقد كان الفقيه الشريف سيدي علي إبراهيم التازروالتي[1]

(1) يترجم بين آله في (الجزء الثاني عشر) إن شاء الله.

من المتخرجين بسيدي مسعود وابنه محمد المعدريين شارط هنا أزيد من عشرين سنة فكانت له فيه دروس علمية دائماً، وهناك أفنى شبابه وقد كان لحفظ القرآن في كل هذه المساجد شأن عظيم انطوى اليوم ولا حول ولا قوة إلا بالله فلله ما أعطى وله ما أخذ.

إن دام ولم تحدث له غير لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

ثم سرنا قدماً حتى سامتنا قريباً قرية لم يبق فيها إلا دار مسكونة كانت منسوبة لسيدي علي (بيزم) وكان شريفاً سباعياً كان من أصحاب الشيخ سيدي إبراهيم بن علي وهو الذي تولى غسل سيدي إبراهيم بن علي يوم وفاته وله أولاد يقطنون اليوم في تيديلي وقبره رأيناه في قرية في بيت، ثم أطللنا على واد كبير فيه اتساع وعمق يمتد عن يميننا وعن شمالنا فتياسرنا في الطريق المكنوسة نماشيها منحدرين حتى نزلنا من الجبل فوصلنا قرية تشكجي حيث الدار الأصلية لآل بلعيد التجار المتقدمين فبتنا ليلة غراء كرماً وحبوراً ومعنا الفقيه سيدي أحمد بن محمد التامارووتي من المتخرجين بسيدي محمد بن مسعود وهو ذاكر عابد ذو همة عليا[1].

وللقرية عين تقوم بحاجة السكان فتدر عليهم حقولهم الزيت والفواكه والبقول من كل نوع وقد وجدنا أرباب مثوانا يبنون بناء حضرياً أنيقاً ويا ما أحلى أناقة الحضارة في بحبوبة البداوة وقد كنا عرفنا من قبيلة أداوتنان حبهم لحسن الرياش ولصقل الأواني وللأطعمة الفاخرة وللطيب فلا نكاد من قبل الاحتلال ندخل دار أحدهم إلا وجدنا عند أثارة من ذلك على قدر ذات يده وما أعظم الفرق بين هؤلاء الجبليين والجبليين من سكان (ولتيتة) حيث تكثر الأوساخ ويؤلف عدم المبالاة بالفراش وتنقية مثوى الأضياف هكذا كان الحال قبل الاحتلال، وأما بعده فقد صار الولتيتيون يترقون أيضاً ولكن ببطء وأما التنانيون فقد شاهدنا من ذوي اليسار منهم قطع أشواط وراء ما كنا نعرفه منهم، زيادة على حسن نية وجميل اللقى وإكرام الضيف فإن فيهم من السخاء ما يقل مثله في جبليي (ولتيتة) وإنما الذي يسترعي النظر من التنانيين خفة حركة، وكثرة

---

(1) ترجم في (الجزء الخامس عشر).

الهذر خلق جبلوا عليه قد يؤاخذهم عليه من لا يعرفهم فلا يعرف حسن نياتهم ومقاصدهم، وقد كان الدين فيهم راسخاً ولا يزال وقد حفظوا إلى الآن مما خامر بعض الولتيتيين الذين أكثروا التردد إلى الحواضر فهتكوا سجف الحياء وابتلوا بالدخان وشرب الخمر وترك الصلاة، وقد ركبت في صفر أول هذه السنة من البيضاء في سيارة ليس فيها إلا بعض سكان قبائل في بحبوحة (جزولة) وهم نحو أربعين وغالبهم من النشء أصحاب الجلاليب الملونة[1] وتصعير الخدود ورفع الأنوف إلى السماء والمشي على الأرض مرحاً ممن امتلأت جيوبهم بالأموال وخلت قلوبهم من آثار حسن الأعمال ومن الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم فكان باعث السيارة - وهو مسلم طيب - يوقف سيارته في وقت كل صلاة فكنا لا نجمع الصلاة إلا نحو ثلاثة والآخرون يتسكعون حوالي السيارة حتى نقضي صلاتنا أفهكذا كان من نعرفهم من كل الجزوليين، لا والله بل كانوا عاضين بالنواجذ على دينهم عادة ألفوا ونشأوا عليها وهكذا لا يزال السوسيون غير هؤلاء الذين نشأوا في الحواضر نشأة لا تمت إلى التدين بنسب والعجيب من كل السوسيين القدماء أن اللصوص منهم الذين كانوا أقسى قلوباً من الحجارة ما كانوا يتركون الصلاة في الفلوات التي يقطعون فيها الطرق وما ذلك إلا لأنهم نشأوا في جيل مرن على التدين فإلا تدين قلبي متلبس بخشية الله فتدين ظاهر ينتظر لصاحبه رجوع متى لاقى عبرة وعظة ولا ريب أن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر، فكل من لازمها فلا بد أن يكون مآله إلى الخير والسعادة إن كان مكتوباً من السعداء في علم الله القديم وإن كان الحال في ذلك هو ما قاله المعري:

إذا رام كبرا بالصلاة مقيمها   فتاركها عمداً إلى الله أقرب

هذه تنهدة يعدها الجاهلون من أوصاف المتزمتين الرجعيين أصحاب القرون الوسطى ويعدها العالمون من أوصاف المؤمنين نطلب الله أن نكون منهم.

---

(1) كان الشباب السوسي إذ ذاك لا يزال إذا أراد أن يتأنق يختار الجباب الملونة وأما الآن فالكبابيط ولكل زمان لباسه ولذلك لا يتعلق بنوع خاص من اللباس إلا المغفلون.

وصلنا بعدما خرجنا من مبيتنا دار الرئيس الشيخ الحسن بن الحاج محمد في واد يسمى أغري وهو واد عميق ضيق كأنه حلقوم البعير وفيه ماء عيون به تسقى الحقول من رأس هذا المكان إلى مقربة من متسوق الثلاثاء ويوجد النخل بكثرة في هذه الأودية الواطئة في أداوتنان وله تمر أكلناه طيب متفاوت في الجودة وقد مررنا بواد آخر (تيمكّطي) متصف بذلك الوصف نفسه وهناك مشهد سيدي أحمد الفاسي صهر الشيخ سيدي إبراهيم بن علي بنت من بناته المتعددات ولا يعرف لماذا يقال له الفاسي، وعليه قبة شامخة غير ضيقة وقد رأينا فوق المحراب تاريخ 7 المحرم 1305 هـ وهذا تاريخ تجديدها وقد جدد تبييضها أخيراً، وله عقب يوجد في قرية (أزيار) وإذ كان في عصر الشيخ إبراهيم بن علي المتوفى 989 هـ عرفنا وقته، وتحت قبته منبع عين (تيمكّطي) التي تسقي النخيل وما إليه، والقرية لأهل (أزيار) بنوها على حقولهم ثم لا يأتونها إلا وقت الغلال.

لاقانا الرئيس سيدي الحسن بوناكّة وهو حبيبنا وصفينا من قديم بكل فرح فأكرم بأحسن ضيافة، مآكل أنيقة وأثاث ورئي مما لا يوجد في هذه الجبال عند غيره، وقد حدثني الرئيس رب مثوانا أن الرئاسة فيهم قديمة ولأسلافهم أثر فيها من أهل أواسط القرن الثاني عشر، وقد قال أن ثلاثة من التنانيين كانوا وقفوا حتى بنيت قبة الشيخ سيدي إبراهيم بن علي ومسجده ومتوضؤه، الحاج عبد الكريم الواعزوني والحاج أحمد أهدار وهما المعروفان عندهم ورجل آخر من أهل (أبي الراي) أي صاحب الراي، كانوا توصلوا بمال فصرفوه بعدما قسموا ما يبنى فبنى على ذلك أهل (تانكرت) القبة وأهل (واعزون) المسجد وأهل (أيفسفاسن) المتوضأ ولا يزال إصلاحها إلى الآن على هذا المنوال، وذكر لي غير الرئيس أن سلطان ذلك العهد يعنون سيدي محمد بن عبد الله باني السويرة، كان داخل المذكورين ليتمكنوا من الثائر الطالب صالح، فدفع لهم 300 من الخناجر والمكاحل من النوع الذي ينسب للطالب صالح مع مال كثير وكان ذلك المال موهوباً منهم لسيدي إبراهيم بن علي ولعله هو الذي بنى به ما تقدم، والطالب صالح اعتقله السلطان المذكور 1169 هـ ثم انتحر في السجن بمدية دست له في خبزة، وللشلحيين في قصته واعتقاله وفي انتحاره قصيدة طويلة سمعتها تنشد، وقد وجدت في تاريخ (السويرة) لصاحبنا سيدي محمد المراكشي ما نصه:

"الطالب صالح بن محمد بن بيهى السوسي ثم الحاحي شقيق القائد عبد الملك الفقيه باشا (السويرة) وكان أبوهما الشيخ محمد نشأ بقبيلة (أولوز) صاعقة من الصواعق يقتل ويغير وينهب فأهدروا دمه في عنفوان شبابه، ففر منهم إلى (حاحة) واستوطن بـ(بني زلضن) وتأهل وبعد مدة سمي شيخاً ثم في أيام السلطان مولانا إسماعيل ولاه عمالة (حاحة) وبعض القبائل السوسية فكان له من الأولاد نحو أربعين، استخلف منهم في حياته ولده الفقيه القائد عبد الملك عاملاً فيما كان عليه، وبعد وفاة السلطان استولى الطالب صالح على المدخولات المخزنية وكان شديد الشوكة مهيباً ذائع الصيت ثم دعا شقيقه عبد الملك لشق العصا فامتنع فجمع الطالب صالح جموعه وحاصر شقيقه في (أكّادير) إلى أن فر منه القائد عبد الملك والتجأ إلى الأعتاب الشريفة واستولى الطالب صالح على أكادير إلى أن قتل فيه شر قتله، فجمع السلطان سيدي محمد بن عبد الله لأخيه القائد عبد الملك عمالة (سوس) وحظي عنده وعند الملوك بعده هو وأولاده حظوة جليلة".

فبهذا فقط عرفنا الآن من هو الطالب صالح وقد كنا قبل نسمع أن أصله من مجاطة من (آيت كرمون) فكتبته كذلك في رحلتي (من الحمراء إلى إلغ) 1354 هـ وكذلك كتبه المستعرب "جوستينار" في بعض مؤلفاته وقد كان حقيقة عجيباً أن يأتي مجاطي إلى أكادير فيظهر كل ذلك الظهور من غير أن يكون له حول أكادير من يعتمد عليهم، والآن إذ عرفنا الحقيقة زال الخفاء، ولا ريب أن ما بين 1139 هـ 1169 هـ كان عصر مولاي عبد الله بن إسماعيل الذي عرفناه بالانحلال والتمزق وكثرة الثوار خصوصاً من سوس حيث ثار (بوتكلا) و(المكاوي) و(الكرسيفي) فقد كادت الحكومة تضمحل تماماً في الحواضر، وأما في الأطراف كسوس فقد اضمحلت تماماً وخلا الميدان لكل ناعق إلا فينة بعد فينة.

ثم بالحكاية المتقدمة عرفنا كيف احتال السلطان بوساطة التنانيين المذكورين حتى تمكن من الثائر، وهكذا يتمم بعض الأخبار بعضاً وفي "رحلة من الحمراء إلى إلغ" أخبار عن آل بيهي الحاحيين هؤلاء.

قال لي الرئيس سيدي الحسن بوناكّة أن الحاج أحمد أهدار كان من أسلافهم، وقد امتد عمره إلى 1196 هـ إلى أن ولاه قائداً على كل أداوتنان السلطان مولاي سليمان بوساطة القائد عبد الملك بن بيهي وقد كان لعبد الملك حرب عنيفة عام 1213 هـ مع التنانيين حتى أطاعوا الحكومة مرغمين ثم لم يلبثوا أن أغاروا على قائدهم أهدار فحاصروه في داره فوق الغدير في (أزيار) فلما تمكنوا منه ألقوه من أعلى برج هناك فهلك وهاك ملخص مقيد في ذلك.

(في ثلث الليل الأخير من يوم الجمعة الأخير جمادى الثانية 1213 هـ قتل الحاج أحمد ابن محمد أهدار وهو على البرج القبلي في داره وقتل ابن أخيه محمد بن محمد وامرأتان جزوليتان وأمة من زاوية سيدي إبراهيم بن علي والحسن بن أمرير الواعلاوي وأبو صالح من أيت ناصر وأحمد بن بلا الفاسي الملقب السكّن ثم حصرت الدار إلى الأحد الآتي من رجب فأخرجوا من في الدار فقتلوا صبياناً من أولاد أهدار بينهم رضيع نزعوه من بطن أمه وآخر كان يدب على رجليه والعياذ بالله كتبه محمد التانكرتي الجزولي) انتهى.

وقد ظهر محمد الذي ذكر في منتهى ما ذكرناه من آباء الرئيس الذي يحدثنا من أواسط القرن الماضي، مع الرئيس ابن عمه الطبيبي وهو جد سيدي سعيد التناني لأمه، فكانا معاً يديران (تانكرت) كما أن آخرين يديرون أمور (آيت واعزون) وآخرين في (أيفسفاسن) وهؤلاء أفخاذ قبيلة (أداوتنان) ثم بعد محمد قام ولده عبد الله ثم الحاج محمد والد صاحبنا ولهذا شهرة كبرى ولعله هو أحد المقاومين لجيوش القائد الحاج عبد الله بن بيهي الحاحي سنة 1284 هـ فإنه أحاط الجيوش بكل (أداوتنان) وقد نزل في أعاليها بعدما غلبهم، ونزل إلى (تامارووت) ووصل (تيديلي) وهناك ابتدأ انهزام جيوشه وقد أراني من معي مسقط رجل كبير من أهل (إيكيدر) الحاحيين ثم لم يلبث الحاج عبد الله بن بيهي في داره إلا دون شهر فإذا بالسلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن أرسل إليه فاعتقله، ولم ينشب أن هلك في السنة نفسها ودفن كما هو معلوم في مراكش[1].

(1) في الجزء الخامس عشر وثيقة عن هذه الحرب بخط الفقيه سيدي محمد والد شيخنا سيدي سعيد التناني.

أخبرني ثقة أن أباه قال: كانت بيني وبين الحاج عبد الله معرفة إذ ذاك فذهبت إلى داره مرجعه من أداوتنان وبعد قليل دخل في عشية فارس يرتمي فرسه زبداً أبيض مما يدل على شدة إسراعه فولج على البوابين ولم يرده أحد حتى وصل القائد وكان ذلك في الأصيل، ثم لما وصل المغرب لم نسمع أذان الدار الداخلية على العادة ولم يكن يؤذن في المسجد الخارجي حتى يؤذن في المسجد الداخلي، ثم بعد العتمة سمعنا بكاء من الدار، ثم قيل لنا أن القائد يودعكم ويقول لكم أنه سائر إلى السلطان الآن، فإن رجعت فلا يكون الأخير وإلا فالوداع، فذهب فلم تمر إلا أيام حتى سمعنا بموته.

قال رب مثوانا؛ إن جده الأعلى محمداً كان يسكن حيناً في آيت خميس من (ايت أمر) وقد أجلاه تانكرت ثم بعد رجوعه صار يلتجئ إلى السكنى في بحبوحة الجبال وقد بنى الحاج محمد حفيده ووالد الحاكي لنا داره هو في أغري سرة تانكرت في شعب أمنع من عقاب الجو وأضيق من بلعوم النعامة وقد كان رجلاً مثرياً ذا شهرة ونفوذ وإليه آوى الحاج الحسن والد القائد سعيد التيكْزيريني قائد تمانار اليوم وقد كان الحاج محمد تزوج بنت الحاج الحسن قبل، ولذلك ارتحل إليه مرتين وبنته هي أم الرئيس الحسن رب مثوانا الآن وقد كان بين الحاج محمد ورؤساء تامانار أبناء المحجوب عداوة فلم يزالوا يسربون إليه من يفتك به، ويبذلون مالاً جماً على ذلك حتى قتله تناني صبيحة جمعة في رمضان 1316 هـ إمام باب داره وهو جالس على دكة صوب إليه بندقيته وراء جدار اختفى فيه فأصماه في منكبه ثم بقيت الرصاصة في داخل صدره فحمل مجروحاً، ثم قضى نصف النهار ولكن القاتل أدرك في ذلك الجبل فجرح برصاصة بعض الذين أصرخوا الرئيس فهرب عن القاتل المجروح رجلان في رفقته، فاختبيا في أشجار فأدرك هو ودففت عليه وبشر الرئيس بذلك قبل أن يموت ثم أن الحاج أحمد الكْيلولي وبعض الحاجيين الذين لهم اليد في ذلك سقطوا كلهم في ثنية إدريس في بلد بعقيلة قبل أن تتم السنة، فالإنسان يقتل دائماً بما قتل به.

أما صاحبنا فولد نحو 1301 هـ وأتقن حفظ القرآن على الرجل الصالح سيدي الحسين التامجوطي العمراني الإسغاركيسي الأصل، الذي أمضى حياته

في أداوتنان لازمه سبع سنوات ثم عن الأستاذ المحفوظ النظيفي أستاذ مدرسة المحصر في حاحة بعد ذلك وقد كان المحفوظ مكث عندهم سنة حتى جمع ما استتم به قراءاته عند الأستاذ محمد الكيلولي ابن القائد وقد أخذ أيضاً عن محمد بن مسعود المعدري ثم أمضى حياته بعد في المحصر إلى أن مات قريباً ثم عن الفقيه علي بن عبد الله الهواري من الصحابات قرية القائد علال الذي كان صاهر هذه الأسرة فعنده بنت الحاج محمد بوناكة وهذا الفقيه تخرج بأوعبو، وكان تقياً نقياً صالحاً، له منامات حسنة، أخذ عنه صاحبنا العربية والفقه في المتون الابتدائية حتى شدا، وقد كان يأخذ عنه الاستعارات وينسخ بيده شرحها، إذا بالرصاصة التي فتكت بصدر أبيه طرقت مسمعه عند جملة فيها: فكان ذلك آخر عهده بالأخذ، وقد كان أبوه وصى عليه الأستاذ، إلا أن الدهر لم يساعفه حتى يستتم، فراجع الأستاذ هذا (هوارة) فعاش فيها إلى أن فتك به لصوص نحو عام 1321 هـ.

كان صاحبنا رئيساً لفريق (تانكرت) من ذلك العهد، فأحسن إجراء السفينة وإرساءها بين تقلبات العواصف حتى جاء الاحتلال في شعبان عام 1345 هـ فاتصل بالحكومة على يد خاله القائد سعيد، فتعين رئيساً على أهل تانكرت ثم زيد له بعض فريق (إيفسفاسن) أخيراً وكان الحاج بيهي الملقب (أشاو) رئيساً على فريق (أيت واعزون) فتسمى قائداً ما شاء الله حتى مات 1348 هـ ثم ولده أحمد إلى أن سجن قبيل سنتين، ولم يسرح إلا أخيراً، والمتولي مكانه إنسان يسمى علي بن عمر في قرية (تافكاغت) قرب (إيسقال) والرئيس على فريق إيفسفاسن هو محمد بن أحمد بن سعيد الذي تقدم ذكره وداره في (أنسري) ثم تولى على غالب ذلك الرئيس الحسن بوناكة المتقدم، وهناك الشيخ محمد النظام له إيالة أيضاً، وعلى أهل تامرووت التي بإزاء أورير الرئيس محمد ابن عبد الله المسمى ابن الأشكر.

لرب مثوانا ولد يسمى محمداً، هو ولي عهده، فقيه مشارك حسن المجالسة، وقد كلفته بمسائل مذاكرة فاستخرج مواضعها من المختصر كما أنه تلا علي شيئاً فكان لسانه صالحاً وفقه الله وأعانه، أخذ عن صاحبنا الفقيه سيدي محمد بن بلا الأوكانتي التناني من المتخرجين معنا في الحمراء، وهو

اليوم أحد فقهاء إداوتنان كالأستاذ المدرس أحمد الكشطي والفقيه أحمد ابن محمد بن عبد الله الشريف التيغانيميني، وولد سيدي الحاج الحسن الكزويي سيدي محمد، والعلم الآن في هذه الجبال شمسه على أطراف النخيل والبقاء لله، وبانقضاء هؤلاء يخاف انقضاؤه.

خرجنا صبيحة الثلاثاء مع رب مثوانا صوب أزيار فمررنا بسوق الثلاثاء التي هي من آثار الشيخ سيدي إبراهيم بن علي فيكون لها إلى الآن زهاء أربعمائة سنة فوصلناها بعد مسير نحو ساعتين ثم بعد الاستراحة والتغدي ودعنا الرئيس فتوجهنا إلى أزيار فصلينا فيها الظهر فزرنا ضريح شيخنا وولي نعمتنا ومربينا سيدي سعيد التناني ورأينا أخانا الصوفي سيدي عبد الله القيم على الزاوية.

ومما يتعلق بإداوتنان ما وقع لهم مع السلطان مولاي الحسن فقد زحف إليهم مرجعه من سوس 1303 هـ فأدار بهم الجيوش من كل جهة فنزل مولاي الأمين إزاء متسوق الثلاثاء والمسمى الأمراني في المحل المسمى إيمسكر وآخرون نحو قبيلة أداوبوزيا الحاحية وهوارة من قبلهم وطلع السلطان من جهة أكادير حتى وصل ألمى فحاصره التنانيون في محل هناك فيه مزلق على صفوان شديد ليس فيه إلا ممر لفارس واحد فأهلكوا فيه كثيرين ثم رجع السلطان من ذلك المحل إلى أن استدار إلى تاماعيت فجرب أيضاً الدخول من تلك الناحية فلم يفتح له ثم طلع من أسيف ييك حتى استولى على قمة الجبال في بسيط أيقي المشهور فساحت الجيوش حتى أطلت على الشعاب والأوطئة فلم يجد التنانيون مناصاً من الانقياد فقدموا الهدايا ودفعوا المؤن ثم لم يلبث السلطان أن ذهب بغتة إلى حال سبيله بعدما جعل لهم رئيساً قائداً على جميع التنانيين يسمى أبا العشرة ثم غادره وحده بلا جند يدعمه فلم يكد السلطان يذهب حتى أجلاه التنانيون ثم قتل بعد ذلك فرجعت هيف إلى أديانها وقد ترك السلطان في منزله كثيراً مما قدم مؤونة لجيشه فتداول التنانيون أن ذلك الانزعاج وقع للسلطان من حامي القبيلة سيدي إبراهيم بن علي ويدعمون ذلك بأنه ترك المؤن من غير أن يمسها وبأنه لم يترك حامية للقائد تدعم حكمه وبأنه ارتحل بغتة مجفلاً كأنه خائف يترقب، وللتنانيين في هذا الشيخ من الاعتقاد في الدفاع عن

حوزتهم عجب عجاب، وقد قال تناني مرة للشيخ الإلغي أن بلادنا مصونة من المخزن ببركة سيدي إبراهيم بن علي، فقال له الشيخ: إنما صانتكم الجبيلات والجبال، وأما المشياخ أمثال سيدي إبراهيم بن علي فلا يأبون الصلاح، والمخزن إنما هو صلاح لكل بلد كان فيه إن جار، فضلاً عما إذا كان عادلاً، فجور واحد منظم ولا فوضى تثير زوابع الفتن.

ومن بين فرق آل تانكرت آل ناصر وآخرون لهم مشجر نسب يرفعون نسبهم إلى محمد ابن عمرو الإسريري، وفي هذا الوقت ذهب رجل منهم يسمى عبد الرحمن إلى (إسرير) بما في أيدي أهله من الأنساب، فأبى أهل إسرير أن يقبلوا قوله زاعمين أن سيدي محمد بن عمرو بكري من أيت يعزى وهدى لا شريف، زيادة على ما في يده من النسب الذي لا يعتمد عليه لكونه غير معرف بخطه ولا مثبت بعلم من يوثق به، فرجع بخفي حنين، هذا مع أن المنتسبين لابن عمرو هذا كثيرون في بلدان مختلفة في (ماسة) وفي (رسموكة) وفي (تاغلولو) وفي (إدوتنان) كما ترى، وقد اطلعت على أنساب آل سيدي محمد ابن عمرو الذين يقطنون في (اسرير) فرأيت من ظهائرهم السعدية والعلوية ما يدل على أن معهم أثارة من الصدق في النسبة البكرية وقد ذكرنا ذلك في (المعسول)[1] ولذلك يرتاب في كل الذين ينتسبون إلى الشرف بسببه كما مر عند ذكرنا لنسب آل (تاغلولو) في أول (الرحلة الثانية):

والدعاوى ما لم تقيموا عليها بينات أبناؤها أدعياء

ثم إننا رأينا ونحن مقبلون من أعلى وادي (اغري) المكان المنسوب إلى الشيخ سيدي محمد بن سليمان الجزولي دفين (مراكش) ومعلوم أن أصله من (سملالة) وهناك ولد ونشأ ثم جلا عن بلده لحرب وقعت فيه كما في «ممتع الأسماع» إلى (فاس) ثم جمع من هناك "دلائل الخيرات" ثم إلى (تيط) إزاء (اسفي) حيث شيخه امغار ثم إلى (اسفي) حيث خلوته التي لا تزال معلومة إلى الآن إزاء مترامي أمواج البحر، وقد بقي فيها 14 سنة حتى عاد شأنه فتواردت عليه الوفود حتى غص به خنقاً وحسداً أهل اسفي فخرج منها إلى هذا المحل

(1) في (الجزء العاشر) وهناك ذكر آل (يعزى ويهدى).

في (تانكرت) حيث ترك أولاده وغاب عنهم سبع سنوات وقد ترك عندهم رجلين أحدهما يسمى محمداً جد (آل أعراب) وهم كثيرون في (تانكرت) يسمى غالبهم (أيت أيزغي)، وكان يبر بأولاد الشيخ ويرأف عليهم وآخر لا يفعل بهم ذلك وهو جد أناس هناك قليلين فيوثر أن محمداً الأعرابي ازداد مجده ونسله ببركة الشيخ ثم صار الشيخ بعد صدوره من المشرق في السبع السنوات يرد على (أفوغال) حيث أمضى باقي عمره في علو شأن وكثرة المريدين، حتى اجتمع عنده يوماً واحداً أزيد من 6600 مريداً، لم لما سم فمات في سجدة من صلاة الصبح عام 870 هـ قام عمرو المريدي السفاك فاستخرج الشيخ من مرمسه فوضعه في صندوق يقدمه في محارباته فينتصر ولم يزل على ذلك حتى قتلته بنته وزوجه في المكان المسمى بـ(حاحة) (ايمى نتاقاندوت) فوق جرف هناك فدفن الشيخ هناك أيضاً وبني عليه مشهد لا يزال معروفاً مزوراً إلى الآن وهناك مدرسة علمية قديمة ثم نقل شلو الشيخ في زمن السعديين إلى مراكش وقد ذكر غالب هذا في "ممتع الأسماع" وزدنا عليه بعض ما ظهر لنا أنه الحق، وهذا المكان المتقدم في (إغري) بـ(تانكرت) لا يزال مزارة كبيرة تقام عليه حفلة سنوية إلى الآن باسم الشيخ الجزولي، وذلك مما ورثه الأحفاد عن الأجداد، فدل على صحة ما يقال في ذلك، وفي ترجمة القاضي المراكشي في (الأعلام) لابن سليمان ما يشير إلى هذا.

أورير:

عيدنا في أزيار وخرجنا في اليوم الثاني يوم الاثنين 11 من ذي القعدة على البغال فمررنا بمشهد الرجل الصالح سيدي أحمد بن مبارك في (إداوتغما) ثم بتنا في تمانار المؤسسة عام 1301 هـ في دار صاحبنا القائد الشريف الحاج سعيد التكْزريني، رحنا إلى أكْادير يوم الثلاثاء وظللنا فيه يوم الأربعاء وحضرنا مع الناس صلاة الاستسقاء صبيحة الخميس وقد خرج الناس يقدمهم الباشا الحاج إبراهيم الحاحي إلى المصلى شرقي (تالبرجت) فصلى بهم الفقيه الناسك سيدي محمد البوشيكري الأكْماري البعقيلي صلاة يغمرها الخشوع بخطبة ألهبت القلوب فذرفت العيون وجاشت الصدور وجأرت الألسنة بالاستغفار

والدعاء فأحيا الله من يحيي هذه السنة، وأمات من يحيي البدع، وهل يطلب ما عند الله إلا بما جاء في السنة.

أجاعل أنت بيقورا مسلعة ذريعة لك بين الله والمطر

ثم رجعنا إلى أورير لنفي بوعد كنا وعدناه لسكانه، وأهل أورير رقاق القلوب أتقياء تظهر عليهم سيمى الخير، وقد قال الشيخ الإلغي أن أهل أورير ترق قلوبهم لكونهم يتقوتون بالحلال مما في البحر الذي هم في ساحله، ولهذا كانوا أكثر الناس تعلقاً بالله، أعاد الله علينا من بركتهم.

وأهل أورير يقطنون في ثلاث قرى في هذا العصر، وقد كان بعضهم انتقل من قديم من حصن أورير على هضبة معلومة هناك، وقد خرب الآن، وكان موئلهم متى كانت الحروب والأهوال، وفي عهد كانوا منحصرين فيه سبع سنوات وكان أصل البعض الآخر من قرية (ايت بيلفان) وهناك مسجد قديم يسمى (تمزگدا نتخريبشت) يقصده الصالحون، قد كان الشيخ سيدي سعيد المعدري والشيخ الإلغي يقصدانه ويتحينان النزول فيه تبركاً.

وفي أورير مدرسة علمية قديمة إزاء قبة الشيخ سيدي عمرو بن سعيد وأخبرت أنه من آل الشيخ سيدي عبد الرحمن المشهور بـ(أبي داوود) وهو المدفون في (ايت امر) وهناك آخرون في اورير ينتسبون إليه كما حدثني آل سيدي الحاج اليزيد بأگادير أنهم كذلك من أهله وقد وقفت في ذلك على ما ملخصه:

(الحسن بن علي بن محمد بن مبارك بن أبي زيد بن يحيى بن يدير بن عيسى بن يوسف بن محمد بن جعفر بن تميم بن أبي داوود بن علي وهو الجد المذكور، وبنو أعمامهم إبراهيم بن مبارك، وأحمد بن سعيد ومحمد بن سعيد وسالم بن إبراهيم وللحسن بن علي بن محمد بن مبارك المذكور سبعة أولاد، داوود - عبد الله - محمد - أحمد - سعيد - يحيى - عيسى).

ومن أولاد محمد بن سعيد (آل الخراز) في أورير، فالفقير المتجرد سيدي محمد الحجام ساكن (السويرة) الآن في 1364 هـ هو محمد بن عبد الله الخراز بن محمد بن سعيد بن الحسن[1] وقد رأيت ظهائر تتعلق باحترام هذه

(1) لا يزال هذا الفقير حياً الآن 1381 هـ، وهو مذكور في كتاب (منية المتطلعين) المطبوع.

الأسرة التي تنتمي - فيما يقولون - إلى الشرف العلوي وإن لم يرفعوا نسب أبي داوود المذكور، حتى يتصل بالشرفاء الأولين، ولا جرى للشرف ذكر في تلك الظهائر وكلها ظهائر سعدية (أحدها مؤرخ بأواخر شعبان عام 987 هـ وتلك السنة مفتتح عهد مولاي أحمد الذهبي وقد ذكر فيه من المحررين الطالب أحمد ابن محمد بن إبراهيم وقد ظهر أن هذا كان فقيهاً من الأسرة، والثاني من الظهائر مؤرخ 17 من ربيع الثاني 981 هـ وعليه طابع ذكر فيه أحمد بن محمد وقد حرر به أولاد عبد الله ابن أبي زيد وقد ذكر فيه أنه تجديد لظهائر قديمة.

والثالث مؤرخ بأوائل جمادى الثانية 999 هـ حرر به علي بن محمد بن إبراهيم أخو أحمد المتقدم.

والرابع مؤرخ بأواسط شعبان 997 هـ وفيه طابع أبي فارس ابن أحمد الذهبي، حرر به أولاد محمد بن أبي زيد، هذا ما وقفت عليه عند بعضهم).

وهناك مسجد آخر قديم في قرية (أورير أوفلا) الخربة الآن، وهناك كان يشارط سيدي مبارك والد سيدي أحمد بن مبارك دفين (إداوتغما) المتقدم الذكر، فحفظ عنده ولده أحمد القرآن، وأخذ عنه ختمة من حرف قالون، ثم لما مات سيدي مبارك ودفن في مقبرة (سيدي محمد بن صالح) في (إيمي إيميكي) توجه سيدي أحمد بن مبارك مع رفيق له إلى (سوس) فغاب عاماً، فأما أحمد فيقرأ القرآن بالرواية، وأما رفيقه فإنه كان يشارط فجمع مالاً كثيراً، وبعد السنة قفلا معاً وعلى سيدي أحمد بن مبارك مرقعة، وقد أتقن بعض الروايات فصار رفيقه يفتخر عليه بما جمع، فإذا باللصوص جردوه عند بؤيرة الرومي (تانوت أورومي) من كل ما جمعه، فصار سيدي أحمد يريه أنه مصون مع ما قرأه، ثم أنه توجه إلى (الجبالة) وراء فاس فأتقن الروايات السبع عند أستاذ تقبله بكلتا اليدين، وحرره من كلف الطلبة، ثم دخل (فاسا) فحفظ كل المختصر حفظ إتقان، فرابط هناك سنين حتى حصل، وقد كان بعد يثني على الخرشي على المختصر، وكان يتريض هناك دائماً في كل صباح بجري كثير جاهد، حتى يعرق كثيراً فوجد بركة ذلك في جسده فحفظت صحته، ثم مر بفقيه يسمى إبراهيم المتوكّي، وقد كان رفيقه قبل في فاس وقد تولى القضاء

فأبطل الحكومة ثلاثة أيام فرحاً به، ثم إنه شارط في (تيغانيمين) سبع سنين، وبنت له القبيلة داراً، ثم توفيت زوجته ثم ساقته الأقدار حتى شارط في مدرسة سيدي مبارك صاحب المشهد الشهير في إداوتغما عند سيدة صالحة هناك زوجته حفيدة لها، فقام بتدريس الروايات ما شاء الله حتى نفس عليه أهل المكان ما أكرمه الله به، ثم صار يشارط في مدرسة (أبي البركات)[1] 17 سنة في مرات مفترقة، ثم نزل بعد في المكان الذي فيه على الآن مدرسته ومشهده في إداوتغما فرفع علم القراءة بالروايات السبع، وسال إليه الزوار للاسترشاد به، فتوثر عنه كرامات كثيرة ومآثر ومواعظ وحكم وأحوال مغبوطة رضي الله عنه، وقد قال إنني لم أتصد لتعليم الروايات للطلبة القرآنيين، إلا لأن لهم أصواتاً تجأر بذكر الله، فتنهض بها الهمم وتثور بها القلوب، وقد عمر طويلاً حتى أسن كثيراً فتوفي 1272 هـ، وعليه قبة، ومسقط رأسه في قرية (تيزي أورڭا) بـــ(إداوتنان)، ومن عجائبه أنه بين هناك مقامات للصالحين، كرموز للمشاهير الكبار منهم كالجيلاني والسبتي وأضرابهما، وهو شريف النسبة سملالي الأصل، ولعل مقصوده بهذه المقامات أمكنتهم، وقد رأيت هناك بويتا وراء المدرسة يغتسل فيه من ألم به بعض الأمراض المزمنة أو الداخلية فيقع له البرء، وإنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ولا يزال مشهد سيدي أحمد بن مبارك مقصوداً مزوراً معتقداً إلى الآن، ولا يزال المعتنقون للطريقة الناصرية يجتمعون هناك فينة بعد فينة، وكذلك لقبيلة (إدا ڭلول) اعتناء بذلك المشهد فيحتفلون سنوياً به رضي الله عنه ورحمه، ونسب شرفه موجود، ولكن لم نتوصل به عيد أحفاده، وقد رأيت من حفدته الشيخ البركة سيدي محمد بن عبد الله فأعجبني حاله وسمته وأثر في منظره حتى أكاد أجزم أنه من أهل الخير وإن كنت لا أزكي على الله أحداً. ومن أسر سريرة ألبسه الله رداءها.

وقد استدعانا إلى داره الرئيس محمد بن عبد الله الشيخ علي إيمي إيميكي فبكرنا إليه صبيحة الجمعة، وهو قريب من أورير، فتلقانا بكل فرح وكرم فأعلمني أن نسبهم يمتد إلى الشرفاء الكثيريين المنبثين في هذه النواحي، وإن

(1) هذا هو العبدري صاحب الرحلة المشهورة.

جدهم هو الرئيس علي بن أحمد الذي تزوج الشيخ سيدي إبراهيم بن علي التناني بنته، وقد كان رئيساً كبيراً في عصره في القرن العاشر، وقد ذكر لي رب مثوانا أن بين رسومه رسالة من الشيخ سيدي إبراهيم ابن علي يأمره أن يأتي بثلاثمائة رجل من خيار الناس لملاقاة سلطان، ويقول فيها أن جاءنا بالحق خضعنا له وإلا فنقابله بما يستحق، وقد وعدني أن يفتش عن هذه الرسالة وقد كان (أقصري) - محل هناك - هو منزل الرئيس علي بن أحمد، وهناك قبره في بيت مح شخص صالح يسمى سحنوناً، وهذا نسبه الذي توصلنا به من الرئيس محمد بن عبد الله في رفع نسب جدهم علي بن أحمد:

(علي بن أحمد بن الحسن بن عمر بن محمد بن إبراهيم بن سعيد بن مالك ابن علي بن يوسف بن صالح بن داوود بن عبد الله بن عبد السلام بن أبي القاسم بن عباس بن الحسن بن محمد بن هاشم بن كثير بن سعيد بن عباس بن محمد بن شعيب بن يحيى بن علي بن علي - مكرر - بن محمد بن يعقوب بن داوود بن عباس بن الحسين بن ناصر بن أحمد بن أبي القاسم بن إبراهيم بن ملوك بن عبد الله بن يحيى بن مبارك بن حنيف بن حسن بن صالح بن موسى ابن محمد بن محمد - مكرر - بن إدريس بن علي بن عبد الله ابن جعفر بن الحسين بن داوود بن الصديق بن عباس بن إسماعيل بن يحيى بن يحيى - مكرر - ابن محمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن علي بن جعفر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثني بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، هكذا وجدناه هذا النسب فكتبناه كما هو) هكذا - فليتأمل!!؟

ووالد رب مثوانا اسمه عبد الله من أصحاب الشيخ الإلغي كان له عنده مقام، وقد كان لا يولد له أولاد ذكور، وكان يعزم أن يذكر ذلك للشيخ فيسر الله له ولدين ببركة دعائه وهما الرئيس هذا وأخوه أحمد، وعبد الله هذا هو عبد الله ابن الحاج أحمد بن الحسين وأصلهم من قرية تامارووت، حيث لا يزال إخوانهم إلى الآن ودار له يسكنها أحدهم، ويبلغ أحفاد الرئيس الشيخ علي الآن زهاء 40 كانوناً، يوجدون في تامارووت وفي أقصري وفي إيمي إيميكي، وفي تامزيت وفي تادرين قديماً، وكانوا يسمون آل أبي الرأي، لأن جدهم كان ذا رأي عجيب، وهو المذكور فيما تقدم عند رؤساء التنانيين القدماء.

وقد أخبرني الرئيس محمد بن عبد الله أنه كان في تاغازوت مرسى للتجارة في حين، ولعل ذلك في القرن العاشر في العهد الذي استولى فيه البرتغاليون على مرسى فونتي وكان الذي يتولى المقايضة هناك مع الأجانب رئيس يسمى الشيخ بيدار الحاحي، وقد وقف في ذلك بإذن الشيخ سيدي الحاج عبد الله بن عمر العباسي الماسڭيني وكان هذا يسكن في تامارووت، وهناك زاويته ومقامه إلى الآن، وكان شيخاً مربياً له طوائف يسيح بها في البلدان وكان مشهوراً إلى الآن، وأنه توجه إلى الحج فمات هناك، وله خلوة في مكان إزاء تامارووت يسمى أزيون، قال هو الذي أمر الشيخ بيدار بالمتاجرة في تاغازوت ما شاء الله حتى مات بيدار، وله ولد يذكر في ذلك ما شاء الله وراءه ولا يزال أهل بيدار من أهل قرية تاسڭا أودرار، مشهورين إلى الآن، وسمعنا أن ابن بيدار يسمى عليا، كما قيل وقد كانت حرب تذكر بين علي هذا وبين أبيه بيدار إلى الآن.

وأخبر أيضاً أن فخذاً[1] يوجد بين أهل تامراغت إزاء أورير إلى الآن يعرفون بأنهم من بقية البرتغاليين أسلموا بعد جلاء البرتغال عن فونتي وفي قرية أيت توڭرو في قمة إداوتنان بعض أفراد من هذا الفخذ، وقد وجد ما بين رسومهم القديمة منسوخ بخط برتغالي تأيد به ما يقوله الناس، وربما كان مركز تامراغت قد امتد إليه نفوذ البرتغاليين إذ ذاك، وهو على بعد نحو 10 كيلو متراً عن يسار فونتي ثم جلا من جلا منهم من تامراغت إلى توڭرو والله أعلم، ولا يزال مقدار ما يمتد إليه نفوذ البرتغاليين من فونتي إذ ذاك مجهولاً عندنا إلى هذا الوقت.

وكان أهل أبي الرأي في محاربة دائماً مع إداوتنان، وقد حاصروهم سنوات كثيرة ولذلك كانوا رجالاً مقاديم مساعير حرب، وكانوا يتفقون مع أهل أورير غالباً.

وقد قال الشيخ الإلغي للشيخ عبد الله والد رب مثوانا الآن، كن مع أهل

---

(1) الفخذ بمعنى بعض القبيلة مذكر، والفخذ بمعنى الجارحة مؤنثة.

أورير ثم لا مخافة عليك من غيرهم فكان كذلك منذ ذلك العهد فعاش في طمأنينة.

حكاية:

حكى لي سيدي عبد الحميد الزيكي أن إنساناً رأى في المنام الرجل الصالح سيدي الحسين التامكّونسي - والد الحاكي لنا - فأمر أن يبحث في محل في داره، فلما استيقظ حفر ذلك المحل فاستخرج منه قدراً فيها مخطوطات بلغة أجنبية، وحروف أجنبية، يظن أنها برتغالية ومعها ياقوتة قدر بيضة الحمامة، لها إشعاعات كالقنديل في البيت، فيجمع حولها أهل الدار فيتعشون تحت ضوئها، والشمع إذ ذاك في زمن الحرب الثانية مفقود، ثم اتصل بعض واجديها بمن يعرف قدر الياقوتة فبيعت في السويرة بعشرة آلاف ريال فرنسي، وقد كنت حثثت الحاكي أن يتوصل بتلك المخطوطات لنعرف ما هي، ولكن واجدها يخاف على نفسه فأخفاها أو أحرقها، وهذا الواجد سماه لي من أهل أداوزيكي، والغالب أنها مخطوطات برتغالية والله أعلم.

مراجعة أكّادير:

كان السلطان سيدي محمد بن يوسف الملك المحبوب الشعبي والمسلم الغيور شرف هذه السنة (أكادير) بزيارة غير رسمية فنزل على شاطئ البحر فاصطاف فيه نحو أسبوعين وقام بمؤنته وحاشيته الذين معه باشا (أكادير) والقائدان على (هشتوكة) القائد عبد الرحمن ابن القائد مولاي محمد أرعاه، والقائد الحاج محمد بن همو اليعزاوي، وقائد (هوارة) القائد بوشعيب دفع كل من الثلاثة 100،000 فرنك للباشا بزيادة كباش ودجاج وما إلى ذلك فقام بالمؤونة هو بنفسه فكان مقام السلطان هناك عيداً مستمراً للأهالي.

وقد حدثني أحد المسنين الصادقين الذي له الآن في سنة 84 أنه يعقل أول ما عقل من قواد (أكادير) القائد أحمد الميلكي الهشتوكي وكان من الجيش السلطاني وليس له بال ولم يبق هناك كثيراً على ما يظن، ثم الخليفة المتوكي الذي يسمى القائد علي (اشامرار) وهو خليفة القائد عمر المتوكي وقد استولى

القائد علي هذا على (أكادير) وماسڴينة وكْسيمة وتمكن هناك، ونفذت كلمته في كل ما يريد وكذلك في قبيلة ايت عميرة مع الهشتوكيين، وكان شديد الشكيمة عنيفاً، وقد تأخرت وفاته في بلده على ما بعد دخول هذا القرن بكثير، بعد 1318 هـ.

قال الحاكي: عهدي به وقد مررت به في سنة 1318 هـ وهو جالس بباب داره من قرية اشامرارن فرأيته شيخا هما ثم لم يلبث أن مات.

ثم القائد الركْراكْي الدويلالي وقد نفذت كلمته في القبائل المتقدمة وقد مكث نحو أربع سنوات ثم وصلت سنة 1299 هـ فاحترم الكسيميون في تارودانت بسببه بمشهد سيدي أو سيدي وهم 12 رجلاً من بينهم الحاج أحمد الأنزكْاني وكان معاكساً لابن عمه عبد الرحمن الدشيري الذي كان عضد الركْراكْي، فكان ذلك هو السبب حتى عزل الركراكي فوقف القائد إبراهيم الديليمي الهشتوكي حتى تعين الحاج أحمد الكْسيمي 1299 هـ على كْسيمة وأكْادير وكان على ماسكْينة القائد موماد محمد بن اليزيد الماسكْيني العباسي التكْيويني ولم يبق هذا القائد إلا نحو عامين ثم استولى الحاج أحمد الكسيمي على ماسكْينة أيضاً ثم بقي القائد موماد بلا عمل فصار يدور حتى مات في مراكش أو فاس غريباً فقيراً وكان الحاج أحمد قائداً غير شديد يسير الهوينى ويشاور كبار القبائل التي تحته ولذلك بقيت داره سالمة ولم تهدم قط، وكان يسكن بداره في انزكْان ويجعل خليفته في أكْادير أحد أهله الحاج عبد الملك ابن عمه ثم صار الحاج أحمد يقضي ما شاء الله في بعض فصول من أكادير وقد كان الحاج الحسن أخوه نائبه في دارهم في (انزكان) ثم بقي الحال على ذلك إلى أن جاء الكيلولي 1314 هـ فتولى أكْادير فيضع هناك خليفته وأول خلائفه هناك القائد محمد بن بلا من قرية تمزكْيدا أوسول باداكلول ثم أحمد أبو الرغا من قرية اداكْار كْان هناك ثم الحاج الحسن ابن القائد سعيد الكيلولي، ثم محمد بن الحسن الهوط من تيمزكيد أوسول ثم راجع الخليفة القائد محمد بن بلا المذكور في أيام قليلة ثم الحاج الحسن المذكور ثانياً ثم جاء عهد الهيبة فكان هناك خليفة الهيبة محمد الأغضف فجلا الكيلوليون إذ ذاك عن أكادير ثم لما انهزم الهيبة من مراكش جلا آل الهيبة عن أكادير فعمره

الحاحيون فكان هناك الحسين الكيلولي من (اد خويا) من (اداوزايكو) ثم خلفه هناك (الهوط) وعليه كان الاحتلال 1331 هـ فكان هناك الحاج عبد الرحمن الحاحي الذي هو المحتسب الآن بالسويرة فكانت حرب بين من في أكادير وبين (كسيمة) التي يرأسها إذ ذاك سيدي محمد بن عبد الرحمن الدشيري نحو سبعة أشهر، ثم بعد أن استولى القائد محمد بن الحاج الحسن الصوال الشهير على كْسيمة ثلاثة اشهر قام على الكْسيميون وطردوه، فرجع إلى أكْادير ثم رجع ثانياً واستقر أمره في كْسيمة وبقي أمره مقصوراً على كْسيمة، وعلى ماسكْينة القائد البشير ابن الشداخ[1] ثم بعد نحو عامين اعتقلت الحكومة هذا القائد فدفعته إلى محمد بن الحاج الحسن المذكور فقتله صبراً، ثم استولى على ماسكْينة، ولم يطل الزمان، فذهبت الحكومة بالحاج عبد الرحمن إلى تزنيت فاستولى أيضاً على أكْادير وبقي الأمر على ذلك حتى نحو 1344 هـ فعزل ثم تولى أخوه القائد عبد الملك نحو سنة على جميع إيالة أخيه المعزول فمات، ثم القائد محمد احشوش على كْسيمة وماسكْينة، والقائد العيساوي على أكْادير، وقد كان جاويشاً في البيرو، فعينته المراقبة فقط لذلك من غير أن يكون رسمياً، ثم جاء الباش الحسن بن إبراهيم التامري على كل هذه الإيالة فصار احشوش خليفته كما كان خليفة القائد عبد الملك قبل، ثم صار شيخاً فقط، ولم يزل خليفته الحاج عدي ووشن التامري، خليفته الدائم إلى أن مات الباشا الحسن ابن إبراهيم في ذي القعدة 1363 هـ فجاء الحاج إبراهيم الحاحي هذا الباشا الحالي[2].

ثم إنني رأيت اسم قائد مخزني يسمي القائد محمد بن الطاهر الدبلالي يذكر في أكْادير من 1280 هـ إلى سنوات بعد وقد تم نفوذه وتمكن، ولا أعرف من أحواله شيئاً الآن، ولأكْادير أخبار نحاول أن نجمع ما تيسر منها في رحلتنا

(1) كان الشداخ رجلاً مقداماً توصل به المتوكْي بالأمان فقتله غدراً.

(2) ثم أعفي الحاج إبراهيم، فجيء بالقائد أحمد بن المدني إلى أن جاء الاستقلال فكان الباشا البونعماني إلى أن اضمحل أكْادير بالزلزال، فأعفي ورجع إلى (الرباط) واشتغل في تنظيم مكتبة القصر الملكي.

التي كتبناها من قبل "من الحمراء إلى الغ" يسر الله تخريجها وإتمامها كما نريد.

إلى هوارة:

في يوم الاثنين 18 من ذي الحجة خرجنا من إنزكّان إلى المحل المسمى بأربع وأربعين في وسط هوارة فوجدنا في انتظارنا أخانا التاجر المعتمر السيد أحمد ابن الحاج الواكريمي التملي، فأقلنا بسيارته إلى روضه الأريض، وهو على بعد نحو ثلاثة كيلو مترات من ذلك المحل فبتنا عنده في التحدث عن أحوال شتى إجتماعية ودينية ووطنية وكان ذا غيرة وطنية وعقل وفهم لهذا العصر، وعند العشاء وصلتنا رسالة من القائد بوشعيب يستزيرني في صبيحة اليوم الثاني والقواد يراقبون كل من خطر في إيالتهم، خصوصاً مثل هذا القائد لمثلي فذهبنا إليه بعد صلاة الصبح فأفطرنا عنده ورحب بنا ترحيباً زائداً على ما كنا ننتظره منه، وإن كنت أوقن أنها مأربة لا حفاوة فأمر أن يهيأ لنا كل ما نحتاج إليه فيما نحن بصدده من مواد التاريخ، وقد كان على أوفاز للذهاب إلى مراكش لحضور عرس أقامه الباشا الحاج إبراهيم باشا أكادير لولده المقترن بكريمة الفقيه القائد عمر ابن القائد المدني الإكْلاوي قائد دمنات وقد اتفق الطرفان على إقامة العرس في الحوز فتوجهت العائلتان للباشا ولصهره على بنته القائد بوشعيب إلى مراكش.

كان هذا القائد جندياً أولاً من العهد الحفيظي ثم بعد الحماية سئل كل جندي هل يريد أن يتتبع القراءة العسكرية ليترقى بنظام، فكان من القابلين لذلك، فقرأ اللغة الفرنسية حتى تخرج برتبة "الفسيان" ثم تولى القيادة على (هوارة) بعد عزل الحاج حماد بن حيدة، فكان مديراً ماهراً يعرف كيف يأكل الكتف، بل يعرف كيف يمتص المخ أيضاً يقبل ويدبر ويجول بسياسة انفرد بها بلباقة وليونة وكلام لين من بين رؤساء سوس لمكانته من الثقافة العصرية، فهو مقتصد جسور حلو الشمائل لا يتراجع عن مقاصده وقد أثنى عليه بأن فيه خصالاً مشكورة (منها) أنه قيوم على إيالته لا يقبل أي تدخل فيها للمراقبين (ومنها) أنه لا حجاب دونه، فلا يزال في بابه فكل من أتى يقضي حاجته في

الحين (ومنها) أنه من أولائك الذين ألفوا أن يصلوا صلواتهم ويحافظوا على أمور كثيرة لم يكن ينتظر من مثلهم المحافظة عليها، لولا أنها مازجته من أسرته المحافظة المشهورة. ومسقط رأسه مدينة (ازمور)، وهو الآن سوسي، لكونه ملك هناك أملاكاً واسعة بكل ما يمكن أن يحوز به الأملاك ثم حصنها وضبطها في (هوارة) كأنما ورثها عن آبائه، وولد فيها أولاده، وقد خرجنا من عنده فاتبعنا عيونه بل قدمهم إلى بعض المحلات التي سنزورها - فيما أخبرني به ثقة - ولم أبحث أنا عن ذلك ولا همني، لأنني كما قيل:

أنا الغريق فما خوفي من البلل

فقد صارحت الحكومة نفسها بمبدئي فهل أبالي بعد ذاك بأذنابها، وإنما أتعجب كيف يقتدر على أن لا يلاقينا بوجه بشوش مع ما يسره حوالينا.

وهذه الدار التي زاد فيها أبنية أخرى هي للشيخ بلعيد، أحد أغنياء (هوارة) ورؤسائها وإنما احتلها القائد بكل ما فيها من الفرش والأثاث التي جمعت من أعيان القبيلة للاحتفال به يوم تعين قائداً وأقيمت حولها سوق أسبوعية يوم الاثنين، نقلت من (أولاد تيمة) وذلك في 17 جمادى الأولى 1351 هـ ثم ردت إلى محلها (سوق الاثنين) الأصلي بـ(أولاد تيمة) آخر رجب من السنة ثم حولت (سوق الخميس) من (الحفايا) إلى هذا المحل، فعمرت سوق الخميس هذه في شعبان 1351 هـ وقد تولى القائد بو شعيب على (هوارة) يوم الاثنين مفتتح ربيع الأول 1346 هـ وقد كانت (هوارة) إذ ذاك من إيالة (تارودانت) ثم ألحقت بـ(أكادير) يوم الأربعاء جمادى الثانية 1350 هـ كذا في المنقول منه من غير تبيين اليوم من الشهر.

ثم بعد خروجنا من دار القائد ومرورنا بدار رب مثوانا توجهنا على سيارته إلى مدرسة (البعارير) فمشينا على طريق (تارودانت) إلى أن سامتنا (أولاد إبراهيم) فملنا إلى طريق على اليسار، ثم جزنا الوادي ثم طلعنا على دار للقائد بوشعيب كانت قبل للقائد ابن المختار الهواري فحازتها الحكومة ثم اشتراها القائد بوشعيب منها، فرممها وأصلحها وبنى فيها مباني جميلة، وغرس أشجاراً في مكان مسور تمرح فيه الغزلان، ثم بعد أن مشينا قليلاً وصلنا (البعارير)

فدخلنا المدرسة، فأرونا هناك ما بين البيوت من المدرسة المستديرة عن يمين الداخل البيت الذي كان يسكن فيه الشيخ سيدي زوين الشيخ الحوزي الشهير، يوم كان يأخذ في هذه المدرسة الروايات، وفي وسط البيوت المبنية بناء ساذجاً ساحة متسعة، وجدنا فيها الطلبة على حفلة لهم فتلقينا منهم دعوة صالحة ثم قدمنا أبناء الرجل الصالح سيدي عبد الباقي إلى دارهم، وهو مقدم الفقراء المنتسبين إلى الطريقة الإلغية في هذه القبيلة وقد توفي منذ سنة وهو من الأسرة البعاريرية، التي اشتهرت بتعليم الروايات في هذه المدرسة من أواسط القرن الثاني عشر وقد جمعنا عن الأستاذ سيدي الطاهر بن علال كبير هذه الأسرة الآن ما يوجد إن شاء الله في المعسول[1] وقد نهبت كتب الأسرة عام 1303 هـ يوم وقعة السلطان مولاي الحسن بـ(هوارة) وقد كانوا تطلبوا منه أعواناً ليقفوا على الزاوية حتى تسلم فلما اختلط الحابل بالنابل، وأتى الجند وجيوش القبائل على كل قرى القبيلة وامتلأت أيديهم بالغنائم، مال الأعوان إلى الزاوية نفسها.

وأحياناً على بكر أخانا   إذا ما لم نجد إلى أخانا

وقد استفدت أشياء من الأستاذ المذكور، ومن شريف من أبناء أعمامه لأن الأسرة البعاريرية سباعية ككثيرين من (أولاد إبراهيم) وكالذين منهم الشيخ بلعيد المثري المشهور الآن المتقدم الذكر من بين رجالات (هوارة) الكرام المذكورين خلقاً وديناً وكرماً وثروة كانوا نزلوا هنا يوم جلاء آل أبي السباع عن مواطنهم بالحوز يوم أوقع بهم السلطان سيدي محمد بن عبد الله الوقعة المشهورة، ويوجدون أيضاً في إداوزيكي في مواضع، وكذلك في هشتوكة فالسباعيون أولاد إبراهيم الذين منهم البعاريريون هم من أخوة الساعدات، والذين منهم الشيخ بلعيد هم من إخوان آل عبد المولى أسرة الفقيه عبد المعطي السباعي الشهير، وقد أردت أن أجمع هناك ما استفدته من الرجلين وقد سألت كل واحد منهما على حدة تثبتاً وإتماماً للفائدة، فأدخلت حديث أحدهما في حديث الآخر ثم أضفت إلى ذلك ما عندي مما كنت استفدته من التاريخ.

---

(1) في الجزء الرابع عشر.

لا ريب أن هوارة من قبائل العرب المشهورة كما يطلق هذا الاسم نفسه على قبيلة أخرى بربرية، إلا أنها إنما تذكر في التاريخ، ولا نسمع بها الآن في أي مكان من منازل البربر.

و(هوارة) اليوم من القبائل الكبرى في (سوس) وعدد نسماتها الآن 54000 وقد كان في منازلها هذه قبل قبيلة (الشبانات) من (زرارة) ويطلق على الشبانات أيضاً الشراردة وقد كانت أفخاذ الشبانات هنا قبل أن تخرج من سوس تسمى أولاد جامع وهم النازلون اليوم بأحواز فاس وبني خليل وأولاد إدريس وأولاد يحيى ثم تشتتت هذه الأفخاذ كلها إلى الحوز وغيره إلا ما كان من أولاد يحيى وأولاد إدريس فإنهما ما تزالان قبيلتين مشهورتين إلى الآن في ضواحي تارودانت ثم عرفت أن هوارة نفسها إنما هي فخذ من الشبانات وقد عرفت أمس بـ(الشبانات) واليوم عرفت بـ(هوارة) وقد كنا عرفنا أن هذه البسائط كانت قبائل العرب تملأها من قبل القرن التاسع الهجري، وهي التي كان بعضها يقايض في التجارة البرتغاليين حين كانوا بـ(فونتي) من أوائل القرن العاشر ثم لما قامت الدولة السعدية على سواعد الشلحيين الجزوليين نقلت كثيراً من قبائل سوس إلى أحواز مراكش ولا تزال تسمى قبائل أهل سوس إلى الآن وهكذا وقع (للشراردة) التي يقطن غالبها الآن أحواز فاس والآخرون بأحواز مراكش وقد عرفنا ما كان لهم من قوة أيام المهدي الشرادي الشهير حتى أوقع بهم مولاي عبد الرحمن في صدر دولته نحو 1242 هـ كما هو معلوم وكذلك عرفنا أن لقبيلة الشبانات في سوس قوة كبرى سنة 1081 هـ فقد رأيناها تقاوم السلطان مولاي رشيد يوم زحف إلى سوس بجيش لجب ليدك دولة إيليغ ثم من ذلك العهد ضعف ذكرها فصارت هوارة الفخذ الصغير يمتد إلى أرضها ويستولي عليها، ويمتص أسراً كثيرة من غيرها فتضخم بها فخذ هوارة حتى صارت قبيلة كبيرة كما نرى[1] وقد وقع فيها ما وقع لكل القبائل المغربية فإنك إذا تتبعت أفخاذ كل قبيلة قبيلة، لا تجد من أصولها إلا أقلية ضئيلة جداً وإنما

(1) نعم إن هناك ذكراً لهوارة في القرن التاسع فهم الذين بنوا مساكن السعديين المتأخرين القاطنين في تيدسي بعد مجيء أحدهم من درعة كما نقله الزياني عن (مناهل الصفا).

تضخمت بمن يساكنونها من غيرها، تجد ذلك في قبائل الشلحيين والعرب على السواء فما أكثر الدخيل في كل قبيلة وقد أشربت القبائل كلها فكرة المساواة من الدين الإسلامي فلا تكاد أسرة جديدة تدخل في قبيلة حتى تعد نفسها في عداد رجالات القبيلة كما تعدها كذلك القبيلة من صميمها استكثاراً وزيادة ثم تختلط الأنساب مع طول الزمان.

وقد أخبرنا أن وباء عام 1163 هو الذي فتك بأفخاذ الشبانات لنزولها في ضفتي الوادي حيث الوخم كثير وذكر أن الموت الذريع مستمر في الشبانات حتى خلت القرى وبقيت المواشي هملاً فتوحشت، وقد كان الهواريون إذ ذاك في الخيام بعيدين عن الوادي فسلموا فمالوا إلى منازل كل الشبانات فنزلوها.

وقبيلة هوارة الآن على ثلاثة أفخاذ كبار قسمة سياسية لا نسبية:

أولاً - الكْردان - ثانياً - أولاد سعيد - ثالثاً - النعايم.

وقد كانت الرئاسة في القبيلة تكون على أيدي شيوخ يعينهم من يكونون خلفاء السلاطين في تارودانت ولم نعلم قائداً هوارياً له سمعة عند الهواريين قبل القائد بومهدي وآله وقد كان القائد عبد الملك بن بيهي الحاحي ممتد الإيالة إلى سوس من أوائل أيام سيدي محمد بن عبد الله منذ فتك بصالح محتل أكادير كما تقدم فتولى القائد عبد الملك المعمر بعد كثيراً إلى أن تجاوز عمره نحو 1260 هـ وقد عمي وصار هما - هذا ما قيل ولكن ذلك غير مضبوط ضبطاً تاريخياً محكماً - فكانت إيالته السوسية تشمل هوارة بدليل أن نفوذه ممتد إلى ما وراءها وقد كان على ماسْكينة قبل 1205 هـ كما أنه ممتد إلى تزنيت 1217 هـ ثم إلى كل جبال جزولة على يد خليفته محمد بن يحيى أغناج ومولاي إدريس 1224 هـ 1232 هـ وإلى تارودانت ثم برز الشيخ علي من (آل بومهدي) الشهير وكان بومهدي جباراً طاغية امتد نفوذه من أكادير إلى سكتانة وهو الذي اعتقل علماء كباراً كأبي العباس التيمكْيدشتي ومعه ولده سيدي الحسن وسيدي الطاهر البعاريري والأستاذ سيدي محمد بن أحمد إيجيمي الكبير هكذا حدثني من لعله عنده الخبر المحقق عن آل بومهدي وقد نال من جلالة القدر ونفوذ الكلمة وسعة الإيالة بسوس ما لا يزال يدوي في

المجالس إلى الآن، وقد كان عميد الحكومة إلى أن اعتقلته الحكومة وسجنته بالسويرة إلى أن هلك، ثم انقطعت الرئاسة في آل بومهدي إلى أن نبغ منهم القائد محمد بن بومهدي إلى أن هلك حتف أنفه أواسط صفر عام 1344 بمعتقله في سجن تارودانت، وآل بومهدي أصلهم من درعة وإنما نزلوا في هوارة فاشتهروا فيها.

عين مولاي الحسن في (هوارة) عام 1299 هـ - قواداً حين عين قواد كل قبائل سوس ووضع كل قائد على فرقة صغيرة من القبيلة يريد بذلك تشتيت أمر هذه القبيلة في أيد متفرقة على عادته في كل قبيلة فعين:

1) القائد صالحاً - في (الحفايا).

2) القائد أحمد بن العليو هناك أيضاً على طرف آخر.

3) القائد حماداً - في (الكفيفات).

4) القائد ابن المختار الشريف السباعي في - (أولاد سعيد).

5) القائد عليوة "علي" بن دنان على طرف منهم أيضاً.

6) القائد علال بن عباد - في (أولاد دحو).

7) القائد عبد الكريم أبو مصرف - في (أولاد تيمة).

8) القائد سعيد بن بلعيد - من الطالعة في (الكردان).

9) القائد عليوة بن حميدان - على طرف منهم أيضاً.

10) القائد محمد بن بومهدي على طرف منهم آخر.

وبعد رجوع السلطان من سوس ثارت العامة على هؤلاء القواد فكانوا معهم في عراك فتمكن القائد أحمد بن المختار من الثائرين عليه من حكومته فأرسلهم مساجين إلى السلطان فسجنوا في تطوان، فكتب علماء من إيالة القائد من بينهم الحاج محمد بن الطاهر البعاريري أن يطلق لهم المساجين وأن يردهم إلى إيالة القائد عليوة بن دنان لتهدأ الرعية إلى أن يرجع السلطان ثانياً فأسعفهم السلطان وهرب القائد ابن المختار إلى تارودانت وبقي هناك إلى أن رجع لقيادته 1303 هـ يوم رجوع السلطان ثانياً إلى سوس فإنه كان أيد هؤلاء القواد

وقد اشتكوا بما يلاقونه من الرعية فهذا هو السبب حتى فتك السلطان بهوارة مرجعه من (وادي نون) 1303 هـ وقد زاد الطين بلة ما كان سفهاء الهواريين يرتكبونه في الطرق التي تمر ببلادهم إلى مراكش وما كان جيرانهم يلاقونه منهم، فكان للقائد إبراهيم الدليمي الهشتوكي يد كبرى في كل ما وقع من السلطان على هوارة وبينما القواد في معسكر السلطان في هشتوكة قرب حدود هوارة والهواريون غافلون لا يظنون سوءاً إذا بالخيل تدهمهم من كل جهة فكم رؤوس قطعت وكم أموال نهبت وكم حرم هتكت فلا مفر ولا مناص. وقد امتد العيث إلى جيرانهم (ماسكينة) ثم تجاوز السلطان بمنزله بهشتوكة إلى تارودانت ولم ينزل في أرض هوارة غضباً عليهم فلحق به هناك علماء استعطفوه فقال له أحدهم: "أتهلكنا بما فعل السفهاء منا" فأجابه الفقيه سيدي علي المسفيوي، شيخ السلطان وجليسه "وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم" ثم عفا السلطان بعد أن دام العيث في قرى القبيلة ثلاثة أيام فرجع الباقون من القتل والسجن إلى ديارهم بعد أن كانت خلاء يبابا، فلا متاع ولا قوت ثم لم تدر السنة حتى استغنى الناس ثانياً لكون العام عام خصب كثير ثم لم تنشب هيف إن رجعت إلى أديانها بعد أن صار القواد يعركونهم بعد 1303 هـ وهم بينهم بين جزر ومد ما شاء الله إلى أن توجهوا مع مولاي محمد إلى تافيلالت 1310 هـ حيث لاقوا الملك مولاي الحسن ثم بعد رجوعهم وموت السلطان قدم رجال هوارة الشكوى بالقواد فحين ذهب القواد لملاقاة مولاي عبد العزيز يوم رجع إلى مراكش ألقى أحمد بن موسى رجل الدولة عليهم وعلى كثيرين غيرهم من قواد راس الوادي القبض فقيل لهم إن أخوانكم اشتكوا بأنكم نهبتم أموال إيالاتكم وسيرسل الخليفة مولاي عثمان مع الباشا حمو إلى تلك الجهة وسيسأل الناس إن أرادوا إطلاقكم ورجوعكم إلى دياركم فستسرحون وإلا فإن مقامكم الدائم في السجن منتهى حياتكم فجاء الباشا حمو وفي نيته أن تسانده العامة والرعاع لكونهم نالوا منتهى مقصودهم في سجن قوادهم فإذا بالعامة ثاروا في وجهه ونهبوا قوافل مخزنية وضربوا أعوان السلطان وسبوا الباشا حمو بأنه حرطاني فإذ ذاك زحف إليهم بعد أن تفرقت كلمتهم فقد كان أولاد سعيد مع الباشا فعرك مخالفيه عركة شديدة أنستهم عركة السلطان ثم صار يعتقل منهم ويقطع الرؤوس

فكانت قوافل المساجين عن طريق (إمينتانوت) إلى السويرة لا تنقطع وقد استحوذ على كل أموال القواد وأرسل ما شاء للحكومة وأبقى ما شاء ولم يرحم يتيماً ولا راعى عاجزاً ولا ضعيفاً فكان عصر الباشا حمو على هوارة عصر ظلمة كثيفة لم ينسوه إلى الآن[1] ثم بعد أن مات خلفه القائد (حيدة) وهو كما رجع بالقيادة من عند الوزير المنابهي وقد صادفه موت الباشا حمو هناك، فسار في هوارة سيرة سابقة مع أنهم لاقوه أول يوم بترحيب وكانوا قبل اليوم عضده ثم بعد أن ذهب 1321 هـ في وقعة (أبي حمارة) وترك ولده خليفة في (تارودانت) وكل إيالته وجد (هوارة) مع كثيرين من إيالته ثاروا على ولده وخليفته أحمد، فلم ينج منهم إلا بفتحة كنوز أبيه، فداخل أناساً كثيرين أخلصوا له وعاهدوه على الوفاء فاسترد مكانته بهم في الجملة بعدما أخرجه القائد كباً من (تارودانت) ثم لما رجع أبوه فتك بكثيرين منهم فكان ذلك آخر عهد حيدة (بهوارة) إذ ذاك ثم بقيت قبيلة هوارة يسيرها رؤساء الأفخاذ ولا تسلس إلى قائد مخزني ما بين عام 1321 هـ إلى عام 1330 هـ فلما ثار الهيبة، والتفت حوله قبائل (سوس) كانوا بين القبائل فعين لقيادتهم.

1) القائد محمد بن حميدان الكرداني على ثلث (الكردان) وعلى ثلث (النعائم).

2) القائد بلعيد بن تالكعوشت.

3) القائد الجيلاني بن مبارك الكلوشي على ثلث (أولاد سعيد) مناصفة بينهما.

ثم كان عدد خيل هوارة المنخرطة في جيش الهيبة إلى مراكش 1961 فارساً ثم بعد أن انجلى الهيبة عن (تارودانت) مدحوراً استولى عليهم ثانياً حيدة ثم ولده الحاج حماد إلى أن عزل 1346 هـ ثم القائد بو شعيب المتقدم. فهذا ملخص تاريخ هذه القبيلة من هذه الناحية.

والقواد المتقدمون الذين ذكرنا أنهم كانوا في سجن الحكومة هلكوا كلهم هناك إلا القائد حماد بن عباد فإنه أطلق ثم جال مع العامة ما شاء الله إلى أن مات نحو 1321 وإلا القائد عليوة بن دنان فكذلك رجع على أن مات قرب

(1) في (الجزء العشرين) في ترجمة القائد الناجم ذكر لهذه الحرب مع (هوارة).

ذلك العام، وإلا القائد محمد بن بومهدي فإنه رجع ثم تعين شيخاً إلى أن مات 1344 هـ ودار (آل بومهدي) لم يبق فيها رجال معتبرون الآن.

وقد أخبرني القائد بو شعيب أنه وقف لآل بومهدي مع بعض رجال الحماية الذين يقدرون قدر العائلات الماجدة حتى حازوا أملاكهم بالشراء من الحكومة التي كانت حازت قبل كل أملاك القواد المتقدمين، وكان المقصود أن يكون من هذا النشء من آل بومهدي رجال، ولكن الرأي فال فيهم وخاب الظن الحسن فلم يلبثوا أن مالوا بالبيع على ما كان لهم من أملاك قيمة وقد كانت الحكومة أخيراً عينت منهم شيخاً ولكنه لا يقوم بما عليه فأعفي ومن لم ينهض بنفسه لا ينهضه غيره.

ومما يتعلق بالقواد الهالكين هناك في السجن أن قائداً جديداً يسمى القائد حماد بن الشاوي كان إذ ذاك معيناً من طرف الحكومة في عهد قليل ضد بعض القواد هناك ولعله القائد ابن المختار بدليل أن ابن المختار هو الذي سعى في الفتك به في السجن هناك برشوة قدمها إلى السجان فسمه ثم لما سمعت خالة لابن الشاوي تسمى هنية بذلك وكانت امرأة متجالة مترجلة جسوراً باعت من أملاكها فسارت إلى مراكش فلم تزل تتوسط حتى عرفت السجان فأعطته مالاً كثيراً ليثأر لابن أختها من القائد ابن المختار فتم لها ما أرادت وأمثال هذه الوقائع السرية تفتح لنا صفحة نقرأ فيها ما كان يدور إذ ذاك في السجون نسأل الله السلامة والعافية، فكيف تفلح حكومة فقد الأمن حتى من تحت كنفها وربما يكون غالب موت أولائك القواد الذين تلاحقوا بالموت في السجن على هذه الوتيرة "إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار".

وأما القائد محمد بن حميدان الكرداني فقد صار باشا (ردانة) زمن الهيبة وقد كان في الشجاعة ممن تضرب بهم الأمثال وكان لا يبالي بالرجال ويحافظ على صلواته وربما كان يصلي في وسط المعمعة والرصاص ينتشر حواليه ولا يبالي وكان من عاداته إذا أراد أن يدخل الحرب أن يربط على أذنيه بعمامته حتى لا يسمع دوي البارود ثم يحمل في أصحابه وكان إذ ذاك في الحرب ضد حيدة هو والناجم فرسي رهان يذكران بالبسالة النادرة ثم تمكن منه حيدة فسجنه

إلى أن مات في السجن ليلة الخميس ثالث جمادى الأولى 1339 هـ بعد مكثه مسجوناً خمس سنين.

وأما القائد بلعيد بن تلكعوشت فإنه جلا عن بلده بعد نفوذ الحكومة ثم رجع إلى أن مات 1352 هـ

وأما القائد الجيلاني بن مبارك فقد سقط في حرب بين (هوارة) و(متناكة) 1331 هـ

وفي (هوارة) مدارس علمية كثيرة تناهز عشرة، إلا أن الهواريين مع هذا لا يعنون كثيراً بالعلم كغيرهم وهم أهل كرم وشجاعة وحسن نية وأخلاقهم أخلاق العرب المنبثين في المغرب قريبو الرجوع إلى الطريقة المثلى أن لاقوا نصحاً كافياً شافياً، وأرضهم أرض فلاحة لا يزال جلها قبل اليوم مغفلاً وقد اعتنت الحكومة اليوم بأرضهم فانبث في أنحائها التعمير بالفلاحة العصرية على أيدي الأوربيين الكثيرين وثلة قليلة من الأهالي وما ذاك إلا أن الأوربي يعرف أن يصلح بعلم مع إعانة حكومية أولاً وآخراً على عكس الأهلي وغالب هذه الأراضي ما استولى عليها الأجانب المعمرون إلا برخص وحيل من المراقبين ومن القائد الذي يشتري بدانق ويبيع بالألوف وسيكون لهذه الجهة مستقبل عظيم، ووادي (سوس) الذي يصب في (تارايست) لم ينبع ماؤه الذي يستقي به الهواريون والماسكينيون إلا في أعالي بلاد هوارة فقط، ومنبعه يسامت هضبة هناك تحت تارودانت ومنابعه عيون فقط، وأما الماء الذي يسيل من أعالي الجبال إلى (أولوز) من الأطلس فإنه لا يتجاوز (أولوز) فتمتصه السواقي هناك ثم لا ترى الماء حتى تصل على ما تحت قرية (فريجة) من (أولاد يحيى) فينبع أيضاً هناك ماء كثير تنتفع به قبيلة (أولاد يحيى) وما إليها، ثم يجف الوادي أيضاً إلى أرض هوارة والغالب ممن لم يعرفوا هذا يظنون أن الماء الذي يصب دائماً في (تارايست) كان ممتداً من ثلوج الجبال يسيل مطرداً على ظهر الأرض، وليس الأمر كذلك وللهواريين سواق عامرة تتدفق مياهاً تسقى بها الحقول التي تتمشى على ضفتي النهر وهي واطئة على غيرها واما ما سوى ذلك الواطئ فإن الآبار تثج بالمياه وعلى هذه الآبار أراضي غالب المعمرين، ولديهم آلات عصرية جذابة

للمياه وضياعهم لا تزال تمر بها من أكادير يميناً ويساراً حتى تصل إلى تارودانت ولولا هذه الحرب العوان الضروس لطفح العمران حوالي هذه الطريق بين أكادير إلى تارودانت والأرض لا يستحق تملكها حقاً إلا من يعرف كيف يستثمرها.

تكثر أشجار أرگان في هذه الأراضي كثرة عجيبة ولكن تجتث أصولها كثيراً اليوم بالتتبع في كل أرض يراد استثمارها فيستبدل غابات أركان بغابات النارنج والموز والقطن ومختلف الأشجار، وفي الهواريين الذين يقربون من تاوردانت حذق ومهارة في مزاولة أشجار الزيتون فتكون في أرضهم في تلك الجهة سواد عريض طويل من غابات الزيتون، وأشجار الزيتون في هذه الناحية ملتفة طويلة عريضة لا نظير لها، والسواقي تطرد مياهها فتزدهر الأرض وتكتسي حلة خلابة لا يقدرها قدرها إلا من يألفونها دائمًا، فهكذا أرض هوارة وهؤلاء هم الهواريون الذين يقل فيهم العلماء قلة لفتت نظري حتى حسبت أنها أقل قبائل سوس علماء فقد أكثرت السؤال فلم نجد من علمائها إلا أفراداً في طليعتهم علماء البعارير و(آل ابن المصلوت) (وآل ابن الطالب) البعاريريون، وآخرون نزلوا في هوارة وهم من غيرها وآخرون من جيرانهم فممن ذكر لي:

1) محمد بن صالح التدماوي الصوابي الفقيه نزيل قرية الركائك من الكردان جلا عن بلده فنال شهرة كبرى في هوارة وكان مشاركاً ماهراً في الفرائض مرجوعاً إليه فيها وكان مشارطاً في المدرسة التي بنيت في جوار سيدي أحمد بن سعاد وتأخذ عنه ثلة من الطلبة دائماً وممن أخذوا عنه الأستاذ الشهير سيدي عبد الله خرباش، وكان يفتي ويشاور في القضايا الفقهية ويلازم التدريس ويذكر بإتقان علم الفرائض توفي 1349 هـ وقد أخذ عن البوشواريين ولذلك ذكر بين تلاميذهم في المعسول[1].

2) مبارك أبو السكاك الأوزالي، و(أداوزال) قبيلة تجاوز هوارة من الشمال وهو من قرية تسمى (إيغزر أوغانيم) فقيه له شأن كبير أخذ عن الأستاذ الطاهر البعاريري الشهير، فقيهاً من القراء الكبار أتقن الروايات السبع كان

(1) في الجزء السابع عشر.

عالم بلده ومفتيه وقاضيه مقصوداً في هذا الشان له شهرة طنانة، توفي نحو 1316 هـ وكان ينوب عن قضاة (تارودانت) في قبيلته.

3) الحسين ولده عالم كبير كأبيه كان أيضاً نائباً عن القضاة الردانيين لعله توفي بعد 1330 هـ.

4) أحمد أخوه سار على خطة أبيه وأخيه في الإفتاء والقضاء والنيابة عن أولئك القضاة حتى سار له كما سار لهما ذكر عطر ولا ندري متى توفي.

5) عبد الله الداخي من قرية (السحابات) كما يظن فقيه حسن ناب عن قضاة تارودانت في جهته في عهد القاضي عبد الرحمن إلى عهد سيدي موسى توفي نحو 1342 هـ.

6) علي بن عبد الله ولده فقيه كأبيه ناب أيضاً عن قاضي المدينة إلى أن توفي نحو 1364 هـ.

7) الحاج مبارك الكْلوشي: الشيخ الكبير أحد الأشياخ في الطريقة الدرقاوية في أواخر القرن الماضي رأيت له مؤلفاً ورسائل في التصوف تدل على مقام عظيم في العلم والتصوف لا ندري عمن أخذ معارفه، وأما شيخه في التصوف فسيدي أحمد بن عبد الله المراكشي عن مولاي العربي ولا نستحضر وقت وفاته وقد خلفه سيدي الحاج عبد القادر البعاريري وله أيضاً مقام واتباع، وترجمته واسعة. وربما نستوفيها في محل آخر إن شاء الله.

هؤلاء من تيسروا الآن نذكرهم باختصار لأننا لم نقف بعد على تراجمهم مستوفاة، ولنقنع بما سنح (وكل الحذاء يحتذي الحافي الوقع)[1].

وقبل أن نغادر (هوارة) نقول من جهة الأريحية الأدبية فقط ما قاله أبو عمران الرسموكي الروداني في (هوارة) وما زالت الأشراف تهجي وتمدح.

فلا تثق بهواري إذا وعدا ... فالغدر شيمة ذاك الجيل منذ بدا
قوم كأسلافهم لم يعرفوا بسوى ... نهب القوافل أو قتل الورى أبدا
ولا تطالب إذا الدهر الخئون عدا ... بصرفه بالوفاء منهم أحدا

(1) الوقع بفتح فكسر: الذي تأثر أخمصه بالحفاء.

ولا ريب أن من الهواريين أشراراً وأخياراً ككل القبائل فلا يضر الأخيار ما يقال في الأشرار، ولمن يتعاطى القوافي أن يقول أيضاً في (هوارة):

(هـوارة) لا تـرى مـن بـيـنـهـم أبـدا إلا شـجـاعـاً أبـيـاً أو حـلـيـف نـدى

خلق تسلسل من أعراقهم تخذوا من بينهم إرثه في مجدهم سندا

هوارة اشتهرت فاستقر سوس فلن تـرى مـشـابـهـهـم في خلقهـم أبـدا

في رودانة:

اتصلت بصاحبنا الأديب سيدي أحمد ابن القاضي سيدي موسى على وعد كان سالفاً فأخرج إلي مقيدات لوالده فيها وفيات وتاريخ وقائع فأسوق أولاً ما استفدته هناك إلا أنني حيث لم أستفد إلا تواريخ الحوادث وأوقات الوفيات جلست إلى قاضي الحضرة الذي هو رب مثوانا فصرت أسأله عن كل واحد من العلماء الذين وقعت على وفياتهم فيلقي إلي ما يعرفه عن كل واحد منهم، ثم اتصلت بالفقيه سيدي محمد بن سعيد أحد فقهاء الحضرة اليوم وأحد المطلعين على أخبارها الأخيرة، فقد كان جهينة الأحاديث فوجدنا عنده ما لم نجده عند غيره فلنذكر العلماء كما قيدنا أسماءهم سواء كانوا من (رأس الوادي) وضواحي (تارودانت) أم لا وسواء جرى ذكره في غير هذا المحل أم لا.

1) الفقيه العربي ابن محمد التازمورتي السملالي تخرج بالأستاذ سيدي محمد السملالي من (تازمورت) وقد عاصر القاضي سيدي موسى الرسموكي ثم الروداني هناك شارط في (أمرن) من (إدمه) بجبل (درن) ولم يكن يشغل بتدريس ولا إفتاء ولا قضاء، مع كونه لا يقصر عمن يشتغلون بذلك، وإنما ديدنه تنمية الأموال بمداينة الناس حتى جمع ثروة، ويقال أن ذلك هو السبب في هلاكه بسم من أحد غرمائه المدينين، وله مع الفقيه سيدي محمد بن أحمد أوباها التيييوتي ثم الروداني صحبة، كما كانا من أخلاء القاضي سيدي موسى، توفي أوائل ربيع الثاني1339 هـ.

2) الفقيه محمد أيويرى كان يشارط في مدرسة (أولاد برحيل) ويعاشر القائد حيدة وعلمه وسط إلا أنه يصول بصولة القائد، توفي في الجمعة 6 شعبان 1339 هـ.

3) الفقيه سيدي محمد بن سعيد الكَطيوي من أضاروامن كان عالماً لطيفاً طيباً عابداً خاشعاً مسكيناً عالماً وسطاً مر بالفنون إلا أنه لم يتمكن فيها، وكان منحاشاً إلى القائدالحاج إدريس اليحياوي وكان لا يفارقه كتاب يعظ منه الناس في مجلس القائد وكان يلم بالشيخ أبي العباس الجشتيمي. تخرج بسيدي الحاج ياسين الواسخيني خصوصاً في علم الأوفاق والكيمياء، توفي أوائل رجب 1333 هـ ولم يترك ذكراً فبيعت خزانته.

4) الفقيه سيدي محمد بن الحسن التالكجونتي الهشتوكي أصالة. عالم كبير له شهرة في (تالكجونت) وكان يتولى نوازلهم ما شاء الله ويشار إليه، وصار له صيت توفي 29 شوال 1347 هـ ولم نعلم عمن أخذ، وإن كان يظن أنه أخذ عن الأستاذ الكثيري سيدي سعيد الشريف.

5) أحمد بن سعيد الإيلالني الأصل نزيل (تاسمكَوت) من (كَطيوة) يعرف بألحيان تخرج بالأستاذ الجليل سيدي الحاج داوود الكَرسيفي كما أخذ أيضاً عن أبي العباس الجشتيمي وقد عاشر الأسرة الجشتيمية، فقد تزوج بنت سيدي أحمد بن سيدي الحاج عبد الله الجشتيمي ولذلك سكن في (تاسمكَوت) لأنها قرية خاصة بأبي زيد الجشتيمي دون إخوته، وهو عالم جيد متمكن درس حيناً في مدرسة (المركع) بـ(أندوزال) ما شاء الله توفي يوم السبت 29 جمادى الثانية 1330 هـ

6) حماد بن الحاج عبد الحميد الحمزاوي التمسي الهواري أحد القراء الكبار وأحد أوتاد القراءات السبع كان تلاء لكتاب الله يذكر بكل خير تعدى عليه ابن أخيه الحسين بن عبد الله يوم السبت ثاني شوال 1346 هـ

7) الحاج محمد الإيلالني المنشأ، عالم حسن ولد بقرية (أنامرويمغارن) من قبيلة (أدوسكا) من (إيلالن) وذكر أنه أخذ عن الشريف الكثيري الهشتوكي ثم شارط حيناً في قرية (تازمورت) ثم في مسجد (أولاد عيسى) وقد شارط في هذا المسجد نحو ستة وثلاثين سنة، وقد وقع له في (تازمورت) أن قرينته اقترحت عليه أن ترى لعب أحواش فقام يصنع لها كل ما يصنع اللاعبون فلم تقنع به فجلببها وخرج معها متنكرة في زي الرجل فطلع بها إلى ربوة فوق القرية حيث

ينظران إلى اللاعبين من غير شعور منهم حتى اكتفت فرجع بها فدل ذلك على أخلاقه المحمدية، فقد كان النبي ﷺ فعل قريباً من ذلك بعائشة، وقد كان (آل باهباز) خلفاء القائد حيدة يحترمونه غاية توفي 12 شعبان 1339 هـ وقد تصوف على يدي سيدي الحاج عبد القادر البعاريري.

8) الحاج علي الإيلالني نزيل (المهادي) بـ(هوارة) وأصله من قرية (أزمورن) بـ(إيلالن) وقد شارط في مدرسة (المهادي) مدة طويلة وهو فقيه حسن له مؤلف في منع بيع الثنيا أتى به إلى أبي العباس الجشتيمي وهو في حضرة علماء أجلة، فسرده عليهم فارتضوا كلامه، مات مسناً آخر شوال 1343 هـ وكان عابداً صوفياً مهذب الأخلاق.

9) الحسن من بني علي بن محمد الودجاسي فقيه له شهرة بين فقهاء عصره، عمر حتى ناهز المائة فتوفي في الأربعاء 8 من جمادى الثانية 1350 هـ.

10) عبد الله بن عبد الرحمن الإزراري السكْتاني، فقيه أريب مشهور بين أهل عصره ولم نقع على ما يفيد من ترجمته الآن، توفي الأربعاء العاشر من صفر 1351 هـ.

11) الحاج محمد بن أحمد الملقب (أوزينة) فقيه جيد دمث الأخلاق لازم أبا العباس الجشتيمي وهو عمدته فاكتسى بحلته وارتوى من علمه، كان أبوه من كبار أهل قريته (تيزلي) من (آيت ماكورت) من (أندوزال) وهناك كان أبو زيد، ثم أبو العباس الجشتيميان يقطنان حيناً وقد كان في مدرسة (المركع) ودرس فيها ما شاء الله وكان يفتي ويقضي، وكثيراً ما يترد فيما حكم به فينقضه وما ذلك إلا لتورعه خوف أن يقع في غلط يخاف أن يحاسب به أمام ربه، توفي ليلة الأربعاء 9 جمادى الثانية 1342 هـ.

12) مبارك بن عبد الله المنتاكْي فقيه مشارك حسن متفنن، وأصله من (إيلالن) يعاني الأدب، ويقرض الشعر وقد كان القاضي سيدي الفاطمي الشرادي لما تعين لقضاء (تارودانت) وجد العلم فيها على أطراف النخيل، يجود بنفسه الأخير فصار يستنهض الطلبة لاستتمام معلوماتهم، فصار يلقي عليهم من معارفه فينحشر إليه النجباء ويكتظ مجلسه فكان الناس مبتهجين

كلهم بتلك الحركة، إلا ما كان من الفقيه سيدي مبارك، فإنه بلغ به اليأس من إحياء العلوم بتلك الحضرة أن وجه إلى القاضي قصيدة يلومه بها على ما يعمل ويقول له إنما يضرب في حديد بارد، فتناول القاضي قصيدته فقرأها على الحاضرين وأمرهم بالجواب من غير أن يعلمهم بصاحب القصيدة، فتبارى الحاضرون بالرد عليه، حتى أفحش بعض الفهيهيين في جوابه، فكان جواب القاضي في لاميته ومطلعها:

خليلي خيم في رياض الأفاضل ... فقد بسقت أغصان تلك الفضائل

إلى أن قال:

وما قيل فيها راودتها أيمة ... لعلم وحضر حليتي كل فاضل

وما ساعدت إلا لترجع بلدة ... لنسوة أو إنعام بادي التحامل

وقوله: وما قيل فيها راودته أيمة البيتين كان الفقيه سيدي مبارك استدل على القاضي في أنه فاشل في سعيه ولا بد، بما قيل عن بعض الملوك السعديين، وهو محمد الشيخ السعدي حاولت (تارودانت) أن تكون مدينة العلم، ولكنها تأبى إلا أن تكون مدينة النساء والإنعام هذا ونحن لم نظفر بقصيدة الفقيه سيدي مبارك ولا بالقصائد الأخرى والذي حكى لي القصة المتقدمة هو القاضي الحالي سيدي الحاج محمد بن علي الهوزالي والقصيدة كلها وكذلك رسالة حولها وقصيدتان أخريان لهذا القاضي الهوزالي يوجد الجميع في المعسول[1] توفي سيدي مبارك يوم الخميس مفتتح ذي القعدة 1342 هـ.

13) إبراهيم بن مبارك الصوابي ويسمى (بويكّوالن) نزيل تازمورت وذكر أن اسم قريته في (ايت صواب) تسمى (أوديون) كان يأخذ عن علماء هشتوكة حتى نجب، ثم تزوج بنت الفقيه السملالي بـ(تازمورت) ثم بنت سيدي أحمد اللحياني، وقد درس ما شاء الله، وكان مسكيناً هيناً ليناً لا يتعاظم بعلمه، اعتبط شاباً يوم الاثنين متم ذي الحجة 1351 هـ.

14) محمد بن إبراهيم الحاحي الأصل من (أداوزمزم) نزيل (منتاكّة) فقيه حسن مشارك أدركه أجله في السويرة في الجمعة 11 صفر 1353 هـ أخذ

(1) في الجزء السادس عشر.

عن السملالي بـ(تازمورت) مع القاضي سيدي موسى.

15) محمد بن الحسين الأمكُوني السكْتاني المشهور بالحمزاوي، أخذ عن سيدي الحسن الإيرازاني، وعن سيدي محمد بن عبد الملك اليزيدي وعن أوزونيط الصغير المراكشي وعن سيدي بلقاسم السملالي من حاشية السلطان مولاي الحسن وأخذ أيضاً من (فاس) سكن في قرية (ادا كْايلال) ثم في (فريجة) فدرس ما شاء الله وهو متوسط في الفنون التي أخذها وقد اجتمعت فيه متناقضات، فبينما هو مشغوف بالكتب العصرية ومطالعة كتب الطنطاوي إذا به متوغل في بعض الطرق الصوفية وبينما هو متوغل فيها إذا به من أشد المنكرين على شيخها المتفق على حسن سمته في هذا العصر الشيخ سيدي محمد بن عبد الواحد النظيفي رضي الله عنه، وله يد في التعديل والهيأة أخذهما عن السملالي وكذلك بينما هو يدعي التفكير وسمو العقل، إذ به لا يشرب الأتاي بالسكر بل بالعسل، ولهذا كله يحكم كل من عرفوه أنه مختل الشعور، ناقص العقل، وقد رأيته مرة فرأيت منه ما ربما يخالف بعض ما يقال عنه رأيته عارفاً للجغرافية، ولكنني لم أطل معه ليمكن لي أن أفهمه حق الفهم، ويوصف بأوراد كثيرة وبقيام الليل توفي نحو 1360 هـ وقد تقدم في (الرحلة الثالثة) أنه من تلاميذ ابن عبد الملك اليزيدي[1].

16) محمد بن بركة من قرية (أيت بركة) علامة كبير أمضى حياته (بهشتوكة) وقد شارط أيضاً في مدرسة (أضاروامن) وكان مشاركاً متفنناً يصاحب أبا العباس الجشتيمي وقد خاطبه مرة بقصيدة مهلهلة النسج فأجابه أبو العباس بقصيدة منها:

فقد راقت الألباب معنى وآنقت ... وإن كان بعض النسج منها مهلهلاً

ومنها:

ولا ترضين بالدون في شرف وقد ... قدرت على سعي لأعلى وأكملا

لعله توفي بعد 1330 هـ.

---

(1) فليتنبه إلى أنه أعيد في بعض هذه الرحلات ما ذكر في بعضها لفوائد جديدة وإن كان ذلك قليلاً جداً.

17) محمد بن عبد الله بن محمد بن الحاج عبد الله بن أحمد بن الشريف ولي الله سيدي عمرو بن حسين الأوسيمي التاكمرتي التملي من (آيت أوسيم) التمليين نزل في قرية (تاسمكوت) من (كطيوة) كان فقيهاً نوازلياً يفتي ويقضي بين الناس. وآثاره من الأحكام في النوازل موجود في (كْطيوة) شارط في مدرسة تاسكْوت حتى توفي نحو 1310 تخرج بالجشتيميين، وتزوج بنت سيدي الحاج أحمد بن عبد الرحمن الجشتيمي.

18) سعيد بن محمد بن (كهف آل ماكورت) الأندوزالي، أخذ عن الحاج داوود الكرسيفي ويلازم أبا العباس الجشتمي ويعرف بسيدي سعيد آل الأشكر وكان يعلم المتخاصمين كيف يسلكون في دعاويهم بالتداعي وقطن أخيراً ردانة إلى أن غرق بالوادي الوعر المار بباب الخميس نحو 1320 هـ.

19) أحمد بن علي التاهالي التشاكشتي غير الرحالة الذي ترجمه أبو زيد الجشتمي ووصفه بالطب وقد رأينا نقلاً عنه في فتوى لأبي زيد الجشتمي وقد توفي هذا 1214 هـ.

ثم إنني رأيت من بين تلاميذ أبي العباس التيمكيدشتي من اسمه أحمد التهالي والغالب أنه هو المقصود هنا. وقد ذكرنا تلاميذ التيمكيدشتيين في آخر الرحلة الثالثة.

20) أبو بكر بن عبد الله بن إبراهيم من (أزاغار ويمسليتن) فقيه حسن أخذ عن عمه سيدي محمد بن إبراهيم وعن سيدي الحاج عبد الحميد ثم شارط في مدرسة سيدي (عثمان) بـــ (مزداكْن) من (إيلالن) كما شارط أيضاً قليلاً في تازمورت توفي بعد 1340 هـ.

21) محمد بن إبراهيم عمه، عالم متوسط في المدارك إلا أنه يدرس الفنون وله شهرة علمية توفي في صدر القرن أو بعده بقليل ووالده إبراهيم كان رجلاً صالحاً ترجى دعواته دخل يوماً على أبي زيد الجشتمي وأبي العباس ابنه وهما في درس فقال له أبو زيد: ادع الله لنا أن يحفظنا من علم لا ينفع، لعله توفي حوالي 1290 هـ.

22) أبو بكر الأعرج فقيه حسن تخرج بالشريف الكثيري وله مشاركة حسنة وكان مولعاً بزيارة سيدي عبد الحي في (تيدسي) وسيدي عبد السلام بعده توفي نحو 1350 هـ.

23) سعيد الغلمي السندالي، عالم ذو شهرة بفتاويه وكان يفض النوازل بفهم حسن وكان يجلس في (سوق الأربعاء) في (أساضس) لذلك وقد تخرج بسيدي سعيد الأكناري توفي نحو 1340 هـ.

24) محمد بن علي بن محمد الروداني الأديب الشاعر تخرج بأبي العباس الجشتمي كان قدم إلى السلطان مولاي الحسن قصيدة فاتهم بانتحالها، وذكرت له أشطار وكلمات زعم زاعم أنه إنما سرقها، فقال موشحاً أنشد لنا منه:

وقع الحوافر كثير   وفي الدواوين شهير   يدريه من هو بصير
بجزئيات الأدب
ولست حقّاً أدعي   أحكام ما كان معي   مما حكاه الأصمعي
من كلمات العرب

وذلك في مراكش وقد وفد على الحضرة مع شيخه الجشتمي وسيدي الحاج ياسين الواسخيني فإذ ذاك أصدر إليه السلطان ظهير الاحترام والتحرير من الوظائف المخزنية، توفي نحو 1320 هـ وولده لا يزال حياً بردانة وقد ذكر لنا أن تحت يده ديوان أبيه، وربما نتصل به يوماً ما إن شاء الله، وقد كان هذا الأديب نزل تارودانت وقطنها.

25) الحسن بن محمد التاسكدلتي الفقيه الشهير من بيت علم كبير أخذ عن سيدي محمد بن أحمد أيجيمي الكبير بمراكش وكان يذكره كثيراً وأخذ أيضاً عن أناس بردانة وكان ورعاً متقشفاً لا يشرب الأتاي ولا يبالي بزهرة الحياة الدنيا بقي مدرساً في مدرسة (تيمزكّيدا واسف) حتى توفي فيها نحو 1311 هـ وكان يقول الحكم في النازلة بلسانه، ولا يكتب لأحد وكان تلميذه سيدي إبراهيم المسفيوي هو الذي يكتب للناس عنه، وهناك علماء كثيرون تاسكّدلتيون من القرن الحادي عشر ولما نجمعهم إلى الآن في

صعيد واحد وإننا لا ندري أهم كلهم من بيت علم واحد أم متعددون.

26) إبراهيم بن محمد من ذرية سيدي أبي بكر بن علي الجشتمي نزيل (تاسكْدلت) عالم جليل مشارك متفنن أخذ من فاس ثم رفع لواء العلم والقضاء والفتوى في (إيلالن) وإليه مرجع كل قضاء إيلالن في النصف الأخير من القرن الماضي ويعاصر هناك الأستاذ سيدي محمد بن علي في مدرسة سيدي يعقوب كما يعاصرهما سيدي أحمد أوجمل الأمزالي الشهير وقد حكم أوجمل مرة في قضية بالمشهور من الأقوال فيها فرفعت إلى سيدي إبراهيم فنقض حكمه بقول يعاكسه وعليه عمل الناس ولما عرف أوجمل ذلك سلم له في القضية وأنصف، وكذلك وقعت محاورة أخرى بينه وبين سيدي محمد بن علي اليعقوبي المذكور فصار نداً لذينك الفذين، ثم توفي قبل انصرام القرن الماضي.

27) عبد الرحمن بن محمد التاسكْدلتي من ذلك البيت السامق بالعلم، علامة كبير فرضي حيسوبي يشارط حيناً في مدرسة أكبيل بإندوزال وكان من المهارة في الفرائض بحيث يحرر المسألة الصعبة في لحظة، ومن نوادره أنه سئل مرة عن مشكلة فقهية مما يلقى مثلها تفهماً لا على أنها واقعة فقال: إنما نؤمر بتسكين المتحركات لا بتحريك الساكنات توفي سنة 1296 هـ.

28) عمر بن محمد أخوه علامة أيضاً لعله أخذ عن الأستاذ سيدي محمد بن علي بمدرسة سيدي يعقوب لما بينهما من المصاهرة كان يشارط في مدرسة (تيسدوغاس) في (إدوسكا) العليا، وله جولان في النوازل دائماً وله يد في الفرائض والحساب كأخيه، توفي بعد 1320 هـ وهؤلاء يقطنون في (أساضس) انتقلوا من تاسكْدلت وهذا البيت العلمي لا يزال بعض أفراد منهم خافين عنا.

29) محمد بن أحمد التاسكْدلتي نزيل أمسدكت أفتى سنة 1204 هـ وله خط جميل. وأيده سيدي محمد بن الحسن أمزركو السندالي سنة 1221 هـ وكلاهما مجهول عندنا الآن ولعل الأول من ذلك البيت العلمي بتاسكْدلت والآخر من أسلاف أمزركو السندالي الذي اشتهر بالتدريس في تارودانت

أول هذا القرن وهو من شيوخ شيوخنا، وهؤلاء التاسكدلتيون أسرة علمية، تجد من نعرف منهم إزاء إخوانهم الجشتيميين في المعسول[1].

30) محمد بن سعيد من قرية تارغيست من إيلالن نزل في أولاد بواريس بأولاد يحيى وكان فقيهاً شهيراً متمكناً وكان ينوب عن قضاة تارودانت وآثاره في الفتوى والقضاء في تيبيوت وكْطيوة وزدوتة وأولاد يحيى، توفي بعد 1233 هـ في القرن الماضي وله ولد فقيه أيضاً يسمى محمداً علا شأنه كأبيه، لا يدرى متى توفي بعد عام 1270 هـ وإبراهيم بن محمد ابن سعيد بوتزكّارت - ذو السدرة - أخو محمد المذكور، أخذ من فاس فرجع فقام مقام أخيه، وبيتهم بيت علم، فليعرف هذا البيت العلمي، لأننا لم نذكره بين البيوتات العلمية في كتاب سوس العالمة.

31) عبد الرحمان الإيلالني نزيل بورايس أيضاً، ممن تخرج بالهوزيوي، وكان عالماً جليلاً متبحراً في الفقه، له حاشية على الخرشي تذكر لنا، وقد كان في بوريس عالم قديم يعرف بالطحاوي أو العرفاوي وذكر أنه أول من أدخل العقائد السنوسية إلى فاس وقد جرى ذكره في أجوبة السكتاني فدل ذلك على أنه من أهل ما قبل الحادي عشر.

32) سعيد بن عبد الواحد الأمزاوري العبلاوي عالم فقيه، نقل عنه أبو زيد الجشتمي في فتوى، ولعله من أسلاف سيدي عبد الواحد الذي وقعت تلك المكاتبة المشهورة بينه وبين أبي زيد المذكور.

33) سعيد بن محمد الزداغي الإيكّاسي عالم حسن الخط رأيت هناك جزءاً من المشارق لعياض بخطه وقد أتم نسخه عام 1358هـ.

34) أحمد بن محمد التاسرختي من زاوية (إداوفنيس) من أولاد سيدي عبد الله بن المبارك الأقاوي عالم يفتي ويقضي عاش إلى نحو 1320 وهناك قبة لسيدي أحمد بن عبد الله ابن مبارك الأقاوي يقام عليها في (إداوفنس) موسم وقد عرفنا أباه عبد الله المتوفى 1015 هـ وهؤلاء بيت

(1) في الجزء السادس.

علم وصلاح ذكروا في المعسول[1].

35) محمد الجزولي الثملي نزيل (كطيوة) من الجشتميين البكريين من أهل أوائل القرن الماضي عاصر أغناج 1225 - 1236 هـ وهو يقطن قرية (أزورنوفردو) بـ(كطيوة) ولا نعلم عنه غير هذا، وكان يقضي بين الناس.

36) عمر الزدوتي من قرية (أكْجكّال) فقيه حسن، تخرج من مدرسة (أيرازان) وقد حفظ المختصر وسرده على الوزير المسفيوي يوم سرده عليه الشيخ أبو شعيب الدكالي في أيام مولاي الحسن وهو من مرابطي (تاديرا) له أخلاق غريبة وكان جوالاً لا يألف في كل مكان شارط فيه وقد سجن مرة في سجن تيبيوت ستة أشهر بسبب زوجة له غاب عنها ثم طلقت عنه للضياع ثم أبى أن يؤدي لها ما لها عليه، ولا يزال يلهج بأشياخه سيدي الحسن التملي وهو على مشربه، توفي أخيراً في ذي الحجة 1363 هـ وقد كان عندي يوماً بمراكش نحو 1350 هـ فرأيت له سمتاً حسناً وذاكرة قوية وفهماً نافذاً ولهجاً ببعض الكتب الحديثة الطبع إذ ذاك.

37) أحمد الكطيوي من قرية واوزيارت عالم وسط له شهرة شارط في (المهادي) ثم في تازمورت ثم في فريجة وحبب إليه التدريس، لعله توفي بعد 1330 لعله أخذ عن الحاج علي أمالاح.

38) محمد بن علي الألوسي من حذاء الكست، من أسرة آل الضياء الإيلالنيين الذين مضى منهم علماء كثيرون لا نعرفهم كثيراً، فقيه له شهرة، وإن كان لا يبلغ شأواً كبيراً، لعله توفي نحو 1340 هـ.

39) علال بن محمد من قرية الغفيرية من أولاد يحيى، عالم حسن يذكر بمكانة مكينة ينوب عن قضاة تارودانت توفي نحو 1320 هـ.

40) محمد من ايت الحسن من تمضييت من فخذ إداوتينست علامة جهبذ كبير، له شهرة طنانة، تخرج من تيمكّيدشت توفي قبل 1320 هـ وكان يفتي ويقضي.

41) الحاج عبد السميح الزكّيتي عالم كبير الشأن، له شهرة في الإفتاء

(1) في الجزء الثامن عشر.

والقضاء، وكان يقطن في قرية أبي العجلات، توفي نحو 1334 هـ، وممن أخذ عنهم العلامة مبارك بن المصلوت كما سمعه منه ولده سيدي أحمد بن مبارك.

42) الحسن أبحسو التامالوكتي المانتاكْي فقيه ينوب عن قضاة تارودانت عاش إلى ما بعد 1330 هـ.

43) محمد بن أحمد الملقب (الدراخ) فقيه تخرج من فاس وتولى النظارة في الأحباس حيناً ثم استخدم مع التجار الألمانيين حين كانوا يشترون الأملاك بسوس ينظر لهم في الرسوم وهو عدل وقد عاش إلى ما بعد 1342 هـ وهو نبيه حاذق مترفع بنفسه.

هؤلاء العلماء الذين تيسر ذكرهم الآن ممن لا يقطنون تارودانت أصالة، فمنهم من أسسنا ترجمته على ما يذكر القاضي سيدي موسى من الوفاة ومنهم من أخبرنا به القاضي وعلماء حضرته، والقليل منهم وقفنا عليهم في أثناء فتاو مرت أمامنا هناك فلنذكر الآن من تيسروا من علماء تارودانت غير القضاة.

1) أحمد بن محمد التازي ثم الرداني، فقيه جليل أخذ عن سيدي محمد بن القائد الحاجي. وعن سيدي الحسن التكْاني، وعن سيدي محمد التضلييي، صاحب الزاوية والمدرسة المشهورة في (المحصر) من (نكنافة) في (حاحة) كان يدرس ما شاء الله في الحضرة بالجامع، ثم شارط في قرية (أنامرانتييوت) سنين. وله تمكن في العربية، وغيرة من أهل العلم، وكان ذاكراً له أوراد ثابر عليها، وقد كان أولاً كاتباً مع الكْيلوليين في تزنيت ثم استقر في (ردانة) وقد كان فيها عهد الأعراب - 1330 هـ، فقتل منهم قتيل فادعوا أنه شهيد المعركة، لا يغسل ولا يصلى عليه، فتعرضوا له يسألونه، فلم يمكن له إلا أن يقول لهم: افعلوا كما كنتم تفعلون، توفي (تيييوت) فجر الاثنين سابع جمادى الثانية - 1337 هـ.

2) أحمد بن الحاج الحسن التملي إمام مسجد (القصبة) فقيه شريف النفس والنسب مال إلى المسكنة والخمول ومجانبة الناس، يشتغل بتعليم كتاب الله لا غير، ولم يؤثر عنه تدريس العلم، ولا ندري عمن أخذ، وقد أجمع

الناس على انفراده بكل أحدوثة حسنة، وفي 1330 هـ، كان أرباب الكفاح من اصحاب الهيبة يحومون حوله، ولكنه لا يغمرون قلبه بما غمروا به قلوب الناس، ولا يعجبه إلا الاشتغال بخويصة نفسه، توفي - 18 - جمادى الأولى - 1342 هـ، وقد كان هناك على هذا الحال من قبل عهد الباشا حمو - 1313 هـ.

3) محمد بن أبي بكر السويري الأصل ثم الروداني، أخذ أولاً من (السويرة) ثم عن سيدي علي الكيكي، وكان فقيهاً جيداً إلا أنه يمشي الضراء في الذي يكتبه فحاول القضاة تقويمه فعجزوا وكان من أهل الشورى المشهورين. توفي 23 ذي الحجة - 1353.

4) الحسن بن حدو التيييوتي الأصل ثم الروداني، تخرج بالشريف الكثيري، وكان يدرس في الجامع الكبير نحو 1327 هـ، وكانت أملاك أهله في (تيييوت) فيخرج إليها فيتعهدها فيرجع. توفي عن سمعة حسنة، صبيحة الخميس - 16 - رجب 1329 هـ.

5) الطيب الروداني، الموقت: عالم وسط فاضل، توفي - 14 - او - 13 - 1350 هـ.

6) العباس المنابهي، العلامة العدل المبرر الثقة. المشهود له بالتفوق، من خيار العلماء العاملين، أصله من (تامازت) (المنابهة) وكان ممن أخذوا عن القاضي سيدي عبد الكريم وأخيه ونائبه إبراهيم التمليين والعجيب أن القاضي عبد الكريم كان يغار من تلميذه العباس فلا يعتمد عليه ولا يحتاج إليه في عمل آخر مع أنه يعرف بضبط القواعد الشرعية، وكان يتولى الوعظ في مسجد (سيدي أحمد بن موسى) المعلوم في (أساراگ) بين العشاءين، وربما تولى التدريس في غيره، توفي بعد صدر - 1295 هـ، وكان أسمر اللون أبيض الخلق.

7) محمد بن العباس ابن المذكور أخذ عن سيدي محمد بن علي بن محمد الروداني وهو عمدته في الفنون إلا الفرائض فإنه أخذها عن سيدي محمد الوالتيتي الرسموكي المزواري ثم الروداني وكان أيضاً عدلاً لا يذكر إلا بكل خير تولى الخطابة في مسجد (سيدي أوسيدي) نحو 1359 هـ.

8) إبراهيم بن عزوز الخطيب في الجامع الكبير، وكان ينوب عن القاضيين الشرادي وسيدي موسى في الخطابة فيه وكان سيدي موسى يتولاها حيناً بنفسه ثم استنابه، أخذ عن علماء منهم القاضي الشرادي وسيدي الحسن التكاني وباعه غير طويل انخرط في العدول وخطبه حسنة مات عام 1359 هـ.

9) علي بن الحسين الكادوري الكيكي ثم الروداني، كان يأخذ عن سيدي المحفوظ الرسموكي أولاً في (أكاركور) ثم صاحبه إلى (تارودانت) فأخذ ايضاً عن القاضي عبد الكريم وكان قيوماً على التدريس، فأخذ عنه كثيرون، كان فقيهاً نحوياً فرضياً حيسوبياً، يدرس في مسجد (درب الجزارة) كما أنه يعلم أيضاً القرآن، وكان ذا جد وإكباب، توفي نحو - 1308 وأخذ أيضاً عن الجراري الآتي.

10) محمد بن سعيد الإيلالني، ورد من بلده محصلاً فكان ينوب عن القاضي عبد الكريم وهو من أهل الشورى، ومن أهل التبريز. يقرن بسيدي العباس المنابهي، مات قبل أن يختتم القرن الماضي بقليل.

11) محمد الجراري نزل (تارودانت) بإذن السلطان مولاي عبد الرحمن، وذاك أنه كان ممن حضر حرب - 1260 هـ، بين الجزائر والمغرب في وقعة (إيسلي) مع ولي العهد سيدي محمد بن عبد الرحمن، فعاتبه السلطان فيمن عاتب، وأمره بالذهاب إلى تارودانت فملأها بالتدريس النافع ولا عقب له اليوم، وقد توفي بالحضرة قبل 1295 هـ.

12) محمد النجار الروداني: عالم كبير له شهرة طنانة، في أواخر القرن الماضي وفي أول هذا القرن، ولم يكن يشرب الأتاي بالسكر بل بالعسل، ويقول بحرمة السكر، ذكر عنه تدريس وإفتاء، توفي نحو 1307 هـ.

وهناك المحفوظ الرسموكي ثم الروداني وابنه اليزيد، فقد ترجما في كتاب المعسول[1] هذا وبيوتات العلم الشهيرة في (تارودانت) في هذه القرون هي هذه.

التامانارتيون أبناء القاضي سيدي عبد الرحمن التامانارتي صاحب (الفوائد

(1) في الجزء الثامن.

الجمة) وقد انقطع العلم فيهم اليوم بل منذ القرن الثاني عشر فيما نعلم فلم نسمع بعد الأستاذ المحجوب حفيد القاضي بعالم منهم، وسندركهم إن شاء الله في غير هذا الكتاب إن يسر الله لنا أكثر مما في كتاب (الفوائد الجمة) وإلا فهناك ما يشفي ويكفي.

والتلمسانيون أبناء الوقاد، وقد انقرض فيهم العلم أيضاً منذ أزمان، وقد ذكرناهم في (سوس العالمة) كما ذكرنا فيه أولائك التامانارتيين.

والوخشاشيون الأقاويون، وقد ذكرنا من تيسر لنا منهم في (الرحلة الثالثة) عند ذكرنا لعلماء أقا وقد انقطع العلم فيهم أيضاً. إلا ما كان من سيدي أحمد ابن عبد الله العدل الفقيه الموجود الآن في (أيموگادير).

والخياطيون ولا يزال فيهم الآن عالم حي، أخذ من فاس، وسنذكرهم إن شاء الله في "المعسول"[1].

وأما القضاة التمليون والصالحيون فسنذكرهم قريباً إن شاء الله بين القضاة.

وأما قضاة تارودانت فلم نعرف منهم إلا القليلين في القرون الأخيرة ولا يجهل أحد أن تارودانت كادت تخرب كلها في القرن التاسع فجددها السعديون في القرن العاشر فأول قاض بها يحيى بن حمزة التهالي ثم ابنه محمد ثم سعيد ابن علي الهوزالي الشهير ثم عبد الكريم بن إبراهيم التملي، ثم سعيد بن عبد الله السملالي جد العباسيين ثم عيسى بن عبد الرحمن السكْتاني ثم عبد الرحمن التامانارتي صاحب (الفوائد الجمة) ثم بلقاسم بن أحمد الهوزالي، ثم التامانارتي ايضاً ثم منصور الهوزالي حفيد سعيد بن علي القاضي، ثم إبراهيم الإيلالني، وهنا انتهى من نعرفهم من قضاة العاشر والحادي عشر، وقد امتد عهدهم إلى نحو 1080 هـ والفضل في معرفتنا بهم يرجع إلى المؤرخ الرسموكي فقد ذكرهم في (وفياته) هكذا ثم جهلنا أسماء من مروا هناك إلى الثاني عشر، فكان هناك الحاج عمر الوقاش التطواني المتوفى فيها نحو 1147 هـ بعدما كان والياً على (تطوان) ثم كان في (مكناسة) ثم صار قاضياً في (رودانة) ويعرف

(1) في الجزء الرابع عشر.

بالفقيه الغربي وترجمته الواسعة توجد في (تاريخ تطوان) لمؤرخها الأستاذ الجليل محمد داوود حفظه الله. وقبره كما ذكروا معروف في (ردانة) قبل هذا العصر، ثم على القرن الثالث عشر، فوقعنا على اسم عبد الرحمن بن سعيد التوفلعزتي الإيلالني فقد ذكر أنه كان قاضياً في سنوات 1208 هـ وكذلك أخوه محمد بن سعيد ذكر أنه تقضى سنوات 1235 هـ وقد كان سيدي محمد بن صالح السجلماسي الأديب الكبير تولى القضاء ما شاء الله ثم استعفى السلطان مولاي سليمان، وقد ذكر لي أن السنوات التي تولى فيها تتوسطها سنة 1225هـ وممن ذكروا من قضاة (ردانة) محمد بن داوود بن علي بن محمد من بني الحاج التودماوي التملي المتوفى 1223 هـ وكذلك تولى عبد الملك الهوزالي ممن تخرج بسيدي محمد بن أحمد الأدوزي شارح (المرشد) وكذلك ابنه الحسن إلا أنّا لا ندري أقبل صالح أم بعده، وذكر أيضاً أن الشريف سيدي عبد العزيز البودرقي التيييوقي الذي اشتهر بنيابة القضاة في جهته قد تولى أيضاً حيناً القضاء في هذه المدينة ولكن لا ندري متى ذلك في النصف الأول من القرن الثالث عشر ومن أهله من يسمى عبد الرحمن ينوب عن القضاة أيضاً ولا يزال حياً 1267 هـ.

ومن القضاة في عهد مولاي عبد الرحمن، سيدي محمد المكي بن إدريس العمراني المتوفى 1278 هـ وذكر أيضاً من اسمه ابن عمارة من قضاة ذلك الوقت أيضاً وأياً كان فهؤلاء كلهم كانوا قضاة إذ ذاك ولكن لا نعرف ترتبهم وقد كان السلطان مولاي عبد الرحمن فيما سمعت خاطب سيدي عبد الله الخياطي أن يتولى القضاء. فاشار بسيدي محمد بن أحمد التملي فكان ذلك هو السبب حتى ارتكز القضاء في بيت التمليين من قبل 1255 هـ إلى سنة 1296 هـ فقد خلفه أخوه الطيب المتوفى 1282 هـ ثم أخوهما عبد الكريم المتوفى في ذي الحجة 1295 هـ ولأخيهم إبراهيم ذكر ونباهة وينوب في القضاء أو لعله تقضى أيضاً ثم عبد الرحمن بن مبارك الكُطيوي ثم سيدي محمود الخياطي ثم ابن اليزيد ثم سيدي موسى إلى أن عينت الحكومة سيدي الفاطمي الشرادي ثم أعيد سيدي موسى بعده، فبقي إلى 1367 هـ، ثم القاضي الحالي سيدي محمد بن علي الهوزالي العلامة حفظه الله (ثم مولاي سعيد العلوي بعد الاستقلال).

هذه نظرة صغيرة على قضاة تلك الحضرة وقد كان من المتيسر أن تتسلسل أسماء القضاة من الحادي عشر إلى الآن، بأسمائهم وأوقاتهم لمن اعتنى بذلك، فيراجع الحوالات الأحباسية هناك، ورسوم الناس وما إلى ذلك، ولعل ذلك يتيسر بعد لنا أو لغيرنا من الباحثين إن شاء الله.

فلنترجم هؤلاء القضاة المتأخرين بحسب ما عندنا عنهم ولا نذكر إلا من نعرف عنه أكثر مما تقدم.

1) محمد بن صالح قال فيه الجشتيمي في كتابه (الحضيكيون):

الشيخ الاسن الأسنى شيخنا أبو عبد الله السيد محمد بن صالح تولى القضاء بردانة ثم استعفى السلطان منه فأعفاه وعندي قصيدة تدل على ذلك، ينسب لجده وبه عرف الفيلالي أصلاً الروداني، كان عالماً بارعاً متبحراً في كل فن من فنون علوم الشريعة من علوم القرآن والحديث والتفسير والفقه والنحو والبيان والمنطق واللغة والحساب والفرائض والأدب، وكان كاتباً بليغاً منطقياً شاعراً مفلقاً ما رأيت قبله ولا بعده مثله وهو معمر ناهز المائة أيده الله وأعاذه من أرذل العمر وقد شارك الشيخ الحضيكي في الأخذ عن الإمام الأجل بحر الشريعة والحقيقة ابن عبد العزيز الهلالي السجلماسي رحمه الله وهو الآن بردانة مجاهداً ما استطاع في نفع المسلمين في الفتاوي والتعليم، شكر الله سعيه آمين.

حدثني سيدي محمد بن سعيد الروداني أن السلطان مولاي سليمان أقطع لابن صالح أملاكاً، بعد أن استعفاه من القضاء وبها قام أوده وأود أولاده، ولم نقف على وقت وفاته بعد نحو 1242 هـ وأما أشعاره فلم يسقط إلي إلا القليل منها. وقد ذكر لي أن ديوانه عند (آل ابن المصلوت) ولكن لم أتصل به إلى الآن[1] وهناك في المعسول شيء منسوب إليه، وهذا قصيد مدح به مولاي سليمان انتسخته اليوم من سيدي سعيد نذكره وإن لم يكن في المنزلة التي تنتظر ممن وصفه الجشتيمي بتلك الأوصاف العليا، قال يمدحه بعدما أسقط المكوس

(1) اتصلنا به فنقلنا منه في ترجمة تلميذه أبي زيد الجشتيمي في الجزء السادس من (المعسول).

عن الرعية على كل بحور الشعر.

الطويل

طويل المديح للملوك وسائل فكم نال منه القصد مهد وسائل
ولكن مولانا سليمان أعجزت مفاخره انقادت إليه الوسائل
أضاف بحور العلم والفضل والتقى إلى الشرف الأعلى فعم نسائل
وعم جميع الناس جوداً ببذله قناطير مكس لم تدعها الأوائل

المديد من ضربه الأول

لمديد الفضل مدت يميني فأثنت ملأى فبرت يميني
إن مولاي سليمان أعلى ملك يرجى لبذل الثمين
لم يجد سلطان غرب بمكس قبله أتقى مليك أمين

البسيط من ضربه الأول

بسيط مدح الملوك فوز من سلكا لاسيما من سما بالعدل مذ ملكا
تفرد اسما وفعلا لا نظير له كذا الإمام سليمان يرى ملكاً

الوافر من ضربه الأول

بوافر مدحه أرجو وصولي لوافر منحه مولى وصول
هو المولى سليمان الذي قد علا عدلاً على جد الأصول
نفى المكس الخسيس وزاد فضلاً بما يعيي المؤرخ بالفصول

الكامل من ضربه الثاني

للكامل الأوصاف والأفعال أهدى المديح المستطاب العالي
قد خص مولانا سليمان الرضى بصفات فخر ربه المتعالي
ما شئت من فضل ومن عدل ومن علم ومن حلم ومن إقبال

الهزج من ضربه الأول

هــجــزت بــالــثــنــا مــرجــا عــلــى مــولــى وقــي هــرجــا
هـو الـمـولـى سـلـيـمـان الـمـهـدي مــن خــيــر يــرجــى
فــكــم جــلــى عــن المسكيــن غــمــا غــمــه رهــجــا

الرجز

رجـزت بـالـمـدح الـمـنـظـم إلـى مـن يـمـنـه انـهـمـت بـه كـل إلـى
سيـدنـا الـمـولـى سـلـيـمـان الـذي قـد قـرط الأسـمـاع صـيـتـه حـلـى
لا زال فـي أوج الـمـعـالـي راقـيـاً حتـى يـنـال مـا ا شـتـهـاه مـن عـلا

الرمل

رمـل الـمـدح بـعـد نـيـل الـمـرام مـن مـلـوك عـظـمـا الـقـدر كـرام
سـيـمـا مـن فـاق عـلـمـاً وتـقـى وفــخــارا مــا لــه حــد يــرام
سـيـدي الـمـولـى سـلـيـمـان الـذي مـدحـه الـحـلـو شـفـاء مـن سـقـام

السريع

سـريـع مـدح لـلـمـلـوك اتـصـال بـودهـم فـالـزمـه دون انـفـصـال
فــودهــم كــنــز ولا ســيــمــا من خصه الله بأعلى الخصال
بدر الدجا المولى سليمان من لـه بـتـقـوى الـلـه أبـقـى وصـال

المنسرح

منـسـرح الـمـكـرمـات يـحـمـلـهـا سـيـدنـا سـلـيـمـان يـكـمـلـهـا
أتــتــه طــوعــاً خــلافــتــه والـلـه أعـلـم حـيـث يـجـعـلـهـا
رشـحـه الـلـه مـذ صـبـاه لـهـا بـخـدمـة الـعـلـم فـهـو مـنـزلـهـا

الخفيف

بخفيف المديح مني الهدايا	فالثقيل الكثير يوهى المطايا
إذ كمال المولى سليمان طود	شامخ لم ينل بعد المزايا
وفخار الإشراق بحر خضم	سيما سيد عظيم السجايا

المضارع

مضارع وصف حالي	من انتمى لانتحالي
ومن سيدي سليمان	ردع أهل المحال
فعدله قامع من	طغى كردع السحال

المقتضب

اقتضب لسيدنا	سليمان كل ثنا
قد سمت مفاخره	بها الكل حدثنا
كنزنا ومنعشنا	كل خير أورثنا

المجتثّ

مجتث كل كمال	قد ضمه خير وال
ذاك الإمام سليما	ن ذو المزايا العوالي
أطال ربي مداه	فيما اشتهى من نوال

المتقارب

تقاب نيل المنى بالتمام	بلقياء قطب الملوك العظام
ملاذي مولاي سليمان من	علا فضله فضل كل إمام
بعلم وحلم ورفق بخلق	وصدق وعدل وبذل مرام

المتدارك

مـتـدارك مـدح إمـام الـهـدى | كـنـزنـا ربـنـا لـسـنـاه هـدى
بـسـيـدي مـولاي سـلـيـمـان مـن | فـي سـوى طـاعـة الـلـه قـدر هـدى
قـصـده أبـد وجـه خـالـفـه | إن بـدت قـربـه جـاد واجـتـهـدا
ذا الـمـديـح هـديـة خـادمـه | نـجـل صـالـح أدلـى بـمـا وجـدا
غـاص فـي كـل بـحـر عـلـى دره | واعـتـمـى الـوتـر إذ حـبـه وردا
والـهـدايـا عـلـى قـدر الآتـي بـهـا | فـاعـذروا سـادتـي واقـبـلـوا مـا بـدا
وصـلاة الإلـه وتـسـلـيـمـه | لـلـرسـول وآلـه لـن تـنـفـدا
عـده ضـعـف كـعـب يـحـبـك أو | سـطـح بـدء وثـانـي الـطـويـل أعـددا

فلننتظر توصلنا بشعره لنسوقه كله أو مختارات منه، (ثم إننا ظفرنا بديوانه بعد، فإذا بنظمه ليس هناك، وإنما هو نظم قد يستحسن أحياناً، ويبعد من أن يستحسن أحيانا).

وقد أخبرني ابن سعيد المتقدم أن أبا زيد الجشتيمي كان كتب إلى ابن صالح في نازلة أعيا حلها عليه وعلى علماء الجبل، وخاطبه في الرسالة بقاضي (سوس) وقد اطلع بنفسه على ما يفيد ذلك.

2) العربي بن محمد بن صالح، لعل القاضي لم يرزق سواه، كان عالماً جليلاً محصلاً متفنناً، له يد طولى أيضاً في اللغة والأدب، وكان قنوعاً عفيفاً اكتفى بما ورثه عن أبيه، ولم يتعرض للوظائف، وكان يخطب في مسجد (سيدي أوسيدي) وكان لكثرة علمه واطلاعه ربما يتكلم في بعض ما يحكم به القاضي عبد الكريم التملي، فاشتكى به القاضي إلى السلطان، فنقلته الحكومة إلى (فاس) وهناك وافته المنية، ودفن في (باب المحروق) إزاء قبر أبي بكر ابن العربي المعافري، وذلك في أواخر القرن، ولم نطلع له على أثر أدبي إلا على هذه القطعة يخاطب بها سيدي الحاج أحمد الجشتيمي:

يـا حـبـيـبـاً اعـتـد مـحـيـاي قـربـه | وأعـد لـقـيـاه ديـنـاً وقـربـة

وأخاً في الإله جال على الـــــدين ونيل التمحيص شرقاً وغربه
فتفضل بوصلتي الآن كي تكـــشف عن قلبي الموزع كربه
وقليل إن زرت أن يضع الخـــد مهادا تمشي عليه وتربة
وإذا ما صحبت الأرضي أبا سا لم أكملت بالرضا كل إربه[1]
وسلام عليكما كل آن من محب يبغي اللقاء وقربه

3) محمد بن العربي بن محمد بن صالح، ورث عن أبيه وجده العلوم والأدب والخطابة في مسجد (سيدي أوسيدي) بعد نقل أبيه إلى فاس وتولى خطة العدالة، وذكر لي أن له قصائد، إلا أنني لم أقف عليها، توفي نحو 1344 هـ، وكان ينشد لجده محمد بن صالح:

فلا ينبغي للشيخ مثل ابن صالح سوى البعد عن نهج مخوف طريقها

4) محمد بن العربي أخوه، عالم كأهله، التحق بدائرة مولاي الحسن فكان من الكتاب توفي 1330 هـ.

وهذا البيت الصالحي بين علمي أدبي إلا أن آثاره لم نقف عليها إلى الآن وما كان أحد منهم إلا أثر عنه الأدب، وهذا على كل حال سداد من عوز ويستتم ما هنا يذكر في المعسول بين أشياخ أبي زيد الجشتيمي.

أما التمليون فأصلهم من (تيزخت) قرية من قبيلة أملن وقد نبلغ منهم ثلاثة من القضاة علا شأنهم خفق أزماناً بندهم فأولهم:

1) محمد بن أحمد القاضي التملي تولى فيما أخبرنا به قبل 1255 هـ وكان فقهاً متمكناً مفتياً بارعاً ذا صولة وأبهة في قضائه يداخل الرؤساء المخزنيين ويناوئهم وقد نفي مرة هو والقائد حمو الروداني الأندوزالي إلى (وجدة) في عهد مولاي عبد الرحمن، وفي عهد أيام القائد (بومهدي) وذكر لي أن الذي تولى مكانه إذ ذاك هو عبد الملك الهوزالي أو ابنه الحسن ثم لما عفي عند ورده إلى داره رجع إلى خطة القضاء فبقي هذا النائب يدرس في

(1) لعله يقصد سيدي إبراهيم التملي من آل القضاة التمليين.

المسجد الكبير إلى أن مات وهذا القاضي الهوزالي هو المعروف بلقب (اللعب والهذر) لأنه تدوعي عنده على علق فاستحقر العلق فقال إن هذا هو (اللعب والهذر) ولم يدر أن العلق يراد لعقاقير معلومة، وكانت وفاة القاضي التملي فيما يظن في آخر عهد مولاي عبد الرحمن أي قبل 1276 هـ وقد رأيت له فتاوي كثيرة.

2) الطيب بن محمد ابنه عالم متمكن مدرس أخذ من (فاس) ثم كان ينوب عن أبيه ما شاء الله ثم تولى القضاء بعد أبيه وكان يدرس ويدوم على ذلك وهو أدمث أهله خلقاً وألينهم عريكة، توفي سنة 1282 هـ.

ومن مآثره أنه هو الذي اشترى في حجته المطبعة الحجرية الفاسية الأولى من مصر يريدها لنفسه ثم حازها منه سنة 1281 هـ السلطان سيدي محمد ابن مولاي عبد الرحمن فنقلت من (السويرة) إلى (مكناسة) فأول ما طبع فيها الشمائل للترمذي، ثم حولت من هناك فكانت تطبع الكتب في فاس، وهذه همة عظيمة نادرة رحمه الله.

(وقد وقفت على نفس العقدة التي عاقد بها مصرياً طباعاً أتى معه في (كناشة) وهي عند الشريف مولاي إدريس بن الماحي الفاسي مع ما حوالي تنقلات المطبعة).

وقد كتب الشيخ أبو العباس الجشتمي إلى القاضي عبد الكريم وإبراهيم يعزيهما فيه هذه القصيدة:

سلام كريم مبهج طيب النشر يعود به المكروب منشرح الصدر
سلام رضي عذب على القلب بارد على أخوي صدق من النخب الغر
على علمي علم وجود ملاذي الـــمساكين في ذا للقطر في عوز القطر
على سيدي عبد الكريم الأجل الأعـــدل العالم الأسنى الرضا أوحد العصر
وسيدنا العلامة البر صنوه أبي سالم نجلي فقيه رضا صدر
إمام الهدى التملي من كان في (ردا نة) بحر علم لافظاً أنفس الدر

(وبعد) فحكم الله في خلقه كما يشاء على ما شاء عن قهره يجري
فلا بد أن نلقى القضا بالرضا وإن نشاهد حسن الاختيار من البر
ونعلم أن الحق أولى بنفس عبده منه في نفع قضاه وفي ضر
فنصبر للبلوى ونشكره ونحمد الفعل منه أجمل الصبر والشكر
وإن جل ما يعرو كما جل ما جرى بحمل أخ كالطود جبراً إلى القبر
إمام الهدى والعلم والحلم سيدي الرضا الطيب المشهور كالروض بالزهر
جزاه إله العرش ما كان يرتجي من الفوز بالرضوان والصفح والغفر
وبارك رب العرش في أخويه للعباد ومن أبقاه من ولد بر
فما كان من فقد النبي وآله يعزى به قلب من الوجد في جمر
ومن عرف الدنيا وقرب فنائها يهون عليه ما يلاقي من الدهر
ويشغله عن غيره هم نفسه وخوف أداء الجور فيها إلى البور
أعيد خليلينا وأنفسنا بعزة الواحدة القهار من كل ما شر
ومن أن نرى لمع السراب الشراب أو نمد إلى زهر الفنا طرف مغتر
ونغفل عن وشك الرحيل وسرعة الزوال وهول القبر والنشر والحشر
نسأل المليك الحق جل لنا ولا حبة تيسير النجاة من العسر
وأوصيكما يا سيدي برحمة العباد وحمل الكل عن كل مضطر
وخفض جناح للقصي وللقريب في الله والأرضى لجار ومعتر
وحمل الأذى والعفو عن كل جاهل ورعي حقوق الله في السر والجهر
وسركما عن سائر الخلق تكتماً فلا تودعاه صدر عبد ولا حر
فما أوتي الإنسان في غالب الأمور إلا من الإفشاء والبث بالسر

فكل كلام بثه عائد بضر أو فوت نفع فهو أجدر بالستر
ورب الورى يجزيكما من أجل ما جزى بدوام العز والجاه والنصر
ويبقيكما بحري ندى لمن اعتفى وبدرين في هاذي البلاد لمن يسرى
ويمنع حساد الشياطين من سما ء مجدكما العالي على رغم ذي غمر
بجاه أجل الخلق طراً محمد صلاة وتسليم عليه بلا حصر
وآل وأصحاب كرام له ومن قفا أثره في العدل والفضل والبر

3) إبراهيم أخوه تخرج بأهله، ثم استتم بفاس فصار يدرس وينوب عن أخيه عبد الكريم الآتي في القضاء ما شاء الله إلى أن توفي قبل أخيه في نيف وتسعين ومائتين وألف.

4) عبد الكريم بن محمد أخوهما، علامة جهبذ أوسع أهله علماً، وأرضاهم خلقاً، كان يتسرع إلى الأمور قبل إبانها، فقد كان يستتم علومه بفاس في عهد أخيه الطيب، ثم لما حصل، بدا له أن يسعى في أن يحل محل أخيه في القضاء لما يراه في نفسه من الشفوف عليه.

فأرسل إليه الطيب يقول: تعال فكن أنت القاضي وأنا النائب فلا تشوش علينا ولا على نفسك، وكان يلازم التدريس دائماً، إلا أنه لا يحب أن يرفع أي عالم رأسه في تارودانت، ولذلك وقع له مع سيدي المحفوظ الكُرسيفي ما وقع، وكذلك كان ينظر إلى تلميذه سيدي العباس المنابهي شزراً توفي 1295 هـ، والقضاة التمليون معروفون بالخير والصيانة لولا ما في الأخير منهم من تطاول على المتداعين أحياناً.

وكانت لهم ثروة وجاه عند الحكومة، ولهذا تنفى لهم كل من اشتكوا به من العلماء وغيرهم كابن العربي بن محمد بن صالح المتقدم، وكما فعلوا بأحفاد ابن الوقاد فقد نزعوا منهم الكرسي الذي ورثوه عن آبائهم في المسجد الكبير، وكما وقع أيضاً بين القاضي عبد الكريم وبين الفقيه الحاج أحمد ابن القائد حمو الأندوزالي، فقد تفاقم بينهما حتى تفرقت المدينة بينهما شيعتين:

فرفع القاضي الشكوى إلى السلطان ليؤدب آل حمو، فدافعوا عن دارهم فقتل الحاج أحمد وأخوه (سي مان) ونهبت دارهما وهدمت، وهي اليوم براح استدارت به الديار قرب مسجد (مفرق الأحباب) وللتمليين أثاث كثير وخرثى لا يحد، وعقارات وديار ودرب خاص بهم يسمى بهم إلى الآن، وبمجرد موت القاضي عبد الكريم، تفرق شملهم، وامتدت الأيدي إلى متروكهم، فذهب شذر مذر، وقد مات إبراهيم بن عبد الكريم الذي تركه أبوه صغيراً ليلة الخميس مفتتح شعبان - 1329 هـ.

5) القاضي عبد الرحمن بن مبارك الكْطيوي، ومنشأه من قرية (تيزي نوغيلاس) من(كْطيوة) وأبوه عامي يسمى الفقير مبارك الووشني -الذئبي - من (ايت ووشن) وهم فخده كانت أمه أيم القاضي سيدي محمد بن أحمد القاضي الأول من التمليين، فتزوج بها الفقير مبارك فولدت له هذا الرجل، وقد تلقى العلوم أولاً (بردانة) على أيدي علمائها ومن بينهم القضاة التمليون، وكان يخالطهم ويمازج أبناءهم لما تقدم من كون أمه تمت إليهم بكونها زوجة أبيهم.

ثم لما شدا في القراءة التحق بفاس واستتم فيها، ثم رجع فتولى خطة العدالة، ثم كان يريد الظهور بعلمه بجرأته التي جبل عليها، فصار القاضي عبد الكريم يضغط عليه، حتى ضاقت به المدينة فرجع إلى الحواضر، فمات إذ ذاك القاضي عبد الكريم فصار السلطان مولاي الحسن يسأل هل بقي أحد من آل التمليين لما ألف فيهم من القيام بخطة القضاء بهمة وعزوف، فتوسل عبد الرحمن حتى اتصل بالسلطان، وانتسب للتمليين.

فكان ذلك هو السبب حتى تولى خطة القضاء بعد القاضي عبد الكريم، ثم زيدت له خطة أبي المواريث في 14 من المحرم 1299 هـ، كما وجدته بخط سيدي موسى القاضي. وبعد توليه التفت إلى ديار التمليين، ففعل فيها فعل الذيب الضاري في النقد، فقد كان القاضي محمد بن أحمد لم يترك إلا بنتاً، وإبراهيم والقاضي عبد الكريم تركا صبية صغاراً، فاحتوش كل ما توصل إليه، وكان يذكر بجشع عظيم، فلا يعرف القناعة، وحسبك أنه يتطاول إلى الثروة

بالمصوغ المغشوش، وترويج الحلي التي يصنعه، وبعمل السكة من مثل ذلك، فبلغ ذلك مسامع السلطان مولاي الحسن، فكتب إليه بهذه الرسالة التي ننقلها من أصلها الرسمي وعليها الطابع الكبير:

(الفقيه القاضي الطالب عبد الرحمن بن مبارك الروداني، سددك الله وسلام عليك، ورحمة الله - (وبعد) فقد بلغ لشريف علمنا ما فشا عنك ظهوره، ووقع منك على صورة الافتيات صدروه من الاشتغال بسبك التراكيب الإضافية، وضربها على شكل سكتنا الميمونة الجارية، مع ما في ذلك من ارتكاب أمور ثلاثة كلها حرام، وربما أفضت إلى انخلاع ربقة الإسلام:

1 - الافتيات بضرب المسكوك، وهو موجب شرعاً للعقوبة الشديدة.

2 - تزويره على شكل سكة الإمام، والعقوبة فيه أشد.

3 - فتح ذريعة الغش للمسلمين، وهو حرام بالإجماع لقول الرسول الأعظم ﷺ (من غشنا فليس منا) أي ليس مهتدياً بهدينا، ولا متبعاً لسنتنا، قال الفقهاء ومن اعتقد حليته فهو مرتد، يستتاب وإلا قتل، وفي الحديث الشريف: "والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يأمن جاره بوائقه. قالوا: وما بوائقه يا رسول الله، قال: غشه وظلمه"، وقال أهل الحديث، فإن من يعرض دينه إلى زوال، ويسمع حديث من غشنا فليس منا، ولا ينتهي عن الغش إيثاراً لمحبة الدنيا، فقد رضي بسلوك طريق الضالين، ولا شك أن خلط المصوغ من أقبح صور الغش المحظورة، وأفظع أنواعه المشهورة للاحتيال به إلى أكل أموال الناس بالباطل إلا إذا بين صاحبه ما فيه للمتعامل (خليل) (وسبك ذهب جيد ورديء) الخ.

وفي الحديث: (من باع عيباً لم يزل في مقت الله) الخ، وإذا كان هذا في المصوغ، فكيف بمن ضرب مسكوكاً، وإذا كان التبيين واجباً فيما خلصه الحرق وصبر للامتحان، فكيف بعمل التداخل الذي يغر تشبيهه ببريق الألوان، على أن الصنعة المحمود أمرها، والطريقة التي من خصائص العارفين سيرها،

هي ما كان الحجز المكرم[1] مبناها، واقتدى بسيرة الأنبياء والأولياء في إدراك سر لفظها ومعناها، وهي المأذون فيها حيث جعلها الله كرامة للصالحين، وعذاباً للطاغين.

وأجاب النبي ﷺ اليهود عنها بقوله: (لو شئت أن تكون لي جبال تهامة ذهباً وفضة لفعلت، ثم رفع الحصير فإذا تحته سبائك منها خالصة إلى آخر القصة) وإنما كانت عذاباً للطاغين، ومهلكة للباغين، لأنهم يجعلونها المقصود بالذات، ويتخذونها قنطرة للاستغراق في حصول الشهوات متعجل لهم النعمة، ويبطش العدل بهم على مقتدى الحكمة، كقارون الذي كانت له سبباً في إهلاكه.

لما رواه سعيد بن المسيب والضحاك من كون موسى لما أنزل عليه علم الكيمياء علم قارون ثلث العلم، ويوشع ثلثه، وكالب ثلثه، فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما إلى علمه، فكان يأخذ الرصاص فيجعله فضة، والنحاس فيجعله ذهباً، وحيث لم يمتثل في ذلك أمر الوصية المحكمة في قوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ الخ [القَصَص: 77] بل تجبر بها وقال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القَصَص: 78] جعلها الله له نقمة ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القَصَص: 81] كما قال تعالى وأما المقصود عند أهل الفضل في علم التدبير، ونتيجة إدراكهم لأطوار الإكسير، إنما هو التفكر في صنع الله الذي أتقن كل شيء، وأخرج الحي من الميت والميت من الحي ومشاهدة آثار الربوبية، ومظاهر حكمة الألوهية، حتى أن منهم من دبر ثلاثين حولاً استدلالاً على باهر قدرة المولى، ولم تحجبهم مطامع الأمل عن نتيجة العمل، فيرجع إقبالهم إدباراً،

(1) كأن الكاتب فصل في الموضوع بين الجائز وغيره ليجعل للملك مولاي الحسن مخدومه مندوحة في اللهج بهذه الصنعة كما هو معلوم، وقد زخرت خزانته بكتب الفن، وقد أدرك من ذلك أموالاً طائلة، ويظهر ذلك في أن ما في خزينة مراكش فقط ثمانون مليوناً من الريالات كما ذكره لي ثقة كان من الذين ندبوا لعد ما فيها سنة 1312 هـ وأيد ذلك لي إدريس منو الباشا العارف بما في دار مولاي الحسن رحم الله الجميع.

وجبرهم انكساراً، بل لا يزالون يترقون في معارج التقديس والتمجيد، حتى تنكشف لهم المعارف، ويفوزوا بإدراك التوحيد، ولم يثبت عن واحد منهم قط أنه زور السكة، غير البطالين الذين كانت عراهم عن الشريعة منفكة.

والحاصل أن سكة الإمام التي تجري في البلاد، ويتعامل بها العباد، من أتلف حروفها أو زيفها أو تساهل في أمرها تشبيباً وبخساً، وقلباً وغشا فقد اتبع هواه، وخان نفسه وسواه، قال تعالى: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ۝١٨١ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۝١٨٢ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝١٨٣﴾ [الشُّعَرَاء: 181-183] فالمشتغل مدمر لا مدبر، ولا محالة يؤول الأمر لانتشار الفساد، ومخالفة الله ورسوله، وشق العصا المعاقب صاحبه بالقتل والضرب والصلب، وقطع الأيدي والأرجل من خلاف، والنفي من البلاد، فلتستعذ بالله من الشيطان الرجيم، وأعرض إلهامك على الشرع يظهر لك التأخير والتقديم.

(وقد كتبنا للعامل بأن يعلم أن عدت لذلك، أو تماديت عليه، وإن أعلم بذلك فلا يعجبك حال والسلام، في 15 شعبان الأبرك عام 1307 هـ).

أقول: لم نقف قط لمولاي الحسن على رسالة ترقى هذا المرقى، ولا ما فيه هذا الإسهاب وإطالة الكلام في الموضوع حتى نوعه، وفرق بين ما يجوز وما لا يجوز، مما لا يستدعيه حال المخاطب، ولكنه إذا علم أن لأهل ذلك العصر اعتناء بعلم النار واستخراج الإكسير، وأن بعضهم أدرك من ذلك ثروة هائلة زال عجبه.

وقد رأينا في إطلال قصر البديع بمراكش آثار هذا العمل من الملك نفسه، ولهذا طاب له التحدث في الموضوع.

وهذا القاضي هو الذي قام بسببه وقعد الشيخ الإمام أبو العباس الجشتيمي، ووقف في باب السلطان ما شاء الله، وهو ينفث في عقد القوافي لتسمع شكواه به.

ولم يزل كذلك حتى أتمّ الله مرامه، وحقيقة ما وقع أن الفقيه سيدي سعيد ابن الشيخ أبي العباس الجشتيمي كان سكن في تارودانت وتزوج في أسرة

تسمى (آل الماسي) وهم مشهورون في المدينة، فاعتدى القاضي على أشجارهم فقطعها، وكانت لهم جنة إزاء بستان للقاضي، فصار يلح عليهم في أن يبيعوها منه، وهم يأبون، فلم يزل القاضي يفتل في الذروة والغارب لإبراهيم الماسي حتى وجد إليه سبيلاً بسبب يكون ذريعة إلى سجنه، بسبب خصومة كان القاضي نفسه هو الذي استثار صاحبها ليتخذها شبكة لصاحبه.

ثم أفلت من السجن فظنوا أنه مختبئ في دار صهره سيدي سعيد، ولم يكن القاضي عبد الرحمن ممن يمكن احترام أمثاله لسيدي سعيد، فأرسل الأعوان فهجموا على داره بغتة بلا استئذان بحجة أنه اختفى عنده، فبذلك قامت قيامة الشيخ حين انتهكت حرمة دار ولده، مع أن الأعوان لم يجدوا هناك طلبتهم، ثم اقتحموا على دار الماسي فسمروا الأبواب وعبثوا بمتاعه، ولما كان للشيخ أبي العباس الجشتيمي قبل من الوفادات على أبواب مولاي عبد الرحمن جد مولاي الحسن ووالده سيدي محمد بن عبد الرحمن، وفد على مولاي الحسن لعله يجد عنده أشكاء ونصراً على المعتدي، فقدم بين يديه أولاً إلى الوزارة قصيدة بين فيها شكواه.

ثم أبطأ عنه الجواب فقدم قصيدة أخرى بين فيها كذلك شكواه كأنه يظن أن الأولى أتلفت عن عمد، وإحدى القصيدتين في بحر الرجز، والأخرى نونية، ولا ندري أيتهما الأولى.

أما الرجزية فهي:

الحمد لله العلي القادر ... الحكم العدل المليك القاهر
ثم صلاة لا تعد وسلام ... يناغيان أبداً خير الآنام
وآله وصحبه الأجلة ... وكل تابع لهم أجله
ثمت أهدي أفضل السلام ... إلى الفقيه علم الأعلام
سيدي أبي العباس نجل موسى ... وقاه رب العرش كل بوسى
وإلى الحجابة برغم الشاني ... للملك العدل الرفيع الشان
لا زال في نصر وعزة جناب ... يردى ويرضى من عتا ومن أناب

وبعد فالغربة[1] قد طالت على عبيدكم في وقت شدة الغلا
وحاله ينهي لمولانا الملك لا زال في العزة من أعلى ملك
فخاف أن يذهل عن حقيقته حتى يجاري الخصم في طريقته
منشأ هذا الخوف ما سمعت من سؤاله عنها فقيهاً اؤتمن
وكنت أولاً بعثت ببيان له على يدك ناب عن عيان
ثمت أرسلت على يد الوزير المسفوي في النظم والنثر الغزير
وفي يد الوزير نجل العربي بينة كفيلة بالأرب
حتى رأيت أنها مقررة في قلبه مثل ذكا مشتهرة
ومثله أعانه مولاه يعذر في الشغل بما ولاه
ومن يطيق حمل بعض ما حمل بلغه إلهنا كل أمل
ورام منك العبد تذكير الملك ذاك مبيناً له نهجاً سلك
لا زلت فيما تشتهي ملحوظاً منه بمقلة الرضا محظوظاً
حاصل نازلتنا مع قاض رد جروح الدين لانتقاض
أنا ادعينا أنه قد عدلا عن منهج الحق وما أن عدلا
لما رأينا فيضان الجور منه ولم يخش مآل البور
من ذاك سجن الطاهر الأذيال من فقهها الوقت لأخذ المال
أول ما وافى بعز التولية جعل هذا الظلم مبدأ الأقضية
مفترياً عليه توجيه كتاب بما يضره إلى أعلى جناب
فلم يسرحه إلى أن دفعا من ماله نحو مئين أربعاً
ثمت قتل النفس دون حق غير مبال للمليك الحق
والأمر بالجلد لعبد ما جنى فصار ما بين يديه للفنا

(1) يظهر بهذه الكلمة أن هذا الرجز هو الأخير.

ومنه حكمه بغير الشرع لجهله بأصله والفرع
كمنزل بيع بشرط سكنى بائعه فيه إلى أن يفنى
فأنفذ البيع وألزم الثمن من اشترى والبيع بالرد قمن
ومنه جبر والد البنت على إنكاحها من غير مرضي الحلى
بعد قبول خاطب قد نزلا منزلة العبد ببذل أجزلا
ومنه منع امرأة التملي من إرث ومن نكاح ذي دين قمن
ومنه إعلان الربا الملعون فاعله مع شاهد معين
قد شاع منه ومن العدول التابعين له في العدول
ولم يبال بالذي قد وردا فيه من اللعن ولم يخش الردى
ومنه سجن ضعفاء من قبيل في جارم ذي قوة مع رحيل
ذي الجرم عن بلده إلى بلد تناله الأحكام غير مبتعد
وأخذ مال منهم جزيل فعل امرئ معتقد التحليل
ومنه أخذه الرشا الجزيلة ما راقب الله ولا تنزيله
ومنه إتلافه ما حواه من مال أيتام بما يهواه
خلع جلباب الحياء فيه كذاك ما من حبس يليه
ومنه صحبة العتاة والعداة من الأناسي ومعاداة الهداة
فما ينادم لا ولا يجالس في غالب الحال سوى الأبالس
ومنه منعه من المساجد من شاء تدريساً من الأماجد
ومنه الاشتراء للحرائر غير مبال عالم السرائر
ومن تداليسه أن سأل الملك إذناً في الإقراء لذوي جهل حلك
عدهما في الفقها فجعلا يأخذ أجراً لهما قد جعلا
ولم يكن قط جلوس منهما في مجلس للعلم يروي عنهما
ولم يكن ذو خبرة ليجلسا إليهما تعلما لو جلسا

مجترئاً في ذاك كله على ... خير مليك في المغارب علا
لا زال مرضي الخلال راضياً ... ما كان مولاه الأجل قاضيا
بعد اجترائه على رب الفلق ... الخالق الإنسان جل من علق
وربنا الأعلى حسيب من بغى ... على العباد وتعدى وطغى
وغره في كل ذلك ما أصر ... عليه معلناً له وما أسر
من قوله قصد المليك قد قصر ... على الدنا وهمه فيها حصر
تباً له مما يقول ومعاذ ... لله أن يصدق في المولى الملاذ
لا زال حلياً فوق نحر الدهر ... ذا همة فوق النجوم الزهر
وما ذكرت في الذي تركت قل ... فليتأمل، وليقس ما لم يقل
إلى أمور لست أقدر على ... نطقي بها يعزي إليها في الملا
ومن أشد جوره ما ظهرا ... منه على صهر لنا واشتهرا
سجنه لمنعه بستاناً ... لولدي بنت له حسانا
مقابل الدار ابتغاه القاضي ... بالأنزح الأنزر من أعواض
وحين فر منه عذابه غضب ... وكاد من غيظ به أن ينقضب
وصار كالسبع لدى انفلات شاه ... عن نابه الأشغى مقلص الشفاه
وجد في الطلب حتى أدخلا ... الدور بعض ما له من دخلا
فهجموا على عيال في الحجاب ... وأظهروا من السفاسف العجاب
حازوا جميع ما رأوا في الدار ... نهبا وردوا غير ذي مقدار
وما سوى ذلك مما انتقيا ... على ادعا الصهر عليهم بقيا
وكان فره إلى الجناب ... المعتلي عن ظفره والناب
فما استراح قلبه ولا سكن ... غضبه حتى حواه وسجن
أخذه من حيث لا يخشاه ... بكذب مزخرف أنشاه
زعم أنه من الشرع هرب ... كيما ينال من تشفيه الإرب

وأنه سجنه لمقصد ... حسابه، وربنا بالمرصد
وما جرى قط له على اللسان ... ذكر الحساب قبل حرمان الجنان
ومن أتاه للضمان رده ... واعتل بالزور الذي أعده
وما كفاه ذاك من عدائه ... ولا انتهى للكف عن إيذائه
بل زاد أن ولي ملاطفاً له ... مال اليتيمين لكي يأكله
معادياً أمهما لردها ... له عن ابنة لها وصدها
وكان يبغي البنت بعض ولده ... فلم يساعده القضا في مقصده
فحاز كل المال عن محبة ... تشفياً ولم يدع من حبة
لحادث ولا لام لليتيم ... وربنا الأعلى الحسيب للأثيم
وإن تسل أم اليتيمين شوي ... مما لها منه لواها شر لي
يرهقها إبراز وجه لشهود ... لم يك قط منهم لها شهود
فما تنال حبة من خردل ... منه وحر وجهها لم يبذل
والله حسب الضعفاء وحسيب ... كل ظلوم من قصي أو نسيب
وكل ذلك من أجل ما حرم ... رئيس ظلم ما لملكه قرم
ومن غرائب القضايا أنه ... أعلن بغضنا وما أكنه
كم ادعى مع ذاك أنه قصد ... نفعاً لنا مع نفع زوجة الولد
إذ لا يتيم غيرها وغيرا ... صنو لها يخشى عليها الضيرا
فتلك دعوى ليس يخفى أنها ... من الأكاذيب على أدنى النهى
لكنه من سلب الحياء ... يصنع في أموره ما شاء
وقد كفى بينة وحجة ... على عدوله عن المحجة
هذا الذي أبدى من الحرص الأشد ... مخالفاً لكل ذي رأي أسد
لو كان من أهل الرشاد والنبه ... لفر من كل مقام اشتبه
وطلب الإعفاء والإقالة ... مما اتقى أهل النهى أثقاله

نعم وزوج الابن مع ذلك مضى أكثر من عام عليها وانقضى
عن وقت تعريس فلا ولاية تبقى عليها بعد تلك الغاية
لكونها مهملة وإنما تقديم قاضينا عليها من عمى
وإذا رأيناه كذا تعدى على سوانا وعلينا الحدا
قمنا بحق الله جلا وعلا وحقنا نشكو لمولانا البلى
نسأل مولانا الرضا أن يرفعا عنا يدي عدائه ويدفعا
بالأمر للتسريح للصهر على إعطاء ضامن هنا بادي الملا
ورد نازلتنا لغير ذاك المعادي من أهيل الخير
ممن ذكاة في العلوم زاهر ودينه عن العداء زاجر
فيعمل الواجب في الحساب وفي اليتامى وفي الانتهاب
يحاسب الصهر على ما قد حوى من مال فرعيه حساباً ما غوى
وإن يبن علي أو على الولد شيء يحاسبنا فما منا لدد
ثم يولي من رأى مقدماً على اليتيمين شفيقاً ارحما
فإن يجد أفضل من جد وأم فهو، ولا إخاله فيما يؤم
ويعمل الواجب فيما لم يرد للصهر فيما قد حواه من مرد
وفي الذي نجل عبيدكم زرع في بعض ملك لليتامى يزدرع
فإنه ابتاع زريعة الذرة من ماله ولم يخل أن بذره
وأعمل المسكين فيه بقره وزاد أجر من عليه استأجره
هذا مرادنا من الإمام الملك المهذب الهمام
لا زال محفوظ الجناب ناصراً للدين منصور اللواء ظافراً
وما جهلنا أن والي القضا يفعل في شأن اليتامى ما ارتضى
إن كان عدلاً مرتضى لا إن عدل عن نهج شرع وابتغى فيه البدل
فما أجاب نجل سودة به يجري على العدل الرضا المنتبه

وحمل نازلتنا عليه لم يوضع به الدواء موضع الألم
وعدل مولانا المليك وسعا نحمد رب العرش كل من رعى
كيف يضيق عن عبيده وقد وافى الجناب شاكياً جوراً وقد
ولو سلمنا من أذى القاضي وجب أعلام مولانا بذلك العجب
إذ من درى من العباد منكرا لزمه تغييره إن قدرا
بيد أو بمفصل فإن ترك فهو مع الفاعل في الذنب اشترك
والمرء مرآة أخيه المؤمن والنصح دين المؤمن المهيمن
فالصمت عن إبلاغه خيانة والغش تأباه لنا الديانة
لعلمنا بأنه لا يكره كحلا بجفن الدين وهو أمره
وأنه لم يرض أن يلحق شر بأحد من حزب صفوة البشر
عليه أفضل الصلاة والسلام وآله وصحبه الغر الكرام
كيف يظن الجناب الأكرم رضا بأفعال امرئ محترم
وما غدا محتمل الأعباء إلا لحزب الصادق الأنباء
نفعاً لهم حتى يذيق الضرا حوباءه لكي ينالوا السرا
لا زال منصوراً وناصراً لدين الله خير الجلة المجددين
وما ذكرت من خلال المرء محقق مثل هلال مرئي
في كل من يعرفه من أهل بلده في الوعر أو في السهل
وما غبطناه على ما وليا ولا تمنينا له توليا
وكيف يحسد على ما ازداد به عن أبواب الرضا ابتعادا
وكيف يحسد على ما كانا له بلاء هدم الأركانا
إن يسترب سيدنا بشي مما ذكرت من خلال الغي
فليبحثن عما له من سيرة حتى يرى فيه على بصيرة
وينبغي كون السؤال أولا عمن يكون قوله معولا

من فئة الصلاح في الجيران ... الطاهري الذيل من الأدران
ثم يسألون عن الإنسان ... أفي الإساءة أم الإحسان
ومن يشم منه عرف للصلاح ... وعرف المعدود في حزب الطلاح
ولا تثق مولاي إلا بالثقاة ... أهل فطانة ودين وتقاة
فربما يصله بعض الثنا ... عليه ممن بالهوى له انثنى
فخاله حقاً ومن يسمع يخل ... والصدق في أخبار هذا الوقت قل
بل قد فشا من أهله التدليس ... والمكر والخداع والتلبيس
والمؤمن الكريم تكثر الثقة ... منه وحسن الظن طبعاً والمقة
حفظ رب العرش من كل زلل ... مليكنا العدل ومن كل خلل
وإن يرد مولاي أكمل بيان ... في ذاك يغني قلبه عن العيان
يبعث مع العبد من الثقاة من ... لا يبتغي بدين مولاه ثمن
لكي يشافهه كل من عرف ... أحواله من أهل دين وشرف
ذلك أو يعين المولى الملك ... لا زال فيما يرتضي أعلى ملك
من يكتب الشهادة التي تراد ... عليه من عدول هاتيك البلاد
لأنه ما دام في القضاء لا ... نجد شاهداً عليه في الملا
وإن نجده لم نجد من يكتب ... لنا شهادة عليه تطلب
إن لم يكن إذن من المولى الأعزّ ... حفظه الهنا جل وعز
لقهره من كان في المدينة ... من العدول قهره مدينه
بل كل عدل كان في إيالته ... يخافه ما دام في ولايته
ولم يضيق ربنا تعالى ... على المليك المرتضي فعالا
ففي الرعية من أهل الفضل ... من يرتضى في قوله والفعل
وما لمولانا من الذكاء ... يجلو الظلام كسنا ذكاء
وما توجهت إليه همته ... تعنو له دون عناء هامته

لكن قضاء ربنا المولى الأجل لا بد منه للأعز والأذل
وما خلى والحمد لله بلد ممن عليه في الأمور يعتمد
وإن يكن قد عز في هذا الزمن وجدان مرضي الخلال المؤتمن
فأمثل القوم الذي ما عرفا بكذب يبتني على ما وصفا
ويجبر الحال بكثرة العدد كما علمتم لا عدمتم المدد
وينبغي كشف الإمام العدل عن أحوال من ولاه إن مشكاه عن
وإنما يحمله على الصلاح ما دام يوصف بأوصاف ملاح
بل ينبغي السؤال دون شكوى أفي الفجور هو أم في التقوى
لا سيما مثل ولاة الوقت لما فشا من موجبات المقت
فإنهم أقدر خلق الله بالجانب الأعلى على المناهي
ولا يرد ما لهم من بأس سوى المليك بعد رب الناس
وما قصدت بإطالة الكلام تبصير مولانا الصواب في المقام
وإنما ذلك شيء حضرا عبيدكم فساقه وسطرا
وما رءاه العبد إن رءاه سيده موافقاً أمضاه
وإن رأى الصبر على ما وقعا والصبر للقاضي وما به ارتعى
ونكل الأمر إلى المولى الأجل فيما استباح من حماه واستحل
إذ هو جل حسب كل من ظلم حسيب كل من تعدى وظلم
فنظر المولى نراه أوسعا وما لنا فيه سوى أن نتبعا
وأمره عند العبيد طاعة يبذل فيه جهد الاستطاعة
بيد سيده زمام أمره في حال يسره وحال عسره
يفعل فيه ما اقتضاه نظره في كل ما يأتيه أو ما يذره
إذ قد يرى المولى المليك مصلحة لم يرها العبيد فيما لمحه
لا زال في نصر وعزة الجناب يقي الضعاف كل ما ظفر وناب

هذي قواف نظمت كالزهر من القلائد لنحر الدهر
دونكها أفديك خير حاجب قام لمولانا بكل واجب
فانظر حديثاً قد سردت كله وانشق منه ما أردت عدله
وما تراه حاد عن نهج الصواب فاستره عنه نلت أجزل الثواب
فإنني استحييت من خطاب الجانب الأعلى بذا الإطناب
فكم نظام قلت فيه تارة مدحاً وأخرى عظة مختارة
فمنع الإجلال والإعظام من أن يوصل له النظام
خوفاً من أن يكون قد طغى القلم وأن تزل بي في شيء قدم
فإن عبده من أهل البادية طبيعة الجهل عليه بادية
لم يدر من لطائف الآداب ما يتحراه ذوو الألباب
يخطي وما يدري خطاه ويصيب وما درى إذ قل في العلم النصيب
وبعد أن تبلغ مولانا الملك ما كان في سلك الصواب ينسلك
فاسأله أن يعذر عبده الضعيف فيما بدا من كثرة العيب المعيف
فما حكت قصته حكاية لما بها للذيب من شكاية
بالشاة حين هربت مما عدا مدعياً تأديبها على العدا
واسأله عده من أنصح الخدم له وإن لم تنتقل به قدم
يخدم بالجنان واللسان للعجز في بقية الأركان
ولا يصدق كلام الحاسدين فيه فقول الزور شأن الفاسدين
وربنا المولى الأجل نسأل تبليغه كل الذي يؤمل
لا زال بدراً في كمال العافية وفي ملابس السعود الضافية
واسأله لي الدعا بلطف ورضى بكل ما رب البرية قضى
وعجلن لي منه بالجواب لكي يخف ما من الجوى بي
لا زلت مفتاحاً لباب الخير على الهدى موقى كل ضير

بجاه أكمل الورى محمد عليه أكمل سلام سرمدي
وآله وصحبه مع صلاة كما يحق بجلالة علاه
ما تاق صديان لماء صاف وحن مظلوم إلى الإنصاف

وأمّا النونية فهي:

سلام عليكم فاق بشرى برضوان من الحب وافت عن مطول هجران
على من صبت أقطار غرب لعدله كما قد صبا للغيث ممحل بلدان
سلام تطيب الكون أنفاس طيبة ويكسو بهاء وجه آخر أزمان
على من غدا في ذروة المجد والعلا لعاف وعاد مغنياً مفني الجاني
سلام به أكباد حر مراحة يزيد على الصهباء في طرد أحزان
على من رجا حزب الإمامة فضله وخاف عوالي هدله كل خوان
سلام كأزهار الرياض إذا تبسمت عن مناغاة لألطف هتان
على الملك العدل الذي نور فهمه يجلي دجى البهتان عن نور برهان
سلام يصير البحر عذباً به ويصبح البر مملوءاً ببر وشكران
على من أقام الله في أرضه خليفة عن أجل الخلق من ولد عدنان
صلاة وتسليم عليه وآله وأصحابه الغر البدور بركبان
مقيم منار الدين خير الملوك سيدي الحسن المحيي دوارس إحسان
سليل الملوك الصيد لا زال في الذي يحب إلى بشرى بأكبر رضوان
(وبعد) فها التملي عبدك أحمد سليل أبي زيد الضعيف القوى الواني
أتى بابكم باب الندى والهدى بخا لص من وداد جل عن رين أدهان
عليه نشا ما إن يبدله ولا يغيره نأي ولا طول أزمان
وما ذاق طعم الدين من لم يكن فؤا ده من صفي الحب فيكم بملئان
بعيد قعود عن جنابكم العلي بالله من ضعف لقلب وجثمان

ومن علم أن العبد لم يك أهلا أن
يرى في الجناب الأهيب المعتلي الشان[1]

ومن شأن فضل الجود منكم قبول من … أتاكم وإقبال ببشر وغفران
وقد أزعجته اليوم أفعال جاهل … ظلوم سعى للدين في هد أركان
تولى القضاء في (ردانة) مدة … بتدليس إخوان حراص وأعوان
ومولى الموالي جل شأناً حسيب من … يغر المليك العدل بالزور في شأن
ومن أغرب الأشياء كون مضلل … جهول حسود واليا أمر إنسان
ولم يكن أهلاً إن يرى متوليا … رعاية أغنام ولا رعي بعران
وكيف إلى المجد الرفيع يضاف من … عدا دينه والعرض في أي أدران
سيادتكم قد قلدته ولاية … لأعداء ذي حق على ظالم جان
فصار عدو الدين يبغض أهله … ويسعى له في نقض أشرف بنيان
يضاف لقوم ليس منهم وهو أصيل (كطيوة) الجهال من آل سرحان[2]
ويلعب بالدين الحنيفي خابطاً … وأموال أيتام لديه ونسوان
متى ما أراد الكتب للحضرة انتقى … مقاول حسن من مكاتب إحسان[3]
يدلس بالمسروق كيما يظن من … فحول لأرباب البيان وفرسان
وكان حباه العبد بعض قصيدة … بأحرفيات ختم أبياتها البان
وأبقى لديه البعض وهي يداني عدها مائتين في التزام لمزدان
تجرا على رب الورى وعليكم … تجبر خال من إنارة إيمان
تعدى حدود الله في المال وانتهت … به الجرأة العظمى إلى قتل عدوان

---

(1) في العروض من الشطر الأول ما لا يجوز.

(2) يعني أنه يدعي أنه من القضاة التمليين. مع أن أصله من قبيلة كُطيوة من الفخذ المسمى ووشان أي الذئاب، والسرحان هو الذيب.

(3) يعني أنه لا يعرف الإنشاء، وإنما يسرق من مقالات المحسنين من الكتاب.

ومن ظلمه أن كان ساجن صهر عبـــــــــدكم دون إيجاب لترويع سجان
سوى جنة للصهر في بابه أرا د تعويضها القاضي بأدون أثمان
نعم كان معتلاً بدعوى كأنها سراب بدا للناظرين بغيطان
فلما نجا باللطف من سجن ظلمه فراراً غدا من فره أي غضبان
فأدخل أصحاباً له دورنا ور وع الأهل بالتفتيش من دون إيذان
وزادوا لدار الصهر أيضاً كذاك ها جمين لإخلاء وتسمير بيبان
ومن قبل آذى الصهر في زوجة له وفي قطع أشجار له دون إيذان
وكان أراد العبد دعوة من غدوا إليكم لكيما يردع الجارم الجاني
فبان له أن الصواب الرجوع في الـ أمور لرأى منكم للهدى دان
فلما رءاه العبد لم يخش ربه ولا هابكم في خبط أحمق عميان
أتى قاصداً بالصهر للحضرة الرضا ا لتي كفلت من خوف ظلم بإيمان
وكان نوى إحضاره خير مجلس لكم جل عن حظ يميل لنفساني
وما ظن أن الظلم يلحقه بسا حة الحضرة العليا بسر وإعلان
فما راعه إلا العداء عليه في الـ أمان بلا رفع لأعدل سلطان[1]
وإلقائه في السجن ثمت نقله إلى سجن ظلم في بعيد عن أوطان
ولم يك بعد الله من يشتكي له سوى عدلكم ياآل عدل وإحسان
ومن حل يا مولاي ساحتك احتمى ولو أنه من أهل شرك وكفران
وعبدك يا مولاي قد ناله الذي ترى في حماكم عن إذاية ذا الشأن
وأعظم مما بي من أجل إذايتي الـــــــذي بي من تبديل أكرم أديان
وجرأة أرباب العداء على خليـــــفة المصطفى يبدون أصناف عدوان
فها هو يا مولاي يجهد أن يهـــــــد باطله للحق أثبت بنيان

(1) هذا يدل على أن صاحب الجشتيمي المظلوم سجن أيضاً في مراكش.

ويزعم أن المال غاية قصد دا ر سيدنا العليا ولو مع طغيان
وقد أخبر العبد الضعيف بأنه أتاكم بزور القول عن فرط شنئان
على عبدكم والصهر مما هما بحمـــــد من خلق الأكوان منه بريئان
أعانه قوم آخرون على الذي افـــــتراه من أصحاب لديه وإخوان
ويعلم رب العرش أن العبيد لا يحب سوى ما كان منأى من الران[1]
ولا يرتجى رضوان رب الورى به ويرضاه دأباً كل أروع رباني
وترضونه إن تعلموه حقيقة ولا يتقى منكم له بعض نكران
فبالله يا مولاي فأثبت لزوره وبهتانه وانظر بفكرة إمعان
ولا تعجلن يا سيدي في قضية إلى أن يبين الحق أكمل تبيان
وسل من تشأ من أهل سوس من الجبا ل والسهل من قاصي البلاد ومن دان
سوى عصبة معلومة تبعته في سبيل هواه عن ضلال وخذلان
كمثل عدول في (ردانة) ما أرا د يأتونه قطعاً بأمثال أرسان
ومن حق ضعف العبد إيقافه على دعاو عليه لامرئ حاقد شأن
لكيما يجيب العبد عنها بما يرا ه رب الورى حقاً بأوضح برهان
برئت من الآداب إن كنت كاذبا لمولاي فيما قلت عن حلف أضغان
ولا غيره فالعبد لم يرض دينه ولا طبعه مينا لنيل من الفاني
وحاشا كمال العدل والفضل من مليـــــكنا المعتلى أن يستفز ببهتان
وبعد بيان الحق يقضي بما يشا ء سيدنا فالعبد صاحب إذعان
وسيدنا في كل حال وكيله على كل مؤذ من قصي ومن دان
فما يرضه للعبد يرضه عبده فدين الهوى رضوان مرضي خلان
وما دام للعبد اختيار لغير ما ار تضاه الموالي فهو من شر عبدان

(1) يعني بالران العيب.

حمى الله مولانا من الاغترار في الـ أمور بزور فهو جم بذا الآن
ولا زال في نور من الله كالذكا يجلي دجا الأوهام عن كل حيران
وها نحن يا مولاي عن باب فضلكم نؤمل أعداء على جيش عدوان
أتيناكم نشكو عداء من اعتدى لعلكم تطفون أعظم نيران
ومن يتوسل في إقامة باطل بكثرة أموال تصب لأعيان
فما إن توسلنا بغير سيادة علت وديانات لكم ذات أفنان
على كل حال ظننا فيكم أبى سوى الحسن في أفراح قلب وأحزان
وحمل الذي قد بان من مثل ذا على صدوره منه جرأة دون إيذان
فمن قدم المولى أشد جراءة عليه بتقليب الأمور وكتمان
فكم من ضعيف رام شكوى فخاف أن يفوز العدا منه بمنية إمكان
فصار لخيفة العدا طاوياً حوا ئج النفس في أحشائه خدن أشجان
فما كان من عسر لوصل إلى المليـك أخرج أظفار العداء من أكنان
فلو كان سهلاً يوماً أو بعضه بجمـعة ما بدت أسياف ظلم من أجفان
وما ضر لو كانت مسالك جمة لموردكم يغنى بها كل ظمئان
فأحداث أحكام لأجل زيادة الـفجور أساس ثابت لبنا الباني
ولكنه لا يعرف الشوق غير من يكابده، فالعذر أبلج نوراني
حماكم إله العرش من كيد كل من يكيد ومن إذلال أخدان شيطان
وأسأل منك العذر مولاي إن أطل كلامي فأنت الوالد الحدب الحاني
وقد طالما أناي عبيدكم قضا ء رب الورى مع كونه أي عطشان
فلا يحرم العبد الضعيف مناه في الـكروع من الإقبال في المورد الهاني
فقد نال منه ما يشاء القصي عن جنابكم الأعلى كما ناله الداني
إدامك رب العرش حصن الأمان مو رداً فاق صدى مغنياً كل صديان
معاناً على الخيرات منصور راية الـجلال على أحزاب بغي وكفران
ولا زال غيث الرحم يهمى على أصو لكم من إله مالك الملك ديان

بجاه أجل الخلق أزكى الصلاة والسلام عليه في رضاه يدومان
وآل وأصحاب له كاملين ما سرى سره للقلب في صفو إيقان

وخاطب أيضاً السلطان إذ ذاك بقوله:

عليك أمير المؤمنين سلام كأذفر مسك فض عنه ختام
ولا زال من كيد العداة وضرهم بأحصن حرز لم ينله مرام
(وبعد) فإنا قد فررنا من العدا ء في بلدة فيها ا لضعاف تضام
لحضرتك العلياء نحسب أنها ملاذ من الظلام ليس يرام
إذا نحن يا مولاي فيها تنوشنا ضباع كناس في القواء أقاموا[1]
فنسجن فيها دون إثبات موجب برفع لشرع عز عنه مقام
ونصبح فيها خائفين كأننا جناة ولا ذنب عليه نلام
ولا زال مولانا كما شاء ديننا يقد رقاب الجور منه حسام
ويخرج مسجون بظلم بها إلى بلاد بها للظلم عم ظلام
وما الظن إلا أن ذلك ما درى به ملك عدل أعز همام
بحقك يا مولاي فأمر برده فما لعدو في العدو كلام
وسيدنا في كل حال وكيلنا عليه من المولى الأجل سلام

وقال يخاطب الوزير محمد بن العربي الجامعي يستنهضه لإبلاغ شكواه:

أزكى السلام على الوزير الأعظم ابن الوزير ابن الوزير الأفخم
يزري بأزهار الرياض إذا بدا منها بدمع المزن حسن المبسم
وينال أذكى المسك من أنفاسه خجل بوجه الشمس لم تتلثم
هذا وأنا من عبيد سيادة لأجل ذي ملك همام أعظم
جئنا لحضرته فراراً من أذى مؤذ لأهل الدين مثل الأرقم
لم ندر أن عداه يسري لمن فيها بظفر جراءة لم يقلم

(1) فهذا يثبت ما فهمناه مما تقدم من أن السجن نال صاحب الجشتيمي في (مراكش).

فإذا الضباع تنوشنا فيها كمن قد كان في البيدا بليل مظلم
أبلغ بحق أخوة في الدين مو لانا الهمام قضية المتظلم
لا زال مولانا غياث من اشتكى منصور رايات الجلال الأفخم
وانظر لوجه الله فيه إنه بالباب مذ عشرين يوماً محتمي
لا زلت مفتاحاً لباب الخير محفوظاً إلى بشرى بحسن المختم

وقال أيضاً يخاطب الحاجب أحمد بن موسى في ذلك:

أزكى السلام على الفقيه الحاجب ابن الفقيه الحبر أسنى حاجب
تزري بأذكى المسك أنفاس له والشمس تخجل من سناه الثاقب
هذا وإن العبد أطلعكم على برحائه عوذاً بأقوى جانب
يرجو تخلصه من أنياب لا عدى نائب ومخالب للخالب
فانظر لوجه الله فيه باذلاً للجهد في نصر لديه واصب
أكد فدتك النفس ذكر قضية المظلوم للمولى الهمام الغالب
لا زال محروس الجناب مؤيداً منصور رايات غياث الراهب
واحرص على إزهاق باطل كل ذي بطل وإعلاء لحق واجب
لا زلت حيث تشاء من رتب العلا في الحفظ من رب كريم واهب
بأجل خلق الله صلى ربنا أبداً عليه وآله والصاحب

تلك هي الصرخات التي والاها الشيخ الجشتيمي يستفتح بها باب السلطان لعله يشكيه من القاضي، وقد كان للقاضي يد خفية قوية في دوائر السلطان فيفعل ما يشاء حتى في حضرته فلذلك تعذر على الشيخ وصول إلى مراده، فكتب إذ ذاك إلى أحد أهله يقول:

"إننا وجدنا كل الأبواب مرتجة في وجوهنا إلا باب الله وحده".

وقد قرأت له قوافي في أهل الله يستغيث بهم، وقد انقطع إلى ضريح سيدي محمد بن سليمان حتى قضى الله حاجته بعد سنة، فاتصل بالسلطان ثم

حظي عنده واعتقده حتى قدمه إماماً لصلاته الخاصة ما شاء الله، ثم لم يسعفه السلطان بالرجوع إلى أهله إلا بعد التي واللتيا، وقد صدرت منه قصيدة ميمية يستسمح بها السلطان ويستأذنه في الرجوع، وهي في (المعسول)[1] مطلعها:

لولا حقوق-لا تعد عظيمة للأهل دمت لذا المقام مقيمه

وهي من أمثل ما صدر عنه من الشعر، وكأن الشيخ اطلع على قصيدة ميمية لأدباء سوسيين في القرن الثاني عشر هجوا بها عبيد البخاري، فإننا نرى بينهما تشابهاً ما في القوافي، وتوجد أيضاً في كتاب (المعسول)[2]، كما صدر عنه أيضاً غير ذلك من القوافي في السلطان وفي غيره يجد القارئ ما عندنا في (المعسول) أو في مجموعة (جوف الفرا) وفي قوافي هذا الشيخ مجموعة بخط العلامة سيدي الحاج الحسين الإفراني تلميذه.

لا ندري كيف أشكى السلطان الشيخ من القاضي، إلا أننا نعرف أن القاضي بقي في خطته، بعدما اتصل حبل الشيخ بالسلطان حتى وقع له قريباً من ذلك أن تخاصم مع تاجر من (سلا) يسمى ابن موسى ادعى كل واحد منهما على صاحبه مالاً كثيراً، وأدلى كل منهما بخط يد غريمه، فقدم ابن موسى الشكوى به إلى السلطان، فأمر السلطان القرمودي - فيما سمعت - أن يجمع بينهما ثم لما جمع بينهما ورأى القاضي أدلى بدين آخر على صاحبه، وكل منهما أنكر ما يدّعيه خصمه، تحير في أمرهما، وفي ذلك الحين وقعت أيضاً مشاحنة بين باشا (تارودانت) الراشدي وبين القاضي، فقدم الباشا أيضاً به شكوى، فتولى السلطان بنفسه تحقيق أمر القاضي، فاستدعاه إليه وقال له: إنني سائلك فأجبني بالحقيقة عما بينك وبين ابن موسى، فقال له سأجيب مولاي بالواقع: إن الحقيقة أنه لا هو له علي دين، ولا انا لي عليه دين، وإنما كانت بيننا مداخلة، وصحبة، حتى عرف كل منا خط صاحبه وكيف يكتبه، فسبق هو فكتب خط يدي زوراً علي، فقابلته بالمثل، فهذا هو الواقع، ثم لما رأى

(1) في (الجزء السادس).
(2) في (الجزء الثامن عشر).

السلطان أمر القاضي المنعكس، وكيف يرتكب الخيانة، عزله عن قضاء تارودانت ونفاه إلى مراكش فانخرط في سماط العدول، وذلك العزل وقع قبل عام 1309 هـ في سنة لا نعرفها، ثم بعد سنين ولاه المولى عبد العزيز قضاء (السويرة) حيث بقي سنتين ثم عزل، فبقي في مراكش إلى أن مات سنة 1323 هـ أو سنة 1324 هـ.

هذا هو القاضي عبد الرحمن بن مبارك غريم الشيخ الجشتيمي وقد نفذت فيه دعوته المستجابة، فافتضح وحرم مكانته عند كل واحد حتى في التاريخ.

ثم خلفه القاضي سيدي محمود الخياطي صهر الشيخ الجشتيمي على بنته، فبقي من قبل 1309 هـ إلى 1324 هـ، يوم استأسد الباشا أحمد بن علي الكابا (بتشديد الباء المفتوحة) بانحلال أمور الحكومة، فعزله عن القضاء فبقي في (تيييوت) حتى توفي عام 1329 هـ وترجمته بين أهله الخياطيين في المعسول[1].

ثم محمد بن عبد الرحمن بن اليزيد، وكان صهر القاضي سيدي عبد الكريم التملي على خديجة بنت أخيه الطيب، أخذ عن الحاج علي أملاح التوفلعزتي الإيلالني، ثم صار يختلف إلى مراكش فاتفق أن الحاج المؤذن المتوكّي من جلاس مولاي عبد الحفيظ، وهو إذ ذاك خليفة السلطان بمراكش وقد استبد بالجنوب، فمد الخليفة يوماً طابعه الخاص إلى الحاج المؤذن وأمره أن يطبع - يحكي عن نفسه - على ورقة أو ورقتين يولى بهما من عسى أن يقع له بتوليته نفع مادي، قال الحاج المؤذن - يحكي عن نفسه - فطبعت أنا سبع عشرة ورقة، فصرت أبيعها بالآلاف لمن أراد قضاء أو قيادة بما يبعد من المدن، فبورقة من هذه الأوراق اتصل الباشا الكابا الثائر على حيدة بن ميس فأخرجه من تارودانت.

ثم تولى بعد ذلك الباشوية وقد استظهر برسالة الخليفة وبطابعه الخاص،

---

(1) في (الجزء الرابع عشر).

وكذلك توصل بأخرى هذا القاضي ابن اليزيد من حيث لا يشعر أحدهما بصاحبه، ولذلك أعان الكابا القاضي حتى أوقعا بالقاضي القديم سيدي محمود وحتى هجم أعوانه على داره، فسلبوا متاعه، حتى انتزعوا الحلي من معصم سيدة بدار الشيخ الجشتيمي، وهي خديجة بنت الفقيه سيدي محمد الأيسي المعروف بسيدي هموش، فتصدر القاضي بسطوة غريبة، وصولة أربت على ما يؤثر عن القاضي عبد الرحمن بن مبارك، حتى حكى معاصروه أنه كان يسمع بالمريض فيستولي على تركته قبل أن يموت، ويحتوش من كل مال مقسوم ما يريد بلا قدر معين، وكان يتذرع لذلك بإشاعة أن للحكومة أعشار الأموال المقسومة، وكان في نفسه - فيما يقوله الناس - غشوماً جباراً لا يراعي ذا حرمة ولا ذا منصب ديني، ولم يزل يسدر في غلوائه حتى استتب أمر السلطان مولاي عبد الحفيظ، واتصل الكابا بالحكومة، واتخذته عميدها في سوس على يد الباشا السيد إدريس منو الذي فوض له مولاي عبد الحفيظ في الجنوب بعد أن عزل الكلاويين عن (الحمراء) ووضع عليها السيد إدريس منو هذا الذي كان من رفقاء صغره، ثم اطلع الكابا بعد ذلك على أن ظهير القاضي إنما هو مزور، فرجع عليه فسجنه، وولى مكانه سيدي موسى الرسموكي.

وقد كان من أصحاب القاضي سيدي محمود وممن سجنوا معه أياماً، وممن جلوا بجلائه عن حضرة رودانة ثم لم يزل القاضي ابن اليزيد في السجن إلى عام 1330 هـ، حين قامت هيعة الأعراب، وفتحوا السجون، فانطلق بين دهماء الناس، فبقي في تارودانت وقد بقيت له عقاراته وأطراف من أمواله، ثم لما احتل القائد حيدة تارودانت وصار عميد الحكومة فيها، أشار عليه القائد محمد بن إبراهيم التيييوتي - وكان من أصحابه - أن ينجو بنفسه ويخرج من المدينة، لما يخاف عليه من حيدة فصم عن نصيحته، فلم يلبث حيدة أن أنشب فيه براثينه، وطالبه بالأموال التي كانت في دار الحكومة يوم ثار الكابا على حيدة وأصحابه وأجلاهم عن المدينة سنة 1321 هـ وقال له إنك والكابا كالشيء الواحد، ثم بعد لأي صير القاضي رياضاً له لحيدة فيما ادعاه عليه، ثم اشتراه من ورثة الباشا حيدة القائد محمد بن إبراهيم

التيبيوتي المذكور، ففك رقبته، فإذ ذاك طاب له أن يغادر المدينة، ولكن بعد خراب البصرة، وبعد مكثه في السجن أعواماً حتى أكل فيه ثمر شجرة غرسها فيه بيده.

ثم إنه نزل في أسفي فبقي فيه إلى أن مات يوم الثلاثاء 4 صفر 1336 هـ، وقد قال الأديب القاضي سيدي موسى ابن العربي الرسموكي لما سمع أولاً بموته:

ابن اليزيد نعوه لي ثم قلت لهم هذا الدواء الذي يشفي من الحمق

قال القاضي إنني أنظر في قولي هذا لما يقوله الصاحب ابن عباد:

نعوا إلي ابن دهشوذان عن كثب فقلت إن صح هذا مات إبليس

أقول: لعمري إن بيت القاضي أفضل بكثير من بيت الصاحب.

ومن خط القاضي أيضاً: وفي ليلة الاثنين 17 صفر 1336 هـ سمعنا بهلاك الظالم ابن اليزيد، فإن صح فقد أراح الله العباد والبلاد، وقد قلت في عبد الكبير الذي أتى من أسفي ونعاه إلى أهله:

لئن كان ما عبد الكبير أذاعه صحيحاً فذا عبد الكبير المبارك

فقد عم بالأفراح لله دره قلوباً غدت أحزانها تتدارك

ثم لما صح عندنا الخبر ذيلتهما بقولي:

نعم صح تطهير البلاد بقطعه فحمداً لمن في حكمه لا يشارك

ومما يتصل بهذا أن القاضي سيدي موسى قال أيضاً عن ظالم آخر كان جار ابن اليزيد بعدما مات ابن اليزيد:

وكنت أخال ابن اليزيد يزيد في مظالم خلق الله عن كل ظالم

فلم تذهب الأيام حتى رأيت جا ره بيت بيت مثله في المظالم

ولعله عنى بهذا الظالم عيسى بن عبد الكريم الخياطي.

وأقول أنا بعدما كتبته في هذا القاضي وفي الآخر: أطلب الله أن يتجاوز عن الجميع وما كل واحد منا إلا له من المساوي ما لو زال عنه ستر الله المسبل لقيل فيه أعظم من هذا وإنما أراد الله أن يكون هذا عبرة،

فجعل الألسنة مجمعة على ما أرخناهما به، وما فائدة التاريخ إن لم يشد فيه بإحسان المحسنين، ولم تستهجن فيه إساءة المسيئين وكم من ممدوح في التاريخ ولعله مذموم عند ربه، وكم من مذموم في التاريخ ولعله ممدوح عنه ربه، والعبرة بالخاتمة، فاللهم اختم علينا بالإيمان والإسلام (ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم) وعادتي المحببة إلي أن أتباعد عن ذكر المساوي في التراجم إلا إذا كانت لا تتم ترجمة إلا بها، فأوجز أو ألمح، وأنا أستغفر من كل ذلك.

ثم تولى القاضي سيدي موسى من سنة 1325 هـ، إلى أن جاء سيدي الفاطمي الشرادي الفاسي، فبقي إلى عام 1337 هـ، فرجع سيدي موسى إلى عام 1361 هـ، فأحيل على المعاش، ثم لم يلبث أن توفي في شوال عام 1361 هـ ثم تولى القاضي الحالي سيدي محمد بن علي الهوزالي، (ثم في عهد الاستقلال تولى مولاي سعيد ولا يزال إلى الآن 1381 هـ) وتوجد ترجمة كل من سيدي موسى وسيدي محمد بن علي في (المعسول)[1] وأما ترجمة القاضي سيدي الفاطمي الشرادي، فإنه العلامة الدراكة المتفنن صاحب الفكر الوقاد، من الطبقة التي أدركناها في فاس عام 1343 هـ، وقد كان من المدرسين المقتدرين الكبار، له ولوع بالتدريس، وكان ماهراً في العربية والفقه، غيوراً على العلم، ولذلك لم يكد ينزل في (رودانة) حتى أوجد فيها حركة علمية بجده، ثم لم يكد يبارحها حتى انطفأت جذوة تلك الحركة، إلا ما كان من صبابة يذكيها آل ابن المصلوت وجدهم، ثم انطوى كل ذاك طي السجل للكتاب، إلى أن جاء المعهد فحييت تلك المدينة بحمد الله).

كان القاضي الشرادي من العلماء الحاذقين الذين لا يجد الجمود إليهم من سبيل، فقد حدثت عنه بأشياء تدل على ذلك يوم كنت بفاس 1343 هـ، وقد كان إذ ذاك من أعضاء المجلس العلمي القديم، ومما حدثت به أن بعض من

(1) الأول في الجزء الثامن عشر والثاني في السادس عشر.

كان يعرفه ويخالطه قبل، دخل عليه مرة فرآه منكباً على تلاوة المصحف، ولاحظ بالتكرار أن سبحته علاها الغبار مما يدل على عدم استعمالها وقد كان يعهد منه أنه مكب على أوراد بعض الطرق، فداوله في ذلك، فقال: إنني اليوم قد ألقيت ظهرياً كل ما سوى كتاب الله، فلا ورد عندي إلا القرآن، ثم أفاض عليه فيما يدل على أنه ليس ممن يقعقع لهم بالشنان، ولا بالإمعة الذي يسائل ذاك وذا ما الخبر، وقد كان في عهده في (رودانة) قليل الدخل لنزاهته، وقد أناب عنه في قبائل شتى نواباً استقلوا عنه بالمدخول إلا بقايا نزرة يأتونه بها فحاول أن يستعين بهم في تنظيم معاشه اليومي الذي بلغ به إلى حد أنه يبيع من حر متاعه، فأرسل أحد أصحابه يجمع من نوابه سمناً بمكيال معلوم، وقد سمعت أنها عادة قديمة لقضاة المدينة مع نوابهم فأخبرني بعضهم أنه تملص من تلك الأتاوة بحيلة، وذلك أنه أتى القاضي بعد أن سمع بالخبر. فصار يشتكي إليه بأنه لم يألف حيث هو، وأنه يحب النقلة، وأنه قليل ذات اليد، ففاوضه القاضي في ذلك، ثم قال له القاضي، إن فلاناً سيصلك فلا تكلف نفسك بشيء مما هو بصدده، قال فقلت في نفسي: إلى هذا يساق الحديث، ويسبب ضيق المعاش بالقاضي الشرادي طلع إلى العاصمة، فاستعفى من القضاء، وطلب منه أن يختار من يخلفه فذكر سلفه سيدي موسى فأنشد سيدي موسى حيث بلغه أنه ذكره:

فليتك إذ أبيت إلا فراقنا سكتت ولم تشر بزيد ولا عمر

وكان خروج القاضي الشرادي من تارودانت يوم الاثنين 28 من المحرم 1337 هـ وقد توفي في فاس فكانت له جنازة حافلة حضرنا صلاتها في وسط القرويين، فكانت من أعظم الجنائز الحافلة التي رأيتها هناك.

وللقاضي سيدي الفاطمي الشرادي مؤلفات.

منها ما ألفه بسوس في (الرهن) وفي (الفتيا) وفي (النحلة) كان تكلم فيها على ما عند السوسيين من أحكامهم فيها، ولم أرها وأخبرت بأن بعضها مطبوع.

وبعد فهؤلاء قضاة تارودانت الذين نعرفهم إلى العهود الأخيرة، والعلماء

الذين نعرفهم مما أملاهم علينا من تلاقينا معهم هناك، وإن كنت أظن أنهم لم يستوفوا العلماء ولا قاربوا.

وأما الذين وجدناهم أحياء في المدينة، فأجلهم الأستاذ الكبير سيدي رشيد بن الحاج مبارك بن المصلوت، أخو القاضي العلامة الخير النزيه الورع سيدي أحمد، فهما أخوان لأب، وهما علامتان محصلان كبيران، ويوجد (آل ابن المصلوت) إن شاء الله في (المعسول)[1] كما وجدنا هناك زيادة على القاضي نائبه سيدي الزاكي السكْرادي الأصل، وتوجد ترجمته بين أهله في الكتاب المذكور إن شاء الله[2] وكذلك الفقيه سيدي محمد بن أحمد الخياطي، وكان ممن أخذ معنا بفاس، توفي بعد 1370 هـ. ويوجد الخياطيون في (المعسول)[3] أيضاً، وأما الفقيه سيدي محمد بن سعيد العدل الثقة الذي وجدنا عنده كثيراً من أخبار علماء تلك المدينة ومن أخبار غيرهم فإنه محمد بن محمد ابن سعيد بن محمد بن محمد بن إبراهيم الإيلالني الأصل، كان جده سيدي محمد بن إبراهيم علامة كبيراً مشهوراً تزوج إحدى بنات أولاد سيدي أبي بكر ابن علي بن محمد التيملي الأصل، الجشتيمي، ثم نزيل (تاسكْدلت) وهو شيخ ناسك مذكور في التاريخ عند الحضيكي توفي عام 1073 هـ، وقد قطن سيدي محمد بن إبراهيم قرية (تاݣاديرت نوملال) من (آيت واسو) في (إيلالن) وهناك مدفنه، وقد توفي أوائل القرن الماضي، ثم التحق ولده سعيد بمراكش فكان إمام الصلاة عند الباشا بوستة في قاعة (ابن ناهض) وكان أيضاً يعلم أولاد السلطان مولاي عبد الرحمن، وكان عالماً حسناً ناسكاً، توفي في مراكش بعد عام 1270 هـ، فنشأ ولده محمد بن سعيد محترفاً ذا يد صناع في حرف متعددة، فالتحق بأعمامه في تارودانت بواسطة القاضي سيدي الطيب التيملي، فسكن هذه المدينة وتزوج فيها إلى أن ولد له سيدي محمد صاحبنا هذا عام 1291 هـ، فأخذ القرآن وفنوناً من العلم عن الأستاذ سيدي علي الكيكي وعن

(1) في الجزء الثامن عشر.
(2) في الجزء الحادي عشر.
(3) في الجزء الرابع عشر.

الفقيه سيدي الحسن بن محمد التاسكْدلتي في مدرسة (تيمزكْيداواسيف) (أي مسجد الوادي) بقبيلة (أيت مزال) وفي عام 1314 هـ ذهب إلى فاس، فبقي هناك نحو أربع سنوات، أخذ فيها عن الأساتذة سيدي محمد ابن عبد السلام كْنون الصغير، وعن سيدي التهامي أخي الفقيه كْنون الكبير، وعن مولاي عبد الملك الضرير، وعن سيدي الفاطمي الشرادي، وهو إذ ذاك هناك كما تصدر للتدريس في القرويين، كما أخذ عن غيرهم، ثم آب إلى مسقط رأسه تارودانت فانتصب للعدالة إلى أن عجز عن خطتها، وكان يخطب أحياناً في الجامع الكبير نيابة عن القاضي سيدي موسى، ثم تولى الخطابة في مسجد مفرق الأحباب (وقد بلغتني وفاته بعد هذا الوقت في سنة لا أضبطها).

وهناك في زمرة من العلماء أيضاً الفقيه سيدي الحبيب بن عبد السلام السكْرادي، وقد لاقيته ورأيت منه تنائياً فرفعت الهمة عنه، وسيذكر بين أهله السكْراديين في الكتاب المذكور إن شاء الله.

هؤلاء من أدركناهم هناك الآن، وتكاد المدينة تخلو من العلماء الكبار لولا بعض هؤلاء وكأنها لم تكن قاعدة سوس.

وأما العمال المخزنيون من الباشاوات الذين مروا بهذه المدينة أخيراً فإنهم عندنا بأسمائهم وقد غابت عنا تراجم كثير منهم.

1 - القائد محمد بن يحيى أغناج، كان في العهد الأخير من مدة السلطان مولاي سليمان قائداً على تارودانت بعدما جال في (جزولة) ولم يزل في المدينة عام 1236 هـ، ومن آثاره فيها سقاية السجن، وقد كان خليفة للقائد عبد الملك الحاحي الذي كان هو القائد العام على كل سوس من قبل سنة 1200 هـ، بكثير، أو تولى على كل سوس قبل 1180 هـ في العهد الأول للسلطان سيدي محمد بن عبد الله بعدما فتك بالطالب صالح وقد تقدم الكلام على ذلك.

ثم القائد عبد الصادق، وقد قرأنا فيما ترجم لنا عن كتاب الفقيه سيدي إبراهيم الماسي أن مولاي عبد الرحمن السلطان كان ولاه تارودانت ثم زحف حيناً إلى ماسة فحارب أهلها، وقد وجدت أن هذا الزحف كان في رمضان عام

1217 هـ، وكان مع الشريف سيدي الحبيب، وفي تاريخ (السويرة) لأخينا الفقيه سيدي محمد المراكشي، أن الباشا محمد بن عبد الصادق الماسڭيني كان من عبيد السويرة البخاريين أي الذين كانوا فيها حامية مخزنية فثار هناك في مفتتح مدة مولاي سليمان، فبايعت السويرة بسببه مولاي سليمان، وقد أخرج القائد عبد الملك الحاحي عن تلك المدينة إذ ذاك بدسيسة كما ذكره صاحب (الاستقصاء) وغيره، ثم إنه سجن بعد ذلك حتى سرح في ذي الحجة عام 1230 هـ، وكان سبب سجنه خروج رعيته عنه، ثم تولى على سوس في تارودانت وبقي هناك إلى أن توفي، ودفن في مشهد (سيدي أوسيدي) ثم ولي بعده القائد أحمد إيڭني، هذا ملخص بعض ما ذكره المراكشي المذكور مع بعض زيادة، وعبد الصادق هذا هو والد محمد بن عبد الصادق المذكور، وأما إيڭني فقد كان في تارودانت بعد ابن عبد الصادق كما رأيت عند المراكشي وأحسب أنني رأيت أنه كان هناك بعد 1250 هـ بقليل.

ثم القائد حماد بومهدي، وكان من (هوارة) كما تقدم، ثم بسط له المولى عبد الرحمن اليد في كل القبائل السوسية من تارودانت وأڭادير إلى سڭتانة إلى وادي نون والقبائل الراسلوادية هي صرة سوس ثروة وقوة، ثم لما ظهر منه للحكومة انحراف عن الجادة، بعثت بعض قواد البخاري بجيش قليل، فرابط حوالي تارودانت ولم يظهر للقائد بومهدي شيئاً، فكان يداخله ويتطلب فيه الغرة، حتى كان معه يوماً وقد رجعوا من صلاة جمعة، ووقفوا أمام باب السجن مارين، فوقف القائد البخاري مع أصحاب له قليلين، فأمره أن يذعن للأمر المخزني، فأذعن فأدخلوه السجن، ولم ينتطح في أمره عنزان، وقد حكى لي بعض الهواريين أن أباه كان من المسجونين في عهد بومهدي، وفي إبان جبروته وقوته وغطرسته، وكان الناس يظنون أن قوته وسلطته لا انقضاء لهما على ما يظنه العامة من أمثاله، قال: وفي وسط نهار إذا بالسجن ارتج بمن فيه، وهم يصيحون بومهدي، بومهدي، فإذا به مسجون كأحد الناس، فيتطاول المساجين بأعناقهم إلى رؤيته، ثم أنه نقل من سجن تارودانت إلى سجن السويرة كما قرأته في رحلة المشرفي الفاسي إلى تيمڭدشت وقد أخبر آخر أن داره كانت ممتنعة في (هوارة) من جيش الحكومة الذي يقوده الحاج عبلا

الحاحي، وقد دافع عنها مبارك ابن أخيه دفاعاً مجيداً، وكان القائد حماد بومهدي لا يزال في الحكم في شوال عام 1264 هـ. وآخر آل بومهدي هو القائد محمد المتولي عام 1299 هـ على فخذ من هوارة إلى أن هلك عام 1344 هـ، كما تقدم في أخبار هوارة وقد كان مسجوناً مع القواد عام 1312 هـ إلى أن أطلق فكان شيخاً إلى أن مات. والقائد بومهدي هو الذي اعتقل العلامة محمد بن أحمد أجيمي الكبير إلى (مراكش) فسكنها كما اعتقل الشيخ سيدي أحمد بن محمد التيمكٌيدشتي وابنه الحسن فأطلقهما مولاي عبد الرحمن واعتقدهما.

ثم مولاي إدريس فقد كان خليفة على تارودانت للحاج عبد الله الحاحي الشهير، وقد وقفت على رسالة كتبها إليه أبو علي التيمكٌدشتي ونصها:

(أنه من عبد الله تعالى الحسن بن أحمد الضعيف بتيمكٌدشت إلى الخليفة برودانة السلام على من اتبع الهدى، وخالف النفس والهوى، أما بعد وصلني كتاب النقض والغدر، هيهات قد أبرزت لنا من المكر بنا ما انكتم، وأظهرت الشماتة، ووثبت في الحمى وثبة ضاري الذئاب، لانتهاب الأحباب، وخنت لما وفينا، وكدت لما أمنا، وأتيت على قميص الرجل بدم كذب، ونكصت على عقبك لما أدرج في حبالتك، وهدمت حائط الأمان، وأقمت لنا العذر في التخلية، فإن اتسع عليك الخرق على الراقع، فلا تلم إلا نفسك، وعلى رقبتك الواقع، وإلا فنحن مؤمنون، لا نلدغ من جحر مرتين، ولا نطأ على جمرتين، ولا نتحمل ذنوب العباد كرتين، فانظر من يوافق وينافق، لا من ينصح وفي الخيرات سابق، فها نحن ننتظر سنة الله فيمن نكث عهوده واستباح حريمه وظلم عبيده، فاقض ما أنت قاض، إنما تقضي هذه الحياة الدنيا، فلن تجد لسنة الله تبديلا، ولن تجد لسنة الله تحويلا، إني ذاهب عند ربي سيهديني، وهو حسبي ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والسلام، في 16 ذي القعدة 1274 هـ).

وسبب الرسالة أنه غدره في مومنه الإيرازاني أحد (آل بوالزيت) المشهورين إلى الآن في (إيرازان) ثم أصيب مولاي إدريس، فقتل ونهبت محلته عن قريب من الزمان، كما وجد ذلك مقيداً.

والحاج عبد الله الحاحي المذكور، هو ابن القائد عبد الملك الحاحي المتقدم أيضاً بقي غير كثير في (تارودانت) وقد نزل فيها بنفسه عن إذن الحكومة.

ثم القائد حميدة الشركي وقد كان في (تارودانت) بعد سنوات 1264 هـ، وقد قرأت بعض رسائله 1288 هـ، وقد قرأت بعض رسائله إلى الحاج العربي الرئيس في قبيلة (كْسيمة) ويظهر أنه كان مع الحاج عبد الله أو قبله.

ثم القائد الحاج عمر المتوكي، وقد كان استناب ما شاء الله القائد عبد الملك خليفة عنه في تارودانت ثم ورد بنفسه إليها وذلك من حدود 1290 هـ إلى نحو 1295 هـ.

ثم القائد الجيلاني البخاري.

ثم القائد بومعيز 1299 هـ.

ثم الباشا الراشدي.

ثم الباشا محمد بن بوشتا ابن البغدادي الذي اشتهر بعد هذا الحين بكثير في فاس، وقد كان استخلف هناك أخاه السيد الحسين.

ثم الباشا حمو الذي نفاه الوزير أحمد بن موسى من مكناس إلى تارودانت فكان ذا سطوة كبيرة. شديد الوطأة على قبائل رأس الوادي إلى هوارة ولا تزال القوافل متتابعة إلى مطبق السويرة بمساجين هوارة، وقد توفي في المحرم 1318 هـ، فدفن في ضريح (سيدي أوسيدي).

ثم الباشا حيدة البرحيلي، إلى أن أجلاه عن المدينة القائد أحمد بن علي المشهور بالكابا، كان رئيساً على السجن أولاً، وهو من عبيد البخاري فملك المدينة بالقوة فدام إلى أن كان باشا رسمياً 1324 هـ، إلى 1330 هـ. وقد شارك في ثورة الشيخ أحمد الهيبة، ثم صاحبه إلى مراكش ثم تأخر عنه قليلاً، فجاء على نية إخراجه من تارودانت ففتك به فتاك قبيلة (إدا وزال) في قرية تسمى (إفرض) يوم الأحد ثاني شوال 1330 هـ، ونهبوا كل ما له من أثقال وبغال وأموال، ومحل قتله لا يزال معلوماً، كما احتوش الأعراب دياره في تارودانت، وقد أوتي برأسه إلى (ردانة) فعلق في ساحة (أساراكْ) ما شاء الله،

إلى أن سرق ليلة الأحد 1 - 11 - 1330 هـ فبقي الهيبة في تارودانت وقد عين باشا على المدينة القائد محمد حميدان الهواري إلى أن انهزم الهيبة من المدينة أمام زحف جيش حكومي يرأسه الحاج التهامي الكلاوي، وذلك في ليلة السبت 17 جمادى الثانية عام 1331 هـ، فتولى القائد حيدة ثانياً، وقد كان يحارب الشيخ الهيبة منذ احتل المدينة إثر رجوعه من مراكش بعد انهزام الهيبة منها، وقد كان الباشا حيدة ذهب إلى مراكش على رأس محلته، وبعد مغادرة الهيبة رودانة، تولى هو باشويتها وعلى كل قبائل راس الوادي وهوارة، وقد احتلها في أواخر ربيع الثاني عام 1332 هـ، ثم تجاوز هوارة إلى هشتوكة ثم إلى تيزنيت زاحفاً وراء الهيبة وأصحابه مرتين هلك في الأخيرة منهما في 13 ربيع الأول عام 1335 هـ، ثم تولى ولده الحاج حماد، وقد استولى على كل رأس الوادي وعلى هوارة كأبيه، وبعض قبائل الجبل وراء تيييوت إلى أن نفته الحكومة إلى مراكش وعزلته عزلاً رسمياً في 21 ذي الحجة 1345 ثم ولده القائد عمر بن حماد بن حيدة إلى أن اعتزل بنفسه استعفاء يوم الأربعاء 22 - 11 - 1350 هـ، فطوى (آل حيدة) وطارت أموالهم إلى أن احتاج من بقي حيا منهم غاية الاحتياج، ثم تولى باشوية تارودانت الأديب محمد بن عبد الله البيضاوي الصحراوي، ولا يزال هو الباشا إلى الآن، وقد زيدت له (المنابهة) على المدينة بعد زوال القائد الصبان في ربيع الأول عام 1355 هـ.

هذا مجمل الرؤساء المخزنيين الحكوميين في مدينة تارودانت، ويكون رؤساء القبائل تحت نفوذهم، ولا يكونون إلا شيوخاً، وقد عين المولى الحسن على قبائلهم قواداً في عام 1299 هـ.

وصف (تارودانت) وبعض أخبارها:

يظلم هذه المدينة من مر بها مرور الطيف بقلب العاشق، وقد أغبرت ثيابه من غبارها، وامتلأت نعاله بتراب أزقتها، ثم لم ير منها إلا ذلك، فإن المدن بمواقعها الخارجية، وبمناظرها وبجوها، لا بهندام بناآتها، ولا بترصيف طرقها، ولا بتفكير أهلها، لأن هذه يمكن إحداثها بعد أن لم تكن، بخلاف حسن المنظر، وجمال الموقع، وصفاء الجو، فإنها إن أعوزت لا يمكن

إحداثها ولا استجلابها من بعيد، فقد كنت هذه المرة في هذه المدينة العتيقة زهاء نصف شهر، وخالطت الطبقة البارزة من سكانها، وعرفت ما يمكن أن يعرفه مثلي في مثل ذلك الزمن عن الطبقات الأخرى، فتبين لي أن تارودانت بنت مراكش القديمة في جميع نواحيها، فمن عرف مراكش سنة 1340 هـ، لا يكاد يرى تارودانت عام 1364 هـ، حتى يتذكرها، وتتجلى أمامه مراكش ذلك العهد، فلا ريب أن مراكش إذ ذاك في همود وخمود، وبعد عن كل تفكير، تضاءل فيها درس العلوم حتى خيف على اندراسها فيها. وكانت مغبرة الطرقات، لا يزال الماشي فيها بين غبار ثائر يسد خياشيمه، ويجعل ثيابه ونعاله دكناء، وبين طين لازب كثير الزلق إن نزلت أمطار، ولا ينسى قط من اضطر إلى المشي فيها ليلاً وقت نزول الأمطار حين يضطر إلى خوض الظلمة والخضخضة في الحمإ المسنون، إن يستنكر كل ما في داخلها من مستنكر، من جدران منشقة، ومن تراكم الناس على أطراف الجدران يتقمعون ويمضون الوقت في المسامرة بالخرافات، فإنه لا يكاد أن يخرج إلى خارج السور أو يعلو على شرفه، حتى يمحو ما تركته تلك الحالة الداخلية في نفسه، بما يشاهده من مناظر خلابة، وموقع يعز نظيره، وجو صاف يترقرق فيه ماء الحياة، فهكذا كانت مراكش إذ ذاك قبل أن تخالطها المدنية الحديثة بترصيف الطرق، وإجادة الملبس، والسمو في التفكير، فعلى هذا الآن تارودانت سواء بسواء، فإن الداخل إليها لا يرى في الغالب إلا ما كان يراه في مراكش إذ ذاك ولا تزال آثاره إلى الآن في حومة (سيدي أيوب) و(الموقف) و(القصبة) فمنتزه أهل مدينة تارودانت وملتقاهم في العشايا هو ساحة (أساراگ) وهو أشبه شيء بجامع الفنا مصغراً يتجلى فيه غرام الشباب الغفل بتلك الملاعب الساذجة، وتظهر فيه تلك الوجوه التي تغلب عليها السمرة، وربما يعلوها السواد التام، فإن مشيت من أساراگ إلى جهة الجامع الكبير، فإنك تمر بحدادين فقراء، وبمحترفين يزجون أوقاتهم بما يزاولونه، وإن كانت تلك الحرف اليوم لا تكاد تدر عليهم ما كاد سلفهم ألفوه منها أمس، وكذلك إن دخلت إلى الأسواق الأخرى، فإنك تشاهد الخمول المراكشي القديم، والقناعة المتجسمة، ويعلو الياس صفحات الوجوه القاتمة، وقد حضرت يوماً في سوق الدلالة للمتاع القديم في وسط النهار،

فشاهدت كل ما أعرفه في مراكش القديمة، وقد كانت الحرف المتنوعة معروفة في المدينة، كالحياكة والدباغة والخرازة والنعالة، فضلاً عن البناءة والنجارة، ولكن ذلك كله كاد الزمان يأتي عليه لولا بعض حياة عادت تدب بعدما سدت هذه الحرب الضروس الأبواب ضد ما يستورد من الخارج، فانتعشت الحياكة، فكان لها في المدينة الآن على ما حكي لي 21 منوالاً (آلة الحياكة)، وكذلك صارت النعالة في تقدم ما بسبب غلاء النعال الفاسية والمراكشية، وسكان المدينة الآن اثنا عشر ألف نسمة، وألفان في أرباضها (كالزيدانية) و(بوتاريالت) خارج السور، والسور دائر على المدينة بما فيها من البساتين المتسعة الفيحاء، وقد استدارت هذه البساتين داخل السور بغالب المدينة، وقد طلعت فوقه فتراءى لي أن البناء لا يملأ مما استدار عليه السور إلا نحو السبع أو الثمن، وثروة تارودانت لا تتكون من التجارة، بل تدور على الفلاحة وامتلاك بساتين الزيتون، فإن كبار المثرين فيها إنما هم أصحاب بساتين الزياتين، وقد زعم بعض من يعرف أهل المدينة، أن الأغنياء فيها الآن يناهزون مائة، وأكثرهم مالاً شريف مسن عزب يسمى مولاي أبا بكر من الشرفاء العلويين، له بساتين متسعة، وأراض فيحاء ومال وافر، وهو لا يعرف إلا أن يستغل أملاكه، ثم إن الأوراق المالية المتحصلة له من ذلك يلمها بخيوط، ثم يلقيها في نواحي الدار كيفما تيسر، ولا يدخل داره أحد سواه، وحتى ولده مولاي علي الذي يقطن الآن في سلا لا يأذن له في الدخول إليها متى ورد لصلة الرحم معه.

وقد ذكر لي اليوم أن كل هؤلاء المثرين، من أصحاب الفكرة القديمة الذين لا يعرفون الإنفاق على المصالح العامة، ولا وضع الأموال حيث تدر عليهم أرباحاً بل كل همهم في طحن الزيت في معاصرهم الخاصة، وهي معاصر أهلية قديمة قل من لا يملكها من أغنيائهم، ثم جمع الدراهم ملمومة، ثم انتظار غلة أخرى وهكذا دواليك[1]، وهناك أثرياء جدد استغنوا من التجارة

(1) أقول أن هذه الحالة صارت تتبدل في الرودانيين، فقد ظهر أنهم أكرم الناس وأكثرهم إنفاقاً في المصالح العامة، فهذا الشريف مولاي علي بن مولاي أبي بكر المذكورين، والفاضل السيد الحاج العربي بن حماد خاي وآخرون غيرهما، أظهروا غاية الكرم =

في أيام هذه الحرب، أعرف منهم تاجراً جبلياً كان ممن يناوئ الحكومة في بلده، ثم وشى به بعض أهل بلده بذلك يوم احتلت قبيلته، فنفته الحكومة إلى تارودانت ثم لم ينشب أن طابت له وطابوا لها كأبي نواس ونصيبين.

طابت نصيبين لي يوماً وطبت لها يا ليت حظي من الدنيا نصيبين

فقد زاول التجارة فنجح وأدرك ثروة كبيرة، وكان من كرماء المدينة، لا يكاد يسمع بورود ذي شهرة إليها حتى يستدعيه لمنزله ويقيم له حفلة، وإن كان حظ الأجانب من هذه الحفلات أوفر، وله أراض للفلاحة وزياتين كثيرة، فكان من التجار الفلاحين، وهناك من الأثرياء الجدد السيد الحسين الدمناتي، الذي هو أكبر مثر هناك على الإطلاق، لما يملكه من الهكتارات الفيحاء التي ذكر أنها تنيف على ثلاثين ألف هكتار، وهو عصري من آخر طراز، عصري بفكرته وببزته، وبخلقه، وبمخالطته الأجانب، وهو موطأ الأكناف، يرجى منه خير لأمته في المستقبل، لأن أمثاله قليلون، فلئن صح ما تقدم من أن في تارودانت زهاء المائة من الأغنياء، فإنها بالنسبة إلى (مراكش) أغنى، فإن سكان (مراكش) يناهزون مائتي ألف نسمة او يزيدون، وسكان تارودانت اثنا عشر ألف نسمة، وقد كانت الجمعية الخيرية تتبعت أغنياء مراكش من المسلمين الذين يستطيعون إعانتها بعدد من الفرنكات سنوياً، فلم يستتموا خمسمائة إلا بعد عد كل القواد الخارجيين الذين يملكون دياراً في المدينة، وذلك عام 1355 هـ فإن نحو المائة من الأغنياء في اثني عشر ألف نسمة، أعظم بالنسبة لخمسمائة بين مائتي ألف نسمة، فليعتبر ذلك العادون.

وليعلم أن العادة القديمة في المغرب حتى في مراكش وتارودانت، هي عدم التظاهر بالثروة والغنى، فقد يمر الغريب بمثر كبير فيجده في زي حقير، وفي تواضع عجيب، فيظنه فقيراً وقيراً، وربما كان من يظن به أنه فقير أكبر مثر في المدينة أو في القرية، ولهذا لا يغتر المار بتارودانت التي لا تزال على

= والسخاء يوم أسس عندهم المعهد الديني، بل ليس في أهل المدينة كلها من لم يقم نحو هذا المعهد بعمل يشكر عليه، بل يدفعون كلهم من أعشارهم للمعهد، فجزاهم الله خيراً، وكذلك تبدلت حالة المدينة فنظفت واعتنى أهلها بالمظاهر، لا في اللباس ولا في التأثيث.

الطراز القديم، إن شاهد عدم الاعتناء باللباس وبالمظاهر وبكل ما يلفت نظره مما يدل على الفاقة العامة المحيطة، فإن في وسط كل ذلك لثروة وغنى، إلا أنها تحت الأسمال مخبوءة (أقول أن الحالة تبدلت بعدما كتب ما تقدم).

ومساجد المدينة التي تصلى فيها الجمعة ثلاثة أحدها الجامع الكبير العتيق وهو قديم، وإنما جدده محمد الشيخ حين أعاد العمارة إلى هذه المدينة في القرن العاشر، وهو كبير وعليه طلاوة، وقد بلغ مني الأسف مبلغاً عظيماً عميقاً حين رأيته متشعثاً منشق الجدران، قد دعمته إدارة الأحباس بدعائم خشبية، وقد سمعت من بعض المطلعين أن ما أنفق على تلك الأخشاب التي دعم بها المسجد أكثر مما يستلزمه إصلاحه إصلاحاً تاماً، وسمعت أن إدارة الآثار عارضت في إصلاحه خوف أن يتغير عما هو عليه، وأياً كان، فإن هذه ثلمة في قلوب المؤمنين نطلب الله أن يهيئ إصلاحه عن قريب[1]، وفي الصف الأخير من الصفوف الشرقية منه مخطوط بالجبص يؤذن بأن السلطان مولاي رشيد العلوي هو الذي بنى ذلك الصف بقبابه المرتفعة، وقد وجدت مقيداً بيد أحد العلماء التمليين المعاصرين للسلطان المذكور، إنه لما هدم مسجد (إيليغ) نقل مصاريع أبوابه إلى هذا المسجد وفي المسجد، صومعة عالية طلعت إليها فرأيت المناظر الخلابة في المدينة وفي خارجها وقد استبان كل ذلك البسيط من جميع الجوانب إلى الجبال البعيدة، وقد كان المسجد حين بناه محمد الشيخ مشيداً خير تشييد مزوقاً بالجبص في كل أقواسه وفي جدرانه كما لا تزال البواقي تدل عليه إلى الآن لمن أمعن فيه النظر، والحاصل أنه مسجد كبير من المساجد الكبرى، وهو أوسع من مسجد (باب دكالة) بمراكش ومن مسجد (المواسين) بها.

والمسجد الثاني هو مسجد (سيدي أوسيدي) وهو صغير تقام فيه الجمعة أيضاً، ويقول بعضهم أنه أقدم من الجامع الكبير، إلا أن ذلك ليس بشيء على ما قاله بعض من يظن بهم الاطلاع، إلا أنه أقدم على كل حال من القرن العاشر، وصاحب المشهد من أهل أواخر القرن السادس. مترجم في كتاب (التشوف).

(1) قد استجيب الدعاء فأصلح المسجد غاية الإصلاح على يد الأحباس.

والمسجد الثالث هو مسجد (مفرق الأحباب) ويظهر أنه إنما حدث في زمان تجديد المدينة في عهد محمد الشيخ، وإنما سمي مفرق الأحباب، لأن ذلك المكان كان أناس من الصالحين كسيدي أحمد بن موسى ونظرائه الذين عاصروه تفرقوا فيه بعدما اجتمعوا، فسمي المكان بذلك، وهو مسجد واسع، حسن الهندام، أصلحته إدارة الأحباس أخيراً إصلاحاً تاماً، فكان له رونق جديد.

تلك هي المساجد التي تقام فيها الجمعة، وأما المساجد الصغرى المنبثة في المدينة وفي أحيائها، فقد أخبرت أنها أنافت على الأربعين، وغالبها ساذج، على عادة مساجد القرى، ولم يظهر للأحباس أثر في إصلاحها، مع أن دخل الأحباس في تارودانت يفيض فيضاً من البساتين، ومن دكاكين الأسواق، حتى أن غالب البساتين هناك للأحباس، ومن العجيب أني مررت هناك بأناس جلسوا أمام باب من أبواب مسجد مفرق الأحباب يجمعون من الناس ما تسمح به نفوسهم، فسألت عن ذلك، فقيل لي أنهم يريدون إصلاح المجرى من دار الوضوء للمسجد، ثم قيل لي أن الناس اليوم حين يئسوا من إدارة الأحباس، صاروا يقومون بمصالح مساجدهم، فيجمعون ما يشترون به الحطب لتسخين مياه الوضوء في كل وقت صلاة، لأن متوضآت المدينة سارت مسير القرى السوسية التي يسخن فيها الماء للوضوء في كل وقت صلاة، كما كان ذلك معتاداً في السويرة أيضاً، قالوا وبذلك تسنى للناس أن يصلوا في المساجد، ومما لاحظته أيضاً أن الجمع قد يعوز فيها من يخطب مع وجود من يصلحون لذلك، فلما سألت عن السبب قيل لي أن ذلك من قلة ما أرصدته إدارة الأحباس للخطبة، فقلت، إذا ظهر السبب، بطل العجب، ولعل هذا الحال يتبدل عن قريب.

وأما الزوايا فإنها متعددة، ولم أر منها إلا الأحمدية، فإنها كبيرة فيحاء، وزاد فيها ونمقها وأصلحها القائد السيد محمد بن إبراهيم التيبوتي، وهناك أخرى صغيرة للأحمديين أيضاً في (درب الخياطيين) كانت قبل لأصحاب (دلائل الخيرات) ثم صارت لهؤلاء، وهناك أيضاً الزاوية الدرقاوية في درب الجزارة حول (أساراگ)، وزاوية سيدي حسين الشرحبيلي الناصرية.

وغالب بناء المدينة كان على الطراز القديم، جدران واطئة، وأزقة ضيقة منعرجة، والغبار يتناثر من جوانب الأزقة والدروب (وقد تبدلت الحالة بعد هذا الوقت فاكتست المدينة حلة أخرى).

وأما حالة التعليم في المدينة فمؤسفة، فإن التعليم الإسلامي يكاد ينقرض، فلا دروس علمية إلا صبابة قليلة جداً، ولا كتاتيب للقرآن مجدية، وقد صارت الحكومة تحتم على كل تلميذ تلميذ في الكتاتيب القرآنية، أن يلتحق بتعليمها الجديد مرغماً، فضاعت الأوقات بين الكتاتيب والمدرسة، ولم يستفد التلاميذ لا من هذه ولا من تلك، هكذا يقول الأهالي، ولم أر ولم أسمع مدينة وقع فيها مثل ذلك، ولعل الحكومة تريد للناس الإقدام على التعليم الجديد، فيأبى الناس ذلك لسذاجتهم، ولجهلهم بفائدة التعليم الجديد، فأكثروا التشكي، ولا ينصحون لأبنائهم بالاجتهاد، ولعل العذر لهم في ذلك أن كل من نشأوا النشأة الجديدة يصير غالباً على حالة غير مرضية، خارجاً عن نطاق الدين وربقة الحياء، وقد قيل لي أن المعاقرة لبنت الحان فشت هناك في غالب الديار بعدما تولى فلان وفلان، ممن يبعد أن يصل بهم الإسفاف إلى هذه الحال المخزية بسرعة، وهكذا دخلت على تارودانت أدران المدنية الحديثة دون منافعها، ولله الأمر من قبل ومن بعد[1]، وهناك مدرسة ابتدائية كبرى.

وللمدينة خمسة أبواب:

باب القصبة.

وباب تارغونت.

وباب أولا بونونة.

وباب الخميس.

(1) هذا ما كان مكتوباً إذ ذاك، لكن حالتنا اليوم في زمن الاستقلال أفظع، فهناك انتشار الخمور في كل المراكز السوسية علانية، ففي تافراوت وفي ايت ملول وإزاء ماسة وأمثالها، دكاكين يباع فيها ما يباع وليس هناك إلا الأهالي، وأما تزنيت وتارودانت وانزكان، فحدث عن البحر ولا حرج، وهذا أمر عظيم لا صبر معه، وقد بلغ ذلك من المسلمين مبلغاً عظيماً. وإلى الله وحده المشتكى.

وباب الزوركان.

وأحدثت أبواب جدد أخرى في السور بين باب القصبة وباب الخميس.

وقد أطلقت الكهرباء في المدينة لأول مرة يوم الجمعة 28 ربيع الثاني عام 1353 هـ، ويشق المدينة ساقيتان كبيرتان تسمى إحداهما (تافلاكت) والأخرى (تاملالت) وهناك نزلان حديثان فيما أعرف، أولهما نزل على الطراز الأهلي، كان الحاج حماد بن حيدة بن مايس بناه في عهده، ثم تدوول بالبيع على أن ملكه الباشا الشنكيطي، وهو في أساراك، والثاني على الطراز الأهلي أيضاً، كان روضاً للقائد أحمد بن علي الكابا، وقد وجدناه متشعثاً لا يؤبه له بعد أن كان هو النزل الأوربي الوحيد الذي ينزل فيه السياح قبل هذه الحرب الزبون، وفيه حدائق ومنظر وموضع جميل وقد كان الكابا بناه في عهده.

وأفضل ما يزوره السائح هناك، هو (دار البارود) التي بناها الباشا الحاج حماد بن حيدة، فقد استفرغ فيها كل ما في وسعه، واستخدم في إشادتها عملة القبائل التي تحت حكمه من غير شفقة، كما أنه استورد لها من الزليج العالي المتنوع، ومن الصناع الحضريين ما كان به القصر الفخم آية (تارودانت) الفدة، وقد كان الكابا هو الذي ابتدأ البناء هناك فوق أكمة في وسط القصر، كانت تجمعت من بقايا ما يصنع منه البارود، فقد حكى لي القاضي أن عهده بالجدران فوق الأكمة الصغيرة وقد وصلت نحو ذراعين أيام الشيخ أحمد الهيبة عام 1330 هـ، ثم استتم كل ذلك الحاج حماد، فكان ما فوق التل هو قلب القصر، وحواليه روضان أنيقان، كل واحد منهما على رونق اختص به، ولما أفلت دولته وبيعت أملاكه، اشترى السيد الحسين الدمناتي وأوربي مثر يسمى (جيرمان) ذلك القصر من شركة (الساتيام)، فقسماه شق الأبلمة، فسكن كل واحد منهما في نصيبه وقد أقام لنا الدمناتي مأدبة غداء، وبعده درت في كل القسم الذي كان نصيبه، فرأيت روضاً أريضاً متسعاً جالت فيه اليد الحضرية المغربية الصناع جولتها، وقد هيأ صاحبه الجديد في غرفه العليا والسفلى أسرة للنوم، وفي كل غرفة ما يلزمها ما يحتاج إليه الإنسان، من بيت الاستراحة ومن الحمام، ومغاسل الوجوه، وكل ذلك على طراز أوربي، والطنافس الغالية

مفروشة في كل الغرف، وأحسب أن الغرف المهيأة هكذا تناهز العشر، ثم طلعنا إلى القبة التي فوق الأكمة، وهي فسيحة لها سقف مقوس مرونق، وفي مقابلتها قبة أخرى على طرازها، كانت من نصيب الأوربي الشريك الآخر، ثم رأيت بهو الاستقبال وراء الممر، يسير فيه الداخل من الباب الخارجي، فكان بهواً جامعاً للعظمة، وقد أثثه صاحبه الجديد تأثيثاً أوربياً، ولم يفتنا من هذا القسم إلا دار النساء فقط، ثم بعد ذلك جلنا يوماً آخر في القسم الآخر الذي في يد الأوربى (جيرمان) ولم يكن فيه إلا حارسه، فوجدناه قد اقتلع كل زليجه الغالي وزلجه بزليج ساذج، كما أنه غطى كل ما في الجدران من نقوش عالية بالجبص فأفسد ذلك القسم بما فعل، ولم يترك فيه إلا بقايا تدل على تلك النقوش لتكون نموذجاً فكان ذلك آية الفن، وهذا الروض أوسع مما عند الدمناتي وأفيح بكثير، وله منظر أخاذ، وقد افعوعمت حياضه بالأشجار المتنوعة المنسقة أحسن تنسيق، وقد دخلنا المطبخ فوجدنا من سعته ما يثير العجب، وذهب ذلك الأوربي فيما فعل إلى ما يوافق ذوق أبناء جنسه، وللناس فيما يعشقون مذاهب، وفي وسط الروض قبة مربعة لها سقف يستوقف الأبصار، وهو مما لا يمكن لهذا الأوربي أن يعبث به، فحافظ على رونقه، والزليج الذي أزيل من هذه الرياض هو الذي وضعه الباشا الشنڭيطي في داره الجديدة، وهو على لون غير لون ما في الروض الآخر الذي عند الدمناتي، ويتلو (دار البارود) هذه في الجمال والرونق، دار الشنڭيطي على صغرها، ولكن لها رونق آخر، خصوصاً عند مدخلها الذي تبدو فوقه قبيبة صغيرة عليها قرمود أخضر، كسا واجهة الدار بهاء وحسناً ورواء، ولم يستتم الباشا هذه الدار إلا نحو عام 1360 هـ، فأقام فيها حفلة أبيح فيها كل شيء، واختلط الحابل بالنابل، وأفاض الكريم الشنڭيطي من كرمه ما أصدر كل الذين استدعاهم الجفلى، وقد حضر في الحفلة كل القواد الرأسلواديين وحكام (أڭادير) و(تيزنيت) و(رودانة).

وبالجملة، أن تارودانت لو اعتني بها كما يعتنى بالمدن، لكانت مدينة حضرية جميلة، لحسن موقعها ولجمال مناظرها، ولوفرة المياه فيها، وهي التي تسمى من قديم (بنت الشام) ولعل ذلك يكون عن قريب، حتى ما يعتاد بعد

إعلان الحماية من بناء مدن جديدة إزاء المدن القديمة، لم تحظ به هذه المدينة، وإن كان محل المدينة الجديدة عين محلها الآن، وفيه زيادة قليلة، وقد ذكر لي أنه استخرج من هناك آثار قديمة تدل على أن البناء كان هناك، ولا ريب أن تارودانت من المدن التي وجدها الإسلام، وأنها بنيت في عهد الرومانيين، والرومانيون وإن لم يكن لهم حكم مباشر فيما وراء (شالة) كما صح من تورايخهم، فإن الأهالي لا بد أن يتشبهوا بهم، وأن يكون حكام ذلك الخط تحت حمايتهم معنوياً - على الأقل - وقد ساد حيناً في بعض هذه النواحي دين الرومانيين، وقد سمعت بعضهم يقول أن اسم فرايجة، القرية المعروفة حول تارودانت، مأخوذ من اسم أحد الآلهة الرومانيين، وقد ذكر لي أن بعض الباحثين وقع على أشياء عدملية تنفع الباحثين مثلي، لكن لم يتيسر لي أن ألقاه، بل ذكر بعض الباحثين من الأجانب القاطنين في هذه المدينة، أن الرومانيين احتلوا أحياناً تارودانت وذبحوا كل أهلها أربع مرات عن آخرهم، ثم أتوا بسكان الجبال لعمارتها من جديد، ولكن لا يكاد يمر القرن على عمارتها الجديدة حتى تثور على الرومانيين، فيعيدون كرة الذبح، هكذا حكى ثقة عن ذلك الأجنبي، ولم يذكر المصدر التاريخي الذي استقى منه ذلك، وقد ذكر الزياني - فيما استحضر - أنها بنيت بأيدي أهالي تلك الجهة، وأياً كان فإنها، موجودة قبل الإسلام.

وسور تارودانت الحالي ذكر لي أنه من بناء أولاد مولاي إسماعيل بعد اعتقالهم لأخيهم محمد العالم، و(الزيدانية) قصبة لا يزال سورها ماثلاً، هي منزل زيدان بن إسماعيل، لما حاصر أخاه المذكور في المدينة، وسور المدينة كسور مراكش سواء بسواء، وقد دب إليه الدثور أيضاً، وقد ذكر لي أن بعض الحكام رمم بعضه قبل سنين لكنه لم يستتمه، (وهناك الدار البيضاء) بناها أحد أبناء الملك سيدي محمد بن عبد الله، وقد كان خليفة لأبيه هنا، وفي ديوان الأديب البوزيوي - غير الفقيه الهوزيوي قصائد كثرة يشيد فيها ببنائها، وهذا الديوان اكتشفه أبو المزايا الكتاني من (تامكروت).

كان مثواي وأنا هناك في دار القاضي إزاء جامع مفرق الأحباب، فكنا في غالب الأيام نتغدى عند من يستدعوننا، فممن كنا عنده، الشريف المثري حاتم

تارودانت السيد الحاج مبارك بن علي المناني التيمدويني[1]، والسيد الحسين الدمناتي المتقدم، وهو ليس بروداني، وإنما طرأ عليها، وسكن بعد أن اشترى ذلك القصر، وله شهرة كبرى اليوم بين أثرياء المغرب ورؤسائه، وعند أرباب السلطة من الملك فمن دونه، وهو دمث الأخلاق إلى الغاية، كما كنا عند آخرين، وقد زرت الفقيه الأديب سيدي أحمد بن القاضي سيدي موسى مراراً، ولكن لم يتيسر لي أن أرى خزانته لكونها وسط الدار بين العيال، وإنما رأيت عنده كنانيش، كما زرت بصحبة القاضي أيضاً الباشا الشنكْيطي فلم نصادفه، ثم استدعاني بعدما علم بمجيئنا فذهبت إليه بتحية أديب إلى أديب، وهي هذه القصيدة التي تذكر على علاتها، وما قلت القصيدة إلا افتتاحاً للجو الأدبي، لا أنني عن الصبوح أرقق، (وما قلت إلا بالذي علمت سعد):

بشرى فقد نلت يومي منتهى أربي شاهدت عن كثب صيابة العرب[2]

شاهدت منك ابن إسماعيل يطفح في هذي المدينة بالعرفان والأدب[3]

قد كنت تمتع آذاني، فذا بصري والحمد لله في الإمتاع عن كثب

فكر وعلم وآداب خصصت بها في اليوم لله ما أوتيت من رتب

قد حزت مجداً فريداً لا يشابهه

مجد (وفي الخمر معنى ليس في العنب)[4]

جئت السيادة من باب السيادة لا من باب جمع كنوز الورق والذهب

زنت الرئاسة لا ان الرئاسة قد

زانتك، فالحسن في الأزهار لا القضب

(1) مات بانقلاب سيارة في (وادي نفيس) حوالي 1368 هـ، والدمناتي مات في (البيضاء) نحو مفتتح 1381 هـ.

(2) صيابة العرب، بضم الصاد وتشديد الياء، خلاصتهم.

(3) قصدت محمد بن المولى إسماعيل الذي له ذكر بين أدباء (تارودانت) حيث كان خليفة لأبيه فيها، راجع (الجزء الثامن عشر) من (المعسول).

(4) أصل هذا الشطر: (فإن في الخمر معنى ليس في العنب) للمتنبي.

شـاركـت (روسـو) وشـاركـت الـفـرزدق فـي
قـولـيـهـمـا بـلـسـان مـفـصـح ذرب[1]

فجئت فذا عن الأقران منفرداً فأنت كالرأس والأقران كالذنب
فقر عيناً بمجد لا تشاركه شهادة من أخ في العلم لا لأب
دم للرياسة دم للعدل تنشره دم للبلاغة دم للدرس والكتب

ومن النازلين برودانة اليوم الأديب عبد السلام بن الشيخ مفتاح الصحراوي فقد قال في مغنية اسمها (منينا):

ظلت على طرب منها تغنينا بعد التكدر ذات الحسن منينا
بمزهر أقصرت عن شأو رنته في سالف العهد آلات المغنينا
تلك المسرة راح من شمائلها تميتنا تارة سكراً وتحيينا
يديرها رشأ نسقي لرؤيته أضعاف ما من شهي الراح يسقينا

المنابهة:

كنت مررت في السفرة التي قبل هذه بقبيلة المنابهة ولم أقض منها وطري فأردت أن أقضي اليوم بعض ما فاتني إذ ذاك.

كان يرأس قبيلة (المنابهة) شيوخ تحت نظر قواد (تارودانت) وهي قبيلة غير كثيرة، وسكانها الآن نحو سبعة عشر ألف نسمة، وفي عام 1299 هـ أحدث السلطان مولاي الحسن القيادة على قبائل (سوس) فعين على (المنابهة) القائد محمد الشباني، فبقي في قيادتها إلى أن تمكن الوزير أحمد بن موسى في أول الدولة العزيزية، فطلع كل القواد الذين حوالي (تارودانت) إلى (مراكش) وقد نيفوا على عشرين من بينهم الشباني هذا، فاعتقلوا بحجة أنهم تعدوا على الناس حتى ثارت عليهم العامة، وقد كانت الثورة حقيقية بعد موت مولاي الحسن آخر عام 1311 هـ، وقد كان حيدة بن مايس شيخاً تحت يد القائد محمد

(1) كان المخاطب ممن أتقن اللغة الفرنسية التي هي لغة الأديب الكبير (جان جاك روسو) الفرنسي.

الشباني صهره، فقد تزوج حيدة من آل الشباني، فإبنه الحاج حماد سبط الشبانيين، فحين ثارت المنابهة على الشباني جلا عن داره، وهي في (تامازت) إلى مشهد سيدي عمرو بن هارون بـ(وامسلاخت) ثم أوى إلى (إيرازان) فسكنها، وقد كان أرسل ذبيحة إلى صهره حيدة يوم ثار الناس عليه، فوقف معه حيدة حتى أسعفته (المنابهة) إن يسكن في المخاتر في القبيلة، وقيل أنه لم ينفعه بشيء، ثم طلع مع القواد، فاعتقل معهم، فأرسل السلطان من يفتشون عن السبب الذي من أجله ثارت الثائرة بين القبائل وبين قوادهم، فكانوا في جمعهم متوافرين، فسألهم المندوب عن السلطان عما بينهم وبين عمالهم، فابتدر أحمد بن مالك، فقال: إننا لا نريد القواد، ولكن السلطان إن أرسل إلينا حتى أمة من عنده فإننا نقبلها، فكان ذلك هو السبب في مجيء الباشا حمو، وسمعت أن القائد الشباني رجع فهلك في داره، ثم تعين القائد حيدة شيخاً في عهد الباشا حمو على كل (المنابهة) وأصل أسرته من (أولاد دليم) فأمر أمره، واستولى وجمع وأثل، وقد كان حيدة مع الحاج إدريس قائد (أولاد يحيى) وبريك بن عيسى بن حماد ذهبوا في تلك الفترة إلى (مراكش) فرجعوا مع الباشا حمو، ولذلك كانت لهم الحظوة التامة، وقد لاحظته السعادة أيضاً فكان في (مراكش) يوم مات الباشا حمو، فعينه الوزير المنابهي على باشوية تارودانت فتلقاه الهواريون مرحبين به، فاستولى على هوارة وعلى المنابهة وعلى المدينة وفي عام 1321 هـ، ذهب إلى تازة على رأس جيشه في مقاومة الثائر أبي حمارة الجيلاني الزرهوني، وقد خلف ولده أحمد ينوب عنه، فثار عليه الناس حتى حاصروه في داره، ولكنه أحسن السياسة، ففرق الأموال، وداري وهادى حتى تيسرت الأمور، فلما جاء أبوه القائد حيدة عمد إلى كل من أخذوا من ولده مالاً فسجنهم حتى أدوا كل ما أخذوه، فبقي حيدة على المدينة وعلى المنابهة وكان يقطن في داره بأولاد برحيل إلى أن ثار القائد أحمد الكابا على خليفته صهره أحمد بن بيروك بهباز، فأخرجه منها واستقل بها، فبقي حيدة على المنابهة حتى ثار على الشيخ الهيبة عام 1330 هـ، وقد كانت حرب بين حيدة وبين الݣلاويين، ابتدأت في ثالث شوال عام 1328 هـ، وقد أرسل القائد المدني الݣلاوي خليفته باعتيل يحاول الاستيلاء على قبائل راس الوادي فقاومه

حيدة بحرب شديدة، وقد نزل الخليفة باعتيل في صنهاجة في بو مرو وهناك صنهاجة أخرى تضاف إلى ويسلسات، وكانت المعارك في تينكّيت وفي عين إيكيدا وتاغلامت، وقد كان القائد العربي الضارضوري مع الكّلاويين، وقد كان الكّلاويون، في (تاغلامت) فاقتحمها عليهم الشجاع البهمة أحمد ابن بوعزى ابن أخي القائد حيدة، فاعتقل منهم اثني عشر، ثم وضع الصلح بين الفريقين، ثم هجم حيدة على إيرازان في ثالث جمادى الأولى عام 1329 هـ، فانتهبها واستولى عليها، ثم تواعد هو والكّلاويون أن يوطئوا (هرغة) فجاءها حيدة منم إيرازان والكّلاويون من جهة (سكتانة) فالتقوا في مكنون ثم وطأوها فخلصت لحيدة، كما خلصت له أيضاً الرحالة ولم يسترجعها الضارضوري إلا في عام 1349 هـ، يوم زال حكم آل حيدة بالكلية.

وقد رفع القائد حيدة كما قلنا راية المقاومة للهيبة منذ نزل بتارودانت عام 1330 هـ، بعد أن كان هو كبير محلته في الذهاب إلى مراكش فوقعت وقائع عظيمة بين الفريقين، وقد كان حيدة يجذب إليه قواد راس الوادي واحداً فواحداً، وقد كان رؤساء تيييوت من أصهاره ولذلك وجد منهم عضدا كما وجده من غيرهم، فجمع الكلمة منهم على مقاومة الهيبة، فكانت واقعة عظيمة في يوم الأربعاء 15 محرم عام 1331 هـ، وكانت وقعة هائلة من قبل الزوال إلى مغرب الشمس، وقد اتسعت المعركة من (كدية سيدي ابن الرجاء) إلى البورة وأخرى يوم السبت 8 ربيع الأول عام 1331 هـ في أم الرحا، فهلك كثيرون من الفرسان والرجل، وأخرى يوم 4 ذي القعدة عام 1331 هـ، في باب تارغونت من أبواب مدينة تارودانت ومات فيها الشيخ محمد بن الكريني الهواري وكان جلا عن أهله الهواريين، وكان مع حيدة وشيعته[1] وقد جلا الهيبة عن المدينة ليلة السبت 17 جمادى الثانية عام 1331 هـ، بعدما مكث فيها 9 أشهر.

ثم بعد ذهاب الحاج التهامي الكلاوي صفا لحيدة الجو، فكان قطب

(1) أظن ان هذه الواقعة في ذي القعدة كانت بين حيدة والناجم، وقد ذكر في أخباره أنه رجع إلى حيدة حتى حاصره في تارودانت، راجع الجزء العشرين من المعسول.

الرحا، فصار يحارب هوارة حتى وطأها بعد ستة أشهر، ثم امتد حكمه إلى هشتوكة بطلب من الهشتوكيين، لما ألقى عليهم القائد ابن دحان كلكله، وكان دخول حيدة لهشتوكة يوم الاثنين 26 محرم عام 1333 هـ وتبع الهيبة الذي جلا عن أسرسيف ونزل حيدة في أربعاء أيت باها في 23 ربيع الأول عام 1333هـ، وفي هذا الوقت الذي شبت فيه الحرب العالمية الأولى فوضت الحكومة لحيدة في كل سوس، ولذلك ذهب قدماً في هذه السفرة حتى وصل الإخصاص فأهدى له الفقير مبارك أبو الطعام الرخاوي، فرجع إلى وجان ليطلع إلى كردوس إلا أنه دوفع دفاعاً شديداً، ثم صالح فرجع، ثم كر ثانياً إلى تلك الجهة ليوطئ آيات بعمران فرجع من تارودانت يوم السبت 27 صفر عام 1335 هـ يقود كل القواد السوسيين في جيش لجب، وعنجهية وعظمة، وقوة قل مثلها، فسقط قتيلاً صبحة يوم 13 ربيع الأول عام 1335 هـ، إزاء أكَّادير زكَّاغن والقضية مكتوبة بتفاصيلها في محل آخر. فهكذا هلك أعظم رجل في سوس إذ ذاك ثروة وسمعة وإيالة، وقد قطع رأسه ثم سرق من كردوس ودفن مع جثته في تيزنيت كما سمعنا، وقد أرخ القاضي سيدي موسى وفاة حيدة بقوله:

وقل لمن عن عام موته سأل في عام (قل شره) جاء الأجل

ثم خلفه ابنه الحاج حماد، إلا أنه ليس في مسلاخ أبيه ولا في ثباته، ولا في عقليته، فخاض في الأموال وفي الأعراض وفي الدماء، فيتظاهر بأنه أغنى الأغنياء، يدر على سواقط الأعراض ممن يجلبهن من الحواضر مئات الألوف، وكان زمر المروءة لا تكاد تذكر له حسنة كيفما كانت، وقد أراد أن يظهر في تارودانت بمظهر الحاج التهامي الكَّلاوي في (مراكش) وكانت قبائل غنية وأرض فيحاء تمده، فصار يخوض في الأموال، ولم تزل الحكومة تصابره، حتى لم يبق في قوس صبرها منزع فقررت عزله، وفي يوم الثلاثاء 21 من ذي الحجة عام 1345 هـ، استدعي لمشاهدة الأسطول النازل في أكادير كما استدعي غيره من القواد، فلما وصل أكَّادير أمر بالسفر في الحين إلى مراكش واعلم بأنه معزول منفي عن تارودانت فقطن مراكش فلم يترك لأولاده من أملاكه ولا من أمواله شيئاً، بل وضع يده على كل شيء فذهب بعضها في الديون التي عليه والباقي حسد فيه أولاده، فصار يطلق فيه أيدي اليهود

وأمثالهم حتى لم يبق منه سبد ولا لبد، حتى احتاج لعشاء ليلة، كما يحتاج كذلك أولاده وحتى عدم ما يسكن فيه بمراكش إلى أن سكن دويرة خربة في (باب الخميس) حيث يسكن فقراء الناس المدقعون، فلم يزل كذلك حتى توفي في طاعون مراكش في 12 شوال عام 1356 هـ وقد كان لا ينصح الحكومة ولا نفسه ولا أصحابه. وقد كان حضر أولاً مع القواد عام 1335 هـ، في الجيش الكبير الذي حاول فيه الأخذ بثأر والده، فرجع منه إلى تارودانت يوم الخميس 11 رجب 1335 وخاض كذلك حرباً أخرى في جهة (إيغرم) مع قبائل الجنوب اتباع مربيه ربه والقائد المدني يوم الأحد 14 صفر عام 1343 ثم وقع الصلح مع الفريقين وكان يعاقر ويدل بأنه أول من أعلن شرب الخمر في تارودانت وأنه أول من فتح هناك مخمرة، وكان من أكبر الحمقى مع تكبر وزهو غير متناهيين، وقد قال القاضي سيدي موسى لما وقع له ما وقع:

بينما الأحمق الجهول يرى النا ... س عبيداً له على الإطلاق
إذا رأى نفسه وقد رده الدهـ ... ـر لمركزه بالاستحقاق

ثم تولى بعده القائد عمر ابنه، وكان شاباً غراً، حاولت الحكومة إصلاحه إلا أن الأمر كما قال الشاعر:

ولا يصلح العطار ما أفسد الدهر

فقد كان ساذجاً نشأ في دلال، لا يعرف قبيلاً من دبير، مع عنجهية تثور فيه، وغلب عليه السكر ذات يوم، فقال لكاتبه اكتب للحكومة إنني أستعفي من هذا الأمر، فلم يسع الكاتب إلا إمضاء الأمر، فنفذ السهم، فلما استفاق ندم ندم أبي غبشان الذي باع مفاتيح الكعبة بزق من خمر، فتنفس الناس الصعداء فبقي القائد عمر منبوذاً فقيراً يريشه كل من يرق عليه بما يستطيع وقد رأيته في هذه السفرة في دار القائد محمد بن إبراهيم التيييوتي الذي كان شيخاً من شيوخ قيادتهم، فكان منظره هناك عبرة للمعتبرين والدنيا دول وتلك الأيام نداولها بين الناس، وللحاج حماد، غير عمر من الأولاد القائد محمد، كان مريضاً في فاس فتوفي هناك في ثاني ذي الحجة عام 1348 هـ، وقد جاء الخبر هذا اليوم إلى تارودانت وكذلك القائد عمر لم ينشب أن جاءنا خبر موته أيضاً.

وبعد القائد عمر، تولى على المنابهة القائد محمد بن الصبان في 17 من ربيع الأول عام 1349 هـ، كما تولى آخرون على إيالة آل حيدة الموزعة من ذلك اليوم، فلم يزل ابن الصبان هناك إلى أن نقلته الحكومة إلى قيادة قبيلة ݣدميوة بالحوز حيث لا يزال إلى الآن، ثم توفي بعد 1367 هـ في سنة لا أضبطها.

ثم تولى الباشا الشنݣيطي مكانه، وهو أديب من أدباء المغرب البارزين بل له ناحية انفرد بها. وولادته في بلدته المسماة جوك شنݣيط في الحادي عشر من جمادى الأولى عام 1311 هـ أخذ القرآن عن خاله محمد محمود البيضاوي، وهو عالم كبير كان مع الشيخ أحمد الهيبة، بعد هجرتهم من بلدهم إلى أن توفي في كردوس عام 1349 هـ، وقد أتقن حفظ القرآن عليه مبكراً هو ابن إحدى عشرة سنة، ثم دخل مراكش عام 1326 وفي عام 1327 هـ افتتح مبادئ الفنون على الشيخ محمد الأغضف، العلامة الورع المشهور بزم لسانه، فلا يذكر في مجلسه أحد، وكل من فاه في مجلسه بغيبة يرد عليه، فإن رجع فذاك، وإلا فإنه يقوم عنه، ولا يحترم أحداً حتى السلطان مولاي عبد الحفيظ الذي جعله من حاشيته ومن أساتذته، والذي كان يعتني به غاية الاعتناء، وكان يبكر بالصلاة في أول الوقت، ولا يدع ذلك مراعاة لأحد، توفي بمراكش في حدود 1330 هـ، أخذ عنه الباشا الشنݣيطي منثور الأخضري، ومنظومة ابن عاشر في الفقه، وكانت والدة المترجم السيدة خديجة بنت البيضاوي فقيهة عالمة مستحضرة للسيرة وللفنون، وكانت هاجرت أيضاً إلى مراكش، فأخذ عنها الأجرومية والهمزية والبردة وقرة الأبصار في السيرة النبوية، وقصائد أخرى من قصائد العرب الأولى، وكانت هذه السيدة عمدة ابنها هذا في العربية والنحو واللغة والسيرة، وقد تمكن عندها في هذه الفنون بسرعة فيما دون سنتين، وفي أواخر عام 1328 هـ. نزل بفاس. فصار يأخذ عن الشيخ محمد العاقب بن عبد الله، وعن محمد الأمين بن أحمد الواقف، وعن محمد الخضر ابن مايابي أخذ عنهم جميعاً (الاحمرار) في النحو والألفية لابن مالك وإضاءة الدجنة، ومنظومة التلخيص والسلم، والنصف الأول من مختصر خليل، وكان يحضر أيضاً على الشيخ سيدي أحمد بن الخياط درسه في المختصر، وعلى

الشيخ سيدي المهدي الوزاني في الأصول، وعن الأستاذ مولاي عبد الله الفضيلي رئيس المجلس العلمي اليوم، وعن الشيخ المحدث أبي شعيب الدكالي المقامات والمختصر وغيرهم، وفي عام 1331 هـ جاور بالأزهر الشريف بمصر، فأخذ هناك عن أجلة علمائه، وحين مر السلطان مولاي عبد الحفيظ المولع بالشناكْطة في طريقه إلى الحج، صاحبه صاحبنا هذا فأدى فريضته، ثم لم يزل في حاشيته في (طنجة) حتى غادرها إلى (إسبانية) ففارقه صاحبنا هذا ونزل (تطوان) فأخذ هناك أيضاً عن سيدي أحمد الزواق العالم التطواني الشهير منظومة ابن عاصم، ومقدمة جمع الجوامع، كما كان أخذ قبل وهو بـ(طنجة) عن الشيخ سيدي عبد الله السنوسي بلوغ المرام في الحديث، ثم تصدر للتدريس في (تطوان) كما كان تصدر له قبل في (طنجة) فلازم ذلك في (تطوان) زهاء خمس سنوات، فكان جل ناشئة (تطوان) إذ ذاك من الآخذين عنه، كما قال، ثم رجع إلى (طنجة) فكان فيها عدلاً ومدرساً، ثم لما انقضت الحرب، تيسر له أن يراجع المغرب فنزل في (بني ملال) ترجماناً رسمياً بعدما تعلم اللغة الفرنسية باجتهاده في (طنجة) وفي (تطوان) وكان دخوله إلى المغرب على يد السيد الحسين الزواوي الجزائري، وذلك في عام 1337 هـ، وبعد سنة تعين للتحرير العربي في جريدة (السعادة)، وفي عام 1339 هـ، تعين قاضياً في بني عمير إلى عام 1345 هـ، ثم تعين قاضياً في وادي زم إلى عام 1351 هـ، ثم بدا له أن يخرج من صف القضاة، فداخل السياسة، وكان مربيه ربه إذ ذاك في ولتيتة وكانت حكومة الرباط تحاول استمالته بلطف ليدخل هذا الجانب فيما دخل فيه كل جوانب المغرب، فتكفل به مترجمنا هذا لأن له به رحماً ومعرفة قديمة، ولذلك عين في تارودانت ليكون قريباً من مربيه ربه، وكان واعده يوماً للقاء في قرية أساكا في ناحية تيزنيت فجاء الشنكْيطي إلا أن الآخر لم يف بوعده، وقد كان من عادته أن ينفق بغير حساب، وقد كانت له حاشية متسعة، وأسرة كبيرة، فلم يكن يبقى على شيء، مع أنه كان يأخذ كيفما تيسر الأخذ، ولم يكن يرى أن ينافق ويرائي، بل كان يعلن حاله، ومن سأله هل يأخذ الرشوة عن الشرع الإسلامي، كان يجيبه عالي الصوت بأنه لا يزاول إلا الشرع الفرنسي وإلا فأين الإسلام وأين المسلمون وأين شرعهم، وقد لاقاه

ضيق في المعاش لما دخل تارودانت بالنسبة لما اعتاده في ولاياته الأولى، لما كان عليه من الاتساع في المعيشة، ومن السفر إلى فرنسة لقضاء أشهر الصيف فيها، فلم يغن عنه راتبه. ولا دخل أملاكه بوادي زم شيئاً في ذلك، فكان يستعين باكتراء أملاك الأحباس والأملاك المخزنية، فيحرثها ويبيع غلتها للاتساع بها في ذلك، فلما أضيفت إليه قبيلة المنابهة عام 1355 هـ اتسع دخله نسبياً بسببها، فكان قلما يلتفت إلى انتظار شيء من أهل رودانة وله الآن أملاك في المنابهة يفلح فيها، كما له دار كبرى بأولاد برحيل فيها روض كبير متسع، رأيته، من بقايا رياضات آل حيدة وله اليوم شفوف على كل القواد هناك، فإن كان التيييوتي والضارضوري وأمثالهما يفوقاته ثروة واتساع إيالة، فإن له التصدر دائماً بينهم لمكانته من باشوية المدينة، ولما له من العلم، وإتقان اللسانين، فضلاً عن الجرأة والإقدام اللذين هما جبلة في أهل شنگيط أينما كانوا.

ومجمل ترجمته أنه من العصاميين الذين أسسوا لأنفسهم مستقبلاً يتبحبحون فيه الوظائف العليا، ولو كان مصوناً مسعوداً في كل ناحية، كماصين وسعد في معلوماته، وفي تفوقه في الحياة لكان من الأفذاذ، وإن شغفه بالعلم لم ينقطع قط، فقد حدثني ثقة أنه لا يزال يعاني حفظ الأمهات، فكان وهو باشا في تارودانت يحفظ منظومة (مرتقى الوصول إلى علم الأصول) لابن عاصم، في الأصول، وكان مكباً على المطالعة وله يد في الأدب الفرنسي، كما له مثل ذلك في الأدب العربي، وله قصائد طنانة رصينة له في بعضها ابتكار للمعاني الفائقة، وقد كنت حرصت على أن أتوصل منه بمختار شعره لأسوقه هنا إلا أنه كلف أحد أولاده بذلك فلم يف بالوعد وشعره جمعه أولاده وحافظوا عليه.

ونسب الشنگيطي هو محمد البيضاوي بن سيدي عبد الله بن محمد بن سيدي ابن أمانة الله، بن الأمين، بن الحاج سيدي أحمد، بن محمد، بن الطالب علي بن محمد بن أيا بن الحبيب، بن سيدي عبد الله بن القاضي يوسف وهو الجد الأعلى، قال ان أهله يحافظون على أنسابهم ككل قبائل العرب هناك، فلا يمكن أن يدخل في نسبهم دخيل (كتبت ترجمته من إملائه).

كنت ركبت معه في سيارته نحو سوق الثلاثاء بالمنابهة ثم تغدينا عند صاحبنا القاضي سيدي محمد بن الحاج علي المذكور في (الرحلة الثالثة) وقد وجدناه أقام في ذلك اليوم حفلة خاصة للباشا وحكام تارودانت ثم في العشي وصلنا إلى قرية أولاد برحيل حيث دار القائد حيدة وهي قرية كبيرة تقام فيها الجمعة وقد شيدت فيها قصور آل حيدة بن مايس ببنائها الشاهق وأبراجها العالية وقد بيع بعضها لبعض المعمرين الأوربيين وقد دخلت إلى ساحات القصر الفيحاء فقرأت في نفسي قول الله تبارك وتعالى (فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا) ووجدت بعض ذلك ما يزال على رونقه وقد حكي لي أن القائد عمر ابن الحاج حماد ابن حيدة كان عند اشتداد الفاقة به يعمد إلى بعض مصاريع الأبواب فيبيعها (فيخربون بيوتهم بأيديهم) وقد حدثني خليفة هذا الباشا السيد الحاج حماد بن العربي بن حماد بن موسى بن الشيخ مبارك وهو ابن أخي الباشا حيدة أنه كان في وقت قيادة عمه لا يكاد يصبح في كل يوم حتى تمتلئ مسامعه بأصوات البنائين المشتغلين في كل جهة.

وكان الحاج حماد بن العربي هذا من أفاضل الناس ديناً ومروءة وعزوفاً عما كان فيه أهله فقد كان يألف الصلاة في الجماعة في المسجد وكان به عرج يتكئ من أجله على عصا قصيرة متينة فكانت علامة الفجر للمؤذن والإمام بمسجد أولاد برحيل أن يسمعا طرق باب المسجد بتلك العصا لا يحبسه عن ذلك شيء طول حياته وكان قد اتخذ من نفوذ أقاربه ذريعة يتقي بها الفتن لصيانة أملاكه وأمواله التي كان يستثمرها في التجارة، في أسواق ناحيته، وبينها وبين مراكش، فأغناه الله بذلك عن الحرام وحفظ عليه ماله على أن مات وخلفه لأولاده ولا نظن أنه قبل خلافة الباشا الشنگيطي إلا مرغماً لفناء طبقته ولسمعته الطيبة في قبيلته، وبالجملة فهو ممن ينبغي أن يعرفوا بكل خير.

وبقرية أولاد برحيل مسجد نقي نظيف واسع حسن البناء، إلا أن المدرسة العلمية القديمة إزاءه متلاشية من بناء قديم كأن حيدة الذي أصلح المسجد هكذا كان يعوزه ما يصلح به المدرسة، وقد وجدت أن أستاذ المدرسة إذ ذاك هو الشاب السيد الطاهر السكرادي صهر الباشا الشنگيطي على بنته، وتوجد

ترجمته بين أهله في المعسول[1] ومعه في هذه المدرسة ثلاثة من الطلبة فقط.

وقد زرت أصيل ذلك اليوم ضريح الشيخ سيدي حسين الشوشاوي، وهو عالم كبير مشهور بالتأليف والتدريس في القرن التاسع الهجري، قال فيه الحضيكي ما نصه:

حسين بن علي بن طلحة الركْراكْي البرحيلى الشوشاوي، صاحب "الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة" وغيرها، وكان رضي الله عنه من أولياء الله الصالحين، وعباده المتقين، والمشهورين بالعلم والدين، والمتبعين لسنة سيد المرسلين، صلى الله عليه وعلى أمته أجمعين، وقبره رضي الله عنه مشهور براس وادي سوس وكراماته وبركاته ظاهرة في حياته وبعد وفاته يتبرك به الناس ويقصدونه في دفع الشدائد وجلب المصالح، وشهرته تغني، وممن أخذ عنه وتفقه على يده رضي الله عنه، تلميذه سيدي داوود بن محمد بن عبد الحق التملي صاحب (أمهات الوثائق) وتوفي رحمه الله في أوائل القرن التاسع، قال في تذييل الديباج، حسين ابن علي الركْراكْي الشوشاوي، له نوازل في الفقه، وشرح مورد الظمآن، وتنقيح القرافي، توفي في آخر القرن التاسع بتارودانت بسوس، هذا ما قاله الحضيكي. والحقيقة أنه بعيد القبر من تارودانت كما ترى. وقد شاع أن سبب موته سقوط كتبه عليه. والله أعلم.

أقول أنني التقيت هناك مع بعض ذريته فأتوني بمشجر نسبهم فلخصت منه ما يأتي: سيدي حسين الشوشاوي من ذرية سعيد بن يبقى، وهو عبد الله أحد الرجال المعروفين من أسلافه ركْراكْة وهو حسين بن علي بن طلحة بن عبد الرحمن بن محمد دفين فروكْة ابن سعيد بن عبد الله إلى أن قال ولد لسيدي حسين ولده داوود، وكان سيدي حسين انتقل من المحل الذي يسكن فيه والده إلى شيشاوة، ثم إلى فسفاس حيث بنى زاوية، ثم بنى أخرى في أولاد برحيل ثم سكن بعده ولده داوود بتدرارت بايت إسماعيل ثم انتقل إلى وزكْيتة وكان ساح حيناً من الدهر. وولد له ولده الحسن، ثم خلف الحسن ولده عبد الحق، ثم ترك

(1) في الجزء الحادي عشر.

عبد الحق ولده عبد المؤمن، وعبد المؤمن أعقب ولده أبا القاسم، وهذا غادر محمداً ولده، فكان لمحمد بن ابي القاسم ولدان، مبارك وياسين، فسكن مبارك في زاوية منسوت في تيفنوث، فهناك من عقبه محمد بن علي بن أحمد بن إبراهيم ابن مبارك بن محمد بن بلقاسم ثم أرخ ذلك المخطوط أولاً من الأصل الأصيل المنقول منه بسابع ذي الحجة عام 1125 هـ، ثم أرخ ما نقل عنه بذي القعدة عام 1197 هـ، ثم أرخ ما نقل عنه بعام 1287 هـ، ثم عام 1299 هـ، كتبه إبراهيم بن الحاج محمد المحمودي الإدريسي، انتهى ملخصاً.

ولا يخلو ذلك من تشويش على عادة أمثاله مما تلاعبت به أيضاً أيدي الطلبة المدررين الذين لا يفقهون ما يكتبون، وما ذكره من آباء سيدي حسين في القرن التاسع وسيدي سعيد بن يبقى لا ريب أن فيه سقطاً، لأن سيدي حسين في القرن التاسع وسيدي سعيد في القرون الأولى، فأين هذا مع ذكره لآباء قليلين، وأياً كان، فإنه ركْراكي له عقب إلى الآن، وقد انقطع فيهم العلم منذ أزمان، ومؤلفاته المذكورة ما زالت كلها موجودة، فيوجد شرح التنقيح، بل يدرس به، كما يوجد شرح (مورد الظمآن) وكذلك (الفوائد الجميلة) أراها كلها في الخزائن التي أمر بها، وتوجد محلاتها في الخزائن في هذه الرحلات، وأما نوازله الفقهية إن كان المعني بها مؤلفاً خاصاً فإني لم أقف عليها قط، وإنما رأيت له فتاوى متفرقة، ورأيت أيضاً كتاب طب ينسب إليه. وأبوه علي بن طلحة مشهور في (شيشاوة) وله مؤلف في القراءات. هكذا حكى لي فقيه سباعي مطلع.

ومن أقران الشوشاوي وإن كان هذا أكبر منه، العلامة يحيى بن مخلوف السوسي، فقد أخذ عن الونشريسي وعن أصحاب السنوسي توفي عام 927 هـ، كما وجدته بخط بعض المعتنين، ولعله لم يدرك مقام الشوشاوي العلامة الكبير، ومن أقرانه أيضاً العلامة عبد الواحد الركْراكي، فقد قرنه معه صاحب (درة الحجال) وعبد الواحد علامة كبير الشأن، لا يشق له غبار، وله ترجمة واسعة، وله شرح على المدونة. وهو مدفون في وادي نون وقد كان لأهل ركْراكة سعي مشكور في نشر المعارف في سوس قبل القرن العاشر من الخامس.

وقد ذكرت للباشا الشنگيطي سيدي حسين بن علي بن طلحة الشوشاوي، وأريته أن منزلته في العلم بحيث يستطيع شرح (تنقيح القرافي) فتعجب وقال ما كنت أظنه إلا صويلحاً، وصرت كذلك أريه ما كان في هذه البلاد من علم وعلماء قبل هذا الحين، فأطال التعجب، وحين ذكرت له أنني كتبت كثيراً من أخبارهم خصوصاً في أدبائهم، ذكرني بوجوب نشر ذلك لتعرف أخبار هذه البلاد ومكانتها من المعارف، وقد ذكر أنه يتعجب كيف يستطيع الشلحيون إتقان اللغة العربية وكيف أشربوا حب الأدب، وكان يعرف شيخنا سيدي الطاهر ابن محمد الإفراني ونظراءه، فيعلن أنه إن كان هذا الطراز شائعاً في سوس فيجب إحياؤه بالتاريخ ليعرفه العالم.

لم يبق من آل حيدة إلا ابن أخيه الحاج حماد بن العربي، وهو الخليفة الرسمي للباشا الشنگيطي على كل المنابهة، وهو مثر متسع المالية من الطراز القديم. ينفق بتؤدة واقتصاد، وحالته حالة شيخ كبير السن، متدين ساكن النامة، لا يترامى على الناس، ولا يذكر عمه حيدة وآله ذكر من يدافع عن جبروتهم، وقد تعشيت عنده بعدما شربت الأتاي في روض للباشا معه، وقد جلسنا من الأصيل إلى أن صلينا المغرب، ثم ودعنا مع خليفته إلى داره، وفي تلك الجلسة فهمت عن الباشا الشنگيطي ترجمته المذكورة وأموراً أخرى. فكان آخر ما قال لي: اشهد لي بأنني مسلم.

ولعل هذه المدرسة كانت موجودة من القرن التاسع حين كان الشوشاوي يدرس هناك وأياً كان فالتدريس قديم في أولاد برحيل وممن درس هناك الأستاذ سيدي عبد الله الطاطائي وهو مدفون في مشهد الشوشاوي، معلوم القبر هناك وقد قال فيه الجشتيمي:

(ومنهم أبو محمد سيدي عبد الله الطاطائي الرداني، ثم البرحيلي في (رأس وادي سوس) كان رحمه الله فقيهاً عالماً عاملاً تقياً نقياً نزيهاً صفياً من أولياء الله في وقته، خائفاً من عذاب الله ومقته، ناسكاً عابداً لقيته مراراً، ولم آخذ عنه، كان رحمه الله مجاهداً في التعليم أعواماً كثيرة، وما تزوج حتى كبر، وكان حريصاً على كسب الحلال بالزراعة والتجارة، وهي أكثر كسبه،

مات رحمه الله عام 34 من المائة الثالثة عشرة، وكان رحمه الله مهيباً وجيهاً، يدخل على الأمراء ويبلغهم حاجة من لا يستطيع إبلاغها، ويشفع عندهم للضعفاء ويقبلون شفاعته، ويتبركون به رحمه الله، وكان يقول: (إن قارئ القرآن إذا لم يقم كل ليلة بعشرة أحزاب من نافلة الليل لحقير شأنه) وسألته يوماً الدعاء أن يقضي الله الحوائج فانتهرني انتهاراً، وقال نسأل الله رضاه، وأما الحوائج فلا تنقضي، رحمه الله آمين).

أقول إن ممن أخذوا عنه سيدي أحمد بن محمد التمگّيدشتي الشهير وآخرين يمر بنا ذكرهم في تراجمهم، وقد كان الطاطائي يحب سكنى مراكش ولكن لم تتيسر له إلا زيارتها.

وممن درس هناك في السنوات الأخيرة الأستاذ سيدي بلقاسم اليزيدي المتوفى في السنين الأخيرة، درس فيها قبل الفقيه سيدي محمد الهوازلي، وكان قاضي تلك الجهة، توفي قبل عام 1311 هـ، وسيدي عبد الله الدريكي من (آيت زينب) وكان من القراء الكبار يلزمه القراء الكثيرون، توفي بعد 1335 هـ، وكذلك الفقيه، سيدي محمد الرسموكي الولتيتي نزيل تامازت ممن أخذوا عن محمد بن عبد الملك اليزيدي، والفقيه سيدي الحاج عبد الرحمن الوطاسي السكتاني ممن أخذوا عن المذكور أيضاً، ثم اشتغل بالتجارة إلى أن مات في الغرب، سكن في قرية (الشواطات) كان هناك نحو 1339 هـ إلى عام 1341 هـ وهو الذي وليه سيدي بلقاسم اليزيدي المذكور في المدرسة.

ومما في (المنابهة) أيضاً مدرسة (تينزرت) وقد مرت فيها أيضاً دراسة كثيرة، ولم تتيسر لنا زيارتها، وقد اشتهرت تينزرت بمعركة وقعت بين أحمد المنصور السعدي، وبين ابن عمه محمد المسلوخ، وهناك أنشده كاتبه محمد ابن عيسى قول أبي فراس:

ونحن أناس لا توسط عندنا ... لنا الصدر دون العالمين أو القبر

تهون علينا في المعالي نفوسنا ... ومن يخطب الحسناء لم يغله المهر

كما دفن في تينزرت أيضاً ثائر اسمه عبد الله بن محمد من (آل أكْرسيف) أواسط القرن الثاني عشر، كان ادعى المهدوية فقتل هناك وعليه قبة، وستوجد

أخباره بين أهله الكُرسيفيين إن شاء الله في (المعسول)[1].

وممن كان يسكن تينزرت الأستاذ العلامة سيدي سعيد الإيلالني صاحب سؤال القاضي عبد الواحد الحميدي، وقد ترجمه صاحب الفوائد والحضيكي.

إكْلي:

في أرض هذه القبيلة يوجد محل المدينة القديمة الدارسة - إيكْلي - وهي التي كانت السبب الأكبر في هذه السفرة أصالة إلى هذه الجهة لننظر مسقط رأس المهدي بن تومارت إلا أن الأقدار حالت بيني وبين زيارة موقعها بسبب بسيط إلى الغاية، وما ذلك إلا أنني كنت على نية أن أزورها مع الباشا في سيارته، ولذلك خرجت معه من تارودانت إلا أنني لما بلغت القاضي سيدي محمد بن الحاج علي بتامازت اقترح علي المبيت عنده، فأجبته إلى ذلك ووعد بجعل سيارته تحت تصرفي للذهاب إلى إيكْلي وكان في نيتي الذهاب من إيكلي إلى إيرازان، ثم من هناك إلى تارودانت ولذلك لما تعشينا في أولاد برحيل جاء ولد القاضي بسيارته. فنقلنا إلى دارهم الواقعة على بعض بضع كيلو مترات، ثم في الصباح بدا لي أن أكتفي بزيارة إيكْلي وأترك إيرازان إلى فرصة أخرى، فاذهب من إيكْلي تواً إلى تارودانت وذكرت للقاضي أنني سأذهب تواً إلى تارودانت أعني من (إيكْلي)، فأمر سائق السيارة بالذهاب إلى تارودانت إذ ربما لم أذكر له زيارة إيكْلي وبعد أن ودعنا القاضي سرنا في طريقنا وأنا أنتظر وصول إيكْلي حتى قطعنا كثيراً فقلت للسائق أين إيكْلي فأوقف السيارة في الحين، وقال إننا تركنا إيكْلي بنحو 20 كيلومتراً فإن رجعنا إليها ثم ذهبنا إلى تارودانت لا نجد من وقود السيارة ما يكفي لكل ذلك، فلما قال في هذا فهمت عن الله، وقلت ما قاله أيوب السختياني ثم كرره ابن عطاء الله (إن لم يكن ما تريد، فأرد ما يكون) ثم لما كنا في تارودانت حاولت أن أجد سيارة أزور بها إيكْلي فأعوزتني، وقد كان السيد الحاج مبارك بن علي المناني التيمدويني على استعداد للذهاب بي إلى إيكْلي غير أن رمد عينيه عاقه عن ذلك. ولم يكن عنده

(1) في (الجزء السابع عشر).

سائق خاص لسيارته بل هو الذي يسوقها بنفسه فلما لم تتيسر لي زيارة المدينة العتيقة تركتها إلى فرصة أخرى بحول الله[1] ولكني سأذكر هنا ما أعرفه عن هذه المدينة الآن، قال مؤلف كتاب (الاستبصار، في ممالك الأمصار):

قاعدة سوس إكْلي:

مدينة إيكْلي مدينة كبيرة قديمة أزلية، في سهل من الأرض على النهر الكبير المذكور أعني وادي سوس وهي كثيرة البساتين والثمر، وجميع الفواكه، وربما يباع فيها حمل بما دون كراء الدابة من الجنان إلى السوق، وقصب السكر بها كثير، وله بها معاصر كثيرة وأكثر شراب أهلها إنما هو ماء قصب السكر، ويعمل بها النحاس المسبوك يتجهز به إلى بلاد السودان ووصل عقبة ابن نافع إلى هذه المدينة عند دخوله بلاد المغرب، وافتتحها فأخرج منها سبياً لم ير مثله حسناً، كانت تباع الجارية الواحدة منها بألف دينار فأكثر لحسنها وتمام خلقها، ويعمل بهذه المدينة زيت الهرجان، وشجره يشبه الكمثرى، إلا أنه لا يعلو كعلو شجر الكمثرى، فلا يفوت اليد، وأغصانه ثابتة من أصله لا ساق لشجره إلا الشوك، وثمره يشبه الإجاص المعروف عندنا بالعبقر، فيجمع ويترك حتى يذبل، ثم يوضع في مقلاة فخار على النار. فيستخرج دهنه، وطعمه يشبه طعم القمح المقلي، وهو جيد محمود الغذاء يسخن الكلى، ويدر البول، وبالسوس عسل يفوق جميع عسل الأمصار، يلقى النبيذيون على الكيل منه خمسة عشر كيلاً من ماء وحينئذ يأتي نبيذاً، وإن كان الماء أقل من ذلك بقي حلواً. ولا ينحل إلا بالماء الشديد الحرارة، ولونه أخضر في لون الزمرد»[2].

---

(1) قد زرتها بعد هذا الوقت.

(2) أما وصف العسل فإن المؤلف صادق فيه، ونحن الآن نستمتع بأكله. وأما وصف شجر أركّان فإنه يكون ذا ساق تتفرع منه الأغصان الشائكة. وأما وصف ثمره فيشبه اللوز الكبير وقشره الأعلى تأكله الجمال بعد يبسه والغنم. ثم تكسر قشرته القاسية فتخرج منه لوزات. تقلى فتطحن ويعزل منه زيت من عجين المطحون بكيفية خاصة. ويبقى من العجين ما تتكون منه شبه خبزات تأكلها الجمال والبقر. وتصلح عليها. والمؤلف الذي وصفه لم يره. وإلا لما غلط في وصفه، قيل لا يوجد أركّان إلا في المغرب.

هذا ما ورد في الكتاب المذكور، وهو ينقل عن البكري الذي كان يعيش في الأندلس في أواسط القرن الخامس الهجري، وقد ظهر من محلات من هذا الكتاب أن مؤلفه لم يدخل سوس، ولم يعرفه. ولذلك ينبغي لنا أن نحتاط فيما يذكره، وناهيك بغلطته حين جعل مصب نهر سوس، هو رباط (ماسة) الذي هو مصب (وادي الغاس) وهما واديان مختلفان، وسترى ذلك، وكل ما وصف به شجر الهرجان (أرڭان) فيه أغلاط كثيرة تدل على أنه لم يعرفه ولا عرف كيف يؤخذ زيته، ولهذا كله لا نفهم من هذا الوصف الذي وصف به مدينة إڭلي حين جعلها قاعدة السوس، إنها في عهده أي في آخر القرن السادس الهجري عامرة عمارة المدن وأنها قاعدة سوس إذ ذاك، لأن عبد الواحد المراكشي الذي عرفنا أنه دخل تارودانت إذ ذاك، قال عند ذكره لمولد المهدي بن تومارت، أنه ولد في ضيعة تعرف بإڭلي، وقد كتبت الكلمة في النسخة المطبوعة في سلا عام 1375، هكذا (إيجلي) وجعل إڭلي مضافاً إلى أيت وأرغن، وهي كذلك لأنها عند قبيلة (أرغن) إلى الآن، وقد ظهر من كلام عبد الواحد أن المكان في عهده لا يتصف بصفة المدن، ولهذا لا يعد إڭلي من مدن سوس حين ذكرها وكلام صاحب المعجب عندنا أصوب، فعرفنا أن هذا الوصف إنما هو وصف المدينة قديماً، وربما كانت قاعدة سوس لها عمارة تضاهي المدن في زمن البكري الذي يظهر في مواضع شتى من كتاب (الاستبصار) أن مؤلفه يتبعه حذو القذة بالقذة حتى في أغلاطه، فيتبعه هنا أيضاً، وقد ذكر في الحلل الموشية أن إيڭلي هو مسقط رأس المهدي ابن تومارت، وإن كانت الكلمة مكتوبة أيضاً على غير هذا الوضع، بل بلفظه إيجلي، ولم يذكر أنها مدينة وصاحب الحلل في القرن الثامن ذكر أن تارودانت هي قاعدة السوس إذ ذاك لا إيڭلي، وحسبنا دليلاً ناصعاً على هذا ما في رسالة عبد المؤمن الموحدي انمنشورة في مجموعة الرسائل الموحدية المطبوعة في الرباط سنة 1941 م وهي الرسالة السابعة عشر، والمقصود منها وقد كتبها حين زار سوساً: ولما جد الموحدون - أعانهم الله - في السير، وتجلت لهم في البدار صور الخيرة والخير، وصلوا إلى تارودانت - عمرها الله - فألفوا فيها من قبائل سوس - عمره الله - جموعاً غشت أديم أرضها، وامتدت مع طولها الممتد وعرضها كلهم ينافس في

البركة، ويرغب في الاختصاص بحظه من تلك الرحمة المشتركة، فاجتمع بهم قبيلا بعد قبيل، وجيلاً إثر جيل، وصدروا عن موقف التسليم، وقد نالتهم الرحمة على السواء، وطارت الفرحة بجثثهم في الهواء، وظفر هناك - أعزكم الله - من خلوص أنفسهم بالطاعة، وبلوغهم في العمل لهذا الأمر الأكمل إلى غاية الاستطاعة ما شهد لهم بالسعادة، وخرق في حقهم معهود العادة، والحمد لله الذي يسر ببركة أمره الأمور، وشرح الصدور، ووصل لأوليائه العلو والظهور، والفرح والسرور. واستعدت النفوس أعزكم الله عند تمام ذلك وكماله، وبلوغ الجميع غاية مستناله من آماله لزيارة الإمام المهدي رضي الله عنه في مطلع نوره وموضع ظهوره حيث طلعت شمس الدين وتبلجت أنوار اليقين وسطعت آيات الحق المبين، ورجونا أكرمكم الله بمشاهدة تلك المشاهد المكرمة والمعاهد المعظمة، تجدداً لهذا الأمر الجديد، وتيمناً بذلك المرضي السعيد، وتبركاً بلمس المنازل المكرمة من ذلك الصعيد، وتمكناً لمقاصد هذه الدعوة العلية في محال التأصيل والتقعيد، فسرنا بمشيئة الله وبركته رضي الله عنه متكفلة بتقريب البعيد، وتذليل المسلك الوعر في حالة التصويب والتصعيد فكأنما زويت الأرض ليؤدي ذلك الفرض، ووصلنا على بركة الله إلى - إيجلي - إيكّلي - بمنة الله، فلوحظ ما هناك من الآثار بعين الإكبار ورأينا البركة في تلك الأنجاد والأغوار متضحة للبصائر والأبصار، وغص ذلك الجو المشرق والأفق المورق، بما سطع فيه من الأضواء والأنوار، ثم صعد إلى منتهى العصمة ومهبط ملائكة الرحمة، فنزل عن الأكوار وتبرك بذلك المسجد المعظم والغار ودين بذلك المشهد الكريم في الإعلان والإسرار، وأقمنا فيه أياماً تبركاً بفنائه، وتهمماً ببنائه، ونصب على باب الغار المقدس باب يقيه من أهوائه ويدفع عنه مضرة أنوائه ثم نظر في أقبائه وتغطية أرجائه وتسوية أرضه وسمائه، وتم والحمد لله على ما أذن فيه من حسنه واستوائه، وظهر على جوارح المعتملين في إحيائه ما تبين من نوره وضيائه واستمرت التلاوة في المسجد المكرم، مدة الإقامة بذلك الموضع المعظم ليلاً ونهاراً، وسراً وجهاراً، واجتمعنا هناك بشيوخ هرغة وأعيانهم وفقهم الله، وبشروا بما توجه إليه سؤالهم وأمته آمالهم، فطابت قلوبهم وحسنت ظواهرهم وغيوبهم وبذل لهم من

الصفح الجميل والمنح الجزيل مسؤولهم ومطلوبهم وودعنا تلك المنازل المرفعة وقد أوعيت النفوس المودعة الخ).

تظهر في هذه الرسالة أمور ثلاثة:

1 - إن تارودانت هي مركز سوس في ذلك العهد كما كانت قبل وبعد وقد رأيت كيف اجتمعت الوفود هناك للسلام على أمير المؤمنين عبد المؤمن الموحدي ولو كانت إيڭلي قاعدة سوس لوقع الاجتماع فيها.

2 - التصريح بأن مولد المهدي هو إيڭلي وقد تصفحت اللفظة عما كان يكتبها به الأولون - إيجلي - فصارت - إيكليز - كان الناسخ كتبها - إيڭلي - فسهل هذا التحريف كما ترى، وقد جعل ذلك المكان مطلع نور الهدى وموضع ظهوره، إلا أنه لم يذكر عن إيڭلي أنها مدينة ولا أنها قاعدة سوس.

3 - ذلك الغار الذي ذكر أنه منتهى العصمة، ومهبط ملائكة الرحمة، وإزاء الغار مسجد للمهدي، وقد كان غرضي في (إيرازن) التفتيش عن هذا الغار ولا أخاله يندرس أثره، وينعدم خبره بالكلية لأنه سيتخذ مزارة، وأمثال هذه الأمكنة كثيراً ما تغالب تطاول الدهر، وتتخطاها تصاريف الأقدار بسبب العجائز الزوارات لأمثالها في كل وقت ولكن ذلك لم يقدر الآن لموانع، منها ما تقدم، ومتى تيسر ذلك إن شاء الله فنلحق ما استفدناه هنا (نعم) سالت بعدما كتبت ما تقدم بعض أهل تلك القبيلة عن فرق شرفائهم الذين منهم المهدي، فذكروا لي أنهم الآن ينقسمون إلى 1 (الروكزالة) 2 (مزاڭة) 3 (مجزرة) 4 (بنوڭانضو) 5 (اكتاتاماس) 6 (بنو تاحبوت) 7 (بنو تاشتول) ومن هذين الفخذين الأخيرين المهدي، وقد حافظ الشرفاء على أنسابهم من قديم، وتحت أيديهم مخطوطات علماء يشهدون لهم بذلك، رأيتها متسلسلة بالتواريخ في كل عصر، وقد كان الملوك يبحثون دائماً في أنساب المدعين للشرف في زمن السعديين والعلويين كأحمد الذهبي ومولاي إسماعيل وسيدي محمد بن عبد الله، فلم يرتب أحد في نسب الهرغيين هؤلاء بل هناك بحث خاص في أنساب شرفاء سوس

بالخصوص في زمن أحمد الذهبي، فقد جعل على ذلك القاضي إبراهيم بن علي الهشتوكي فكان من جملة ما سلمه نسب الهرغيين هؤلاء.

وقد اطلعت اليوم على ظهائر الملوك لهم وعلى مقيدات فروع أفخاذهم، فكانت النتيجة التي خرجت بها أن نسبهم مسلم، والقوم يحافظون على أنسابهم إلى الآن، فهذا نسب أحد رجالاتهم البارزين الآن، محمد - فتحا - بن عمر ابن محمد بن عبد الملك بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد - فتحا - بن موسى بن محمد بن داوود بن محمد بن داوود - مكرر - ابن يبورك بن عيسى بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن عبد الله بن علي ابن يعزى بن عثمان ابن عبد الله - وعثمان هذا أخو المهدي - ومنه يرتفع النسب المعروف، وقد استفدت من القوم أن أبا عثمان دفين (وادي مال) من كُدميوة، هو من أهل المهدي، وهناك أولاده في (هرغة) في أيديهم ظهائر رأيتها تشهد لهم بذلك.

هذا وقد قرأت في (رحلة الوافد) لإبراهيم الزرهوني أن أصل المهدي من تيفيگْت ولعله يقصد أصل أسرته، ومسقط رأسه، ومن الرحلة أيضاً أن حصناً في أعلى جبل هناك فيه ديار وقصبة، مسور بسور متين من الحجر المتين نسبة للمهدي ولكن هذا لا يمكن أن يكون من بناء المهدي، بل من بناء خلفائه كما لا يخفى، والذي ينبغي أن يعتمد عليه أن إيگْلي هو مسقط رأسه، لما رأيته في رسالة خديمه وخليفته من بعده عبد المؤمن، ولما هو موجود في التاريخ كالمعجب، والحلل الموشية، وغيرهما، ويظهر أن ذلك الغار كان متعبد المهدي بعد رجوعه من رحلته إلى المشرق، وأن ذلك المكان هو منبع ما ادعاه من العصمة، كما رأيت ما يشهد لذلك كلام الرسالة المتقدمة، وقد عرفنا أن ثورة المهدي عام 515 هـ كانت من سوس أولاً، خلاف ما كان يظنه من لم يدرس حياة المهدي حق الدراسة من أن مبدأ ثورته من (تينمل) مع أنه لم يذهب إلى (تينمل) إلا بعد ما حاربه القائد اللمتوني على سوس فالتجأ إلى ذلك المحل، وفي رحلة الوافد ما يدل على أن ذلك الوادي إنما تمهد للمهدي بعضه بالسيف، وإن أردت ما يثلج به صدرك من أن مبدأ ثورته كان بسوس فاسمع لما يقوله فيه محمد بن علي السنوسي في كتاب "الدرة السنية في أخبار السلالة الإدريسية" وهو ينقل عن ابن خلدون ولم يحضر عندي الآن ابن خلدون ولذلك

أسوق ما قاله ملخصاً موجزاً:

"نجم على عهد علي بن يوسف اللمتوني محمد بن تومارت وأصله من هرغة وأبوه عبد الله يعرف بتومرت وكان يلقب في صغره بأمغار وزعم كثيرون من المؤرخين أن نسبه في أهل البيت هكذا: محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن سفيان بن صفوان بن جابر بن عطاء بن رباح بن محمد من ولد سليمان بن عبد الله الكامل، وقيل أن رباحاً المذكور هو ابن يسار بن العباس بن محمد بن الحسن من قرابة إدريس بن عبد الله الكامل وعلى كلا الأمرين فإن نسبه طالبي وكان أهله أهل نسك وشب محمد هذا محباً للعلم ويلقب (أسافو) ومعناه ما يستضاء به كالشهاب ونحوه ثم ذكر رحلته إلى الأندلس فالمشرق ثم رجع بحراً متفجراً من العلم وشهاباً واريا من الدين وقد اعتنق مذهب الأشعرية فذهب إلى رأيهم في المتشابه فيؤوله ولا يفوض فيه فألف المرشدة في التوحيد وكتابه في الإمامة وهو أعز ما يطلب وكان يذهب إلى عصمة الأيمة، على مذهب الإمامية من الشيعة فأخذ نفسه بنشر العلم وتغيير المنكر حتى أوذي كثيراً في طريقه مرجعه من المشرق ولم يزل في أخذ ورد مع الأمراء والفقهاء إلى أن وقع له مع علي بن يوسف ما وقع فذهب إلى أغمات فغير فيها المنكر ثم تنقل من موضع إلى موضع حتى وصل - ابكْبلن - هكذا الكلمة، ولا شك أن المقصود بها إيكْلي المتقدم الذي هو مسقط رأسه، فإنه قال إبكبلن من بلاد هرغة فنزل على قومه وذلك عام 515 هـ، وبنى رباطاً للعبادة واجتمعت عليه الطلبة والقبائل، فعلمهم المرشدة في التوحيد باللسان البربري وشاع أمره في صحبه، ثم لما هم به عامل سوس أبو محمد اللمتوني فهم بقتله، فنذر به إخوانه فنقلوه إلى معقل أشياعهم، ثم عطف أشياعهم على ما داخلوا أبا بكر ابن محمد ففتكوا بهم، فدعوا المصامدة إلى بيعته على التوحيد وقتال المسلمين دونه عام 515 هـ. فزحف العامل اللمتوني إلى مكانهم من هرغة فاستجاشوا بإخوانهم من (هنتاتة) فاجتمعوا إليهم وأوقعوا بعسكر لمتونة فكانت هزيمة الفتح، وقد كان المهدي يعدهم بذلك فاستبصروا في أمره، وتسابق كافتهم إلى الدخول في دعوته، وترددت عساكر لمتونة إليه مرة بعد أخرى، ففضوهم وانتقل لثلاث سنين من بيعته إلى جبل تينمل

فاستوطنه، وبنى داره ومسجده بينهم، وقاتل من تخلف عن بيعته من المصامدة حتى استقاموا الخ.

وقوله أنه نزل هناك عام 515 هـ، يظهر أنه ينزل قبل هذه السنة هناك حتى يمكن أن يمهد لدعوته التي كانت عام 515 هـ، أو 514 هـ، وقيل في مفتتح 516 هـ، هذه الأقوال كلها عند صاحب (القرطاس) إلا أنه جعل ابتداء ذلك من (تينمل).

الآن اتضح للقارئ ما ذكرناه فإن هذه نقطة قل من يستحضرها ممن كتبوا عن المهدي فيما علمت حتى بعض الباحثين من خيرة شبابنا الحاضر مع أنها في ابن خلدون كما يرى كل قارئ.

وأما نسبه فقد رأيت فيه ما تقدم وعند ابن خلكان أن نسبه هكذا محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن صفوان بن سفيان بن جابر ابن يحيى بن عطاء بن رباح بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسن بن علي بن ابي طالب، وفيه بعض مخالفة لما تقدم، ولا أدري الآن أين رأيت له نسباً له يتصل بعبد الله بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وأياً كان فإن أهله لا يزالون موجودين إلى الآن، ولو اتصلنا بهم لربما وجدنا في أيديهم ما يتقوى به شق على شق من هذا الخلاف في نسبه وفي ابن خلكان أنه يقال: أن هرغة نزل سلفها من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب في سوس في عهد موسى بن نصير الذي هو الفاتح الثاني لسوس.

وكون المهدي شريفاً محقق، وقد وجد ذلك بخط يده كما في المعجب ولا عبرة بمن يزعم من أنه دعي في هذا النسب كابن مطروح القيسي المؤرخ، لأن ادعاء نسب مثل هذا يمكن لمن ابتعد عن أهله، لا لمن يعيش بينهم، فكيف يستميتون بين يديه على دعوى كاذبة عليها مدار مهدويته، وقد درج بين أيديهم، وعرفوه كما عرفوا آباءه وأجداده فإن العقل يأبى هذا، أن الذي يغر كثيرين ممن لم يدرسوا حياة ابن تومارت حق الدراسة حين يجعلون مبدأ ثورته من (تينمل) ما يقول المؤرخون البعيدون عن محله أو بعضهم، كصاحب

القرطاس وصاحب المعجب، وابن خلكان وشيخه ابن الأثير، ولو اقتصروا على ما عند ابن خلدون لوقعوا على الحقائق الناصعة فإن ما ساقه في كل ذلك يقدم حتى على ما في القرطاس فإنه تتبع فتح بلاد المصامدة المجاورة لواد نفيس تتبعها طبيعياً كما رأيت مما يدل على أنه ينقل من كتب موثوق بها وهو الذي يقول أنه لم يحفظ للمهدي مما يواخذ عليه إلا ادعاء العصمة، ولهذا يعرف أن ما في مثل ابن خلكان وابن الأثير من تلك الدسائس التي لا يمكن عند ذوي التمييز أن تصدر ممن يريد تأسيس أمره على الجد والاعتقاد الجازم، بأنه منصور من السماء وأنه جاء يحيي السنة ويميت البدعة، فبالله عليك هل يبقى في سوس بله ما حوالي نفيس رجال يعتمد عليهم بعد أن يفتك منهم في صبيحة واحدة بعشرات الألوف كما في بعض التواريخ، فما هذه السذاجة وهل يتلقى كل ما وجد عند أمثال ابن الأثير من المؤرخين المشارقة الذين يجهلون هذه البلاد بكلتا اليدين والعجب أن عبد الواحد المراكشي ذهب أيضاً إلى أن دعوة المهدي قامت من (تينمل) كما ذهب إليه صاحب القرطاس، مع أن الواقع أنها قامت قبل نزوله فيها كما ترى إلا إذا كان مقصوده أن ظهور دعوته ظهوراً بينا ما كان إلا من هناك فإن ذلك صحيح على أن مؤلف المعجب إنما يكتب كتابة أدبية في الغالب إملاء في (بغداد) وهو بعيد عن المغرب، ولا يمعن إمعان المؤرخ كابن خلدون وأمثاله، يظهر لك في كتابه المذكور، إلا أن آخر كلامه يدل على أنه وقع في الغلط الذي وقع فيه غيره وإن لم يتعرض لتلك المذابح والدسائس التي تقرأ عند ابن خلكان وابن الأثير المشرقيين عن المهدي ويوجد بعض ذلك حتى عند المؤرخين المغاربة كصاحب القرطاس، ولعله تقليد لأمثال أولئك، هذا مع أنني لا أبرئ المهدي من سفك الدماء، هذا ولا ريب أن المصامدة كانوا يستثقلون وطأة اللمتونيين ويتوقع منهم اللمتونيون الثورة عليهم، وقد ذكروا أن هذا هو أحد الأسباب في بناء (مراكش) في نحو جبل (درن) الذي هو جبل المصامدة، وكذلك يظهر ذلك من قول مالك بن وهيب لعلي بن يوسف، حين كان يحرضه على اعتقال ابن تومارت (هذا رجل مفسد لا تؤمن غائلته ولا يسمع كلامه أحد إلا مال إليه وإن وقع هذا في بلاد المصامدة ثار علينا منه شر كثير)، ويوجد هذا الكلام في المعجب، ثم إن نزول المهدي على

قومه حين ينوي ما ينوي هو المتبادر لكل ذي عقل لا أنه ينزل على أهل (واد نفيس) حيث (تينمل) مع أصحابه ضيوفاً كما في ابن خلكان ثم يطمع منهم أن يقوموا بدعوته، ومن عرف العصبية عند الشلحيين لا يصح عنده إلا أن المهدي إنما نزل على قبيلته، وهو على تلك الحالة العجيبة من العلم وحسن السمت والميل إلى العبادة وإلى إحياء السنة ليستدرجهم بذلك إلى أن يستثير عصبيتهم لتكون النواة الأولى لما يسر إليه الحسو في الارتغاء وهكذا كان فإنه تظاهر عندهم بما تظاهر به حتى استثار ذلك حفيظة عامل سوس بمداخلة من عسى أن ينفسوا على ابن تومارت ما يحاط به من إكبار الناس فيتسرع إليه العامل بإعانة هؤلاء النافسين عليه من أهله وجيرانه وينوي قتله، ولا ريب أن في مثل هذا الحال مثار العصبية الجاهلية التي يتصف بها الشلحيون إذ ذاك فيثورون غضباً أن تمتد يد إلى أخيهم الذي هو من أكابر الرجال العلماء، ثم تتعاظم العصبية فيجد ابن تومارت منفذاً إلى ما يريده فيتخذ ذلك سلماً ثم يجيش ما ينفسه (المصامدة) على إخوانهم الصنهاجيين اللمتونيين من الملك فتتحول الوجوه بسرعة إلى ما يريده ابن تومارت، ثم تقع حرب بين الفريقين فتأتي قبيلة (هنتاتة) فتعين حلفاءها الهرغيين فإذ ذاك يظهر أمر دعوة المهدي ظهوراً طبيعياً، وأما أمر الولدان الزرق العيون للبربر تأتي بهم أمهاتهم من مضاجعة الجند اللمتوني حين يجمع الخراج - كما في ابن خلكان وغيره، وكذلك ما يدعي من أمر عبد الله الونشريسي من تلك الدسيسة المكتوبة في بعض الكتب التاريخية حين يأمره المهدي أن يكتم علمه وحصافة عقله حتى يظهرهما في وقت الاحتياج إليهما ثم يقتل بسببه عشرات الألوف، فإن كل ذلك يشبه حديث خرافة لا يعتمد عليه مثل الداهية المهدي ممن يريدون أن يخلص لهم أصحابهم وأن يستميتوا في دعوتهم، ولم نرد أن نبرئ المهدي من كونه يريد الملك ومن تطاوله إليه، ومن استغلال الونشريسي لقتل أناس قليلين، وإنما نريد أن نبرئ عقل ذلك الداهية من سلوك هذه الترهات الفاضحة التي لا تدل إلا على السذاجة لا على العقل والدهاء، وربما وقع بعض ذلك فزيد فيه أو لم يقع منه شيء أصلاً، ثم أن قبيلة (هرغة) لا بد أن يكون بعضها صاحب ابن تومارت إلى تينمل، ولا تزال بقية منها هناك في أوائل القرن الثاني عشر الهجري على ما عند صاحب رحلة الوافد.

مراجعة تارودانت:

رجعنا أدراجنا في اليوم الثاني فمررنا بغرس كثير لشركة "الساتيام" وكله من البرتقال، وتلك نماذج لكل من يريد أن يكون من العاملين بالعلم الصحيح، وكأني بكل هذه الأراضي - إن ألقت هذه الحرب أوزارها - صارت بستاناً واحداً متصلاً يفيض بالخيرات، وقد رأيت ما كان في هذه الجهة من زراعة السكر وهي قديمة في (سوس) كانت من قبل القرن الرابع الهجري وما زالت إلى القرن الحادي عشر إلى عصر (بودميعة)، ولم ينقطع السكر هنا إلا في عهد مولاي إسماعيل، فإننا لم نر له ذكراً منذ تولت الدولة العلوية في سوس عام 1081 هـ ولا يزال في (تازمورت) صهريجان يكون أحدهما نحو عشرين خطوة طولاً وعرضه أقل من طوله وثانيهما يناهز صهريج البقر بمراكش، كبير متسع، ولا يزال جدار كبير عليه جدول ماء يصب على معمل السكر قائماً إلى الآن، وهناك وراء تازمورت صهريج آخر ذكر لي ولم أره كما رأيت هذين وهو كبير أيضاً، وقد رأيت إزاء دار القائد بو شعيب في هوارة في محطة 44[1] كما يسمى هذا المكان، صهريجاً آخر كبيراً تمتد إليه ساقية، وذكر لي أن أثر هذه الساقية المندثرة يمتد مبدأه من (أولوز) ثم مرت نحو الأطلس الصغير فمرت بتازمورت، ولا ريب أن هذه الآثار كانت في عهد الدولة السعدية التي نشطت من جديد زراعة السكر، ولم تكن هي التي أوجدتها مبدئياً كما يظن من لا اطلاع لهم، فإن لسكر سوس ذكراً في كتاب (الاستبصار) المؤلف نحو 590 هـ، وكذلك كتاب (خريدة العجائب) المؤلف في القرن الثامن، وذكر فيه أن سكر سوس هو الذي يسمى الطبرزذ الذي يذكر في كتب الطب، وأنه يصدر إلى الشرق فضلاً عن نواحي المغرب والأندلس، والكتاب لابن الوردي، وفي ظني أن ابن حوقل السائح المشرقي الذي زار سوس في أواسط القرن الرابع، قد ذكر ذلك أيضاً، ويوجد في كتاب (إيليغ قديماً وحديثاً) ذكر كثير لزراعة السكر وللتجارة فيه بين أوربة وسوس،

(1) سمي ذلك المحل (أربعاً وأربعين) وهو رقم الكيلومتر الواقع هناك من طريق (أݣادير) إلى (تارودانت) وكان أصل المحل (أولاد تيمة).

ونحن يلذ لنا في هذا الوقت الذي يعز فيه السكر، وبلغ رطل منه عشرات من الريالات، أن نردد ذكره لعل طيفاً من تخيله يغنينا إن أعوزنا أن نراه كثيراً حقيقة كما نشتهي بين أيدينا (كتب هذا والحرب قائمة).

هذا والعجب أن صاحب "الاستبصار" لم يذكر من مدن سوس إلا (إيڭلي) و(تامدولت) ومدينة (وادي نون) ولم يذكر من بينها (تارودانت) مع أن صاحب (المعجب) الذي كتب كتابه بعده بنحو أربعين سنة ذكرها، قال صاحب الاستبصار لما ذكر بلاد سوس:

"هي مدن كثيرة، وبلاد واسعة، يشقها نهر عظيم يصب في البحر المحيط يسمى (وادي ماسة) - كذا وجريه من القبلة إلى الجوف، كجري نيل مصر، وعليه القرى المتصلة، والعمائر الكثيرة، والبساتين والجنات بأنواع الفواكه والثمار، وقصب السكر، ولم يتخذ الساكنون على هذا الوادي قط رحى، فإذا سئلوا عن ذلك قالوا كيف نتخذ هذا الماء المبارك في إدارة الرحاء وهم يتطيرون بها، وعلى هذا النهر قرية كبيرة جداً تعرف بتارودانت وهي أكثر بلاد الدنيا قصب سكر، وفيها معاصر له كثيرة.

وهذه البلاد أخصب بلاد المغرب، وأكثرها فواكه وخيرات، ومنها يجلب السكر إلى جميع بلاد المغرب والأندلس وإفريقية، وهو المشهور بالطبرزذ المذكور في كتاب الطب، وعلى مصب هذا الوادي في البحر رباط مقصود له موسم عظيم ومجتمع جديد جليل، وهو مأوى الصالحين[1]، ومن وادي سوس إلى مدينة نون ثلاث مراحل في عمارة متصلة تسكنها (جزولة) ولمطة[2]، وهم أمم كثيرة.

وقد رأيت كيف أنه لم يجعل تارودانت إلا قرية كبيرة لا مدينة، مع أنه

---

(1) هو رباط سيدي وساي الذي تقدم ذكره في (الرحلة الثالثة)، كما ذكر ما يتعلق بسيدي وساي وأسرته في (الجزء السادس عشر من المعسول).

(2) لمطلة بفتح اللام وسكون الميم، قبائل ما حوالي وادي نون، وهناك محل إزاء فاس يسمى لمطة، وأما لمط محركاً فمحل في تافيلالت إليه ينسب العلامة أحمد بن مبارك السجلماسي.

جعل إيكْلي قاعدة سوس ومدينة، ولا ريب أن هذا كله من غلطه الذي تبع فيه البكري، لأنه لم يجس البلاد، وإلا لما جعل مصب وادي سوس هو مصب (وادي الغاس) برباط ماسة مع أن مصب وادي سوس هو في قرية (تارايست) بقبيلة كْسيمة وتبعد عن أكْادير بنحو 14 كيلومتراً.

وأما صاحب المعجب، فقد قال حين ذكر مراكش وليس وراءها مدينة لها ذكر وفيها حضارة إلا بليدات صغار بسوس الأقصى، فمنها مدينة صغيرة تسمى (تارودانت) وهي حاضرة سوس، وإليها مرجع أهله. فهكذا صرح المراكشي بما يخالف على خط مستقيم ما عند صاحب الاستبصار وما ذلك إلا أنه يخبر عن مشاهدة، لأنه دخل سوس، ولهذا لم يعرج على إيكْلي ولا جعلها مدينة إذ ذاك ولا قاعدة سوس، مع أنها في حوز تارودانت التي دخلها. (نعم) ربما كان لمركز إيكْلي عند الموحدين مكانة خاصة، لأنها أصل مهديهم، فيذهبون إلى أن يجعلوها قاعدة سوس، ولكن لم يتم لهم ذلك في الواقع، وإن كانوا يتلفظون به.

نظار الأحباس بتارودانت:

أما نظار الأحباس في تارودانت فقد وجدت بخط القاضي سيدي موسى ما يأتي:

"توفي الناظر سيدي أحمد بن محمد فرت اليزيدي بمراكش يوم السبت 28 ذي القعدة عام 1338 هـ.

عزل الناظر سيدي محمد بن أحمد بن الدراخ يوم الاثنين 27 رجب عام 1345 هـ، وهو الفقيه المتقدم المتخرج من فاس، فتولى سيدي إدريس بن محمد التازي الفاسي، ثم خلفه سيدي الطيب بن العباس الفاسي إلى أن خلفه مولاي محمد البلغيثي هناك إلى الآن، فقرئ ظهيرة في يوم الجمعة 19 جمادى الأولى عام 1350 هـ" ولا يزال البلغيثي هناك إلى الآن، وهو الناظر على كل أحباس تارودانت وأكْادير والقبائل التي تحتهما، وتحت يده خزانة فيها مخطوطات ولم أصادفه في تارودانت.

وجدت بخطه أيضاً: "وقع الوباء في تارودانت كما وقع في مراكش في

ربيع الثاني عام 1338 هـ كما وقع أيضاً في المدينة، يعني تارودانت عام 1346 هـ فسدت كل الأبواب، إلا باب القصبة يوم الاثنين الثاني والعشرين من رجب، ثم فتح باب تارغونت وباب الخميس يوم السبت 23 من شوال، وباب أولاد بونونة يوم الأحد 13 من المحرم عام 1347 هـ".

ومن خطه أيضاً: "وقع الغلاء أواخر 1331 هـ فبيع الشعير في المدينة بعشرين مثقالاً للبعيوي[1] ثم تزايد الغلاء إلى أن بيع القمح بست ريالات في المحرم عام 1332 هـ والشعير بأربع ريالات، وكذلك الذرة إلى أن وصلت سبع ريالات، ثم وقع غلاء مفرط أيضاً لانحباس المطر 1345 هـ فبيع الشعير بستين فرنكاً للبعيوي، وسبعين للذرة، وبخمس وسبعين للقمح".

أقول: ماذا عسى أن يقال في هذا الغلاء الذي عم في هذه السنة التي نحن فيها، من انحباس الأمطار منذ 1363 هـ فلم يحصل الناس من محروثاتهم شيئاً سواء في (ازاغار) أو في (رأس الوادي) وفي الجبال إلا القليل النادر الذي لا يوبه به، ثم زاد الغلاء في هذه السنة 1364 هـ لعدم الخصب أيضاً في كل سوس وفي المغرب كله بل والجزائر وتونس مع انسداد البحر من جراء الحرب، فقد وصل الشعير في شهر صفر ثم في ربيع الأول مبلغاً عظيماً إلى أن وصل في (الغ) في سوق (أيت وفقا) 950 فرنك للعبرة الفرنسية من الشعير، وسمعنا أن القمح وصل في الدار البيضاء حينه إلى ما هو أزيد من 1500 فرنك، وبلغ ليتر من الزيت 200 فرنك فالله يلطف بعباده، وقد كان غلاء آخر عام 1356 هـ ولكن هذا الغلاء المتفاحش لم يكن إلا اليوم.

ومن خط القاضي سيدي موسى أيضاً: "دخلت السيارة أول يوم إلى تارودانت" من باب الخميس وذلك في يوم الخميس 27 من المحرم عام 1338 هـ كما ريئت أول دراجة فيها يوم الأحد 28 من ربيع الأول عام 1339 هـ وجاء أول حاكم فرنسي إليها زائراً ومتفقداً الأحوال في يوم الخميس 23 من رجب 1332 هـ ثم جاء أول موظف فرنسي إليها وهو القبطان (بركينيون) يوم الثلاثاء أواسط صفر 1338 هـ وتم مد التلفون من أكادير إلى تارودانت في منتصف

(1) مكيال خاص.

شوال عام 1338 هـ وفرغ من بناء القنطرة على (وادي سوس) بمشرع (العين المديور) أواخر ربيع الأول عام 1353 هـ وحيز آخر سلاح من أيدي الناس في 11 سفر 1351 هـ ولعل هذا الحوز كان من أيدي القواد فتسلمته الحكومة نهائياً، وإلا فإن هذا الحوز وقع من قديم من عند عامة الناس، وعمرت سوق الخميس في خارج باب القصبة (رودانة) ثاني شعبان عام 1346 هـ وعيد الناس عيد الأضحى اعتماداً على شهادة عوام، ثم بعد الثلاثين لم ير الهلال وذلك في عام 1335 هـ.

أقول: إن مثل هذا وقع أيضاً في عيد الفطر في هذه السنة الماضية عام 1363 هـ فقد عيد الناس اليوم المكمل للثلاثين من رمضان، بعدما صاموا أيضاً اليوم المكمل للثلاثين من شعبان بأخبار الحكومة من (الرباط) بالخبر الرسمي، ثم تبين أن الاعتماد في مفتتح رمضان كان على رؤية ثبتت في محكمة قاضي تطوان وأن الاعتماد في التعييد كان على رؤية جاءت من محكمة أكادير ومن محكمة تارودانت، فلما وصلت هذه المرة سألت القاضي في أڭادير عما وقع فقال أنه لما تسحر في ذلك اليوم جاء ساع من مركز التيليفون يستدعيه لمجاوبة من يسأل عنه في (هوارة) قال فوجدت كاتب القائد بو شعيب فأخبرني أن عندهم من رأى الهلال ليلته وأن الرائين متعددون فاستمهلته فاتصلت بالباشا ثم بالرباط فأمرت أن أذهب بنفسي لأتقصى الخبر حتى يثبت ذلك ثبوتاً شرعياً أو لا يثبت فذهبت في سيارة خصوصية مع عدلين من المحكمة، فجاءنا في دار القائد في مركز 44، أناس كل واحد منهم يقول أنه رأى الهلال، ثم اتصلنا كذلك في قرية أخرى بآخرين، فثبت لنا بعد التزكية واحد فقط، والآخرون منهم رجال ونساء مجهولو الحال قال: ثم اتصلت (بتارودانت) فإذا بالحاج مبارك يقول أن الرؤية كانت عندهم أيضاً فرفعت ما عنده إلى الرباط فاستمهلوني حيناً بعد ما قلت لهم ما عندي من الرجال والنساء.

ثم إنني أنا جامع هذه الرحلة سألت أيضاً قاضي تارودانت عن الواقع فقال أن سيدي أحمد بن الحاج مبارك بن المصلوت القاضي في (تزنيت) كان عندي أصيل تلك العشية، فطلعنا معاً إلى السطح نفتش عن الهلال والأفق

صاح فلم نزل حتى غربت الشمس بكثير ثم قبل وقت العشاء دق علي من أخبرني أن فلاناً رأى الهلال فخرجت فلاقيت الحاج مباركاً فذكرت له ذلك ولكن وصيته أن لا يشيعه حتى يثبت الأمر ثبوتاً شرعياً، فارسلت على من أخبر عنه بالرؤية، فأبى أن يلبي الدعوة، ثم سمعت من أناس من بينهم نساء أنهم أخبروا أيضاً بالرؤية، وفي الصباح ورد علينا أمر من الرباط لنبحث عما عندنا من الرؤية فإذا بالذي خفت أن يقع وقع بالفعل، فقد حدث الحاج مبارك أكَادير بما في نفسه وحدث أهل أكَادير الرباط بذلك، فإذ ذاك استدعيت كل من ادعى الرؤية فأقر البعض وأنكر البعض، فأخبرنا الرباط بما تحصل عندنا، فالذين ادعوا الرؤية لا يتفقون عادة على الكذب صراحة ولكن قلوبنا لم تثلج لما قالوه، ولذلك صار الباشا الشنكَيطي يصرح للرباط بأن الرؤية لم تثبت في تارودانت.

أقول: هذا ملخص ما وقع، ولا ريب أن الرباط اعتمدوا على كثرة الناس الذين ذكر لهم أنهم رأوا الهلال من أكَادير ومن تارودانت ففعلوا ما فعلوا ثم كان من الناس من عيد بتعييد الحكومة، ومنهم من أبى ذلك، ثم لما مضت الثلاثون ولم ير الهلال، ظهر حينئذ أن الرؤية لم تثبت قطعاً.

وأما حكم المسألة في الفقه فحيث أننا نعرف أن وزارة العدلية في الحكومة تتثبت في مثل هذه الأمور، فإن الواجب هو اتباعها، فمن خالفها فصام في العيد أو أفطر في يوم الصيام، فعليه إثم في صيام العيد، وعليه الكفارة في إفطار يوم الصيام، ثم إن وقع ونزل وبدا أن ما اعتمدت عليه الحكومة خالف الواقع، فإن المتعين قضاء ذلك النهار فقط إن وقع التعييد في آخر رمضان، ولا كفارة أصلاً، هذا هو ملخص الفقه، وبه أفتى الفقيه سيدي أحمد الكشطي العلامة الشهير التناني مدرس مدرسة (ألمى) في هذه النازلة بعينها.

نعم يجب على الحكومة أن تحرض القضاة على التثبت كثيراً والتشدد في مثل ذلك ما أمكن، وهذا بنفسه ما فعلته حكومتنا بعد هذه الواقعة، فألزمت كل قاض أن يوافيها بكل ما عنده آخر كل شهر، تاماً كان أو ناقصاً، كما ألزمتهم

أن يوافوها بما تحصل عندهم ولو رؤية واحد ولا ريب أن لحكومتنا اليوم 1364 هـ أتم اعتناء بهذا الأمر، لا يجهل ذلك إلا غبي أو متغاب، ثم إذا وقع غلط أو كذب من الشهود الذين بنيت عليهم شهادة الرؤية، فإن ذلك لا يقدح في وزارة العدلية، كما لا يقدح في القاضي إن اعتمد على شهادة من يراهم عدولاً فينفذ الحكم بسببهم، وإنما يؤاخذ العدول إن لم يكن لهم عذر بين، وهذا كله واضح لمن اهتدى، وإنما الحكم في النازلة هو ما في المختصر "وإن لم ير بعد ثلاثين كذباً" ولم يقل أنه متى وقع تكذيب شهود في هذه الرؤية فإنه لا يعتمد أي شهود آخرين في رؤية أخرى، ولا أدري أين يذهب بالفاهمين من بعض فقهائنا حتى لم يفهموا المسألة حق الفهم هكذا، وإنما نبهنا على ما في المسألة لأنها أثارت ضجيجاً كبيراً في الأوساط الدينية فقلنا ما عندنا فيها، لعل صماً يسمعون وغلفاً يفهمون وعمياً يبصرون.

ومن خط القاضي سيدي موسى أيضاً: عزل السيد العربي بن حمو الأيكاسي عن خطة أبي المواريث في يوم السبت 4 رجب عام 1345 هـ فوليها مكانه السيد الطاهر بن الحاج عمر المراكشي وكانت أمانة الأملاك المخزنية إذ ذاك تابعة لمراكش، فلما أسست لها إدارة في أكادير انتقل السيد الطاهر المراكشي إلى منصب الأمين فيها، وولي خطة أبي المواريث بعده السيد العربي بن أحمد السنتيسي الرداني وكان مبذراً متهوراً، وكان الأمين السيد الطاهر المراكشي يستغله في الابتزاز، فلما رأى أن ذمته قد ثقلت بأموال الخزينة العامة تنكر له وأقام عليه ضجة بطلب المحاسبة فتورط في ذلك تورطاً ذهب بكل ما بيده مع عقوبة بالسجن، وكانت سبب خروجه من رودانة، وإذ ذاك أسندت خطة أبي المواريث بسوس كله للسيد الحسن الإخصاصي فكان ينيب عنه في تارودانت سيدي أحمد بن القاضي سيدي موسى، وبتزنيت سيدي العربي بن محمد الطاحوني التزنيتي، ثم بعد ذلك أسندت خطة أبي المواريث برودانة نهائياً إلى سيدي أحمد بن القاضي سيدي موسى والسيد الحسن الإخصاصي انتقل إلى نظارة الأحباس بعد الاستقلال فسكن في تارودانت.

كما نقلت من خط القاضي أيضاً وفيات أناس في رودانة، لعل لهم مكانة اجتماعية كما نقلت عنه وفيات علماء فيما تقدم.

توفي السيد المدني بن علي بن بلا بزاوية (تيغرسي) في السبت 29 رمضان 1333 هـ وأخوه سيدي العربي في يوم السبت الثامن أو التاسع من رجب عام 1339 هـ والقائد فضول ابن الحاج بن عبد الفضيل البونوني يوم السبت الثامن من ربيع الأول عام 1331 هـ والقائد فضول الرداني يوم الثلاثاء التاسع عشر من ربيع الثاني عام 1348 هـ والسيد المسن قدور الشتوكي الروداني يوم الأحد 23 من ذي الحجة عام 1321 هـ ومحمد بن قدور الشتوكي المذكور في 23 من ذي الحجة عام 1326هـ والقائد ملوك قائد العسكر (برودانة) بجراحات إصابته في حرب (أكنيبيش) (بهوارة) يوم 14 ذي القعدة عام 1332 هـ وقائد الرحا العسكري محمد السرغيني هلك في (أضاروامان) من قبيلة (كْطيوة) يوم الخميس التاسع عشر من ذي الحجة عام 1336 هـ وقتل النفوص والسيد حمو كْرين واثنان معهما بأمر الحاج حماد في دار ولد بوعكّاد السكّيري (بهوارة) يوم الخميس 23 ربيع الثاني عام 1338 هـ والسيد المسمى الطالب عمر بن عبد العزيز الروداني في 12 محرم عام 1332 هـ ببلد حمر بهوارة بحرب وقعت هناك، والشيخ الحسن بن بلعيد الكْماضي في يوم الأحد 21 من شعبان عام 1341 هـ وولده محمد يوم الثلاثاء 18 من ذي الحجة 1344 هـ والشيخ عمر ابن علي الهواري أخو الضوء الحمري في أوائل رجب عام 1350 هـ وقد اشتهر بلقب الخنزة والسيد المدني الإيكْليبي أوائل شعبان عام 1347 هـ والشيخ محمد نيت علي الزيادي ليلة الجمعة من ذي القعدة عام 1337 هـ ومحمد أوشوطة الإيكْاسي في 10 جمادى الأولى عام 1332 هـ ومولاي الحسن بن عمر في يوم الأربعاء 4 جمادى الأولى عام 1334 هـ والعابد الحاج محمد اليزيدي الأوريكي تاسع رمضان عام 1332 هـ والشيخ محمد بن سعيد المنابهي في ثاني في القعدة عام 1332 هـ ومحمد بن قدور البونوني[1] ليلة الرابع من رمضان عام 1332 هـ في حرب تيدسي التي ضاعت فيها رقاب وأموال، والأشيب العاقل البركة الفاضل السيد الحاج بريك بن فضول الروداني

(1) إذا وردت هذه اللفظة أثناء كلامنا حول تارودانت فالمراد بها النسبة إلى حارة باب (أولاد بونونة) فيها.

صاحب المروءة والعقل الراجح في يوم الجمعة تاسع المحرم عام 1333 هـ.

أقول: أخبرنا من نطمئن إلى خبره أن الحاج بريك هذا كان مضرب الأمثال في الشفقة والرحمة والتعقل في رودانة، وقد كان ناظراً للأحباس مدة طويلة أحسن فيها التصرف غاية الإحسان وقد كان مثرياً من الاتجار في سوس وفي خارجه وكان الناس يطلبون إحسانه فلا يرد أحداً حتى اليهود وقد كان ببابه منهم وفود تأتي لطلب الصدقة، وقد اشتهر عنه أنه يتحرى الأسر الفقيرة في عيد الأضحى فيوزع عليها الأضاحي، وكان بعض من لا يستحون يستغلون مروءته فإذا رأوه مقبلاً في الطريق اختصموا وأقاموا ضجة بينهم وتلاكموا وكان من عادته التدخل في فك مثل هذه المعارك بالحسنى مخافة أن تصل إلى أرباب السلطة الذين لا يراعون إلا أذن ولا ذمة، فإذا تدخل بينهم أخبره أحدهم أن بذمته لخصمه كذا وكذا وأنه ألزمه بغرمه وأنه معسر ويخاف إذا ذهب به إلى أرباب السلطة أن يقع في مأزق فلا يكون من الحاج بريك إلا أن يمد يده إلى جيبه فيخرج المبلغ ويمكنه لرب الدين ولكن إذا ابتعد الحاج بريك تضاحك الخصمان واقتسما ما أخذاه منه.

وقد ولي نظارة الأحباس بعده السيد أحمد زعيكر وبقي فيها مدة حتى توفي فوليها السيد أحمد اليزيدي فرت المتقدم ذكر وفاته.

ولنرجع إلى ما ننقل من خط القاضي سيدي موسى: وتوفي محمد ولد الحاج بريك ابن فضول في يوم الجمعة تاسع المحرم عام 1343 هـ والحاج الطاهر بن الحاج بريك بن فضول يوم الاثنين 6 شعبان 1329 هـ والشيخ محمد ابن الحسن من عنق الأحد في الجمعة الرابع من ربيع الثاني عام 1349 هـ والشيخ حماد بن القائد الحاج المحلاوي في 12 جمادى الثانية عام 1342 هـ، وغدر بالشيخ حمو بن عبد السلام أوساسي على يد من يترصدونه في طريق بالغابة فمات في 24 ربيع الثاني عام 1330 هـ والشيخ محمد أجعموم الهشتوكي برودانة في 16 شوال عام 1330 هـ والشيخ محمد بن الحاج الحسن المنتاكي في 15 من ذي القعدة عام 1330 هـ بسبب جرح إصابة حين كان يدافع عن ابنه إبراهيم في أيت إيكّاس، والشيخ بورحيم بن ملوك الحاج

في يوم الأربعاء 24 جمادى الأولى عام 1338 هـ والشيخ سعيد بن حيدة بن كروم العيساوي يوم الأحد فاتح ذي القعدة عام 1341 هـ واعتقل آل الضوء ومن معهم حين اشتكوا بعاملهم الحاج حماد بن حيدة لدى الحاكم الفرنسي برودانة وكان اعتقالهم إحدى الموبقات التي أصابت الحاج حماد فيما بعد وقد ألقي القبض على السيد الحاج مبارك بن علي المناني المعروف بالسفروري من طرف الحاكم الفرنسي المسمى القبطان دوني بسبب مداخلته للحاج حماد حينما كان دوني هذا يبحث عن عورات الحاج حماد ليوبقه بها، ليصفو الجو لتوزيع إيالته وذلك في 29 المحرم 1345 هـ ومنع بيع الثنيا في مدينة تارودانت في 14 شعبان عام 1343 هـ.

قال القاضي سيدي موسى إنني طلبت الله تعالى أن يكف ضرر هذا البيع عن الناس فلم نلبث أن ورد منعه بالكلية، ولم يكن بين هذا الدعاء وبين أن اهتمت الحكومة بمنعه إلا شهر وعشرون يوماً، وقد كتب رحمه الله في ذلك ما نصه: "ليعلم الواقف على هذا المسطور أني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ﷺ، وإن جميع ما جاء به من عند الله حق لا ريب فيه ولا تردد، وإنني ممن يعتقد اعتقاداً جازماً حرمة ما يسميه أهل الوقت وقبله بيع الثنيا، ويرجون بذلك حيلة الغلة لأخذها، وهو لم ينطبق عليه حد البيع بدليل عدم المماكسة وطلب الزيادة فيه تصريحاً، وغير ذلك مما يدل على أنه محض ربا، وسلف جر نفعاً، وإني لأبغضه أشد البغض، وأبغض من يفعله، لكني لا قدرة لي على رد الناس عنه لتمالئهم عليه، وعدم سماعهم إنكاري عليهم، مع شدة النكير مني عليهم، في غير ما موطن بمجلس الحكم وغيره، ولا يغتر أحد بوجود خطابي عليه مع كثرته، لا سيما في هذه الأيام الأخيرة التي انقلبت فيها الدنيا ظهراً لبطن، فإن ذلك لا يدل على رضاي به، وإنما المراد به بعد الاضطرار الفادح الذي لا أجد عنه انفكاكاً بحال، ثبوت المال الذي أخذه الراهن من المرتهن، ليلاً يضيع على المرتهن بالكلية إذا لم يأكل مقداره من الغلل لقوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: 279] فالله يتجاوز عنا بمنه وجوده وكرمه، وكتبه في 21 جمادى الثانية عام 1345 هـ عبيد الله تعالى موسى بن العربي لطف الله به، ثم من عجيب

الأمر أن ألهم الله المخزن أن أصدر أمره بمنعه منعاً كلياً في 14 شعبان عام 1345 والحمد لله على ذلك، فبين مكتوبي أعلاه وبين الأمر بمنعه من غير إعلام أحد من أهل المخزن بذلك، شهر واحد واثنان وعشرون يوماً" انتهى.

أقول: إن الجشتيميين وسيدي محمد بن مسعود المعدري والشيخ التاموديزتي في آخرين ذهبوا كلهم إلى هذا، ولكن لا يطاع لقصير أمر.

(أقول) إن مقيدات هذا القاضي كثيرة، وذلك يدل على غاية الاعتناء منه، وقد تقدم ما قيده من وفيات العلماء.

ومما رأيته في تارودانت من الكتب السوسية، "مرآة المقيم والظاعن، في مدة الوباء والطواعن" وفي أوله: لما ورد على شيخنا وقدوتنا سيدي محمد بن إبراهيم سؤال من أهل بلدنا عن الفرار في طاعون (زقاوشن) الذي نزل على أهل مراكش فوجم بعد أن لم يدع الزين فيه والشين، تصدرت عنه بإذنه للجواب الخ والكتاب في عشرة فصول وهو في قالب طويل مبتور في وسطه، وهو صغير في ورقات وفي آخره يقول:

انتهى ما تيسر وليس لنا فيه إلا التسطير، وجل ما فيه من الإرشاد الساري على بذل الجهد في الاختصار، إبراهيم بن علي بن أحمد المرتني وهو صاحب (الأجوبة الويدانية) المشهورة وهو من أهل أواسط القرن الثاني عشر إلى أواخره وقد عرفنا هنا أن أستاذه يسمى محمد بن إبراهيم واراه الفقيه المحدث اليعقوبي مدرس (تاڭرڭوست) المتوفى 1134 هـ ولعلي رأيت الكتاب في خزانة القاضي رب مثواي الهوزالي. ومما رأيته أيضاً هناك في خزانة سيدي موسى، كتاب (النور الباهر في نصرة الدين الطاهر) ليوسف بن عبد الله الإسلامي لما هداه الله للإسلام من اليهودية وقد أسلم بعد 1020 هـ ساق في الكتاب عن التوراة أموراً تدل على صحة الإسلام، وقد كان حبراً من أحبار اليهود ولم يكن متين العربية فناول الكتاب للقاضي أبي زيد عبد الرحمن التامانارتي فهذب عربيته فأتمه يوم الثلاثاء 24 جمادى الثانية عام 1053 هـ وفي الكتاب 23 صفحة وهذه النسخة كانت بخط القاضي سيدي موسى وهي نسخة قيمة وما أجدر الكتاب بالطبع العاجل ليكون إزاء إخوانه من الكتب المؤلفة قديماً

وحديثاً في الموضوع وقبل أن نودع هذه المدينة نذكر أنه قد شاع أن الحومة المسماة (أولاد بونونة) يقال أن جدودهم الساكنين هناك أسلموا من بقية البرتغاليين الجالين عن (أݣادير) بعدما فتحه السعديون كما أننا نعلن أن (تارودانت) تعجبنا وتعجب كل منصف، وكيف لا وفيها كرماء أجلاء وأننا لا نوافق على ما يقوله فيها صديقنا القاضي سيدي موسى:

جهلت جهلت هل من أهل ردانة تروم فلاحاً إن ذا لمحال
وكيف وقد مضت قرون عليهم ولم يتغير طبعهم وفعال
وكم قد رأينا من مساوي بنيهم عجائب لا يعدهن مقال
تقفت طرائق الكبار صغارهم فكل له في المخزيات مجال
إذا ما دعوا للخير حاصوا وأدبروا وللشر جاشوا مهطعين ومالوا
جبلة سوء قد تقادم داؤها فليس بها بعد العناء زوال
فلا تطمعن في صلاح طباعهم فقد رمت ما - والله - ليس ينال
ولا سيما اولاد من كان والياً بها فهم رغم الأصول وبال
وفي عام (شمس) حين حل بمغرب وبال بدا في الازدياد خبال

ولا يضر هذا بالصالحين من أهل (تارودانت) (فما زالت الأشراف تهجى وتمدح) ولم نر مدينة سلم أهلها من هجاء مدينتهم فهذه (فاس) وهي ما هي قد قيل فيها ما قيل ولكن لا يضيرها ذلك كما قيل في (مراكش) مثله فهذا أبو القاسم بن أبي عبد الله محمد بن أيوب الغافقي الأندلسي يهجو مراكشاً فيقول:

مراكش إن سألت عنها فإنها في البلاد عار
هواؤها في الشتاء ثلج وحرها في المصيف نار
وكل ما ثم، وهو خير من أهلها، عقرب وفار
فإن أكن قد مكثت فيها فإن مكثي بها اضطرار

وقد سمعت أن لبعض الشعراء الكبار ذماً أيضاً لتزنيت ولا يبالي بالشعراء إلا الغاوون لأنهم هم الذين يتبعونهم ويستمعون إليهم فقد مدحت مراكش بقواف عديدة أجلها قول القاضي ابن عبد الملك:

لله مراكش الحمراء من بلد | وحبذا أهلها السادات من سكن
إن حلها نازح الأوطان مغترب | أسلوه بالأنس عن أهل وعن وطن
بين الحديث بها أو العيان لها | ينشأ التحاسد بين العين والأذن

كما مدحت (رودانة) بقول بعض السوسيين:

إذا المدن قد جمعت كل ما | لدى كل ذوق حلا وحسن
فحسبي (ردانة) من فضلها | متى صنت عرضك فيها تصن
ففيها كرام موائدهم | زواخر تمخرهن السفن
وفيها من أهل (ابن مصلوت) من | يصقل أسيافها ويسن
وفيها الأديب ابن خرباش قد | كفاها حلياً غلا وثمن
ستغبط عينك إن تليت | قصائده المنتقاة الأذن
وفيها وفيها مفاخر إن | تنافر بها غيرها لا تهن
وسكانها مرنوا للعلا | أيسفل من للعلا قد مرن؟
إلى المجد سهلهم سنن | قويم ونهج سواه حزن
دعوا الشمس لا تستروا نورها | فإن (ردانة) خير المدن

قبيلة أولاد يحيى:

هي القبيلة التي تتصل بالمدينة في كثير من جهاتها كما تتصل أيضاً بها (هوارة) وهي قبيلة غير كبيرة، ويقولون أنها من بقايا (الشبانات) القبيلة الكبيرة التي ذكرت في التاريخ قبل (هوارة) وحين تعين القواد على قبائل سوس بظهائر السلطان مولاي الحسن تعين القائد سعيد الجعيدي على (أولاد يحيى) ثم كان ممن اعتقلوا من قواد سوس قبل مجيء الباشا حمو، وقد كان ذهب إلى الشكاية إذ ذاك الشيخ حيدة الذي صار له شأن بعد ذلك كما تقدم، الحاج إدريس بن محمد بن بلا، وبريك بن عيسى بن حماد من أسرة (أولاد ابن عيسى) المشهورين في قبيلة (أولاد يحيى) وإذ ذاك تولى الحاج إدريس قيادة أولاد يحيى، وأصل أهله من (ايت وادجاج) فوق قبيلة (منتاكة) وكان ديناً خيراً

ذا مروءة، محباً للعلم والعلماء، يملأ بهم مجلسه ويفسح صدره لمواعظهم، وقد طارت عنه سمعة طيبة إلى الغاية، وقد كان بينه وبين (أولاد ابن عيسى) المذكورين منابذة ومزاحمة على الرئاسة، فقد كان الحاج علي أخو بريك بن عيسى بن حماد المتقدم مع الكابا وحاول غدره في (تارودانت) فتنبه له الكابا فتمكن منه، ودفعه إلى الحاج إدريس فقتله، ولم يزل الحاج إدريس قائداً يدور مع الزمان إلى أن وافاه أجله حتف أنفه عام 1328 هـ. فكان من سعادته أن سيق إليه الشيخ ماء العينين فصلى عليه، فخلفه في القيادة ناصر ابن الحاج علي في (ايت يعزى) بإذن منه[1] وهو الذي سكن في (فرايجة) على شفير وادي سوس، وقد صالح أهل الربع التحتاني من أولاد يحيى يوم الأربعاء العاشر من شوال عام 1329 هـ، بعدما كانوا انحرفوا عنه وعن الحاج إدريس قبله نحو تسع سنين.

ووجدت بخط القاضي سيدي موسى ما نصه: (عمر المنابهة على القائد ناصر ابن الحاج علي في (أيت يعزى) وخرج البارود وعمر ما بقي إلى (تيمدوين) في الثلاثاء مفتتح ربيع الأول عام 1330 هـ وفي عشرين من الشهر المذكور ذبح المذكور فأفرج عنه الحصار ولا ريب أن الذي فعل ذلك بالقائد ناصر هو حيدة خصوصاً حين صالحه الباشا الكابا في آخر أمرهما فصارا يتعاونان على أمورهما).

ووجدت بخطه أيضاً ما نصه: (في الأربعاء الرابع عشر من ربيع الثاني عام 1330 هـ ذكر أن عبد السلام بن عيسى اليحياوي نزل في (المنيزلة) وبعث رسوله إلى (أولاد الحلوف) من هوارة[2] فلم يقبلوا ما جاء به من التولي على أولاد يحيى.

أقول: لا ريب أن عبد السلام هذا أتى بالتولي على (أولاد يحيى) من المولى عبد الحفيظ فلم يساعده الزمان).

---

(1) الحاج علي والد ناصر غير الحاج علي ابن عيسى فوالد ناصر من عائلة يعرفون بأولاد التومي.

(2) أولاد الحلوف قرية من أولاد يحيى غير أنها تلاصق هوارة جداً وفيها سوق الثلاثاء.

ووجدت بخطه أيضاً (في فاتح جمادى الأولى عام 1330 هـ اجتمع أولاد عيسى بريك وعبد السلام مع القائد ناصر بـ(فرايجة) فتشوش الناس وبينما الناس هكذا إذ دهمهم أمر الهيبة إلى أن كان ما كان فلم ينشب القائد ناصر أن كان في زمرة القواد الذين يحاربون الهيبة حتى أخرجوه من تارودانت فاستقبل بقبيلته إلى أن توفي مريضاً (بمراكش) في 14 رمضان عام 1345 هـ ثم تولى الشيخ محمد بن الحاج على أخيه في يوم الثلاثاء 29 ذي القعدة من السنة نفسها، ثم تولى بعده الخليفة عن ناصر كل مدة ولايته وهو السيد العربي ابن موسى الركادي في يوم الخميس ثاني ذي الحجة عام 1345 هـ وهو من أسرة أولاد باحيدة فيقال القائد العربي ولد باحيدة.

رجع إلى الحديث عن القائد ناصر بن الحاج علي قد أناخ هذا القائد على أولاد يحيى بكلكله ومثل فيهم الحكم الجائر المطلق في أموالهم وأعراضهم واتخذ جلساءه من بطائن السوء على عكس سلفه الحاج إدريس وهاجر بتناول المخدرات والخمور واتخذ القينات المغنيات واقتنى لهن آلات الطرب الفاخرة وأحضر لهن المعلمين المطربين من المدن وكان متهوراً في الإنفاق والاحتفالات فقد حكي عنه أن وفداً طرقه ليلاً فدخل الأروة مع جزاره وهو سكران فجعل يقول له اذبح هذه، اذبح هذه مشيراً إلى البقر ثم أشار إليه إلى حمار وقال له اذبح هذه فلم يسع الجزار إلا الامتثال وقد كان ينافس في ذلك آل حيدة بن مايس وقد خلف ناصر عدة من الزوجات بأولادهن غير أن قاضي (رودانة) لم يورث إلا واحدة فقط مع أولادها إذ هي التي ثبت نكاحها بصفة شرعية ولعلها أخت القائد العربي ولد باحيدة المذكور.

(أقول) إن الإيكراري ترجم ناصراً فوصفه بما فيه.

والقائد العربي بن موسى هذا هو الذي ما زال قائداً على (أولاد يحيى) إلى الآن وقد اجتمعت به في دار السيد الحاج مبارك بن علي السفروري المناني التمدويني وقد كانا سلفين على بنتي الحاج محمد بنونة الفاسي المراكشي ولذلك لا يكادان يفترقان وقد رأيته في ذلك اليوم ضعيف البنية قد أنهكه الترفه مع أنه بدوي من الركّادة كما ترى وهو حليق الذقن على نشأنه وكبر سنه في

الالتحاء وعليه سمت حسن وهو متدين مبتعد عن مجالس السوء والخمور حتى أنه ليتنفل - فيما ذكر لي - في الليل حتى اشتهر عنه ذلك ومرجع ذلك لحفظه للقرآن في صغره قبل أن يرتطم في السياسة والرئاسة مع ناصر إن لم يكن قبله لأن ذلك قديم في بيتهم ويقال أنه ليس من القواد الجشعين فقد حكى لي ثقة أنه القائد الوحيد الذي احترم قبيلته في هذه السنوات سنوات الحرب حيث ألقت الحكومة للقواد الحبل على الغارب فصاروا يحتوشون من أموال الناس بلا رفق ولا شفقة وبهذه المزية فاز القائد العربي ثم هو ذو ثروة واسعة بما له من الفلاحة وبساتين الزيتون وقد سكن (فرايجة) أيضاً، وله بها روض أسفل الأكمة وقد خلف البنايات التي بناها القائد ناصر تندب حظها وقد مررنا في ذهابنا إلى (تيبيوت) إمام روضة الأنيق وقد تضاربت الأقوال حول هذا القائد العربي بين المدح والذم فنكل أمره إلى خالقه والظن بالله في كل من يتظاهر بالخير جميل.

إلى تازمورت:

خرجنا في عشية يوم على البغال التي بعث إلينا بها الشيخ عبد الله بن حماد بن منصور شيخ آل تازمورت فخرج في صحبة سيدي عبد الرحمن[1] بن الفقيه سيدي عبد الرحمن الساكن هناك، فمررنا بساقية تارغنت وإنما سميت كذلك لأنها جاءت من ناحية أرغن على ما يظهر، وهي ساقية غير كبيرة، ثم مررنا بمقبرة تحمل اسم مقبرة سيدي أبي الذهب وفيها مشهده، اتخذها الناس محجة واسعة فلا يحترمون القبور، وقد ذكر أن أبا العباس الجشتيمي كان أمر بتحويطها في عهده، ثم تراجع الناس إلى ما ألفوه في سلوك سرة المقبرة، ثم وصلنا وادي سوس المتسع، فقد حزرت ما يمتلئ فيه بالسيل بنحو ثمانمائة متر إلى نحو كيلو متر تام، ومتى فاض فيضاناً عاماً كالسنة الماضية فإن كل ذلك المكان الأفيح يطفح ماء إلى طفافيه، ولكنه الآن لا نقطة فيه إلا ماء عين نبعت من تحت (فرايجة) وليس وادي سوس من الأودية التي تسيل على طول السنة، وإنما تسيل أسافله من نحو نصف هوارة بماء

(1) توفي بعد صدر سنة 1381 هـ، وأهله الجيشتيميون في (الجزء السادس) من المعسول.

قليل، ثم يتكاثر قليلاً حتى يكثر ماؤه في قبيلة كْسيمة، وعد المراكشي في كتابه "المعجب" هذا الوادي من الأودية السائلة دائماً، وليس قوله على عموم إطلاقه كما بينا ذلك قبل، ثم بعد أن اجتزنا الوادي ودخلنا غابات الزياتين في الضفة الثانية وصلنا أولاد ترنة حيث دار الخليفة السيد العربي ولد عبيد خليفة القائد العربي بن موسى المتقدم ذكره وأبوه عبيد هذا جلالي الأصل، من قبيلة أولاد جلال ولم تكن له علاقة بأرباب السلطة والجاه وإن كان من أكبر الفلاحين في ناحيته وقد توفي والده هذا ليلة الخميس ثاني شوال عام 1339 هـ، ولولده هذا الخليفة العربي من حسن الأحدوثة ما يستوقف الأسماع ويرهف من أجله اليراع، فإن كل الذين ألقاهم هناك لا يقرنون به أحداً كرماً ومروءة وديناً وعفة، وقد رأيته في دار الكريم الحاج مبارك يوم تغدينا لديه فرأيته ساكن النامة، كثير الصمت، ولم أكن أعرف عنه إذ ذاك شيئاً، ثم بعد ذلك أفاض عنه المتحدثون المختلفو المشارب والمقاصد بما يغبط عليه، وقد رأينا داره الواسعة الفيحاء كقلعة كبيرة ورأينا القرية إزاءها كبيرة، فيا سعادة من أيدته السعادة حتى لا يعرف إلا طرق الخير، فألسنة الخلق أقلام الحق، ومن شهدتم له بالخير وجبت له الجنة كما ورد معناه في الحديث:

والناس أكيس من أن يمدحوا رجلاً ... ما لم يروا عنده آثار إحسان

وقد قال الشاعر الجاهلي:

أتهزأ مني إن سمنت وإن ترى ... بجسمي شحوب الحق والحق جاهد

أفرق جسمي في جسوم كثيرة ... وأحسوا قراح الماء والماء بارد

أجرى بعض الأدباء يوماً عن البرامكة سيلاً طافحاً من الثناء عليهم بالكرم الذي اشتهروا به فقال له بعض الوزراء البخلاء أن الناس يكذبون على البرامكة، فقال له الأديب ولماذا لا يكذبون على سيدنا الوزير فينسبونه إلى الكرم أيضاً، فكأنما ألقمه حجراً ولله در القائل:

أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم ... من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا

وبعد كتابة ما تقدم حدثت من بعد تلك الأمور أمور أخرى في الرجل حينما تولى قيادة قبيلته أولاد يحيى فقد انمحى من الألسنة ما كان يتدفق به كل ناد عنه وما ذلك إلا مما ظهر منه مما يتداوله الناس أيضاً بتواتر، والكل يقول

أن أحواله كلها تبدلت من كل جهة، ونعوذ بالله من تسلط الألسنة التي لا تعرف رحمة، كما نعوذ من الحور بعد الكور (أو من النقص بعد الزيادة).

ثم إننا وصلنا إلى (تازمورت) فزرنا هناك - بعدما ضيفنا الشيخ عبد الله أفضل ضيافة ولله دره من كريم أريحي - زاوية الفقراء أصحاب الطريقة الإلغية، وهم هناك متوافرون، كما زرت الشريف الفقيه سيدي مولاي أحمد بن الفقيه سيدي - محمد الولتيتي الرسموكي الأصل الروداني المنشأ، وهو من الشرفاء المزاوريين التامالوكتيين، وقد سكنت أسرته تارودانت فكان منها أبوه سيدي - محمد بن أحمد المتوفى قبل عقود من السنين، وعمه سيدي علي بن أحمد المتوفى في الثلاثاء 23 صفر عام 1332 هـ.

ومولاي أحمد هذا من رجال الوقت بركة وكرماً وأريحية، وله أتباع يعتقدونه، وقد تصدر في الطريقة الأحمدية، وبنى في داره زاوية ملأها خيراً وبشاشة وحسن أخلاق، وقد كان له صحبة بالشيخ سيدي الحاج الحسين الإفراني، وكان يصل أهلنا في إلغ كالأستاذ سيدي علي بن عبد الله، وقد جال في الميادين حتى في التجارة، وقد لاقانا بما جبل عليه من الكرم الجم، ثم صدرنا عنه بما لا ننساه من شمائل حسنة وطيب مجالسة، ومما أنشده في المجلس لسيدي إبراهيم الهلالي من قصيدة:

ومن يبع رضا المليك الحق ... بشهوة تفنى فأشقى الخلق
والعلم ما أكسب خشية العليم ... ومن خلا عنها فجاهل مليم
لذاك قيل العلم يدعو العملا ... إن يلفه قر وإلا ارتحلا

ويستقر أخبار عن علماء أهله المزاوريين في المعسول[1] إن شاء الله.

وقد رأيت هنا بعض كتب عند رفيقي سيدي عبد الرحمن بن محمد، فرأيت فيما عنده مؤلفاً للمرغتي في أبطال السحر، كتبه إلى مولاي الهادي بن علي بن الطاهر الشريف وفي الكتاب 14 صفحة صغرى، ومؤلفاً أدبياً في 11 صفحة مملوءاً نثراً وشعراً، لأبي زيد الجشتيمي، ألفه عام 1345 هـ، كما أنني

(1) في (الجزء الثامن).

وقفت على قصائد للجشتيميين الفصحاء، فأحببت أن أودعها هنا، منها ما قاله أبو العباس يرحب بسيدي محمد بن الصغير الجندلي الهلالي:

نفسي الفداء لصفوة الأحباب ... مفتاح حال الأنس من أبواب
الجندلي أبو عبيد الله ذي ... شيم على مهج القلوب عذاب
حفظ العهود الموثقات من الهوى ... ما بيننا في سالف الأحقاب
أنضى إليها كي يجددها، وإن ... لم تبل من بين، متون ركاب
فوجدت من أنسى بلقيا الحب ما ... تجد العطاش بصافيات عذاب
وأتى منازلنا وكم حنت له ... كالغيث وافى حلة الأجداب
فرحت برؤيته الديار وقابلت ... نور المحيا منه بالترحاب
أهلاً بإقرار العيون ومرحبا ... بخلاص أرواح من الأصلاب
ذوت القلوب من النوى فأعادها ... كحدائق شكرت صنيع رباب
ولقد جلا من قبل وده وداده ... ببنات فكر زفها أتراب
تفتر عن ود صفا وتحن للـ ... ـقيان في طرب وفي إطراب
حييت بإجلال راءه واجباً ... كلام الطباع لها وفضل حباب
لله من أحييت قتيل غرامها ... بتودد يصبي وحسن شباب
قد أوجب الإنصاف شكر صنيعه ... أبداً علينا أيما إيجاب
ماذا أقول لعالم متواضع ... متواصل الأوراد والأحزاب
متأدب في كل ما حال بما ... للسنة الغراء من آداب
من ذا يقوم بحق حب لم يكن ... سبباً إلى أرب من الآراب
حب صفا عن كل شوب ما له ... نظر لغير المالك الوهاب
يا من كمالة فضله وعلائه ... أدت حقوق المجد في الأعتاب
لا تنس من فضل الدعاء متيماً ... لم يقض حقاً واجباً لحباب
خلد الهوى بجنانه وألبت الـ ... أشواق فيه أيما الباب
لم تبرح الذكرى يورث جدها ... فيه الصبابة أيما أثقاب

لكن صروف الدهر تجري تارة ... بصدود مشتاق وطول جناب
جعل الإله جنابنا في ذاته ... وأصارنا طراً بحسن متاب
حتى نصير به لرحمة ربنا ... في الجنة الوسطى بغير حساب
وأرض ابنة الأفكار منه واغتفر ... زلاته فهو الضعيف الكابي
لا زلت بدراً كاملاً تهدي به ... في المبهمات حوائر الألباب
حيتك عن حب قديم عهده ... متأيد متأكد الأسباب
وافتك في خفر تنادي مرحبا ... نفسي الفداء لصفوة الأحباب

وقال أيضاً قولة تدل على إخلاص القائل لربه في عبوديته والرضا بما فعله به ربه:

إله الورى فرد تعالى عن الولد ... فليس له في وصفه كفؤا أحد
قدير على ما شاء خالق كل ما ... يشاهد أو في الغيب من عالم وجد
له الحمد إن أعطى له الحمد إن منع ... له الحمد إن أدنى له الحمد إن طرد
له الحمد إن يرحم له الحمد إن يعذ ... ب العبد في الأحوال أجمعها حمد
ففي ملكه كان التصرف منه وهـــــو عن حكم كانت جلائل ما انفرد
فسلم له تسلم وسل كل ما تريـــــــد منه فما كف ترد له ترد
ولا تتوكل في الأمور على سوا ... ه إن كنت من أهل الهداية والرشد
ولا تستند إلا لعزته فما ... رأى قط خسفاً من لعزته استند
وأيقن إذا فوضت أمرك كله ... إليه بحسن الاختيار من الصمد
وكل قضاء جاء منه تلقه ... بحسن الرضا تنعد من خير من عبد
ولا تيأسن من عظم ذنب فإنه ... غفور رحيم من أتى بابه رفد
ولا سيما من كان يسأله بجا ... ه أكرم محمود لديه ومن حمد
نبي الهدى المبعوث رحمى لخلقه ... عليه صلاة الله تبقى إلى الأبد
وتسليمه والآل والغر صحبه ... وأتباعه من فاض من بحره مدد

وقد وقفت في هذه السفرة بتيزنيت على مجموعة من نظم الشيخ سيدي الحاج

أحمد المذكور جمعها تلميذه الشيخ سيدي الحسين الإفراني عام 1288 هـ، وقد انتسختها، وهذه مطالع القصائد التي فيها على ترتيبها:

فمطلع قصيدة نبوية فيها 85 بيتاً:

صلاة وتسليم على الورد من مدا إليه يداً يرجع بإمداده ورداً

ومطلع أخرى نبوية بها 44 بيتاً:

عليك خير صلاة الله خير نبي وخير تسليمه يا خير منتخب

ومطلع أخرى نبوية أيضاً فيها 77 بيتاً:

صلوات الله أطيب من شذا المسك وأثقب

ومطلع أخرى في تمجيد الله تعالى وهي 11 بيتاً:

لك الحمد مولانا على ما هديتنا ووفقتنا فضلاً لدين مسدد

ومطلع أخرى في الوصية بالنهوض إلى الله، وفيها 11 بيتاً:

علائقك اقطع من جميع الخلائق ولا تعتلق إلا برب الخلائق

ومطلع قطعة يقر فيها بحوبه، وفيها 6 أبيات:

عبد سوء أنا بلا إشكال ليت شعري أنجو من الأنكال

ومطلع أخرى يتشوق فيها إلى المدينة المشرفة وهو بمكة، وفيها 8 أبيات:

يجاذبني شوقي إلى طيبة العلا وشوقي إلى أم القرى الطيبة الحلى

ومطلع أخرى كتب بها إلى الشيخ سيدي محمد بن مسعود من سكان مكة يشكره على أن يسر له بيتاً في جوار المسجد الحرام، فيها 11 بيتاً:

على سيدي الشيخ الكريم المؤيد بنور من المولى الأجل محمد

ثم قصيدة الرثاء التي كتب بها إلى الفقيهين سيدي عبد الكريم وسيدي إبراهيم التمليين الردانيين، وقد مرت عند ذكرنا لقضاة تارودانت قريباً.

ثم القطعة البائية المذكورة لسيدي العربي بن محمد بن صالح الرداني، وقد مرت أيضاً.

ومطلع أخرى ينافح فيها عن العلامة سيدي حمدون بن الحاج الفاسي يرد

بها على من كفره بسبب كتاب كتبه عن السلطان مولاي سليمان إلى بعض ملوك المشرق، والغالب أنه الأمير سعود الملك الوهابي الذي غلبه الترك العثمانيون فقتلوه، وهي 24 بيتاً:

إن الهدى في الناس أبلج نوراني لأهل النهي لا نكر من غير عصيان

ومطلع أخرى يمدح مجموع الشيخ الأمير وهي 49 بيتاً:

لله برق بعد طول خفائه فهمت خبايا السر من إيمائه

ومطلع أخرى بين يديها رسالة مسجعة كتب بها إلى والده وهي 57 بيتاً:

أمن وحي برق هاج وجدي نجديا أرقت ومن نشر سري لي ورديا

ومطلع أخرى كتب بها إلى سيدي الحاج ياسين الواسخيني يوصيه وهي 25 بيتاً التزم فيها ما لا يلزم:

سلام على من سار في الخلق الحسن وفي العلم والآداب في خير ما يسن

ومطلع أخرى كتب بها إلى بعضهم وهي 26 بيتاً:

أيا ليت شعري هل إلى الوطن الرحب وسكانه أهل التواصل من لحب[1]

ومطلع قطعة في مدح النبي ﷺ وهي 6 أبيات:

حق اللسان امتداح المصطفى أبدا فمدحه قربة تزكو بها القرب

ومطلع أخرى نبوية أنشأها صبيحة المولد النبوي عام 1253 هـ، وهي 14 بيتاً:

فعلى إمام الأنبياء وخيرها أزكى الصلاة جرى السلام بإثرها

ومطلع نبوية أخرى فيها 4 أبيات:

إلى م يا خير خلق الله ارفع ما أهمني من أمور العيش والدين

ثم ساق الجامع من منظومات أبي زيدة الجشتيمي، ثم إلى أقوال أبي العباس مطلع قطعة فيها 8 أبيات:

الله يغنيني عن الدنيا وما فيها وكل محبب مخلوق

---

(1) اللحب: الطريق.

ومطلع أخرى فيها 4 أبيات:

أخفف حر البين عنكم بأنني على العود للباب المعظم عازم

ومطلع أخرى يودع بها حضرة النبي ﷺ وفيها 7 أبيات:

أزف الترحل يا أجل رسول يا ليت شعري هل أفوز بسولي

ومطلع أخرى فيها 5 أبيات:

إلهي بفضل الجود منك أقبل المتا ب منا وأمن روعنا والتهولا

ومطلع أخرى فيها 7 أبيات:

ماذا تظن بمالك الخلق الذي كل الأمور لما يشاء ترجع

ومن نظمه أيضاً عند القبر الشريف كما يظهر:

أنا اخبث الزوار لا شك غير أنـــــــــني أرتجي فضلاً يفوز به الكلب

أؤمل أن أكفي بجاهك كل ما يهم وأن يحمى بفضلكم القلب

وزعم جامع هذه المجموعة الشعرية أن القطعة التي أولها:

انظر إلى الناس ماذا بصنع الوطر فبينما المرء فرد إذ بدت زمر

وعدد أبياتها ثمانية، إنها لصاحب هذه القصائد، مع أنني رأيتها منسوبة إلى أبيه أبي زيد وهو الأقرب لما نعرفه لأبي زيد من فكرته التي يذكرها عن شيخه الهوزيري حول الابتعاد عن الزواج الذي يتعب الإنسان بسببه، اللهم إلا إذا كان للابن أيضاً مثل هذا التفكير.

ثم هذه مطالع ما ذكر في المجموعة منسوباً إلى أبي زيد والد أبي العباس، ونذكره لتمام الفائدة، لكننا إنما نذكر مطالع ما هو بيتان فأكثر، دون ما هو بيت واحد مفرد، قال:

تغنى الكرام ولا تغنى صبابتهم منا ويبلى الفتى وما الفتى بال

يا ليت شعري هل يمضي لنا زمن وبهجة الوصل لم تخطر على بال

ومطلع قطعة فيها 9 أبيات:

يا من قضى كل ما أرجو من الوطر ومن كسا زلتي ستراً عن البشر

وقال:

وسيلتي أبداً في كل نازلة — نبينا سيد الأملاك والبشر

ومطلع أخرى فيها 5 أبيات:

يا ربنا عافيتنا مع ذنبنا — في المال والأولاد والأبدان

ومطلع أخرى فيها 4 أبيات:

أعدى عدوك من يدعوك للسفه — وللجهالة والأوزار والشره

وقال:

لولا القبور لطاب العيش للناس — فما اللبيب لبيت الميت بالناسي

ومطلع أخرى مقصورة وهي 5 أبيات:

كم من عدات يعيش الصب يأملها — يا ليته آيس منها فيقتنعا

وقال:

ولست بمذموم إذا الشرع مادحي — ولست بممدوح إذا ذمني الشرع

وقال:

إذا لم تكن ذا ثروة فاطلب الغنى — بجوب البلاد لا تقم في الذرى هم

فما العمر إلا ساعتان فساعة — لأخرى وأخرى لاكتساب الدراهم

وقال:

ومن يحظى من المولى الكريم — بتوفيق إلى الدين القويم

فقد حاز السعادة في هناء — وحاز الفضل في دار النعيم

وقال:

قصد الحوائج بالصلاة على النبي — أو غيرها من سائر الأذكار

نقص من الإخلاص، بل ينوى بها — كسب الأجور وغفرة الأوزار

ذلك ما في المجموعة، وقد ظفرت في هذه السفرة بأقوال لأبي زيد الجشتيمي هذا، وهاك ما ظفرت به لتخلد هنا مطالعه، من ذلك قصيدة توافق

القطعة الرائية المتقدمة المطلع، نسبت للشيخ، ونص مطلعها:

تـقـلـل مـن لـقـاء الـعـرس جـداً لـتـأنـس بـالـقـلـيـل إذا ضـعـفـتـا

ومطلع أخرى قالها في من اسمه سيدي محمد بن علي بن إبراهيم الأندزالي، والغالب أن المقصود به الشيخ مترجم خليل المتوفى نحو 1163 هـ قبل ولادة أبي زيد بنحو عشرين سنة، وهي 13 بيتاً:

سل ما لسلمى ألم يظهر لها شغفي بها وما تضمر الأحشاء من تلفي

ومطلع أخرى يذكر فيها حل ما يأخذه فقهاء جزولة من أجر الإفتاء، وهي 7 أبيات:

فـمـن أيـن لـلـقـراء نـيـل حـقـوقـهـم لدى بيت مال المسلمين وإن عنوا

وقد رأيت لها تذييلاً للقاضي سيدي موسى:

وإنـمـا ذكـرت مـطـالـع هـذه الـقـصـائـد والـمـقـطـعـات الـتـي تـوجـد فـي تـلـك المجموعة لنحرص على جمع غيرها إن وقعنا عليها، لأن ما للشيخين أبي العباس وأبيه أبي زيد من النظم كثير ويوجد في "المعسول" وفي "جوف الفرا" كثير من قصائدهما غير هذه وقد أخبرت أن بعض تلاميذ أبي العباس جمع ديوان قوافيه ولم نره، إن لم يكن المقصود مجموعة سيدي الحاج الحسين الإفراني المذكورة.

وقرية تازمورت كبيرة، ولمسجدها مقام في بعث العلوم، وقد كانت القرية فوق مكانها الحالي في الجبل، قبل أن يستقر قرار السكان في مستقرهم الحالي، وفيها عين ماء خرارة خرجت من وسط الديار ومرت بالمسجد، ثم خرجت بعيداً من القرية، فكان سقيها مجموعة سوداء من حقول الذرة وفيها آلاف من أشجار الزيتون، كما أن إزاء ذلك بياضاً لا غرس فيه، تركه أصحابه للزراعة فقط، والقرية تعد من كُطيوة إحدى قبائل تلك الناحية، وهي الآن من إيالة القائد السيد محمد بن إبراهيم التيييوتي .

وقد وجدت في المسجد الفقيه سيدي مولاي أحمد بن مبارك أخا الأستاذ الذي ذكرنا في (الرحلة الثالثة) أننا وجدناه في أو (تاتلت) وقد كان مر في هذا المسجد الأستاذ الكبير سيدي محمد بن عبد الرحمن الجشتيمي القاطن في القرية،

أمضى في هذا المسجد ما ينيف على الثلاثين سنة، قضاها في التدريس والإفتاء والقضاء بين الناس والإرشاد، وقد كان معه في التدريس حيناً ولده العلامة الشاب سيدي عبد الله المعتبط عزباً بين يدي والده، وسيدي محمد بن عبد الرحمن هو الذي أحدث دراسة العلم هنا، فقد كان أبى عليه ذلك أهل القرية مخافة أن يتحملوا ما لا طاقة لهم به من مؤونة الطلبة، وإنما تحملوا ذلك على مضض من هذا الأستاذ بادئ بدء، حتى ظهر لهم فضل ذلك(1) وقد كان هناك قبله الفقيه سيدي محمد بن عبد الله اليبوركي الإسغاركيسي(2) فكان يفتي ويقضي، ويسكن تازمورت إلى أن مات في نحو 1274 هـ ثم خلفه الأستاذ سيدي الحاج محمد الإمغارني العلوي الإيلالني، منسوب إلى قبيلة آيت علي من إيلالن، لا نعرفه إلا هنا، أخذ عن ذلك الأستاذ الجشتيمي، فدرس وقضى وأفتى هنا، إلى أن انتقل عنهم مرغمين إلى أولاد عيسى فلم يطيبوا بفراقه نفساً، فطلبوا منه أن يسوق إليهم من يعمر به مسجدهم فإذا بالعلامة سيدي محمد السملالي الشهير، فأقام هناك كثيراً إلى أن خرج كثيرين مرضيين سباقي غايات، وذوي مقامات إلى أن فتك به اللصوص، ثم تلاه الأستاذ الفرضي سيدي محمد بن علي إيكيك، فكان لا يفارق سلاحه خوف أن يكون ثاني اثنين تحت فتكات اللصوص فلم يبطئ هناك، ثم الأستاذ الأديب سيدي محمد بن الحاج الإفراني الشهير في المرة الأولى، ثم سيدي الحاج الحبيب الصوابي الحي الآن، ثم راجعها سيدي محمد ابن الحاج المرة الثانية ثم الأستاذ الأديب سيدي محمد بن علي قاضي رودانة الآن، وقد درس فيها ما شاء الله، ثم أخوه سيدي الحسن ولم يبطئ، ثم الفقيه سيدي أحمد الواوزيرتي الكُطيوي ثم الفقيه سيدي محمد بن علي الألوسي من (إميس لكست) منخ (آل الضياء) الإيلالنيين، ثم الفقيه سيدي إبراهيم بن مبارك الصوابي الأديب من قرية (وانتدو) في المرة الأولى ويسمى (بويكوالن) وقد تقدم ذكره، ثم الفقيه سيدي أبو بكر الإيلالني من (أزاغار ومسليتن) ثم الأستاذ الأديب سيدي داوود الرسموكي ثم الأستاذ سيدي إبراهيم بن مبارك الصوابي للمرة الثانية، وقد توفي في ذي الحجة

(1) الجشتيميون في (الجزء السادس).

(2) الإسغاركيسيون في (الجزء الرابع عشر) من (المعسول).

عام 1351 هـ ثم الفقيه سيدي أحمد بن الأديب المتقدم سيدي محمد بن الحاج الإفراني المتوفى وشيكاً هناك، ثم الفقيه الأديب سيدي داوود الرسموكي ثانياً، ثم الفقيه سيدي الحسن بن مولود البعمراني، من المتخرجين بالأستاذ سيدي الحاج مسعود الوفقاوي، وهو نجيب يعيش الآن في مدينة إفني، ثم الأستاذ سيدي أحمد ابن مبارك وهو الأستاذ الحالي وفقه الله.

كان الشيخ الإلغي رحمه الله يطرق قرية تازمورت في عهد الأستاذ سيدي محمد السملالي ولم يكن هذا الأستاذ يفهم الصوفية بالمعنى الاصطلاحي الذي ذكره صاحب رائية الشريشي، ومباحث ابن البناء والسهروردي والغزالي وأمثالهم، ولم يكن يعرف من التصوف إلا ما هو معتاد من أمثال الجشتيميين الواقفين على سنن الطريقة الناصرية، ولم يدر أن التصوف ألوان وأشكال، صنوان وغير صنوان، وأزهار مختلفة الألوان وإن كانت تسقى بماء واحد فقام عن حسن نية بالإنكار على الشيخ حتى أبى أهل القرية أن يقابلوا الشيخ بادئ ذي بدء، ثم لم يلبث هذا الأستاذ أن أدرك غلطه ورجع عن إنكاره رجوعاً كلياً لما له من البصيرة ونزيه الإنصاف وقد حكى من أثق به أنه رآه بين يدي الشيخ يعتذر إليه يوماً ويطلب منه المسامحة، ثم بعد ذلك صار الأستاذ يتلقى الشيخ بكل فرح وإجلال، ولا سيما بعد أن أقبل كل أهل القرية على طريقة الشيخ فاعتنقوها، ومنهم رئيس القرية الشيخ السيد حماد بن منصور المتوفى منذ نحو 1361 هـ رحمه الله، وللفقراء الإلغيين هناك زاوية معمورة كما عمرت الزاوية الأحمدية أيضاً، وأصحاب الزاويتين معاً متصافون لا ينكر أحد منهم على أحد، مما يدل على صفاء الطوايا، وإن كان ذلك يقل بين أصحاب الزوايا، وما ذاك إلا لأن هذا الفرع الأحمدي امتد من سيدي الحاج الحسين الإفراني الذي لا يدل أصحابه على التفرقة بين المسلمين، وذلك مشهور عنه وعن أصحابه، وأما الشيخ الإلغي فقد كان ديدنه التوصية على الاتحاد ومحبة الجميع.

إلى تزنيت:

كان في نيتي أن تمتد سفرتي أكثر مما امتدت، إلا أن هناك عوائق، ثم سمعت أن الأستاذ الأديب سيدي الحسن البونعماني الساكن في الرباط في تيزنيت فكان التطلع إلى لقياه قبل أن يرجع إلى مستقره هو الحافز الأخير في تعجيل الأوبة، وقد

كنت ألممت بياض يوم بتيبيوت فتغديت في دار القائد مع الأديب سيدي داوود الرسموكي أستاذ مدرسة تيبيوت ومدرسها، وقد وجدت هذه القرية يابسة الأشجار، فعاد ذلك السواد الطويل العريض من الحقول والبساتين غابة دكناء لبست حداد الجدب على عصورها الماضية النضرة، وقد كانوا يقولون أن حدائق واد سوس ثلاث (تيبيوت) و(تاغلامت) (وتامازت)، فإذا بتيبيوت قد أصابها ما أصابها الآن من كون عينها قد غارت ولا تزداد بالحفر عند منبعها إلا غوراً حتى بلغت أن خاف أهلها الموت من العطش، وقد اجتهد القائد في حفرها حتى أيس فمال إلى عين أخرى كان المتقدمون ابتدأوا الحفر فيها فاجتهد في أجرائها بكل عملة القبائل التي في إيالته وقد قطعوا في إجرائها أشواطاً وحفروا (الخطارات) وهي آبار تحفر متسلسلة ثم يحفر ما بينها في أسافله إلى منبع العين فيجري فيها الماء وتعين لهم المكان الذي يخرج فيه الماء، وهو أرض بيضاء متسعة، تبعد عن سقي تيبيوت القديمة، أتم الله عليهم مرامهم، فإن كل من رأى الأشجار الجرداء اليابسة في تيبيوت يرى كيف تكون الفاجعة العظمى في مكان قال فيه سيدي إبراهيم الزرهوني أواسط القرن الثاني عشر في كتابه "رحلة الوافد" :

"بلدة حسنة ذات مياه، وعين معين، وأجنة فاصلة، وأشجار يانعة الثمار من كل نوع متنوع وزيتون ورمان، وسواق ممتلئة بماء وفضاء أجنتها متسع كأنها قطعة من نوع بلاد توزر في بلاد (الجريد)، انتهى ما يراد من سوق وصف تيبيوت أمس[1].

مراجعة تارودانت:

وقد زرت في مقبرة تارودانت قبر الأستاذ العلامة أحمد الهوزيوي، وقبر

(1) أقول زرت بعد هذا الحين تيبيوت ثانياً فإذا بالحالة تبدلت وبالحقول والزياتين رجعت إلى حياتها فقد أتى القائد بالمضخات الكبرى فوضعها على منبع العين الأصلية فإذا بالماء لا ينقص وقد فاضت الجداول والسواقي بما يجري بالمضخات فيضاناً متصلاً حتى أن جميع الأراضي من أعلى إلى أسفل تسقى كلها بالتتابع بلا تمييز فكانت منة الله على أهل تيبيوت عظيمة ويكون في مقابل ذلك بعض الغلل من الجميع، ثم بعد الاستقلال اعتدى على هذه المضخات فنقلت فرجعت (تيبيوت) تندب شجوها إلى الآن 1381 هـ ولا يزال أهلها في ضياع.

القاضي سيدي سعيد الهوزالي، وهما في بيت غير مسقف وسط المقبرة التي عن يمين الخارج من باب الخميس وتعرف هناك بالمقبرة الكبرى وعن شمالها أخرى تعرف بالمقبرة الصغرى وبينهما الطريق، كما زرت مراراً قبر أبي محمد صالح المسمى هناك سيدي أوسيدي وعليه قبة حسنة، وترجمته توجد في (التشوف) ونصها:

ومنهم أبو محمد صالح بن واندلوس السوسي الأسود أصله من (تارودانت) واستوطن مراكش واغمات وريكة واستقر أخيراً بالسوس الأقصى، وبه مات رحمه الله بعد التسعين وخمسمائة، وكان أبو محمد من الأفراد إذا رآه من لا يعرفه ظنه معتوهاً وكان لا يمسك شيئاً مما فتح له فيه، سمعت مخلوف ابن محمد الأنصاري وكان من جيرانه الخاصين به يقول: حدثني أبو محمد صالح قال لما عقلت كسرت خوابي السكر لأهلي فسجنوني فقلت لهم لن أنطلق من سجنكم حتى يصل إلى هذه البلاد أقوام يضفرون شعورهم كالنساء يعني الأغزاز[1] وتنهدم طائفة من سور البلد فقال أهلي حمق صالح فيعيدونني وأقمت في السجن إلى أن دخل الأغزاز المغرب فوصلت طائفة إلى السوس وانهدمت طائفة من السور فخرجت من السجن وتوجهت إلى المشرق يصحبني رجل من أهل بلدي فكلما دخلنا بلداً رام أن يبيعني وأدخلني السوق ولا أجد من يشتريني ولا أنكر عليه شيئاً إلى أن رجعت إلى السوس فحدثوا عنه أنه لما وصل إلى بلده تصدق على المساكين بجميع ما ورثه من أبيه من أملاك ولم يمسك شيئاً حدثني علي بن محمد الصنهاجي قال: حدثني أبو محمد صالح قال: عندي صديق من مومني الجن وعدني أن يعطيني كل يوم درهمين على أن لا آخذ شيئاً فاحتجنا إلى تجهيز يتيمة فأخذت لها مالاً أجهزها به فغاب عني شهرين وقال لي ألم أرافقك على أن لا تأخذ من غيري شيئاً؟ وحدثني أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد قال سمعت أبا يعقوب يوسف ابن عيسى بن عمران يقول حضرت بدار الشيخ[2] ابن يعقوب المبتلي خارج باب (أغمات) بحارة

(1) جند كانوا عند الموحدين جاءوا من المشرق.

(2) يعني سيدي يوسف بن علي أحد الرجال السبعة.

الجذمي مع جماعة فيهم أبو محمد صالح وكان بيده درهم يرميه من يد إلى يد إلى أن سقط من يده فطلبناه أشد الطلب فلم نجده فقال لي أن لي صاحباً من الجن فإذا وقع في يدي متشابه رماه من يدي ولم يتركه بها، حدثني يحيى بن محمد القيسي قال أخبرني عبد الوهاب الغازي قال دخل علي أبو محمد صالح يوماً برجل عريان مجروح، جرح قوماً فجرحوه وسلبوا أثوابه فقال لي يا عبد الوهاب بن الغازي أكس هذا وأعطه ما يستعين به فاعتذرت له فقال لي والله لا أفلحت أبداً ولينهدمن لك من هذا البيت ما تنفق فيه خمسين ديناراً فقلت لا تفعل يا أبا محمد، وأعوذ بالله من كلامك فخرج عني بالرجل وخرجت من البيت بعد ساعة فانهدمت منه طائفة أنفقت في بنائها خمسين ديناراً وحدثني أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن يوسف بن زكرياء الشاهد يقول: مر بي أبو محمد صالح يوم جمعة وكان اليوم الحادي عشر من شعبان من سنة إحدى وتسعين وخمسمائة وأنا في جماعة، فقال لي: قد اجتمع الفريقان فكان الظفر لصاحبنا فلم نفهم كلامه فكأنه علم أننا لم نفهم فعاد إلينا، فقال قد اجتمع المسلمون والكفار، ونصر الله طائفة الإسلام فأخرج كل واحد منا دواة وأرخ اليوم الذي حدثهم فيه، ثم بعد ذلك وصل الخبر الصحيح من جزيرة الأندلس بغزوة (الأرك) التي هزم فيها المسلمون أد فونش وجيوش الروم، وإن ذلك من فتح الله تعالى يوم الأربعاء التاسع من شهر شعبان سنة إحدى وتسعين وخمسمائة، وحدثني بهذا الخبر غير واحد من الموثوق بهم عن جماعة أخبرهم أبو محمد بوقعة (الأرك) وهي صحيحة[1]، وقال لي أبو إسحاق إبراهيم ابن أحمد كان أبو محمد صالح صديقاً لأبي فسافر مدة إلى بلاد أزمور فلقيته فقال لي لأي شيء لا تزور والدك فقلت له ليس عندي شيء أصلح به شأني فقال لي إذا فتح لك في عشرة دنانير تزوره فقلت نعم ففتح لي في أمد يسير في عشرة دنانير ونسيت ما

(1) أقول حضرت لمثل هذا للفقيرة فاطمة التاكاضرانتية من صواحب الشيخ الإلغي، وكانت تكاشف، أخبرتنا نحو العاشرة في اليوم الثالث عشر من ربيع الأول 1335 هـ بأن القائد حيدة قتله المجاهدون الآن، وبيننا ونحن في إلغ وبين موضع قتله مسيرة يومين نحو 100 كيلو متر، ثم جاء الخبر بصحة ذلك في الوقت نفسه، وكم رأينا من مثل ذلك عند الفقراء، ثم لا يرفعون بذلك رأساً.

عاهدني عليه أبو محمد صالح ولقيني وقال لي لم تركت زيارة أبيك فقلت له الآن أشرع في ذلك فقال لي لا تتحرك فإنه سافر من بلاد (أزمور) ثم مكثت فاتصل بي أن والدي سافر من بلاد (أزمور) ثم أتيت يوماً إلى منزله فوجدته واقفاً وكان من عاداته إذا أراد أن يكلم واحداً يطاطئ رأسه ويتكلم إلى الأرض فقال لي أما بلغك الخبر فقلت له ما بلغني شيء فقال لي مات صاحبنا وانصرف عني ولم أفهم معنى كلامه فأقمت أياماً وجاءني الخبر بموت أبي ثم ورد علي كتاب بكيفية قتله فبلغت أبا محمد صالحاً فقلت له كيف قتل أبي فحدثني بأمره كما ورد علي الكتاب بشرح الحال ولم يخالف قوله شيئاً مما ورد عليه الكتاب (قلت) أدركت أبا محمد بـ(مراكش) ورأيته وكان يأتي إلي ويكلمني بكلام لا أفهمه وإذا رآه من لا يعرفه يقول هذا مجنون وكان المساكين لا يفارقون منزله، فتارة يخرج إليهم بصدقة وتارة يرمي إليهم الدراهم من بين الأبواب وكانت أخباره الرقاق وأعاجيبه كثيرة عجيبة ويكفي منها ما أوردته.

(أقول) أن علماء (توبالت) في الصحراء السوسية ينتسبون لهذا الشيخ. ويرون أنهم شرفاء وهم مشهورون في مدينة الطرفاية، حدثني بذلك عالم منهم في هذه السنة وقد لاقيته في تيزنيت وذكر لي من علمائهم الأستاذ الجليل المشهور باسم (ليلى) كان عالماً كبيراً ذا شهرة كبرى، توفي نحو 1300 هـ واسمه علي، وله أولاد علماء، منهم يعقوب أخذ عن أخواله أولاد أبيري، وهم علماء يدرسون، اشتهروا بالتخريج، كان في فاس وفي السويرة وكان من المتقدمين في الطريقة الكتانية فكان حيناً في زاويتها في السويرة له بسطة وتفنن، توفي عام 1354 هـ في بلدة الدورة في ناحية الطرفاية، ومنهم أخوه سيديا بن علي، أخذ عن أبيه فكان عالماً جليلاً، ولم يمل إلى القراءة إلا بعد الكبر من أجل رسالة أتى بها فلم يعرف أن يقرأها فعير بالجهل مع أنه من بيت علم، فثابر حتى حصل بسرعة وأتقن ما أخذه، وكان يسكن في خيمة في وادي نون توفي عام 1343 هـ.

ومنهم أخوهما محمد الحسن بن علي أخذ أيضاً عن أبيه وعن أخيه يعقوب ولا يزال حياً الآن 1364 هـ في جهة الطرفاية ومنهم أخوهم إسماعيل تخرج من فاس ثم درس في أهله ما شاء الله ثم رجع إلى فاس فتوفي هناك عام 1326 هـ.

وأخوهم الخامس الحاج محمد بن علي أخذ من فاس ثم سكن السويرة وكان له بعض تدريس، توفي بها عام 1361 هـ.

ومن علمائهم سيدي هماد بن محمد بن عثمان عالم جليل كبير الصيت كابن عمه علي الملقب (ليلى) المتقدم توفي في صدر هذا القرن.

في تزنيت:

غادرت (تارودانت) التي كانت مشتهرة بالعلم وتدريسه من قديم وفي (الفوائد من الجمة) وفي كتاب (الحضيكيين) لأبي زيد الجشتيمي ذكر علماء كثيرين درسوا فيها ولا يعدم من يتصدى لجمع أخبارها مواد من كتب كثيرة هنا وهناك يستمد منها ما يجعل لها به تاريخاً حافلاً - فكم هناك من أدباء ورحالين وأمراء وخلفاء الملوك ووقائع حربية. وكل ذلك يجده الباحث بسهولة.

أدركت الأديب البونعماني في (تزنيت) وهو على وشك الإياب إلى مستقره فبردنا الشغف والأشواق بملاقاة عذبة الأحاديث بين الإنشاءات والإنشادات فأنشدني من قصيدة له حديثة:

وفيت والدهر لا يفي بآمالي ... والمجد يرقب مني أي أعمال
لم أدر ما إذا عسى يجدي العلاء إذا ... جاورت في المجد من ليسوا بأمثالي
إن اعتززنا بعلم أو بمكرمة ... عزوا بجاه ومال عند أنذال
إنا بلينا بمن كان انتماؤهم ... إلى المعالي كإل السقب من رال[1]
قل للأديب الذي خابت مطامحه ... السعد ويحك منقاد لجهال
لا ترتج اليوم إكباراً لذي أدب ... فالشعب ما زال في فكر له بال

إلى آخر القصيدة وتوجد آثار لهذا الأديب الكبير في (المعسول) إن شاء الله[2].

---

(1) من معاني الال بالكسر: الأصل الجيد، والسقب ولد الناقة ساعة يولد، والرال ولد النعام، يشير بذلك إلى قول الشاعر:

لعمرك إن إلك من قريش ... كإل السقب من رال النعام

(2) في (الجزء الثالث عشر).

زرت مكتبة الشيخ سيدي الحاج الحسين الإفراني بإذن ولده المقدم سيدي محمد حفظه الله - توفي بعد هذا الحين - ومما رأيته فيها كتاب (تنبيه التلميذ المحتاج في الرد على من ابتدع بإيضاح البراهين وإقامة الحجاج) لعبد الله بن عزوز المراكشي داراً ومنشئاً السوسي أصلاً القرشي نسباً أقول: هل هذا هو المسمى بلا ابن عزوز معاصر الحضيكي الذي ألف الحضيكي رداً عليه في مؤلف رأيته بمراكش يباع في الدلالة وقد قرأت في كتاب بخزانة القاضي الهوزالي صاحبنا (بتارودانت) من مجلد مخطوط قصيدة مهلهلة لمن يسمى سعيداً الشليح من أصحاب بلا بن عزوز يمدح بها الحضيكي وهي عينية مطلعها:

يا سيداً فاق الورى بعلومه

(نعم) علمت بعدما كتبت ما تقدم أن سعيداً كان من الكتاب لسيدي محمد ابن عبد الله وقد رأيت له آثاراً أدبية ولا ندري ممن هو في (سوس).

وقد كنت رأيت لابن عزوز في تاريخ القاضي السيد العباس المراكشي ترجمة حسنة، ثم ذاكرته في ذلك فرأى فيما أخبرني به أن هناك اثنين كلاهما يسمى ابن عزوز أحدهما رحماني والآخر مراكشي صالح قصده سيدي محمد ابن عبد الله لزيارته تبركاً به وأياً كان فهذا أثر من آثار أحدهما، ولم نتمكن من مطالعته لنعرف مغزى ما يقول وما يذهب إليه، وقد علمنا أنه سوسي الأصل، مراكشي المنشأ والمسكن، قرشي النسبة، وهناك مؤلفات أخرى مشهورة له موجودة، صوفية وطبية، وهناك في ابن ڭرير بقبيلة الرحامنة قبة على من يسمى بلا بن عزوز، فهل هو الرحماني؟

ومما رأيته في خزانة القاضي سيدي محمد أوعمو، مجموع فيه رسائل تضم فضائل الطريقة الناصرية، للسيد عبد القادر بن أحمد الحمياني وفيها ما يدل على شفوف مقام اليوسي في التصوف، وأنه أدرك مقام التربية لما يظهر من رسائل رأيتها له هناك، وفي آخر المجموع بعض رسائل لأبي العباس التيمكيدشتي.

وهناك أيضاً شرح للفقيه سيدي المحفوظ بن سعيد الرسموكي، ذكر فيه أنه شرح لنظم (قواعد الإعراب) لمن يسمى الفقيه أحمد بن هائم، ولعل المحفوظ

هذا هو والد سيدي اليزيد الروداني محشي المكودي المذكور مع ولده اليزيد في (المعسول)[1].

وهناك أيضاً من كتاب كبير للعلامة المشهور سيدي أحمد بن عبد الحي الحلبي، ثم الفاسي (الجزء الثالث) وفي أوله الكنز الخامس عشر في فضل الجهاد، وفي آخره أنه يليه الجزء الرابع، وأوله الكنز الحادي والعشرون، المفتتح بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾ [الأنبياء: 101] الآية، وقال الناسخ في المؤلف أحمد بن عبد الواحد بن عمر بن إدريس بن أحمد الإدريسي الحسني الشهير الكتاني، وقال انتسخ من مبيضة المصنف.

وهناك أيضاً مجموع مخطوط كبير، كان للفقيه سيديٰ محمد الأكماري المتوفى حديثاً في (تيزنيت) نسخه ولده وجده، وقد جعله وحده خزانة وافية لما جعله فيه من كل ما انتسخه، فمما فيه، نظم الوثائق الغرناطية، وشرحه لمؤلفها سيدي الحسن بن الطيفور بن، محمد بن أحمد بن إبراهيم بن موسى الساموڭني، في نحو 60 صفحة وسطى، نسخة محمد ابن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الهيور العرباوي الإخصاصي عام 1274 هـ، والطب البعقيلي لمحمد بن علي، وهو مشهور متداول النسخ، ونظم لعبد الله بن أحمد بن مسعود بن إدريس الهوتاتي، وموضوعه ذكر ما جرب أن يكون عليه كل عام إن افتتح بيوم من أيام الأسبوع، وهو نظم ساقط يناهز 120 بيتاً، ثم كتاب (الزبور) وفيه مواعظ مؤثرة، منقسم إلى 23 سورة، أوله السورة الأولى قال الله العظيم: عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح الخ، وهو في 16 صفحة، ذات 19 سطراً، وجفرية لسيدي عبد الرحمن بن مسعود المتوڭي نظم بالشلحة نحو مائتي بيت، ألفها ربها نحو عام 1050 هـ. تنبأ فيها بالدولة العلوية، وهي عجيبة، وقد ألم بذكرها الضعيف الرباطي في تاريخه، وفتوحات إفريقية، لعلها المنسوبة للحافظ مغلطاي، وهي كبيرة، ومجموعة من أخبار سياحة سيدي

(1) في (الجزء الثامن).

أحمد بن موسى. و(روضة التحقيق) في أخبار سيدي محمد بن إبراهيم الشيخ التامانارتي، وفي المجموع كثير غير هذا، كرسالة المولى سليمان إلى سيدي علي بن يوسف الناصري نصها:

"شيخنا الأرضي البركة المرتضى، سيدي علي بن يوسف أعانك الله وحفظك، وسلام عليك ورحمة الله وبركته، وبعد فاعلم أن كتابك وصلنا وعرفنا ما فيه، وأنت عندنا منذ اجتمعنا باب الولي الصالح سيدي الغازي نفعنا الله ببركته، وجنابك مرعي ملحوظ، أسأل عنك كل من يرد من ناحيتك، وقد حصل لنا من محبتك ما الله يعلمه، فكن غير غافل عنا من الدعاء الصالح في سائر أوقاتك، فالله تعالى يجعل محبتنا نافعة في الدارين بمنه آمين والسلام".

ومما فيه: قتل الإيلغيون مبارك بن محمد بن صالح الشريف السبت 17 ذي الحجة عام 1260 هـ، وهو شجاع أبي. والمتولي في (إيليغ) إذ ذاك، الرئيس سيدي الحسين ابن هاشم.

ومات الولي الصالح سيدي محمد بن صالح الشريف الزاوي يوم الاثنين 24 صفر عام 1261 هـ (والرجلان معاً من أبناء الشيخ سيدي أحمد بن موسى).

ومما زرته في (تيزنيت) خزانة المدرسة، وقد كانت حافلة بالنفائس قبل اليوم، وقد كانت أولاً للأستاذ سيدي محمد بن محمد بن الطيفور بن أحمد بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن ابن إبراهيم بن يبورك بن حسين الإسغاركيسي المتوفى عام 1297 هـ، وقد تشتت بعده، وكانت فيها ذخائر وأعلاق في أول هذا القرن، ثم فقدت منها الآن وقد تتبعتها فرأيت فيها من المخطوطات:

1 - جزءاً ضخماً من تفسير ابن عادل المسمى بلباب، وهو الجزء الثاني من التفسير.

2 - المدخل كتبه الفقيه سيدي محمد بن أحمد بن سعيد بن علي بن أبي بكر الواغزني الهشتوكي في رمضان عام 1165 هـ، لشيخه أحمد بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن اليبوركي، أتم نسخه عام 1166 هـ.

3 - (غربلة مورد الظمآن) لسعيد بن سعيد الجزولي، في ورقات، لا أعرف هذا الفقيه الذي اختصر الكتاب.

4 - نسخة من الجوهري في اللغة، نسخ بعض أجزائها عام 954 هـ، وبعضها عام 946 هـ، نسخها الأستاذ إبراهيم بن موسى الولصاني، ولا أعرفه، لعبد الله بن سليمان بن عبد الله بن علي، ولا أعرفه أيضاً.

5 - رجز ساقط الوزن، يذكر فيه ما يقع في كل عام متى ابتدئ بيوم من الأيام، وينسب لعبد الله بن أحمد بن مسعود بن إدريس الهوتاتي، وقد تقدم ذكره.

وفي الخزانة من الكتب المتداولة كثير، من بينها أجزاء من حبس بعض علماء الأعراب، رأيت في بعضها اسم الفقيه محمد بن الحسن السوسي الهشتوكي، كان حياً عام 1136 هـ.

كما رأيت في آخر اسم الفقيه عبد الله بن إبراهيم الهوزالي كان حياً عام 1193 هـ.

واسم الفقيه محمد بن عبد الله التوماناري من أهل ما قبل أواسط القرن الثالث عشر.

واسم الفقيه محمد بن سعيد بن محمد الأصابعي الحامدي.

واسم الفقيه أحمد بن مبارك أمريبط الماسي.

واسم الفقيه محمد بن عبد الله الأكماري، وكان حياً عام 1240 هـ.

واسم الفقيه علي بن أحمد بن إبراهيم الهشتوكي كتب له كتاب عام 1090 هـ، نسخه له الفقيه عبد الله بن علي السملالي بخط جيد.

واسم الفقيه عبد الكريم خال الفقيه الطيفور اليبوركي المتوفى في فاتح ربيع الثاني عام 1213.

واسم الفقيه إبراهيم التاهالي نزيل أمسرا (لعل) المتوفى عام 1214 هـ.

وفتوى للفقيه إبراهيم الدفلاوي نقلها محمد بن الطيفور المذكور مباشرة.

كما وجدت هناك من تآليف سيدي حسين التاغاتيني شرح (الإرشاد) لابن الجلاب.

وفتوى فيها القاضي محمد بن سعيد العباسي، وعلي بن سعيد، وعلي بن أحمد الرسموكي وعبد الله بن يعقوب وعبد العزيز ومحمد بن أبي بكر بن أحمد الصوابي، وعلي بن موسى وإبراهيم بن محمد، وقيدها محمد بن محمد، ثم نقلها أحمد الصوابي الشهير، وأحمد بن عبد الواحد التملي، وموضعها عدم تعدد الإيمان إلا في القسامة، وقد أخبرني ثقة أنه كانت هناك نسخة من حاشية للحضيكي أو شرح على مختصر خليل، ولم نكن سمعنا بذلك قط، ثم تلف الكتاب هناك فيما تلف.

كما انني رأيت هناك نقلاً عن نوازل سيدي عبد الله بن الحسن بن سعيد ابن عبد المنعم، ولم نكن نعرف إلا الحسن بن عبد الله بن سعيد، وكان عالماً، ثم أحمد ولده، وكان أيضاً عالماً أديباً، وأما عبد الله بن الحسن بن سعيد بن عبد المنعم فلم نره إلا في محل مر بنا في مكان في هذا الكتاب.

هذا وقد سقطت إلى كناشة فيها أسماء كتب الفقيه محمد بن محمد بن الطيفور المحبس، وفي آخرها تاريخ 1266 هـ، وذلك قبل وفاته بقليل، وقد بترت من أولها، فلنمر بها، ولنذكر غرباء الكتب في قطرنا التي ذكرت فيها.

مختصر ابن ليون لـ(بهجة المجالس) لابن عبد البر، شرح عبد الله بن يعقوب لجامع خليل، وشرحه أيضاً (عمدة البيان في إيضاح دعاء الصبيان) لابن إبراهيم الشيخ التامانارتي، ونظم لإبراهيم الهشتوكي لبعض أصحابه يظن أنه من اليبوركيين وتحفة الفلاح في آداب الجماع والنكاح لابن صالح الدرعي، وتوحيد منثور لابن سليمان الجزولي، وكلام له آخر، وقصيدة لأحمد الصوابي، ودعاء الحضيكي، ومختصر لسعيد الكرامي لتأليف على (الدراري السيارة) ونصيحة اليوسي، وجواب له على ما أشكل في نعيم الجنان، وشرح لسيدي يبورك على عقيدة سيدي عبد الله بن سعيد المناني، وفضائل ماسة، وقد كنت رأيت هذه الخرافة في نحو ورقتين في شكل حديث عن الباجي، كلها هذيان وإفك صراح، وقصيدة لابن عبد العزيز مسؤولة منه لبعض المريدين، وأخرى له أيضاً، وأخرى له أيضاً، وثلاثة له أيضاً، وقصيدة (بانت سعاد) وأشعار متعددة، وكافية النهوض، في صناعة العروض.

أقول: أنه نسب ذلك لابن عبد العزيز، وهناك العلامة عبد العزيز الرسموكي له قصائد كثيرة: منها موازنة (الوتريات) وغيرها، وهو الذي علمنا له كافية النهوض في صناعة العروض ولعل كتابة صاحب الخط ابن عبد العزيز إنما هو سبق قلم، والمقصود عبد العزيز نفسه، نعم هناك ابنه محمد بن عبد العزيز دفين الحجاز وتلميذ المرغتي، إلا إننا لا نعرف له نظماء وإنما نعرف له مؤلفات، وربما كانت له كل هذه القصائد، وأياً كان فلم نقف على شيء من ذلك إلا على المؤلف في العروض، وكناشة فيها إجازات للجد الفقيه الطيفور من أشياخه وممن لقيهم من أهل الفضل والتقوى، ثم جزء فيه كلام للكوسى ذكر فيه من لقي من العلماء حضراً أو سفراً، والغالب أن المقصود باللكوسي الحضيكي، وأن المؤلف هو رحلته إلى الحج، وهناك نصيحة سيدي حسين بن شرحبيل، ثم كتاب احتوى على المرجاني والحامدي، و"كشف الالتباس والغلط، عن أوضاع المخمس خالي الوسط".

أقول: المقصود مؤلف لبعض الحامدين، كنت رأيته في ورقات يباع عند المزوري بفاس في الجداول، كالمؤلف الذي تقدم لنا في هشتوكة لعبد الله بن سعيد بن يحيى، لأن ما في المجموعة يدور حول مؤلفات الجداول، ومصنف لسيدي يحيى بن عبد الله بن سعيد المناني في كيفية التعمير الطبيعي بالعد أو بالحروف، والتبين لمعالم التلقين، والكوثر المعين، على المرشد المعين، لجد محمد بن محمد بن الطيفور، وشرح (وخصصت نية الحالف وقيدت) لليوسي، وآخر لسيدي عمرو البعقيلي، كما كان هناك آخر لأحمد بابا، وإجازات محمد ابن عمر اليبوركي، ثم فهرسته، ثم ذيله في الذين لقيهم من أهل الفضل والصلاح وشرح يبورك على المبنيات للفلالي، ونسخة ابن مالك على الألفية، قال قررتها بيدي وكتبتها بنفسي وسفرتها بمراكش، وأعراب أوائل الأحزاب القرآنية لسعيد بن بلا بن محمد بن عبد العزيز، ورد اليوسي على القرافي فيما هو القديم والمحدث في القرآن، وجملة من أجوبته، ووصية أبي الحسن الجزولي لابنه، ونظم لبعض الفضلاء للخليفة سيدي علي بن محمد بودميعة[1]،

---

(1) آسف كثيراً على ضياع هذا لأنه أتوقف على نظيره لكتاب (إيليغ قديماً وحديثاً).

ونظم النصيحة للحاحي، وشرح سيدي أحمد بن الحسن بن عبد الله بن سعيد ابن عبد النعيم المناني على قصيدة السيد عبد الله الهبطي، وتخميس له أيضاً للبردة، وشرح الكرامي على مؤلف مشتمل على جميع ما في العام.

هذه المؤلفات هي التي لم أكن أعرفها، أو هي أمس بموضوعنا من تآليف السوسيين وإلا فإن فيها كل المؤلفات الفقهية والنحوية والحديثية، والاصطلاح مما يروج عند السوسيين وقد رأيت في تلك الكناشة ما نصه:

"أشهد الفقيه سيدي محمد بن السيد محمد ابن الطيفور اليبوركي التيزنيتي السوسي أنه إذا قضى الله بوفاته وأدبرت من الدنيا أيام حياته، يخرج من جميع متخلفه جميع الكتب المذكورة في كناشه هذا، عدا الكتب المذكورة في الورقة يمينه، التي أولها ثلاثة أسفار من الدرديري وآخرها شرح سيدي التاودي على العاصمية، التي حبسها على العلامة سيدي محمد بن عبد الرحمن الفلالي بشهادة شهيديه، وأول الكتب المقيدة في هذا الكناش النصف الأول من حاشية بناني على الزرقاني، وآخرها فوائد الطب والرقى وما أشبه، يكون حبسها على المسجد الجامع الذي تصلى فيه الجمعة ببلاد تيزنيت حبساً مؤبداً ووقفاً مخلداً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، وكذلك يخرج من متخلفه جميع ما على ملكه من الماء ببلاده المذكورة، ويكون حبساً على المسجد المذكور على الوجه المذكور، ويخرج أيضاً من متخلفه أربعون مثقالاً دراهم تفرق على المساكين، وجعل النظر في تفريقها للعلامة المذكور، وللطالب السيد أحمد بن مبارك التيزنيتي ويخرج أيضاً من متخلفه وسق واحد من القمح بالمد الفاسي ويعطي للعلامة سيدي محمد بن عبد الرحمن المذكور، يكون ملكه وماله على وجه الوصية النافذة بعد الموت إشهاداً تاماً عرف قدره، شهد به عليه بحال مرض ألزمه الفراش مع صحة عقله وتمام شعوره وعرف به مع وصفه عربي اللون طويل الوجه خفيف النبات في أواسط ذي الحجة الحرام عام سبعة وسبعين ومائتين وألف ثم شكل العدلين، وتحتهما وعبد ربه أحمد بن مبارك بن أحمد بن أحمد بن علي التزنيتي الله وليه آمين وعبد ربه علي بن محمد بن يحيى التوجنتي الإنكيضائي لطف الله به، وعبد ربه تعالى إبراهيم بن الحاج مبارك بن جامع الكريمي كان الله له، وعبد ربه محمد بن الحاج أحمد

التاكضشتي السملالي الرشيدي وطناً لطف الله به.

وفي ورقة بعدما تقدم ما نصه:

"أشهد لدينا شيخنا الفقيه العلامة سيدي محمد بن عبد الرحمن الفلالي الفاسي داراً وقراراً. بأن متخلف المرحوم بالله الفقيه سيدي محمد بن محمد بن الطيفور السوسي من الدراهم خمسة وثمانون مثقالاً عدا ثمانية أوجه (وعبارته قل ثمانية أوجه) وأنه أخذ منها وحاز لنفسه ستة وثلاثين مثقالاً، أخذها على وجه الوصية من قبل ثمن صحفة الزرع، وأوصى بها المرحوم المذكور للفقيه المذكور، وأربعون مثقالاً أخرى منها صرفها الفقيه المذكور على المرحوم بالله في مؤنة تجهيزه، والصدقة على الطلبة الذين يقرأون على قبره، وذلك منه أيضاً على وجه الوصية من المرحوم المذكور، وما بقي من هذا العدد هو تسعة مثاقيل محوز بيد الفقيه سيدي أحمد بن مبارك على وجه الأمانة، وكتبه من أشهده على إشهاده وعرفه علي بن محمد التوجنتي في تاريخ رجب عام 1267 هـ، وعبد ربه تعالى إبراهيم بن جامع الكريمي وفقه الله آمين".

فلذلك كله نعرف أن الفقيه المحبس المتوفى في (فاس) غريباً قد خرج عن كتبه، فالقليل منها للأستاذ المذكور، وباقيها لجامع (تيزتيت) ولعمري أن ذلك كله لو بقي كما رأيناه هنا لكان نواة صالحة لمكتبة كبرى، ولكن ذلك ذهب غالبه شذر مذر، بأيدي الطلبة الذين يمرون بالمدرسة، وقد رأيت هناك كثيراً من الأوراق المتناثرة التي ربما تضم كتباً نفسية.

اختتمت هذه الرحلة بوصولي إلى (إلغ) صبيحة التاسع من المحرم عام 1364 هـ ويلتحق بهذه رحلة صغيرة كانت تقدمت في أسبوع إلى (تيزنيت) فقد خرجت مع الأخ سيدي محمد في سيارته من إلغ بعد الغداء يوم السبت ثالث شوال عام 1363 هـ، فحين وصلنا تيزنيت وجدنا هناك خبر الفتك بـ"الدوتشي" موسوليني طاغية إيطالية مع وزرائه، وكذلك هلاك "الفوهرير" هيتلر طاغية ألمانية، ثم في نحو الساعة الثانية ونصف من عشية الاثنين أعلن رسمياً استسلام آخر معقل حربي في ألمانية، وأن حكومتها استسملت بلا قيد ولا شرط، فأعلنت الأفراح في (تيزنيت) في الحين فرفعت الأعلام فوق

البنايات الحكومية، وسالت الأزقة بالجنود، وبتلاميذ المدارس، وقد شاهدت صفوفاً للبنات التلميذات، ولعلهن إسرائيليات، يجلن في الزقاق العام ينشدن أناشيد باللغة الفرنسية، وطلقات المدافع تدوي في الفضاء، والموظفون يغادرون مكاتبهم للمشاركة في الاحتفال، وقد استوى في ذلك الابتهاج جميع الناس، وأحسوا كلهم بكابوس الحرب يتزحزح عن أكتافهم، فقد نال الناس من الشدة بسبب هذه الحرب الضروس ما لا مزيد عليه، ولذلك عادوا يطيرون حبوراً وسروراً، ثم أقيمت حفلة صغيرة في تلك العشية أمام مركز الحكومة، وقد كان الاستعداد للحفلات مستمراً منذ أعلنت تباشير انقضاء الكارثة، فاشتريت الكباش والدجاج والبقر والسمن والعسل، وهيئت أحمال كثيرة من الأحطاب لإيقاد نار عظيمة ليلة الحفلة في الساحة الواسعة أمام مركز الحكومة لمشاهدة الألعاب العامة، وفي اليوم التالي تهيأ الناس للحفلات في السوق، إلا أن ذلك تأخر إلى يوم الأربعاء بأمر رسمي من الدوائر الحكومية، ليتخذ الاحتفال في كل تلك الإيالة شكلاً عاماً، مع كل ما يرفرف عليه علم فرنسا الحامية، وفي عشية يوم الأربعاء أقيمت حفلة جمعت أنواع الأطعمة، واستدعى إليها الناس النقري، وأقيمت في وسط مركز الحكومة المعبر عنه بـــ"البيرو"، وقد أقيمت باسم أهل السوق، وإن كانوا أقاموا أخرى كل ذلك النهار عامة في ممرات الأسواق، وكانت هذه الحفلة الليلية تضم ألعاباً من الرجال ومن غيرهم فدامت إلى قرب نصف الليل، حضرها قواد أزاغار وجميع الرؤساء من الأهالي ومن غيرهم، ثم في يوم السبت الموالي أقامت الحكومة وحدها حفلة غداء لكل القواد وكبار الرؤساء للمراكز التي تنضوي تحت (تيزنيت) فحضر هناك قواد (أكْليميم) إلى (أقا) وقواد (جزولة) إلى (تافراوت) فحضر فيه الشيخ علي الإيغشاني، وأما الأخ سيدي محمد فإنه كان في سفر استراحة إلى الحواضر، وكانت حفلة كبيرة، ثم أقيمت الحفلات كذلك في كل مركز للحكومة، أنفق فيها عن بسطة.

كان ممن حضر هناك القاضي سيدي عبيد قاضي أكْليميم، فكتبت عنه ما يأتي:

"كانت رتبة القضاء دائما في (أكْليميم) عند (آل بيروك) فقد كان هناك سيدي

محمد بوشبوك، وكان عالماً كبيراً لا يناظر، توفي عام 1230 هـ، وهو من (أسرير) ثم ولد خروف عبد الرحمن من (تيغمرت) المتوفى نحو عام 1270 هـ، ثم ولده محمد بن عبد الرحمن المتوفى أخيراً عام 1330 هـ، ويعاصره سيدي علي بن البخاري المغراوي الفلالي المتوفى عام 1228 هـ، وكان ذا جاه وسمعة، ثم خلفهما عبد الله بن أبي بكر الفلالي عام 1356 هـ، ثم ولي القضاء هذا القاضي الحاكي.

وهو عبيد بن حرمة الله بن أحمد بن عيسى بن يحيى إلى أن وصل النسب أبا بكر وهو المسمى بوعيطة، أي صاحب الصرخة، قيل له ذلك لأن له صرخات في المعارك يوم كان السعديون يحاربون البرتغاليين ليجلوهم عن المغرب وكان من أهل أوائل القرن العاشر، وكان عالماً شجاعاً ذا بركة وشهرة وصولة وكان موسى بن أحمد المذكور عالماً أيضاً ومدرساً في عصره كما كان كذلك حفيده مسعود بن علي بن عطاء الله، وهناك الآن مزارة يزار فيها معلومة عند أهله ورجال الأسرة من حفظة كتاب الله وهم شرفاء أدارسة يسمون (أولاد بوعيطة) وبأيديهم ظهائر سلطانية بالتوقير، ولد القاضي سيدي عبيد في 10 شبعان عام 1310 هـ وأخذ القرآن عن الأستاذ سيدي محمد بن علي البعمراني حتى ختم عليه ثم اتصل بالفقيه سيدي خليل الفلالي، وكان ورد من (تافلالت) فأتقن عليه حفظه، ثم اتصل بالأستاذ سيدي علي أشطاب الحمزاوي في مدرسة (الخميس) بأيت بو بكر وكان الأستاذ يقطن في (تارحالت) وهو ممن تخرج بالأستاذ أنجار وقد توفي نحو عام 1345 هـ ثم انتقل إلى مدرسة (سيدي عيسى بوخابية) بالشياظمة وفيها المدرس سيدي سعيد فاستتم عنده مبادئ الفنون بعدما أخذ منها قليلاً عن الأستاذ خليل الفلالي بقي هناك من قبل 1329 وفي 1330 هـ رجع إلى أهله فصار يأخذ القرآن عن الأستاذ بوجمعة من أسرته، وكان بوجمعة هذا ممن تخرج بأبي بكر الفلالي وبأولاده لازمه ثلاث سنوات ثم ورد علامة يسمى سيدي محمد بن عبيد الأدغبي من أسرة علمية كبرى تخرج بمحمد سالم من (آل محمد سالم) المشهورين وبالعلامة المسمى بوه وبآخرين ورد وهو ابن تسعين سنة لكنه لا يزال جلداً وسبب هجرته احتلال (نذر) وكان ابتداء احتلاله عام 1316 هـ وكان وروده عام 1333 هـ فصار يدرس في

خيام آل القاضي فلازم هو وشيخه ابن عبيدة إلى رمضان عام 1339 هـ توفي في السابع من الشهر كان زار (أسرير) فأدركه أجله هناك فدفن فيه وبعده تصدر القاضي للتدريس في الخيمة الكبيرة التي تسمى المدرسة بين خيام أهل حلته إلى 1345 فتفرق الناس لمجاعة في تلك السنة ثم بقي في أهله إلى أن تولى القضاء في إكليميم في جمادى الثانية عام 1356 هـ بعد وفاة القاضي قبله، وهو عبد الله بن أبي بكر وقد كان آل أبي بكر علماء في إڭليميم وأبو بكر بن الحاج محمد فيلالي الأصل ويلقب بـ(فم الحق) لأنه لا يتحول عن كلمة الحق وهو شريف أخذ من تافلالت وجلا عنها إلى الساقية الحمراء ودفن في الحڭونية نحو عام 1330 هـ وكان هناك لا معقب لحكمه سلم له العلماء، وله من الأولاد محمد عالم كبير اشتهر بالسيد، أخذ عن أبيه وجده، مات في الحڭونية عام 1347 هـ، وقد خلف ولده محمداً، وهو عالم صالح يتبرك به، يكون أحياناً في أڭليميم أخذ عن أبيه وعن عمه محمد محمود بن ابي بكر لا يزال حيا، ومن أولاد أبي بكر محيي الدين أخذ عن أبيه يقطن في الحڭونية وهي أرض الزرڭيين لا يزال حياً.

ومنهم محمد محمود عالم كبير مدرس أخذ عن أبيه وعن عبد المعطي السباعي، ثم صار يدرس ويكون في مدينة أفنى لكنه من سكان الخيام وهو اليوم في الحڭونية.

ومنهم القاضي عبد الله، أخذ عن أساتذة أخيه محمد محمود، ثم قطن (أكليميم) عام 1329 هـ فيقضي بين الناس إلى أن جاء الاحتلال آخر عام 1352هـ، فكان قاضياً رسمياً إلى أن مات في 17 ربيع الأول عام 1356 هـ، ومن هذه الأسرة محمد شاكر ابن عم أبي بكر وكان أيضاً عالماً كبيراً، توفي نحو عام 1300 هـ، وكان أيضاً يقضي بين الناس، وهناك من علماء (تافيلالت) أيضاً النازلين هناك سيدي عبد العزيز الشريف، عالم ذو شهرة، توفي نحو عام 1300 هـ، وولده الفقيه سيدي محمد يقطن اليوم مع (إيڭوت) في (الحڭونية) أخذ عن أبيه، ولا يزال حياً الآن 1363 هـ.

ثم ذكر لي من علماء (باعمرانة) سيدي الحسن الكسال المتوفى عام 1336 هـ،

والأستاذ محمد الضحاكي المتوفى عام 1328 هـ، وسيدي عبد القادر المستي عالم حسن متوفى عام 1345 هـ، يشارط في مدرسة سيدي محمد بن داوود، وفي سوق الأربعاء بـ(امستيتن) وسيدي إبراهيم بن سعيد الإصبيائي عالم، توفي عام 1320هـ، وولده الفقيه سيدي محمد بن إبراهيم المتوفى عام 1352هـ قال أنه من الركراكيين والفقيه الحسن بن الحاج ابن عمهم من أصبويا المتوفى نحو عام 1324 هـ، يشارط في مدرسة الثلاثاء من أصبوياء.

هذا ملخص ما كتبته عن القاضي، وقد أخبرني أنه كتاني الطريقة، وأنه يكاتب شيخها في فاس.

انتهى ما تيسرت كتابته، في وقت الضحى يوم الثلاثاء 30 جمادى الثانية عام 1364 هـ، والحمد لله أولاً وآخراً.

تذييل:

يتعلق بالقاضي سيدي الطيب المذكور في صفحة 120، وقد ذكر هناك أنه هو الذي استورد المطبعة الحجرية الفاسية الحكومية المشهورة وهاك الاتفاقية التي كانت بين القاضي وبين محمد القباني المصري الذي أتى به لمزاولة الأشغال في المطبعة وقد أهدى القاضي المطبعة للملك سيدي محمد بن عبد الرحمن فنقلت من السويرة إلى مكناس ثم إلى فاس وهاك ما حول ذلك ننقله من خط الأصل على ما فيه من تصحيف.

ورقة ضمان وشروط ومقاولة وما أشبه ذلك من السندات الخالية عن وضع مبلغ ثمنها ستة قروش هذا مكتوب أولاً فوق الاتفاقية ثم كتب تحتها ما يأتي:

إنه لما كان في يوم الأربعاء المبارك 14 خلت من شهر ربيع الأول 1281 اتفق حضرة العمدة الفاضل السيد الطيب الروداني بن المرحوم السيد محمد الروداني من أهالي مدينة ترودانت (مغرب) مع الفقير إلى الله تعالى كاتب الأحرف الفقير محمد القباني المطبعي ابن المرحوم إبراهيم من أهالي مصر المحروسة على أنه يتوجه برفقته إلى مدينة (رودانة) بأرض المغرب ويشتغل عنده على مطبعة حجر لوعدة سنة كاملة ابتداؤها شهر ربيع الأول 1281 وانتهاؤها شهر الخير سنة 1282 وله في نظير ذلك راحته مما جميعه من أكل

وشرب وكسوة على طبق مراده وفي كل شهر يعطي له مائتان قرش مصروف لجيبه وقد رضي الفقير محمد القباني بذلك ومن بعد وفاء السنة المذكورة إذا أراد الفقير محمد القباني بأن يرجع إلى بلده (مصر) المحروسة بأن يرحله العمدة السيد الطيب إلى حد بلده على طرفه - أي على نفقته - وقد رضي السيد المذكور بذلك أيضاً الفقير محمد القباني استلم من حضرته تسعة بينتو على الله تعالى لأجل يوفى بهم ما عليه من الديون الذي عليه بالمحروسة وفي كل الإقامة يوفيهم لحضرته مع التدارك بعد انقضاء السنة المذكورة ياد فيه واحدة - كذا - إن أراد الرجوع إلى بلده ما على أمراً ران أراد القيام مع السيد المذكور وقد رضي كلاهما بذلك على يدي حضرة المسلمين والإسلام.

ثم التوقيع: العمدة

كاتبه الفقير محمد القباني المطبعي الفاضل السيد الطيب الرداني

وبعد ذلك وجدنا بخط القاضي ما نصه:

(الحمد لله أخذ الكاتب أعلاه من كاتبه 9 بنتوا ومسمى بينتوا بمصر الشخص المسمى في المغرب باللويز الرائج بأربع ريالات من سكة الفرنسيين وبمائة وخمسة وثلاثين قرشاً بالحساب المصري قيده بياناً محمد الطيب ابن محمد التملي غفر الله له ولطف الله به).

ثم بعد ذلك ورقة لخص فيها ما في الاتفاقية على المعتاد من تلخيص الكلام الكثير للملوك ونص ذلك.

(ورقة مصرية في شأن صاحب المطبعة وقع الفصال بينه وبين السيد الطيب يمل - يعني التملي - على أن يشتغل عنده بخدمة المطبعة بتارودانت سنة كاملة على أن يقوم به أكلاً وشرباً وكسوة على وفق مراده وأن يعطيه في كل شهر مائتين قرش وإذا انقضت السنة واختار الرجوع لبلده يرده السيد الطيب لحد بلده وينفق عليه من عنده حتى يصل.

أقول إن في ذلك الكناش بيان مصاريف ما يطبع إذ ذاك من سنة 1282 هـ ومن الصدف أن توفي ذلك القاضي في تلك السنة نفسها وقد نص بعضهم أن القاضي أهدى المطبعة للملك فكان لتارودانت وقاضيها السبق في إحداث

المطبعة في المغرب وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

ثم إنني وقفت أيضاً على شهادة تتضمن أن القاضي سيدي عبد الكريم الذي تولى بعد سيدي الطيب أصابه خلل في مرضه الذي مات فيه فصار يتكلم بلا عقل فكان مما قال أن له دفائن عين محلاتها فذهب إليها بعض من حوالي فراشه فنبشوا عنها ففازوا بها ووفاته سنة 1295 هـ وهذه الشهادة كتبها الفقيه سيدي محمد الدراخ وصاحب له من العدول سنة 1308 هـ شهادة استرعائية.

الفهارس الثمانية
للرحلة الرابعة

1- فهرس الجهات المزورة بالإجمال
2 - الفهرس العام لجميع محتويات الرحلة
3 - فهرس القوافي التي حدثت أخيراً من السوسيين
4 - فهرس المنثورات، رسائل وإجازات ومقيدات وظهائر
5 - فهرس الرجال المذكورين في الرحلة من العلماء ومن إليهم
6 - فهرس الرؤساء السياسيين من القواد والشيوخ ومن إليهم
7 - فهرس الأسر العلمية
8 - فهرس الخزانات العلمية

الفهرس الأول
في الجهات المزورة في الرحلة

الفهرس الثاني
العام في محتويات الرحلة بالإجمال

الفهرس الثالث
فيما في الجزء من القوافي ولا يذكر إلا ما قيل حديثاً

الفهرس الرابع
فيما في الجزء من المنشورات: رسائل وإجازات وظهائر ومقيدات

الفهرس الخامس
في الرجال المذكورين
في الرحلة كيفما ذكروا وإن كنت أكتفي
بذكر محل واحد إن تكرر ذكرهم في محلات

- الهمزة -

- الباء -

- الحاء -

- الخاء -

- الدال -

- الراء -

- الزاي -

- السين -

- الصاد -

- الطاء -

- العين -

- الفاء -

- اللام -

- الميم -

- م ح -

- الهاء -

- الواو -

- الياء -

الفهرس السادس
في الرؤساء ومن إليهم

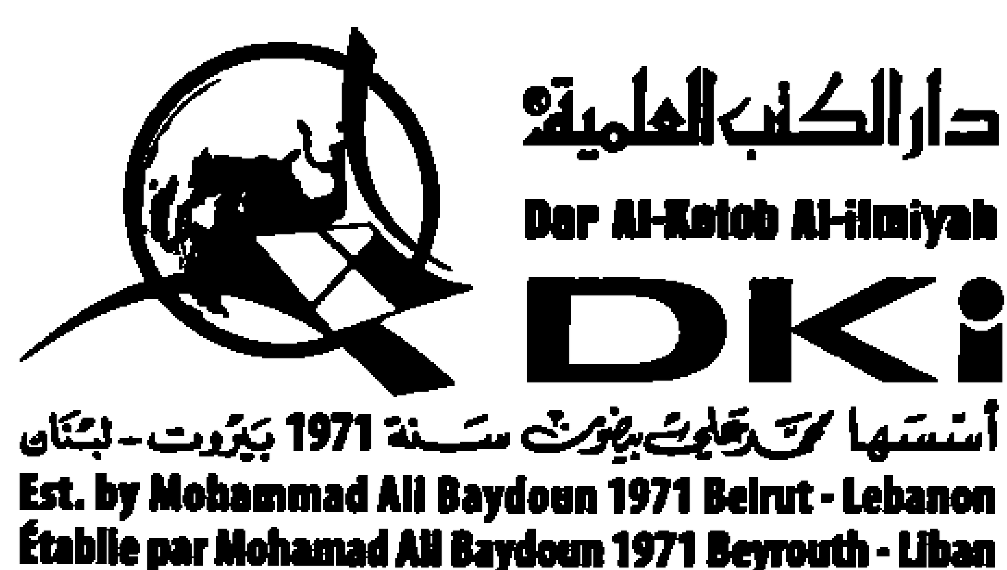
الفهرس السابع
في الأسر العلمية والرياسية

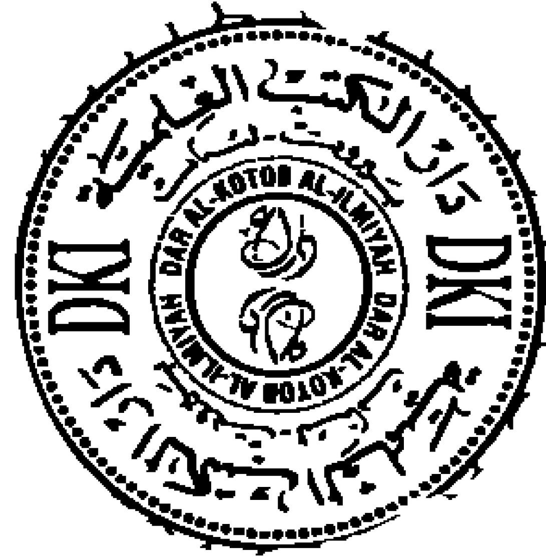
الفهرس الثامن
في الخزانات العلمية المذكورة ولو إجمالاً

ḤILĀL JUZŪLA

BY

AL-SHEIKH MUHAMMED AL-MUKHTAR AS-SOUSI






DKI
DAR AL KOTOB AL-ILMIYAH
DKI


Bibliotheca Alexandrina
15036626